

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - الجزائر -

جامعة أحمد دراية - أدرار -



كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية.

قسم: العلوم الإسلامية.

## الصحة النفسية في ضوء الكتاب والسنة وعلم النفس

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

• إشراف:

د. ناصري عبد العزيز

• إعداد الطالب:

شيخ لطفى

• أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
01	أ.د. محمد اسطنبولي	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	رئيساً
02	د. عبد العزيز ناصري	أستاذ محاضر "أ"	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
03	أ.د. رابح دفرور	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مناقشاً
04	د. مصطفى مدياني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة أدرار	مناقشاً
05	د. عبد الرحمان بوفارس	أستاذ محاضر "أ"	جامعة أدرار	مناقشاً
06	أ.د. عبد القادر جعفر	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مناقشاً

السنة الجامعية: 1442 - 1443 هـ / 2021 - 2022 م.

نوقشت هذه الرسالة يوم الاثنين 10 أكتوبر 2022 م.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَالْعَرْشِ الْمَجِيدِ  
الْحَمْدُ لَكَ يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ  
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ  
وَالْحَمْدُ لَكَ يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ

## إهداء:

أهدي هذا العمل إلى والديَّ الكريمين اللّذين بذلا كلّ غال ونفيس من أجل تربيّتي وتعليمي، وأسأل الله بأسمائه الحُسنَى وصفاته العُلى أن يجعله ذُخرا لهما وأن يُثَقِّلَ به موازين حسناتهما.

## شكر وتقدير:

أحمد الله عزَّ وجل عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه أن وفقني لإتمام هذا البحث، ثُمَّ إِنِّي أَتَقَدَّمُ بالشُّكر والعرفان إلى أستاذي د. عبد العزيز ناصري لإشرافه على هذا البحث، وعلى كُلِّ ما أفادني به من توجيهات كانت لها الأثر البالغ في سير البحث وتقويمه.

ولا أنسى تسجيل شُكري للأستاذ الدكتور رابع دفرور الذي كان مشرفاً سابقاً، وعلى كُلِّ ما قدَّمه من اقتراحات وتوجيهات.

وأُقَدِّمُ شُكري للأساتذة المناقشين مسبقاً على ما سيبدلونه من جُهد في سبيل قراءة هذه الرِّسالة وتصحيحها.

كما لا يفوتني شكر جميع أساتذة الشريعة في جامعة أدرار الذين استفدت منهم في مساري العلمي، وجميع من كانت له يد في هذه الرِّسالة من قريب أو بعيد.

## مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي سَوَّى الأنفس والأبدان، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الذي بُعث لتزكية النفوس وتطهيرها من الأدران، وعلى آله وأصحابه وإخوانه إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أمَّا بعد:

مما لا يُنازع فيه عاقل عظيم شأن الصحة النفسية، مهما اختلفت الأسامي والمناهج التي يعالج من خلالها هذا الموضوع الكبير، ومهما تشعبت الوسائل والأسباب التي يُرام بها الوصول إلى تحقيق قدر من هذا المطلب الثمين. وعناية الإنسان بصحته النفسية رغم قدمه لا زال متجدداً بتجدد الأزمان، ورغم ما توصل إليه الإنسان -بفضل ما منَّ الله به عليه من نعمة العقل- إلى علوم نظرية وتجريبية ذللت له التعامل مع أطراف الكون فتوفّر بذلك على وسائل الراحة والآلات التي ذللت له سبل العيش، إلا أن ذلك لم ينف عنه المعاناة النفسية، ولذلك لا يزال الإنسان يتكشّف جوانبه الإنسانية جسميّة وسلوكيّة وشعوريّة وانفعاليّة وكيفية تفاعلها داخله مع بعضها وطريقة تكيفها مع البيئة الخارجيّة، بُغية أن يصل إلى الرّعاية الصّائبة لتلك الجوانب بما ينفي عنه الاضطرابات النفسية ويُحقّق له السّعادة والاستقرار النفسيّ.

ومن منطلق إسلامي فإنّ من المحسوم ومن المتفق عليه بين جماهير المسلمين أنّ الله تعالى جعل السّعادة والنّجاة في أتباع كتابه المحفوظ، وما صحّ من سنّة نبيّه -عليه الصلاة والسلام-، وجعل الضّلال والشّقاء في العزوف عنهما.

## أولاً: إشكالية البحث.

ولذلك حاول هذا البحث الوصول إلى إجابة عن الإشكال الأساس والمتمثّل فيما يلي: ما هي الدّعائم التي تقوم عليها الصّحة النفسيّة، وقاية وعلاجاً ونمّاء، في ضوء الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة؟

وتوسّلاً للإجابة عن هذا الإشكال الأساس يُحتاج إلى الإجابة عن بضع سوّالات جُزئيّة، وهي كالآتي:

أ- ما هو مفهوم الصّحة النفسيّة؟

ب- وما وزن مفاهيم الصحة النفسية كما قررتها المدارس والاتجاهات النفسية في ضوء نصوص الوحي؟

ج- ما هي الألفاظ التي أطلقتها النصوص على الجانب النفسي في الإنسان؟

د- ما هي دلالات تلك الألفاظ في ضوء نصوص الوحيين؟ وما هي المعالم التي تتفق فيها تلك الألفاظ والأخرى التي تختلف فيها؟

د- هل في الكتاب والسنة طرق وقائية وعلاجية لما يعترى الإنسان من الاضطرابات النفسية؟

هـ- وإذا كان الوحي مشتملا على ذلك، فهل هناك تماثل أو تخالف في مفهوم الاضطراب النفسي بين نصوص الوحي من جهة ومناهج الصحة النفسية وعلم الاضطرابات النفسية من جهة أخرى؟

### ثانياً: أهمية البحث.

أ- تتجلى أهمية هذا البحث فيما تتمتع به الصحة النفسية من الشمولية في نفسها حيث إنها تُعدُّ مطلباً إنسانياً يسعى إليه كلُّ إنسان مهما كانت توجهاته العقديَّة والثقافية، ومهما كان مستواه المعيشي.

ب- كما تتجلى في إبراز نظرة الإسلام الذي أنزله خالق الإنسان ومُبدعه، والتي تبلور في المفاهيم التي قررتها نصوص الكتاب والسنة للصحة النفسية في حُضْمِ تعدد المناهج والأساليب العلاجية النفسية التي هي من اجتهاد البشر، وما احتوت عليه التشريعات الإسلامية من تعاليم في رعاية النفس الإنسانية.

### ثالثاً: أسباب اختيار البحث.

أ- حاجة الأمة البشرية عموماً والإسلامية خصوصاً إلى التحقق بالصحة النفسية، إذ إن صلاح حياتهم على كل مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يقوم على صلاح المستوى النفسي، فإذا فسد الجانب النفسي فإنَّ الفساد لا بُدَّ وأن يُجِئ على باقي المستويات الأخرى.

ب- قيمة النفس الإنسانية في الإسلام فهي مركز الفلاح والخسران في الدنيا والآخرة.

ج- فشُو الاضطرابات النفسية على اختلاف أنواعها ومستوياتها، مع قلة الوعي بها و النظرة المتشائمة للعلاج النفسي على أنه عيب ونقص، وتأثير هذه النظرة في التكتّم على الاضطرابات النفسية وعدم اللجوء إلى معالجتها مما يُسبب العديد من الأزمات الإنسانية في كل المجالات الحياتية.

د- النظرة السلبية لأثر الشرائع الإسلامية في تحقيق الصحة النفسية وتوهم قصورها على الرقبة وعلاج الحزن العابر الخفيف.

هـ- الظروف والضغوط الحياتية التي تفرضها الحياة المدنية الحديثة -بما تحمله من تعقيدات وتقدم حضاري وتطور تكنولوجي رغم سهولتها- على الإنسان المعاصر أفقدته توازنه، وسببت له الكثير من الاختلالات النفسية على خلاف الحياة البسيطة التي عاشها أسلافه رغم صعوبتها، مما يتطلب التركيز أكثر على رعاية الصحة النفسية.

#### رابعاً: أهداف البحث.

يقصد الباحث من بحثه الوصول إلى جملة من الأهداف، من أبرزها ما يلي:

أ- إبراز المنظور المتكامل الذي قرّره الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في رعاية الصحة النفسية من جميع جوانبها.

ب- بيان صلاحية الإسلام وإصلاحيته لكلّ زمان ومكان بما احتوت عليه مصادره من الحقائق والتشريعات المتعلقة برعاية النفس الإنسانية.

ج- الوقوف على ما توصلت إليه أحدث الطرق العلاجية النفسية، ومقارنتها بما هو مبثوث منشور في تراث علماء وأطباء ومفكرى الإسلام.

#### خامساً: مجال البحث.

الصحة النفسية لا يمكن أن يُحاط بها في الكلام على الجانب النفسي فقط، بل هي موضوع واسع متشعب الأطراف والجوانب، تتجاذبها عوامل متنوعة فالحالة الاقتصادية لها دورها في الصحة النفسية، ويُقال مثل ذلك في الحالة السياسية والاجتماعية، وفي كلّ جانب من هذه الجوانب جاءت الشريعة بأحكام تنتظم بها مصالح العباد وتُحقّق لهم الحياة الطيبة، كما توصل الإنسان -بما وهبه الله تعالى من ميزة العقل- إلى اكتشاف طرق يُنظّم بها حياته. وذلك يدلُّ على أنّ الصحة النفسية

ليست درجة ثابتة بل هي درجات متفاوتة ومستويات متعدّدة، فكلّما كانت تلك الجوانب مُيسّرة وملائمة كلّما كان نصيب الفرد من الصّحة النفسيّة أوفر وأكثر.

إلا أنّ الجانب النفسي يقف من هذه الجوانب في التحقّق بالصّحة النفسيّة موقف الأساس من البناء، إذ إنه من الممكن أن يتمتع الفرد بقدر كاف من الصحة النفسية يضمن له السعادة والهناء حتى مع المعاناة من بعض العوائق البدنية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، أمّا عند تدهور الجانب النفسي فلا يصير للتلائم في الجوانب الأخرى أيّ معنى.

ولا يمكن لهذه الدراسة أن تُحيط بجميع تلك الجوانب والمجالات بحثاً، كما أنّ لكلّ صنعة رجالها. ونظراً للحجم الهائل من الدراسات النظرية والتطبيقية المتعلقة بالصّحة النفسيّة وتنوع مجالاتها، واختلاف النظريات النفسية وتباين المناهج التجريبية المعتمدة في دراسة النفس الإنسانية، فإنّ هذه الدّراسة تُركّز على إبراز المعالم -سواء النظرية منها أو التطبيقية- والمضامين التي اشتمل عليها الوحي الكريم -من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة- في العناية بالنفس الإنسانيّة، مع الاسترشاد بما قرّره أئمة الإسلام وما توصّل إليه علم النفس في مجال الصحة النفسيّة.

### سادساً: منهج الدراسة.

بالنظر إلى طبيعة هذا البحث التي تتمحور في دراسة نصوص الكتاب والسنة المتعلقة بموضوع الصحة النفسيّة، ومحاولة تنزيل التوجيهات والإرشادات المستفادة منها على الواقع الذي تُعاشه البشرية بُعيّة ترشيده، فإن الباحث قد لجأ إلى توظيف ثلاثة مناهج:

(1) المنهج الاستقرائي في تتبع نصوص الكتاب والسنة المتعلقة بالصحة النفسية وما يُضادّها من الاضطراب النفسي.

(2) المنهج التحليلي لشرح النصوص الكريمة من الكتاب والسنة، واستبيان دلالات الوحي في رعاية النفس الإنسانية.

(3) المنهج الاستنباطي لاستخلاص هدايات نصوص الوحي وتنزيلها على الواقع، بما يعمل على ربط الأئمة الإسلاميّة بواقعها المعاصر.

ومن أبرز النقاط المنهجية التي جرى عليها العمل في هذا البحث ما يلي:



أ) الآيات القرآنية التي تم الاستدلال بها في هذا البحث هي برواية حفص عن عاصم من مصحف المدينة النبوية الحاسوبي.

ب) منهجية تخريج الأحاديث:

إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بتخرجه منهما، وإن لم يكن كذلك تُخْرَج من بقیة كتب السنة كالصَّحاح والسُّنن والمسانید والمصنَّفات مع بیان الحكم النقدي علی الحديث لدى علمائه. إلا أن الحديث إذا كان مخرجا في أحد هذه الكتب في أكثر من موضع، اقتصر على موضع واحد منها في الغالب. وصيغة التخرج تكون كالتالي: أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" (253/1) برقم: (1214) (كتاب الطهارة، باب ما لا نفس له سائلة إذا مات في الماء القليل). وقد تم إرجاء ذكر معلومات مصادر التخرج إلى فهرس المصادر والمراجع تفاديا لتشتيت القارئ، كما أن الباحث استعان في التخرج بالبرنامج الإلكتروني: خادم الحرمين الشريفين للسنة النبوية.

ج) وقد تجنَّب الباحث ما يتعلَّق بالترجمة للأعلام لأن لا يُضيف ثِقلا إلى ثِقَل الرِّسالة مع طولها، كما أنَّ فائدة التَّراجم بالنسبة للدراسات الموضوعية تكاد تكون منعدمة.

### سابعا: الدراسات السابقة.

وقف الباحث على عدد من الدراسات التي تُقاسم هذا البحث موضوعه، وقد أفاد منها في الوقوف على أبعاد موضوع البحث ومعالجته، وهي كالتالي:

1- الدراسة الأولى: القرآن وعلم النفس، من تأليف الدكتور: محمد عثمان نجاتي، نشرتها دار الشروق بالقاهرة-مصر، في أول طبعة لها سنة: 1983م، وقد ألحقت هذه الطبعة بعدة طبعات احتوت على تصحيحات وتنقيحات وزيادات، وكانت آخر طبعة للكتاب هي الطبعة السابعة سنة: 1421هـ - 2001م. وتقع في: 320 صفحة.

وهذه الدراسة ركزت على التأصيل لمباحث علم النفس الكبرى من الآيات القرآنية كالدوافع والانفعالات والإدراك الحسي والتفكير والشخصية وغيرها، وحلّصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم استطاع أن يعالج النفوس باستعمال عدّة أساليب، وهي: بثُّ الإيمان بعقيدة التوحيد وغرس بذور

التقوى، فرض العبادات المختلفة كالصلاة والزكاة والحج وغيرها، الحث على تعلم الصبر والترغيب في التوبة والاستغفار.

ومن نقائص هذه الرسالة أنها اقتصر على القرآن دون السنة، ولكن قام المؤلف بسد هذا النقص في الدراسة الموالية.

2- الدراسة الثانية: الحديث النبوي وعلم النفس، تأليف الدكتور: محمد عثمان نجاتي، وهذا الدراسة كسابقتها نشرتها دار الشروق: القاهرة-مصر، وتوالت عليها عدة طبعات، أولها سنة: 1409هـ-1989م، وختمت بالطبعة الخامسة سنة: 1425هـ-2005م. وتقع هذه الدراسة في: 355 صفحة.

ويلاحظ من خلال ذلك تداخل زمن الدراستين، فالمؤلف أعاد تنقيح وتصحيح الدراسة الأولى بعدما أتم وأخرج الدراسة الثانية للقراء في أول حلة لها، ولذلك يُلاحظ استدلال المؤلف في الدراسة الأولى ببعض الأحاديث وفي الثانية ببعض الآيات، وقد ركزت على نفس ما ركزت عليه الدراسة السابقة، وتمثلت المعالم التي تتفق فيها الدراستان والأخرى التي تختلف فيها في الجدول الموالي:

نقاط الاختلاف:		نقاط الاتفاق:
تميّزت الدراسة الثانية بمايلي: أولاً: النمو. ثانياً: الصحة النفسية.	تميّزت الدراسة الأولى بمايلي: أولاً: التذكر والنسيان. ثانياً: الجهاز العصبي.	الدوافع - الانفعالات - الإدراك الحسي - التفكير - التعلم - العلم اللدني - الشخصية - العلاج النفسي.

وفي فصل الصحة النفسية قد خلصت الدراسة الثانية إلى أن منهج الإسلام في تحقيق الصحة النفسية يقوم على ثلاثة أساليب، مرتبة كالتالي: أولاً: أسلوب تقوية الجانب الروحي ويضم الإيمان والتقوى والعبادات، ثانياً: أسلوب السيطرة على الجانب البدني بالتحكم في الدوافع والانفعالات، ثالثاً: أسلوب تعليم الخصال الضرورية المتمثلة في الشعور بالأمن وتحمل المسؤولية والعناية بصحة الجسم.

وقد أفاد الباحث من هاتين الدراستين في التأصيل الإسلامي لعلم النفس، وتصوُّر أبعاد الجوانب النفسية في الإنسان، إلا أنه يُلاحظ على الدراستين تجاوز الكلام على أوصاف النفس الإنسانية في الكتاب والسنة مع كثرتها جدًّا، ثمَّ إغفال الكلام على أنواع الاضطرابات النفسية ومراتبها ومفهومها في علم نفس الشواذ، إذ لا يُمكن التحقق بالصحة النفسية مع المعاناة من الاضطرابات النفسية، وما موقع ما ذكرته نصوص الوحي من مرض القلب والخلق السيِّء في الصحة النفسية، كما أنَّ هاتين الدراستين فقيرتان فيما يتعلَّق بتفسير نصوص الكتاب والسنة وبيان أوجه الاستدلال.

3- الدراسة الثالثة: التدين والصحة النفسية. للدكتور: صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف الصنيع، نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض-المملكة العربية السعودية في طبعتها الأولى سنة: 1421هـ-2000م، وتقع في: 560 صفحة.

وقد جمعت هذه الدراسة ستة عشر دراسة مسحية-غير المؤلَّف- من البحوث التطبيقية الميدانية على اختلاف المقاييس المعتمدة، وتباين العينات التي طبَّقت عليها تلك المقاييس من جهة عدد العينة ونوع الجنس والمرجعية الثقافية والدينية-إسلامية وغير إسلامية-، وفي كلِّ واحدة منها تُتبَّع لعدد ضخم من البحوث والدراسات الميدانية التطبيقية حول علاقة التدين والصحة النفسية.

ثمَّ قام المؤلَّف نفسه بدراسة مسحية، سرد فيها إجمالاً سبعين دراسة، حيث قسَّم هذه الدراسات إلى ثلاث مجموعات: مجموعة الدراسات الأجنبية؛ وعددها: ثمانية وعشرون دراسة، ومجموعة الدراسات العربية؛ وعددها: أربعة وعشرون دراسة، ومجموعة الدراسات المحلية (السعودية)؛ وعددها: ثمانية عشر دراسة، وجزأ كلَّ مجموعة إلى قسمين؛ القسم الأوَّل: دراسات تناولت التدين ومظاهر تحقُّق الصحة النفسية، والقسم الثاني: دراسات تناولت التدين ومظاهر اختلال الصحة النفسية، ولم ينقل كلَّ دراسة بكاملها، وإنما أعطى خلاصة لكل دراسة، تتضمن: الباحث الذي قام بالدراسة، وسنة الدراسة، وعنوانها، والأدوات والمقاييس المعتمدة فيها، والعينة التي طبَّقت عليها هذه المقاييس، مع التَّعقيب والتَّعليق على بعضها، ببيان نقاط الضَّعف ونقاط القوَّة في كلِّ واحدة منفردة، ثمَّ التَّعليق عليها جملة.

والنتيجة الجامعة بين هذا العدد الضخم من هذه البحوث أنه دائماً ما يصل الباحث إلى أنَّ الالتزام بالقيم والشعائر الدينية له أثر عظيم في تحقيق الصحة النفسية، وأنَّ ذلك يُمكن إثباته ميدانياً.

وقد تمخّضت الدراسة عن نموذج بنائي للصحة النفسية موزّعا حسب المرحلة العمرية من الطفولة إلى الشيخوخة، مُقسّمة كلَّ مرحلة إلى خمس جوانب: جسمي وروحي وعقلي وانفعالي واجتماعي، وحُلّصت إلى أنَّ أساليب وعوامل تحقيق الصحة النفسية تتمثّل في الإيمان والعبادات والأخلاق الطيبة، وقد عمدت الرسالة إلى إبراز هذه العوامل باختصار.

ومن أبرز التوصيات التي انتهت إليها الدراسة: وضع تصوّر إسلامي لمكوّنات النفس البشرية ولما يعترئها من الاضطرابات النفسية، وبيان مفهوم الانفعالات النفسية في الإسلام.

وهذه التوصيات سيتمُّ العمل عليها بإذن الله تعالى في هذه الرسالة، مع الشرح والبيان لدور تلك العوامل والأساليب في تحقيق الصحة النفسية، والتركيز في ذلك على معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

### ثامنا: صعوبات البحث.

واجهت الباحث خلال مسيرة كتابة هذه الرسالة جملة من الصّعوبات، من أبرزها:

أ) جِدَّة موضوع هذه الدراسة بالنسبة للباحث والمتمثّل في علم الصحة النفسية والاضطرابات النفسية، وحدائث هذا الموضوع بالنسبة للسّاحة العلميّة نفسها.

ب) كثرة المقاربات النظرية لمفهوم الصحة النفسية، ممّا أضفى صعوبة في طريقة مقارنته على ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من جهة، وعلى طريقة تنزيل الهدايات المستخلصة من تلك النصوص على تلك المقاربات من جهة أخرى.

ج) صعوبة المقارنة بين مفهوم الصحة النفسية والاضطرابات النفسية بين ما قرّرتّه نصوص الكتاب والسنة والعلوم المتعلقة بالصحة النفسية.

د) عدم القدرة على الوصول إلى بعض الدراسات التي اعتنت بالصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام.

### تاسعا: خطة البحث.

احتوت هذه الرسالة إجمالا على مقدمة وفصل تمهيدي وباين وخاتمة. وتفصيل ذلك كما يلي:

أمّا الفصل تمهيدي: فقد اعتنيت فيه ببيان مفهوم الصحة النفسية في اللغة، وفي اصطلاح علماء الصحة النفسية مع التعقيب على كل ذلك بما هو مقرّر في الشريعة الإسلاميّة.

وقد ضمّ هذا الفصل مبحثين: الأول: مفهوم الصحّة والنفس في اللغة، والثاني: ما يتعلّق بمفهوم الصحة النفسية في الاصطلاح من معايير السلوك اللاتي يُصنّف على أساسها إلى شاذّ وسويّ، والعلامات الدالّة على التمتع بالصحة النفسية، ودور إشباع الدوافع في الصحّة النفسية وما يترتّب على عدم إشباعها من الحيل النفسية مع بيان موقع هذه الأخيرة من السّوء والشّدوذ، وأخيرا سرد جملة من تعريفات الصحة النفسية مع مناقشتها وصياغة تعريف للصحة النفسية من اجتهاد الباحث انطلاقاً ممّا تقدّم.

أمّا الباب الأول فكان التركيز فيه منصباً على بيان مفهوم النفس الإنسانية من خلال ما نُعتت به في نصوص الكتاب والسنة من مفردات وأوصاف، وما يعترّيها من اضطرابات بين نصوص الوحي وعلم نفس الشواذ.

وقد اشتمل هذا الباب على فصلين: الأول: مفهوم النفس الإنسانيّة وأوصافها في الكتاب والسنة، وهذا الفصل تفرّع إلى مبحثين: الأول: الأوجه والنظائر لمفردات النفس الإنسانية في الكتاب والسنة. والمبحث الثاني: مُميّزات كل مفردة من مفردات النفس الإنسانية في الكتاب والسنة.

وأما الفصل الثّاني فكان بعنوان: الاضطرابات النفسية بين نصوص الكتاب والسنة وعلم نفس الشواذ، وتفرّع هذا الفصل إلى مبحثين: المبحث الأوّل: مفهوم الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذ. وأمّا المبحث الثّاني فكان حول بيان مفهوم مرض القلب في نصوص الوحي، ثمّ المقارنة بينه وبين الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذ.

وأما الباب الثّاني فكانت العناية فيه منصّبة على إبراز: الدعائم النفسية في ضوء الكتاب والسنة، ودورها في رعاية النفس الإنسانيّة.

واشتمل هذا الباب على فصلين أيضاً، الفصل الأوّل: الدعائم المعرفيّة، والوجوديّة-الإنسانيّة في ضوء الكتاب والسنة. وانقسم هذا الفصل إلى مبحثين: الأول: الدعائم المعرفية في ضوء الكتاب والسنة. والمبحث الثاني: الدعائم الإنسانيّة والوجوديّة في ضوء الكتاب والسنة.

وأما الفصل الثاني فقد عُنون باسم: الدَّعائم السلوكية والانفعالية والعاطفية في ضوء الكتاب والسنة. وتفرَّع هو بدوره إلى مبحثين: الأول: الدَّعائم السلوكية في ضوء الكتاب والسنة. والمبحث الثاني: الدَّعائم الانفعالية والعاطفية في ضوء الكتاب والسنة.

وتضمَّن البحث في النهاية خاتمة اشتملت على أبرز النتائج والتوصيات التي تمخَّضت عن هذا البحث.

## فصل تمهيدي: مفهوم الصحة النفسية.

المبحث الأول: مفهوم الصحة النفسية في اللغة.

المطلب الأول: مفهوم الصحة في اللغة.

المطلب الثاني: مفهوم النفس في اللغة.

المبحث الثاني: مفهوم الصحة النفسية في الاصطلاح.

المطلب الأول: معايير السلوك، ومؤشرات الصحة النفسية.

المطلب الثاني: دوافع السلوك، وتعريفات الصحة النفسية.

**تمهيد:**

قبل الخوض في مفهوم النفس الإنسانية وما يعتريها من الاضطرابات وكيفية رعايتها علاجا ووقاية وإنماء في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لا بُدَّ من تعيين مفهوم الصحة النفسية من جهة اللُّغة ومن جهة الاصطلاح النفسي، وهذا ما سيتمُّ العمل عليه في هذا الفصل التمهيدي.



## المبحث الأول: مفهوم الصحة النفسية في اللغة.

ومصطلح (الصحة النفسية) من جهة اللغة مركب وصفي، والياء في النفسية ياء نسبة أي المنسوبة إلى النفس، وقبل الدخول في بيان معنى هذا المركب لا بُدَّ من بيان معنى أجزائه مفردة، لأن بيان معنى المركب يفترق إلى بيان المعاني التي تتضمنها أجزاؤه.

### المطلب الأول: مفهوم الصحة في اللغة.

من جهة الاشتقاق: الصحة بكسر الصاد وفتحها هي مصدر من صحَّ المضاعف، ويُقال: الصُحُّ بالضم، والصَّحاح بالفتح، ويُقال لمن أتصف بها: صحيحٌ، والجمع: صحاحٌ بكسر الصاد وفتحها، وأصحَّاء وصحَّاح.

وأما من جهة المعنى: فإنَّ هذه المادة لها عدَّة معانٍ في اللغة:

المعنى الأوَّل: زهاب المرض بعد وقوعه، أو البراءة منه أصلاً، وإطلاق العافية على هذا الأخير أولى، ولذلك فالصحة أعم والعافية أخص، وأصحَّ الله تعالى فلاناً، أي أزال مَرَضَهُ.

ويُقال أرض مَصِحَّة ومَصِحَّةٌ: بَرِيئةٌ مِنَ الأوباء صَحِيحةٌ لا وباءَ فِيهَا، ولا تَكْثُرُ فِيهَا العِللُ والأَسقامُ. ويقال الصَّوْمُ مَصِحَّةٌ، ويكسِرُ الصادُ، لأنَّه سبب لتحقيق الصحة.

ومن كلامهم: ما أقرب الصَّحاح من السُّقم، وهذا يبين قابلية الصحة للفساد والمرض، وقرب المرض من الصَّحة. ويقال استصح فلان من علته: إذا برىء، وفيه معنى أن المرض أحياناً قد يزول لقوة الطبيعة ورجوعها إلى سوائها ولو من غير سبب خارجي.

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَيَّ مُصِحٌّ»<sup>(1)</sup>.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (128/7) برقم: (5717) (كتاب الطب، باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن)؛ ومسلم في "صحيحه" (30/7) برقم: (2220) (كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء). والحديث يحتمل عدَّة معانٍ.

الأوَّل: لا يوردن من إبله مرضى على من إبله صحاح ويسقيها معها، مخافة أن يظن أنها أعدتها -من غير تقدير الله تعالى كما كانت العرب تظن في الجاهلية أنَّ العدوى تُورثُ بداتها- فيأثم بذلك.

المعنى الثاني: البراءة من العيب، ولذلك يُقال للصديق الذي خلا قلبه عن العداوة وموجباتها المُصَحِّحُ أي: الصحيح المودَّة، ويُقال كذلك لمن خلا عن الباطل وتجرَّد للحق، والتُّرْهَاتُ والأباطيل الصَّحاحُ، وكلُّ من إضمار العداوة للأصدقاء، والميل إلى الباطل عيب نفسي.

ويُقال: أصحَّ القوم، إذا أصابت أموالم عاهة ثم ارتفعت.

ويقال للناصح مُصَحِّح، لحرصه على دفع الضُّرِّ والإثم إن احتملا الوقوع، أو رفعهما إن وقعا. وصَحَّحْتُ الكتابَ والحسابَ تَصْحِيحًا إِذَا كَانَ سَقِيمًا فَأَصْلَحْتُ خَطَأَهُ.

المعنى الثالث: الاستواء والاستقامة، قولهم والصَّحَّحُ والصَّحْصَاحُ والصَّحَّحَانُ: الأرض الجرداء المستوية الملساء التي لا شجر فيها ولا قرار للماء عليها. وفي الأثر: «يقاسم ابن آدم أهل النار قسمة صحاحا»<sup>(1)</sup>، أي سواء لا اختلاف فيها ولا تفاوت، بحيث يكون له نصفها وهم نصفها.

المعنى الرابع: القوة والشدة، ومنه صحَّحُ الطريق، بالفتح: ما اشتدَّ منه، ولم يسهل.

المعنى الخامس: التبيُّن وتتبع دقائق الأمور، وصَحَّحَ الأُمُرُ: تَبَيَّنَ. مثل حصحص. ورجلٌ صُحِّحٌ وصُحِّصُوهُ، بضمَّهما: يَتَّبِعُ دَقَائِقَ الأُمُورِ، فَيُحْصِيهَا وَيَعْلَمُهَا. ولعلَّ وصفهم للسفر بأنه مَصَحَّةٌ من جهة تبيُّن حقيقة خُلق الشخص، لأنَّ السَّفر يُسفر عن حقيقة صاحبه.

=

والثاني: مخافة الفخر بأن يقع في قلب من إبله مريضة حسدا على من صحَّت إبله، فيجرُّه ذلك إلى سرقة إبل غيره والاستيلاء عليها، أو إلحاق الضرر بها، أو أن يتأذى الصحيح برؤية المريض.

والثالث: أن يتعد بنفسه وأهله الأصحاء عن مواطن الأمراض المعدية، أخذا بأسباب الوقاية، فالعدوى وإن كانت لا تنتقل إلا بإذن الله تعالى، والله تعالى هو مسبب الأسباب، كان الأخذ بها من صميم التوكل. [يُنظر: عياض بن موسى السبتي أبو الفضل، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: المنصورة-مصر، 1419هـ-1998م. (176/3-177)].

(1) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (242/7) برقم: (4939) (باب تحريم النفوس والجنايات عليها). موقوفا على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. حكم الأثر: قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين». [أبو جعفر أحمد الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1415هـ-1494م. (207/4)].

ويبين الصِّحَّة والسلامة فرق من جهة النقيض؛ فنقيض السلامة الهلاك، ونقيض الصحة المرض، فكأن الصحة لا تتضمن السلامة دائماً، فقد يعتري القويَّ المرضُ ولكن لا يهلكه، بخلاف الضَّعيف فإنَّه يهلكه بسهولة.<sup>(1)</sup>

وعليه يُمكن القول: إنَّ الصِّحَّة استقامة الطبيعة، وخلوها من الفساد، إمَّا قبل ورود الفساد عليها، أو بعد وروده عليها ثمَّ زواله عنها، وكلام الأطباء عموماً في معنى الصِّحَّة لا يُجاوز هذه المعاني اللغوية. ولذلك قال المعلِّم بَطرس: «وعند الأطباء هي حالة أو ملكة تصدر بها الأفعال الطبيعيَّة عن مواضعها سليمة».<sup>(2)</sup>

### المطلب الثاني: مفهوم النفس في اللغة.

النفس لفظ مشترك يقع على معان عديدة<sup>(3)</sup>. وقد ذكر علماء اللُّغة خمسة عشر معنى للنفس، وهي: الرُّوح، والدَّم، والجسد، والعين، والعند، والحقيقة، وعين الشيء، وقدْرٌ دُبْعَةٌ (أي مقدار ملء الكفِّ من الصِّبَاغَة التي يُدبغ بها)، والعظمة، والعزة، والهمة، والأنفة، والغيب، والإرادة، والعقوبة، كما حصرها الإمام الزَّبيدي<sup>(4)</sup>.

(1) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الفكر: بيروت لبنان، 1399هـ - 1979م. (3/ 281)؛ محمد جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر: بيروت لبنان، 1414هـ-1993م. (2/ 507-508)؛ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مركز الرسالة للدراسات وتحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط3، مؤسسة الرسالة ناشرون: دمشق-سوريا، 1433هـ-2012م. (ص: 228)؛ محمد أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، 1385هـ-1965م. (6/ 528-532)؛ المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ط1، المكتبة العلمية: بيروت-لبنان، 1399هـ-1979م. (3/ 12)؛ الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ط1، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، 1418هـ-1997م. (ص: 109-110).

(2) المعلِّم بَطرس البُستاني، محيط المحيط، دائرة المعاجم مكتبة لبنان: بيروت-لبنان، 1987م. (ص: 499).

(3) الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، (1/ 103).

(4) محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (1/ 577-578)؛ محمد أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (16/ 564).

ولكن عين الشيء وحقيقته بمعنى واحد وهو الذات، وكذلك الهمة والإرادة بمعنى الرغبة، ولذلك فهي ترجع إلى ثلاثة عشر معنى. واستدرك الزبيدي معنيين آخرين، وهما الأخ والإنسان، وجعل من الأول قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] الآية، أي على إخوانكم، ومن الثاني الذي هو: الإنسان جميعه بروحه وجسده، وجعل منه قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦]، لأن الله يبعث الإنسان جميعا جسدا وروحا<sup>(١)</sup>. وأصل النوع الإنساني آدم عليه السلام، ولذلك قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١] الآية<sup>(٢)</sup>.

وذكر الزجاج معنيين آخرين وهما العقل والحياة، ولكل إنسان نفسان: نفس العقل وهو الذي يكون به التمييز وينزل بالجنون والنوم، وهناك نفس الحياة التي تحصل بها الحركة ولا تنزل إلا بالموت<sup>(٣)</sup>.

وبالتالي تصير معاني النفس في اللغة سبعة عشر معنى، ثلاثة عشر معنى ذكرها الفيروزآبادي، واثنان ذكرها الزبيدي نقلا عن ابن خالويه، واثنان ذكرهما ابن منظور والأزهري نقلا عن الزجاج، وأقرب هذه المعاني إلى النفس في مركب: (الصحة النفسية) اثنان، وهما: العقل والحياة، فالعقل يُمثل الجوانب المعرفية والحياة تُمثل الحركة والجوانب الجسمية والسلوكية.

وإن كان لبقية المعاني الأخرى للنفس نوع تعلق بهذا المقصود، كما ذكروا أن الهواء سمي نفسا لأن قوام النفس به<sup>(٤)</sup>، ولذلك تُفارق الحياة البدن وتنقطع حركته ووعيه إذا قُطِعَ عنه الهواء.

ويظهر أن العقل والحياة من معاني النفس يدلان على بقية المعاني الأخرى، من جهتين:

(١) يُنظر: محمد أبو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (570/16).

(٢) يُنظر: الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط1، دار ومكتبة الهلال: بيروت-لبنان، (270/7).

(٣) يُنظر: محمد جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (235/6)؛ محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، (8/13).

(٤) ينظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (460/5).

الجهة الأولى: من جهة التُّروم، وذلك أنه لا يتمُّ الحفاظ على العقل والحياة إلا بالحفاظ على الجسد والدم والعقل والنَّفَس (شَمُّ الهواء).

الجهة الثانية: من جهة التَّضْمُن، باعتبارها وصفا من أوصافها أو وظيفة من وظائفها، مثل: الرغبة - التي عُبرَ عنها آنفا بالهَمَّة والإرادة-، إذ إنَّ كُلَّ حيٍّ عاقلٍ لا بُدَّ له من إرادة ورغبة، بغضِّ النَّظر عن الموضوع الذي توجَّهت إليه رغبته.

## المبحث الثاني: مفهوم الصحة النفسية في الاصطلاح.

والمقصود بالاصطلاح هنا أي في اصطلاح علماء الصحة النفسية، ومفهوم الصحة النفسية عندهم يتوقف على: المعيار المعتمد في تصنيف السلوك إلى سويّ وشاذ<sup>(1)</sup>، وعلى المؤشرات الدالة على وجود صحة نفسية، وفهم الطريقة التي تعمل بها الأجهزة النفسية في إشباع الدوافع، ولذلك سأعرض لهذه الأمور الثلاثة ثم أذكر تعريفات الصحة النفسية.

### المطلب الأول: معايير السلوك، ومؤشرات الصحة النفسية.

#### الفرع الأول: معايير السلوك السوي والشاذ (اللاسوي).

السلوك هو نتاج لحالة الوظائف النفسية، وهو الدليل عليها، وبالتالي فالسلوك السوي علامة مبدئية -على الأقل- على تمتع الشخص بصحة نفسية، والسلوك الشاذ غير السوي كذلك يُنبئ عن اضطراب في الصحة النفسية. وهذه المعايير هي المحكّات التي على ضوءها يُصنّف سلوك ما على أنه سويّ (صحّي) أو شاذّ (مرضي)، وقد اختلف الباحثون في تعداد معايير السواء والشذوذ، كما أنهم أوردوا بعض الانتقادات عليها، ولما تباين حجم هذه الانتقادات وقوّتها بين الباحثين تباينت تبعاً لذلك ترجيحاتهم للمعيار المختار منها، وسأسرد هذه المعايير<sup>(2)</sup> مُحاولاً تناولها بالدراسة في ضوء الأدلة الشرعية، وهي كالآتي:

(1) مصطلح الشذوذ قد أخذ سمعة سيئة عند العوامّ، لكن هو مرادف لعدم السواء في علم النفس المرضي، يقول أ. د علي صالح: «يعني مصطلح الشذوذ أو اللاسوية الانحراف عما هو سوي. والشذوذ حالة مرضية فيها خطر على الفرد نفسه أو على المجتمع... لذا يمكن أن نعرف الشذوذ بأنه سلوك غير تكيفي، ويمكن أن يعبر عنه الفرد من خلال ضعف القدرة على التعايش ومواجهة الضغوط البيئية... في حين يُعرّف الشخص الشاذ أو اللاسوي بأنه الشخص الذي ينحرف سلوكه عن سلوك الشخص العادي في تفكيره ومشاعره ونشاطه ويكون غير سعيد وغير متوافق شخصياً وفعالياً واجتماعياً». [علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع: عمان، 1435هـ-2014م، (ص: 25-26)].

(2) وقد استفدت في توصيف هذه المعايير، وما انتقدت به على ما يلي: عبد العزيز بن عبد الله الأحمد، الطريق إلى الصحة النفسية عند ابن القيم وعلم النفس -رسالة ماجستير-، إشراف: أ.د عبد العزيز النغمشي، ط1، دار الفضيلة: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1420هـ-1999م، (ص: 57-إلى ص: 60)؛ أ. د صالح حسن أحمد الداهري وأ. د وهيب مجيد الكبيسي، علم النفس العام، ط1، مؤسسة حمادة ودار الكندي: أربد-الأردن، 1999م، (ص: 208-209)؛ علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 53-56)؛ نديرة أغمين، "إشكالية السواء واللاسواء في علم النفس المرضي"، مجلّة حوليات، جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد: 20، جوان 2017، (ص: من 700-إلى 705).

**أولاً: المعيار القيمي المثالي،** يرى بأن السوي هو الكامل الخالي من العيوب، وقد انتقد بأنه غير واقعي إذ لا يوجد إنسان منزّه عن جميع العيوب. وهذا مُقرّر في الشريعة إذ لا أحد معصوم من الوقوع في الأخطاء، لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»<sup>(1)</sup>. وثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أيضاً أنّه قال: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون، يغفر لهم»<sup>(2)</sup>. ولكن مع ذلك فيه وجه من المصادقيّة، ذلك أنّ السعي إلى الكمال فيما يُستطاع من الفضائل واقعيّ، ومهما بلغ الإنسان من الاتزان والفاعليّة التّفسيين فيبقى دائماً فيه مجال لمزيد من التحسّن والتقدّم، ولذلك «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً»<sup>(3)</sup>. وكان -صلى الله عليه وسلم- مع كلّ هذا «يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرّة»<sup>(4)</sup>. وإمّا يستغفر مع أنّه غُفر له -عليه الصلاة والسلام- وهو مُنزّه عن الإصرار على الذنوب الموجبة لهذه الكثرة من الاستغفار، وإمّا كان -عليه الصلاة والسلام- عظيم الهمة، مترقياً في مراتب الكمال «لم يزل في الترقّي، فإذا ترقّى إلى حال، رأى ما قبلها دونه، استغفر منه، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين»<sup>(5)</sup>.

ولا بُدّ أن يكون هذا التّحسّن والتّقدّم في حدود الطّاقة حتّى يُستطاع المداومة عليه، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تُطيقون؛ فإن الله لا يملّ حتى تملّوا،

(1) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (244/4) برقم: (7712) (كتاب التوبة والإنابة، خير الخطائين التوابون)؛ والترمذي في "جامعه" (273/4) برقم: (2703) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب). وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ». والحديث حسنه الألباني. [ينظر: محمد بن عبد الله أبو عبد الله وليّ الدين التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1985م. برقم: 2341 (724/2)].

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (94/8) برقم: (2748) (كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (135/6) برقم: (4837) (كتاب تفسير القرآن، باب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً)؛ ومسلم في "صحيحه" (141/8) برقم: (2820) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة).

(4) أخرجه البخاري في "صحيحه" (67/8) برقم: (6307) (كتاب الدعوات، باب استغفار النبي -صلى الله عليه وسلم- في اليوم واللييلة).

(5) عمر بن علي سراج الدين ابن الملحق، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط1، دار النوادر: دمشق- سوريا، 1429هـ-2008م. (191/29).

وإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قلَّ»<sup>(1)</sup>. على أنه تنبغي المرونة في القيام بالأعمال، ذلك أنَّ الطَّبيعة النفسِيَّة طبيعَةٌ مُتقلِّبَةٌ بدورها بين النَّشاط والفتور، على ألاَّ يخرج ذلك النَّشاط أو الفتور عن حدِّ المشروع، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً<sup>(2)</sup>، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ<sup>(3)</sup>، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»<sup>(4)</sup>.

وعلى سبيل التَّمثِيل فالصَّلَاة منها قدر واجب لا يجوز التَّفريط فيه، وهي الصَّلوات الخمس، وأمَّا صلاة النَّافِلَة في اللَّيْلِ، فيُراعى في الإتيان بها قُوَّة الشَّخْص ونشاطه في القيام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «دخل النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: لا، حُلُوهُ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ، فَإِذَا فَتَرَ فليقعد»<sup>(5)</sup>. وفي رواية: «لِتُصَلَّ مَا عَقَلْتُ، فَإِذَا خَشِيتُ أَنْ تُعَلِّبَ فلتنم»<sup>(6)</sup>. وكذلك هناك قدر مُفْرَط زائد عن الحدِّ، وهو أن يترك المسلم النَّوم كُليَّةً ويُعذِّب نفسه بالقيام، ولما «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-،

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (147/1) برقم: (730) (كتاب الأذان، باب صلاة الليل)؛ ومسلم في "صحيحه" (166/2) برقم: (738) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي -صلى الله عليه وسلم- في الليل).

(2) الشَّرَّة: النَّشاط والرَّغبة. [يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (458/2)].

(3) الفِتْرَة: الضَّعْف والانكسار. [يُنظر: المصدر السَّابِق (408/3)].

(4) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (511/3) برقم: (2105) (كتاب الصوم، باب استحباب صوم يوم وإفطار يوم والإعلام بأنه صوم نبي الله داود)؛ وابن حبان في "صحيحه" (347/8) برقم: (3581) (كتاب الصوم، ذكر الإباحة للمرء ترك صوم الدهر وإن كان قويا عليه). حكم الحديث: صحيح. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، أصل صفة صلاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض -المملكة العربية السَّعوديَّة، 1427هـ-2006م. (517/2)].

(5) أخرجه البخاري في "صحيحه" (53/2) برقم: (1150) (أبواب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة)؛ ومسلم في "صحيحه" (189/2) برقم: (784) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعم في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد).

(6) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (240/6) برقم: (2493) (كتاب الصلاة، ذكر الزجر عن صلاة المرء النافلة إذا غلبته عيناه مخافة أن يقول ما لا يعلم)؛ وأحمد في "مسنده" (2776/5) برقم: (13322) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه). حكم الحديث: صحيح. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيميه من صحيحه وشاذه من محفوظه، محمد بن حبان البُستي، ترتيب: الأمير علي بن بلبان، دار با وزير للنشر والتوزيع - جدة -المملكة العربية السَّعوديَّة، ط1 (1424هـ-2003م). (215/4) برقم: (2484)].



يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: أنتم الذين قلتُم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(1)</sup>.

وعليه فالسعي نحو المثالية إنما يكون دالاً على السواء إذا كان في حدود الواقع وعلى قدر الطاقة وبما يُحقّق المصلحة ولا يكون فيه مضرة على الفرد.

**ثانياً: المعيار الإحصائي،** ويذهب إلى أنّ السوي هو المتوسط الغالب، أمّا ما خرج عن المتوسط إمّا بالزيادة أو النقصان فهو شاذّ. ولكن ذكر القوسي أنّ الشاذّ -بهذا المعنى- لا يعني بالضرورة حدوث الاضطراب النفسي، ولكن الاضطراب النفسي شذوذ ولا بُدّ، ذلك أنّ الحكم بوجود اضطراب نفسي أيّاً كان نوعه ودرجته يفتقر لتوفر حالة مُعيّنة من الأعراض<sup>(2)</sup>.

وانتقد هذا المعيار بأنّه: يُماثل بين المعنوي والعقلي -إذا تكلم عن الذكاء- من جهة أنّ كليهما شاذّ، لأنّهما خارجان عن المتوسط. وانتقد كذلك بأنّه سطحي لأنّه لا يبحث عن أسباب الشذوذ، وكثيراً ما يتظاهر من يُعاني من اضطرابات نفسية بالسواء خشية أن يُوسم بالجنون، وعند ذلك تكون نتائجه غير صادقة<sup>(3)</sup>.

وحسب ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة فإنّ الله تعالى مدح الأمة الإسلامية بوسطيتها، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] الآية. ولم يخرج المفسّرون على أنّ الوسطية المذكورة في الآية يُراد بها أحد أمرين، الأمر الأوّل: الاعتدال والتوسط بين طرفين مذمومين، كوقوع الجود بين البخل والإسراف، والاستقامة على الصراط المستقيم بين الغلوّ الذي وقعت فيه

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (2/7) برقم: (5063) (كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح)؛ ومسلم في "صحيحه" (129/4) برقم: (1401) (كتاب النكاح).

(2) يُنظر: د. عبد العزيز القوسي، أسس الصحة النفسية، ط4، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة-مصر، 1371هـ-1952م. (ص: 9-10).

(3) يُنظر: د. مصطفى حجازي، الصحة النفسية -منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة-، ط4، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء-المغرب، 2013م. (ص: 64-65).

النصارى، حتى ادَّعوا في عيسى -عليه السلام- ما ادَّعوه، وبين التفريط الذي وقعت فيه اليهود حتى قتلوا الأنبياء -عليهم السلام- وعصوا الله تعالى في كثير من الأشياء، وهذا القسم هو الذي يتطابق مع المعيار الإحصائي. والأمر الثاني: الخيرية، حتى ولو لم يكن الأمر متوسطاً فيه بين شيئين، كالعدل لا يُقابلة إلا الظلم، والكذب لا يُقابلة إلا الصدق، وهذا الوجه يُبينه قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] الآية. والوسطية فيها كناية عن صيانة الشيء ونفاسته وعزته، كما يُجعل اللؤلؤة وسط العقد، وكما يُجعل الملك وسط الجيش<sup>(1)</sup>، والآية تشمل الأمرين معا<sup>(2)</sup>. والوجه الثاني يتجاوز المعيار الإحصائي، ولذلك هناك كثير من الجوانب السلوكية التي فيها طرفان فقط كاللّوحد والشرك، والكذب والصدق، والعدل والظلم وغيرها، ولا وجود لوسط لها حتى يقال: بأنّه هو السوي وأنّ الشذوذ موزع على طرفيه.

والمعيار الإحصائي كما هو مُلاحظ يأخذ في الاعتبار نسبة الكثرة والقلة، في حين أنّ نصوص الوحيين لا تُلقِي أيّ اعتبار لقلة من يسلك مسلكاً مُعيّناً أو كثرته، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا تكونوا إمعة؛ تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم؛ إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»<sup>(3)</sup>. بل إنّه من الثابت شرعاً وواقعاً أنّ القلة هي المميّزة بالسوء وأنّ الكثرة في الغالب تكون على ضلال، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 116]، وقال

(1) يُنظر: الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 869)؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر ومحمود شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1420 هـ - 2000 م. (142/3)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، 1420 هـ-1999 م. (84/4)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر: تونس، 1984 هـ. (17/2-18).

(2) وإن اختلف أهل التفسير في أيّ الوجهين أولى بحمل الآية عليه، وما دام أنّ الآية تحتل الوجهين ولا تعارض بينهما، فالجمع أولى من الترجيح. كما أنّ جمع عبارات المفسرين في مثل هذا نافع جداً، فإن مجموع عباراتهم أدلّ على المقصود من عبارة أو عبارتين. [يُنظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة: بيروت-لبنان، 1490 هـ-1980 م. (ص: 19)].

(3) أخرجه الترمذي في "جامعه" (538/3) برقم: (2007) (أبواب البر والصلة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في الإحسان والعفو؛ والبخاري في "مسنده" (229/7) برقم: (2802) (مسند حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، أبو الطفيل عن حذيفة). وقال الترمذي: «حسن غريب».

تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ [سبأ: ١٣].

ولا يُقال إنَّ المجال الذي يبحث فيه الإحصاء هو السلوك الحيوي الوظيفي الذي يتفق فيه كلُّ البشر وهو غير المجال الذي جاءت به الشريعة الذي يُركِّز على السلوك الإرادي، وذلك لأنَّ الإسلام أنزله الله إلى النَّاس كافةً، وهو يعتبر في تشريعاته كلَّ السنن والقوانين التي تحكم البشريَّة، كما أنَّه لا يُمكن الفصل بين الجانب الطَّبيعي الغريزي في الإنسان والجانب الإرادي إذ لا قيام لأحدهما ولا تمام له إلاَّ بالآخر.

**ثالثاً: المعيار الطبيعي،** بالنسبة لهذا المعيار فالسوي هو ما وافق الطبيعة، والشاذُّ هو ما خالفها.

وقد انتقد بأنَّه غامض وغير واضح؛ إذ إنَّ الطَّبيعة التي فُسِّر بها السَّواء في حدِّ ذاتها تحتاج إلى تفسير وتحديد. وبعض الباحثين يُدججه في المعيار الإحصائي باعتبار أنَّ الطَّبيعة تميل بصورة عامَّة إلى التوسُّط والاعتدال.

**رابعاً: المعيار الدَّاتي،** وهذا المعيار يحكم على السلوك من وجهة نظر كلِّ فرد وآرائه واسحساناته الشَّخصيَّة الدَّاتيَّة؛ فما وافقها هو السوي وما خالفها فهو الشَّاذ.

وقد انتقد بأنَّه غير منضبط، ذلك أنَّ لكلِّ أحد نظرتَه الشَّخصيَّة التي ينظر للأُمور من جهتها، كما أنَّه يتغافل عن الفروق الفرديَّة بين الأشخاص وتأثيرها في تقييم السلوك بين السَّواء والشُّذوذ، وفيه إغفال لتأثير الهوى والتَّعصُّب في إصدار الأحكام.

فهذا المعيار إمَّا يكون نافعا في الأُمور التي يشتهب فيها الحقُّ بالباطل، والوقائع التي تتعارض فيها الأدلَّة لا في المسائل التي ظهرت مشروعيتها أو عدم مشروعيتها<sup>(1)</sup>، وكان في القلب من قُوَّة الإيمان

(1) يُنظر: محمد بن علي الشُّوكاكيُّ اليميني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو، ط1، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1419هـ-1999م. (200/2).

والسلامة من الانقياد للأهواء ما «إذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه»<sup>(1)</sup>. وعليه فلا يُعوّل على كل قلب، فزُبَّ مُوسوس حَرَم على نفسه كل شيء، وزُبَّ مُتساهلٍ أباح لنفسه كلَّ شيء<sup>(2)</sup>، فعن وابصة بن معبد الأسدي أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له: «جئت تسأل عن البر والإثم؟ قال: قلت: نعم. قال: فجمع أصابعه فضرب بها صدره، وقال: استفتت نفسك، استفتت قلبك يا وابصة. - ثلاثا - البرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك<sup>(3)</sup> في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»<sup>(4)</sup>.

وهذا كما يكون في الأحوال التي يتعرّض لها الفرد في ليله ونهاره، يكون كذلك في استفتاء أهل العلم، قال ابن القيم: «لا يجوز العمل بمجرد فتوى المفتي إذا لم تطمئن نفسه، وحاك في صدره من قبوله، وترددٌ فيها؛... فلا تُخلّصه فتوى المفتي من الله إذا كان يعلم أن الأمر في الباطن بخلاف ما أفتاه، كما لا ينفعه قضاء القاضي له بذلك، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من قضيت له بشيء من حقِّ أخيه فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من نار»<sup>(5)</sup>، والمفتي والقاضي في هذا سواء، ولا يظن المستفتي أن مجرد فتوى الفقيه تبيح له ما سأل عنه»<sup>(6)</sup>.

(1) محمد بن حبان أبو حاتم الدارمي البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان. (ص: 9).

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتبي: الأردن، 1414هـ-1994م. (117/8).

(3) حاك في النفس، قال ابن الأثير: «أَيُّ أَثَرٍ فِيهَا وَرَسَخَ». [النهاية في غريب الحديث والأثر، (470/1)]

(4) أخرجه الدارمي في "مسنده" (1649/3) برقم: (2575) (كتاب البيوع، باب دع ما يريك إلى ما لا يريك)؛ وأحمد في "مسنده" (4071/7) برقم: (18282) (مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث وابصة بن معبد الأسدي نزل الرقة رضي الله عنه)؛ وأبو يعلى في "مسنده" (160/3) برقم: (1586) (مسند وابصة بن معبد). حكم الحديث: حديث حسن. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1421هـ-2001م. (457/25)].

(5) أخرجه البخاري في "صحيحه" (131/3) برقم: (2458) (كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه)؛ ومسلم في "صحيحه" (128/5) برقم: (1713) (كتاب الأفضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة).

(6) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1411هـ-1991م. (195/4).

خامساً: المعيار الاجتماعي، السوي هو ما يتوافق ويتماشى مع قيم ومعايير المجتمع، وما يُخالفها فهو الشاذ.

وقد لاقى هذا المعيار نقداً شديداً من عدّة جهات، فأولاً: قد تنحرف معايير المجتمع وتفسد سلوكياً، ولا يُمكن حينها أن نعتبرها معياراً للسواء والشذوذ. وثانياً: المعايير الاجتماعية غير ثابتة في كل المجتمعات، بل تختلف من مجتمع لآخر. وثالثاً: أنّ هذه القيم الاجتماعية غير ثابتة في المجتمع نفسه، بل إنّ كلّ مجتمع تتغيّر قيمه من زمن لآخر، وذلك حسب كثير من العوامل الثقافية والسياسية والاقتصادية.

ولئن كانت هذه الانتقادات مفيدة من جهة عدم التعميم دائماً، ولكن لا يُمكن أن نُغفل ما تُبديه الفئة الصالحة في المجتمع من أهل الإيمان والتّقوى في الثناء على سلوك ما أو ذمّه، ذلك لأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- اعتمد على شهادتهم في الثناء بالخير والشرّ، فعن أنس رضي الله عنه قال: «مُرَّ على النبي -صلى الله عليه وسلم- بجنّازة فأثنوا عليها خيراً، فقال: وجبت، ثم مرَّ بأخرى فأثنوا عليها شراً، أو قال: غير ذلك، فقال: وجبت، فقيل: يا رسول الله، قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت؟ قال: شهادة القوم، المؤمنون شهداء الله في الأرض»<sup>(1)</sup>. وجاء عند مسلم بيان الشّيء الذي وجب لهاتين الجنّازتين بهذه الشّهادة: «من أثّنتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثّنتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»<sup>(2)</sup>. وقد ورد في روايات أخرى التّصريح بأنّ ثنائهم كان على السُّلوك، فقالوا في الأولى: «كان يحب الله والرسول ويعمل بطاعة الله ويسعى فيها»، وقالوا في الثّانية: «كان يبغض الله ورسوله ويعمل بمعصية الله، ويسعى فيها»<sup>(3)</sup>، ولا يُقال إنّ هذا خاصٌّ بالصّحابة ذلك أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- علّق الحكم -وهو الأخذ بالشّهادة- على وصف الإيمان<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (169/3) برقم: (2642) (كتاب الشهادات، باب تعديل كم يجوز).

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (53/3) برقم: (949) (كتاب الجنّاز، باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى).

(3) وهذه الرّواية أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (250/7) برقم: (2697) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، النظر بن أنس عن أبيه)؛ والحاكم في "مستدرکه" (377/1) برقم: (1401) (كتاب الجنّاز، كانت فاطمة رضي الله عنها تزور قبر عمها حمزة كل جمعة وسنية زيارة القبور). قال الضياء المقدسي عقب إخراج هذه الرّواية: «رُوي في الصحيح من رواية ثابت نحو هذا الحديث، لكن قوله: إن لله ملائكة، إلى آخره، ليس في رواية ثابت، والله أعلم».

(4) يُنظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (229/3).

سادسا: **المعيار الطبّي البيولوجي (الحيوي)**، السويّ هو الخالي من الأمراض النفسيّة النَّاجمة عن خلل في الجهاز العصبي، والتي تُؤثّر على الفرد تأثيرا سلبيا، ومن أُصيب بمرض خرج عن السويّة إلى الشُدوذ.

ولا شكّ أنّ الجانب البيولوجي (الجسمي الحيوي) له تأثيره على الجانب النفسي، فقد توصل علم الأعصاب إلى الكشف عن تعييرات في إفراز نواقل عصبية مُعيّنة عند حالات نفسية مُعيّنة.

ولكن ما لا يأخذه في الحُساب هذا المعيار أنّ المرض النفسي أيّا كانت شدّته ونوعه يُمثّل حالة مُتقدّمة من الشُدوذ، فإنّ الأشخاص الذين لا يُعانون من أيّ أعراض مرضية نفسية قد يرتكبون سلوكيات شاذة، ويُعانون من آثار هذه السلوكيات، وبالتالي: فمُجرّد خلو الشخص من أعراض المرض النفسي لا يضمن له دائما وصف السّواء.

كما أنّ الجانب البيولوجي هو بحدّ ذاته يتأثّر بالجانب النفسي، فكم من صدمة نفسية مُعيّنة نتج عنها مرض جسمي مُعيّن، وهي ما تُعرف بالأمراض النفس-جسمية (السيكوسوماتية).

سابعا: **المعيار الموضوعي الشّمولي**، ينطلق هذا المعيار في التمييز بين السّواء والشُدوذ من تفسير السُّلوك بأنّه عمليّات تفاعلية متبادلة التّأثر والتّأثير بين ثلاثة جوانب، وهي، أوّلا: الجوانب النفسيّة (السيكولوجية) المميّزة للشخصية من الدّوافع والانفعالات، والعمليّات العقلية المعرفية والسلوكية، وثانياً: الجوانب الحيويّة (البيولوجية) وهي الحالة الجسميّة التي يتمتّع بها الفرد سواء على مستوى الجسم كُله وبالأخصّ على مستوى الجهاز العصبي، وثالثاً: الجوانب الاجتماعيّة (السوسيولوجية) وهي الدّوائر التي يعيش فيها الفرد ويتفاعل معها بدءاً من الأسرة انتهاء إلى التّعاطي مع الثقافات الأخرى، وبناء على ذلك: فالسواء يتشكّل من خلال هذه الجوانب الحيوية النفسية الاجتماعيّة بما يُحقّق الاعتدال الوظيفي في العمليّات النفسية دافعية كانت أو انفعالية أو معرفية، وأمّا الشُدوذ فهو الاضطراب الوظيفي في السُّلوك.

وميزة هذا المعيار أنّه ينطلق في تحديد السّواء والشُدوذ من التّفكير التكاملي التّفاعلي لجوانب الشخصية -من الدّوافع والانفعالات والعمليّات العقلية وغيرها- وتأثيرها على السُّلوك، في ضوء كلّ من الجوانب الاجتماعيّة والحيوية، وهذه الجوانب موجودة عند كلّ إنسان.

وانتقد هذا المعيار بأنه مُعقّد وصعب التّطبيق، وفي الواقع أنّ السّواء والشّدوذ والصّحة النّفسيّة قضيّة ذات طبيعة مُعقّدة لا يُمكن أن تُختزل في بعض الجوانب طلباً للتّبسيط، ولكن في الوقت نفسه هذا المعيار لا يمنع من تركيز الدّراسة على بعض الجوانب التي تُؤثّر على الصحة النفسية بشرط أن تتكامل مع غيرها من الدّراسات التي تتناول جوانب غير جوانب دراستها.

وهذا المعيار يجمع المعايير السّابقة، ويتّفق مع طبيعة الصّحة النّفسيّة المتعدّدة الأبعاد والجوانب، وقد جاء في السّنّة بيان أنّ كون المرء سويّاً لا يكون إلّا بأن عمل على الموازنة في إشباع هذه الجوانب الثلاثة، وهي الجانب الحيوي والنّفسي والاجتماعي، وذلك فيما رواه أبو جحيفة -رضي الله عنه- قال: «**أخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتبدّلة<sup>(1)</sup>**، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصلّيّاً، فقال له سلمان: إن لربّك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، فأعط كل ذي حقّ حقه. فأتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك له، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: صدق سلمان<sup>(2)</sup>. وجاء في رواية لهذا الحديث: «ولضيفك عليك حقّاً<sup>(3)</sup>. ولما أوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- وكان يُكثر من العبادة، فقال له: «**فإنّ لزوجك عليك حقّاً، ولزورك عليك حقّاً، وجسدك عليك حقّاً**»<sup>(4)</sup>.

(1) مُتبدّلة اسم فاعل من التّبَدَّل وهو: ترك التزيّن والتّهيّئ بالمُهَيِّمَةِ الحسنة الجميلة. [يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (111/1)].

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (38/3) برقم: (1968) (كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع).

(3) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (538/3) برقم: (2144) (كتاب الصوم، باب ذكر الدليل على أن الفطر في صوم التطوع بعد دخوله فيه مجمعا على صوم ذلك اليوم)؛ والترمذي في "جامعه" (212/4) برقم: (2413) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب) وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (162/3) برقم: (1159) (كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً).

فأقرَّ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- سلمان -رضي الله عنه- على هذه الجُمْلَة الثَّلَاث، وسلمان -رضي الله عنه- كثيراً ما كان يوصف بأنَّه قد أُشْبِعَ علماً وفقهاً<sup>(1)</sup>، كما أوصى بها -عليه الصلاة والسلام- عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-.

وتوضيح شمول الحديث لهذه الجوانب الثلاثة كما يلي؛ فجملة: «وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» تتضمن العناية بالجانب النفسي والجانب البدني، وذلك لأنَّ النَّفْسَ تُطْلَقُ على النَّفْسِ حال اتِّصَالِهَا بالبدن. فيدخل في حقِّ النَّفْسِ العناية بالبدن ووظائفه، وأبو الدَّرَاءِ -رضي الله عنه- كان مُنْشَغِلاً عن هذا الجانب، فكان لا يُعْطِي بدنه حَقَّهُ من النَّوْمِ لِإِكْتِثَارِهِ من صلاة اللَّيْلِ، ولا حَقَّهُ من الأكل والشُّرْبِ لِإِكْتِثَارِهِ من الصَّيَامِ، وكان لا يُعْطِي نفسه حَقَّهَا من إشباع شهوة الجَمَاعِ لأنَّه كان مُنْشَغِلاً بالقيام في الليل وبالصَّيَامِ في النَّهَارِ والجَمَاعِ يُفْسِدُهُ.

وجملة: «وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا». وكذا «لِزُورِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» تتضمن العناية بالجانب الاجتماعي، وأداء ما على الفرد من حقوق بُجَاهِ علاقته مع الأفراد المحيطين به، بدءاً من داخل البيت من زوجته ووالديه وأولاده، إلى خارج البيت من الجيران والأصدقاء والأقارب، والمراد بالأهل في الحديث الزَّوْجَةُ، وإنما اقتصر عليها لأنَّه إذا كان المسلم مُفْرَطاً في حقوق أقرب النَّاسِ إليه فهو لحقوق غيرها أضيع، وفي المقابل إذا كان مُحَافِظاً على أداء حقوقه بُجَاهِ زوجته فهو لحقوق غيرها أوفى، كما قال النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «خَيْرِكُمْ خَيْرِكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرِكُمْ لِأَهْلِي»<sup>(2)</sup>.

وجملة: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا» تتضمن العناية بالجانب الرُّوحِي -والذي تمَّ إغفاله كُليَّةً في هذه المعايير-، ويتمثل في التقرُّبِ لله تعالى بأداء الفرائض والاجتهاد في النَّوْفَلِ، وهذا الجانب ليس قسيماً للجوانب الأخرى، ذلك أنَّ العبادة تتفرَّع على القلب واللسان والجوارح فمنها ما هو عقديٌّ (معرفي) ومنها ما هو عمليٌّ (سلوكي). وإنما سمَّته بالرُّوحِي لأنَّه كما يُولَدُ الإنسان وفي بدنه دافع يدفعه نحو الأكل والشُّرْبِ، فإنَّه يُولَدُ وفي روجه دافع يدفعه إلى عبادة الله تعالى ومحبَّته وتعظيمه، وتلك هي

(1) يُنظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (211/4).

(2) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (484/9) برقم: (4177) (كتاب النكاح، ذكر استحباب الاقتداء بالمصطفى -صلى الله عليه وسلم- للمرء في الإحسان إلى عياله إذ كان خيراً خيراً لهم)؛ وأبو داود في "سننه" (426/4) برقم: (4899) (كتاب الأدب، باب في النهي عن سب الموتى)؛ والترمذي في "جامعه" (188/6) برقم: (3895) (أبواب المناقب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-)، باب في فضل أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



الفطرة، وقد تبقى على أصلها بتوحيد الله تعالى بالعبادة وقد تتعرض للانحراف بسبب ما يتلقاه من المحيط الخارجي فتزيع إلى تعظيم ومحبة غير الله تعالى سواء كان هذا المعظم هوى أو مالا أو رئيسا أو غير ذلك، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ويُنصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء<sup>(1)</sup>»<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: مؤشرات الصحة النفسية.

والمقصود بها العلامات والشروط التي يُحكم عند وجودها في شخص ما بوجود الصحة النفسية، كما يُحكم عند غيابها بفقدانه لها.

ومن أمثلة هذه المؤشرات: - النظرة الواقعية للحياة. - قرب الطموحات من الواقع. - الإحساس بإشباع الحاجات والدوافع. - الثبات الانفعالي والتفكير المنطقي السليم والمرونة السلوكية. - التفاعل الاجتماعي الإيجابي، كالقيام بالواجبات وأداء العمل بإتقان وتقدير الثراث. - اشتغال الشخص على مجموعة من القيم الفاضلة، كمحبة الخير للناس وكف الأذى عنهم، بل وإعانتهم - قدر المستطاع - ورحمة الضعفاء منهم<sup>(3)</sup>.

وهكذا كلُّ باحث رتب قائمة فيها عشرات المؤشرات<sup>(4)</sup>، وكثرة هذه القوائم شكّل غموضا وصعوبة في تحديد مفهوم للصحة النفسية، ولكنها لا تخرج في مجموعها عن المعايير التي تقدّم ذكرها، وقد صنّفت حسب ذلك إلى ثلاث أقسام<sup>(5)</sup>:

**القسم الأول:** المؤشرات التي تدخل تحت المنظور الباطني، وخاصيتها أنّها تُفسّر الصحة النفسية بشكل سلبى، أي بالخلو من مظاهر الشذوذ والمرض النفسى.

(1) قال ابن الأثير: «جدعاء أي مقطوعة الأطراف، أو واحدها». [النهاية في غريب الحديث والأثر، (1/247)].

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (94/2) برقم: (1358) (كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه)؛ ومسلم في "صحيحه" (52/8) برقم: (2658) (كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين).

(3) يُنظر: أ. د صالح حسن أحمد الداهري وأ. د وهيب مجيد الكبيسي، علم النفس العام، (ص: 205-206).

(4) وقد سرد مصطفى حجازي عدّة قوائم لهذه المؤشرات لكثير من الباحثين، وقد سمّاها بالمقومات، [يُنظر: د. مصطفى حجازي، الصحة النفسية - منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة-، (ص35-40)].

(5) يُنظر: المصدر السابق، (ص: 33-34).

**القسم الثاني:** المؤشرات التي تعتمد على المنظور المثالي (الطوباوي)، وهي تلك المؤشرات التي تنظر إلى الصحة النفسية بتحقيق أقصى قدر ممكن من عمل الأجهزة النفسية.

**القسم الثالث:** المؤشرات التي تعتمد على المنظور التجريبي (الإمبريقي)، وتدخل تحته كل المؤشرات التي تُركّز على التكيف والتوافق والتفاعل الإيجابي مع الواقع أخذًا وعطاءً. ويكمن خلف تحديد مؤشرات الصحة النفسية بضع مشاكل يُمكن تحديدها في نقاط<sup>(1)</sup>، هي كالتالي:

**أولاً:** النسيبة الاجتماعية الثقافية، وإن كان الشيء الذي يكاد أن يكون محلّ اتفاق بين الباحثين في مجال الصحة النفسية أنّها حالة تحتوي وتتجاوز مسألة غياب المرض، فهذه النقطة بحد ذاتها خاضعة للمعايير الاجتماعية، فما يُعدُّ انحرافاً في مجتمع ما قد يُعدُّ في آخر صحّة وسواءً؛ وعلى سبيل التمثيل: فالمبادرة الفردية في المجتمعات الرأسمالية سويّة، في حين أنه في المجتمعات الاشتراكية شاذٌّ هذا من جهة. ومن جهة أخرى فكل مجتمع في حالة تغير مستمر، فالمجتمع الغربي نفسه في العقد الفيكتوري كان حريصاً على أن يكون لباس المرأة ساتراً، وفي العصر الحالي صار مُنحلاً.

وهذا يفيد في ملاحظة الخلفية التي قامت عليها مؤشرات كل قائمة، وبذلك يُتجنّب الوقوع في تعميم نموذج ما على جميع الثقافات رغم اختلافها، وكثير من مؤشرات تلك القوائم المقدّمة للصحة النفسية مصبوغة بالطابع الغربي الصناعي النفعي (البراجماتي)، من مثل: تحقيق الاستقلال الذاتي، والقدرة على الإنجاز، والتكامل والفاعلية، وإشباع الرغبات.

**ثانياً:** وضع حدود بين الصحة والمرض هو أمر افتراضي، والواقع بخلافه ذلك أنّ الصحيح نفسياً لا يخلو من نقاط ضعف والتعرض لصراعات نفسية، وفي المقابل المريض النفسي لا يخلو من نقاط قوة تكون كالسند عند القيام بالعلاج.

ولذلك فكلُّ جانب من الصحة النفسية وما يُقابلها من المرض النفسي يقعان على مُتّصل ومُدرّج واحد، ويختلفان عن بعضهما بالدرجة، وكل شخص له موقعه في هذا السلم في كلِّ جانب من جوانب الشخصية. ولذلك فالتوافق التام بين الوظائف النفسية المختلفة -عند فرد ما- أمر

(1) يُنظر: المصدر السابق، (ص: 28-32).

افتراضي لا واقعي<sup>(1)</sup>. فقد يجتمع في الشخص نفسه حسنات وسيئات كما قال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ  
 اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 102]،  
 وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه-: «أن رجلا على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كان اسمه عبد الله، وكان يُلقَّب جمارا، وكان يُضحك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد جلده في الشراب، فأُتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله»<sup>(2)</sup>. فهذا الصَّحابي رغم أنه كان مُبتلى بشرب الخمر وهي من كبائر الذنوب إلا أنه بنصِّ حديث النَّبي -صلى الله عليه وسلم- فيه حسنة محبة الله ورسوله، وإن كانت محبته فيها نقص.

ثالثا: عدم ثباتية واستقرار الحالة النفسية، بل هي متغيرة تبعا لنوع الظروف المتهيمية للشخص وطريقة ردِّ فعله للتحديات والضغوط الحياتية التي يمرُّ بها، فعن حَنْظَلَةَ الْأَسِيدِيَّ -رضي الله عنه- قَالَ: «لَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ قَالَ: سَبِحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَذْكُرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنَ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تَذْكُرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنَ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافِحَتِكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فَرَشِكُمْ، وَفِي طَرَقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ ثَلَاثَ مَرَاتٍ»<sup>(3)</sup>. فهذا يدل على أنَّ حَنْظَلَةَ لَمْ يَكُنْ وَحْدَهُ الَّذِي يَشْعُرُ بِهَذِهِ الْحَالِ بَلْ كَانَ يَجِدُهَا مِنْ هُوَ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-.

(1) يُنظر: د. عبد العزيز القوصي، أُسس الصَّحة النفسية، (ص:10).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (158/8) برقم: (6780) (كتاب الحدود وما يجذر من الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة).

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (94/8) برقم: (2750) (كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة).

الله عليه وسلم- أبو بكر -رضي الله عنه-، وإذا كان هؤلاء الذين هم خير القرون فغيرهم من باب أولى أن يجدوا هذا التقلُّب في الحالة الشعورية، وما تتركه من الأثر على السلوك والانفعال.

وقوله: «لو تدومون... لصافحتكم الملائكة...» فيه بيان امتناع الثبات والدوام على حالة استحضار الآخرة والجنة والنار بانتفاء مصافحة الملائكة عياناً<sup>(1)</sup>. ثمَّ بيَّن له أنَّ ذلك الشعور بهذا القرب من الله تعالى واستحضار الجنة والنار إنما يكون وقتاً دون وقت، وإلا لتوقفت مصالح الناس في الدنيا، وحتى لا يقع الإنسان في الملل فيترك العبادة رأساً<sup>(2)</sup>.

رابعاً: كلُّ شخص صحيحاً كان أم مريضاً، يُمثِّل حالة من الفريدة والوجود المتميِّز بما لا يُمكن معه أن يُختزل في بضع مؤشِّرات يتشارك فيها مع غيره، وإن كان تصنيف حالات المرض إلى فئات على حسب تراكم مجموعة من الأعراض على نسق مُعيَّن له فائدته التشخيصية ومن ثمَّ العلاجية.

خامساً: هذه المؤشِّرات نابعة عن نظريَّات علم النفس، وكلُّ نظريةٍ قدَّمت لائحة لمقومات الصحة وصفات المرض بناء على إطارها المرجعي في مفهومها للشخصية وتوجُّهها العلاجي.

فمدرسة التحليل النفسي تعتبر أنَّ الصِّراع حتميٌّ بين جوانب الشخصية، والقدر الممكن تحقيقه من الصحة النفسية هو نجاح جانب الأنا من الشخصية في التوفيق المنسجم بين مُتطلِّبات الهو (الغرائز والدوافع) ومُتطلِّبات الأنا الأعلى (القيم الاجتماعية)، وبدون الإخلال بأيٍّ منهما<sup>(3)</sup>. وأمَّا المدرسة السلوكية فترى أنَّ «أفعال البشر سويةٌ كانت أو غير سويةٍ، هي سلوك مُتعلِّم، ومن ثمَّ يُمكن تعديلها باستخدام أسس التعلُّم إذا توفَّرت الظروف الملائمة للتغيير»<sup>(4)</sup>.

(1) يُنظر: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1417هـ-1997م. (1732/5).

(2) يُنظر: علي بن محمد الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، دار الفكر: بيروت-لبنان، 1422هـ-2002م. (1550/4).

(3) يُنظر: سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة: سامي محمود علي وعبد السلام القفاش، تقديم: محمد عثمان نجاتي، مكتبة الأسرة: مصر، 2000م. (ص:27-28).

(4) لويس كامل مليكة، العلاج السلوكي وتعديل السلوك، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع: الكويت، 1410هـ-1990م. (ص27).

وبالتالي: فرغم أنّ هذه المؤشّرات تُقَرَّب لنا مفهوم الصحة النفسية، فلا يُمكن أن نختزل الصحة النفسية في مجموعة مؤشّرات.

## المطلب الثاني: دوافع السلوك، وتعريفات الصحة النفسية.

### الفرع الأوّل: موقع إشباع الدوافع وآلية الحيل الدفاعية من الصحة النفسية.

لا يخلو الإنسان مهما كان من الأزمات والصراعات النفسية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]. أي في شِدَّة وعناء ونصبٍ ممَّا يُلاقيه من مشاقِّ الدُّنيا، فعن ابن عبّاس -رض الله عنهما- قال: «في شِدَّة معيشته، وحَمَله -أي عندما تحمله أمّه في بطنها- وحياته، ونبات أسنانه»<sup>(1)</sup>. حيث يتعارض أكثر من دافع نفسي لا يُمكن إشباع تلك الدوافع في آن

(1) أخرجه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن، (433/24-434). وللمفسّرين قولان آخران في الآية، الأوّل: أي خُلِق مُتصبباً مُعتدلاً. والثاني: أي خُلِق في السَّماء وهي معنى الكبد. والقول بأنّ معنى الكبد المشقّة، هو الأرجح لأمرين: لأنّ ذلك هو المعروف من كلام العرب في معاني الكبد، ولأنّه أوفق للسياق. وحتّى على حمل الكبد على معنى المشقّة، فقد اختلف المفسّرون في المراد بالإنسان في الآية؛ فحملة الطبري على مُطلق الإنسان، وحملة ابن عاشور على المُشرك دون المسلم، وذلك من وجهين: الأوّل: ما ورد من الآثار أنّها نزلت في أعيان من المُشركين، فذكر أنّها نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: نزلت في أبي الأشدّين، وقيل: نزلت في أبي جهل، وقيل: نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل، وقيل غير ذلك، وكلّها ليس لها سند صحيح من النّقل. والثاني: للسياق، وذلك أنّ المسلم لا يصحّ عليه الوصف في الآية الموالية: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَفْدَرَعَهُ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [البلد: ٥]، [يُنظر: المصدر السابق، (434-435)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (30/350-351)]. وتوجيه كون معنى المشقّة في لفظ الكبد أوفق للسياق من القولين الآخرين، كالتالي: -أمّا كون ترجيحها على معنى السَّماء- فلأنّ الإنسان الذي خُلِق في السَّماء هو آدم -عليه السّلام-، أمّا هذه الآية فهي تتكلّم عن بني آدم لأنّه تقدّمها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَمَا وُلَدًا﴾ [البلد: ٣]، وهم خُلِقوا في الأرض، كما تقدّمها القسم بالبلد الحرام وإحلال النّبّي -صلى الله عليه وسلم- به، -أمّا كون ترجيحها على معنى الخِلقة المعتدلة- لأنّ بعدها قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَفْدَرَعَهُ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [البلد: ٥]. والذي يتناسب مع الإخبار بأنّ الإنسان مقدور عليه هو مُعاناته لا كماله واعتداله، أو اغتراره بما وهبه الله من الكمالات، كما أنّ ما عليه من اعتدال الخِلقة قد جاء بيانه بعد ذلك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۖ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۖ (١٠)﴾ [البلد: ٨ - ١٠]، ومن جهة أخرى فهذا بيان لضغفه إذ إنّ الذي وهبها له هو الله تعالى. أمّا المراد بالإنسان فلأقرب إلى الصّواب أنّه مطلق الإنسان لا خصوص المُشرك، وما أورده ابن عاشور في تخصيصه بالمُشرك فيه نظر، أمّا الوجه الأوّل: وهو ورود بعض الآثار بلفظ: (نزلت هذه الآية في فلان من المُشركين)، فهذا اللفظ (نزلت في) -إن ثبت- ليس صريحاً في سبب التّزول بل كثيراً ما يُراد به أنّ الآية تشمله من جهة المعنى. [يُنظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، (ص: 15-16)]، فكيف والحالة أنّ لم يثبت من ذلك شيء، وأمّا الوجه الثّاني: فالوصف القبيح قد يُطلق -في

واحد، فيتعرّض أحد الدوافع إلى الإحباط ولا يُبدد، والفرق بين الصحة النفسية واعتلالها هو الموقف الذي يتخذه الشخص بُحاه الصِّراع القائم بين ثنايا الشخصية وما ينجم عنه من إحباط الدوافع.

وهذا الصِّراع تختلف وجهات النَّاس في التَّعامل معه، فمنهم من يتعامل معه بشكل سوي وواقعي ويواجه واقعه مهما كان، ومنهم من يتعامل معه بشكل شاذ فيهرب من واقعه، كما أنَّ الكيفيَّة التي يُؤثِّر بها الصِّراع الخارجي البيئي على النَّاس تختلف بناءً على صحَّة الوظائف النفسية عند الشَّخص، ولذلك نجد أنَّ بعض النَّاس يتعايشون مع الفقر الشَّديد، وبعضهم الآخر ينهار لمجرَّد إخفاقه في صفقة تجاريَّة (1).

وعليه فنشوء الاضطرابات النفسيَّة عن الضُّغوط الخارجيَّة ليس حتميًّا، بل إنَّ هذه التحدِّيَّات التي تفرضها البيئة هي شرط أساس في طهارة المسلم من الخطايا ورُقِيَّه في مراتب الكمال الإنساني، وقد بيَّن النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- لما سُأل: «من أشدَّ الناس بلاء؟ فقال: الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل، ويتلى العبد على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة» (2).

ولذلك فطريقة إشباع الرِّغبات -وهو ما اصطلح عليه في علم النَّفس بالغرائز ثُمَّ تطوَّر المصطلح إلى الحاجات ثُمَّ إلى الدوافع- لها وزن كبير في الصحَّة أو الاعتلال النفسيين. وتُعرَّف الدوافع: بأنَّها

=

النُّصوص - عائمًا للإنسان من جهة الأصل الغالب على النَّاس، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَلَأَ الْإِنْسَانَ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: 72)، والله تعالى أعلم.

(1) يُنظر: د. أحمد عزَّت راجح، أصول علم النَّفس، ط7، دار الكتاب العربي للطباعة والنَّشر: القاهرة-مصر، 1968م. (ص: 465)؛ د. مصطفى فهمي، الصحة النفسيَّة دراسات في سيكولوجيَّة التكيُّف، ط3، مكتبة الخانجي: القاهرة-مصر، 1415هـ-1995م. (ص: 191).

(2) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (160/7) برقم: (2900) (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدما أو مؤخرًا، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من توطيئ النفس على تحمل ما يستقبلها من المحن والمصائب)؛ والضيء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (246/3) برقم: (1053) (مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، المسيب بن رافع الأسدي الكاهلي عن سعد رضي الله عنه)؛ والحاكم في "مستدرکه" (40/1) برقم: (120) (كِتَابُ الْإِيمَان، أشدَّ الناس بلاء الأنبياء ثمَّ العلماء ثمَّ الصالحون)؛ والنسائي في "الكبرى" (46/7) برقم: (7439) (كتاب الطب، أي الناس أشدَّ بلاء)؛ والترمذي في "جامعه" (203/4) برقم: (2398) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في الصبر على البلاء)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

حالات جسميّة ونفسية تدفع سلوك الفرد نحو تلبية رغبات مُعيّنة، وقد توالى عليها عدّة تصنيفات. وغالبا ما تُصنّف إلى قسمين رئيسين<sup>(1)</sup>، يُمثّلان الأساس لكلّ الدوافع الفرعية:

القسم الأوّل: الدوافع الحيوية التي لها أساس جسمي، ويُشارك الحيوان الإنسان فيها؛ وهي نوعان: دوافع حفظ الذات: مثل دافع الجوع والعطش الذي يدفعه إلى الأكل والشرب والتعب الذي يدفعه إلى الراحة، ودوافع حفظ النوع: كالشهوة الجنسيّة.

القسم الثاني: الدوافع النفسية الاجتماعيّة التي لها أساس نفسي واجتماعي، مثل الحاجة إلى الانتماء والتقدير والتفاعل الاجتماعي، ومنها الدافع الروحي (الفطرة) الذي يدفع الفرد إلى التعبّد لله تعالى، وقد دلّت النصوص من الكتاب والسنة على أنّ إشباع هذه الدوافع إشباعا مُتوازنا من أسس النماء السليم للصحة النفسية والجسميّة<sup>(2)</sup>، كما مرّ في حديث: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»<sup>(3)</sup>.

وإذا حالت الظروف دون إشباع هذه الدوافع الأساسيّة، فإنّه غالبا ما تلجأ الأجهزة النفسية إلى الحيل الدفاعيّة وهي أساليب ضبط لا شعوريّة، هدفها إحداث التوافق النفسي، وذلك عن طريق تشويه الحقيقة ومغالطة النفس للتخلّص من القلق والتوتّر<sup>(4)</sup>، ويُمكن أن نقسمها باعتبارين:

**الاعتبار الأوّل: موقعها من السواء**، وبهذا الاعتبار تنقسم إلى صنفين.

**الصنف الأوّل: حيل دفاع سويّة** يتمكّن بها الشخص من حلّ مشاكله بأحسن شكل ممكن، مثل: الإعلاء وهو أن يرتفع بالتعبير عن دافع معيّن من وضع غير مقبول قيميا إلى وضع أعلى قيمة، كأن يستعلي بهيمته عن محبة الدنيا بما لها ونسائها وجاهاها إلى محبة الله تعالى، فيترك أدنى المحبوبين رغبة

(1) يُنظر: حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط4، عالم الكتب: القاهرة-مصر، 1426هـ-2005م. (ص: 34-35).

(2) يُنظر: محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ط7، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1421هـ-2001م، (ص: 55)؛ محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، ط5، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1425هـ-2005م، (ص: 44-45).

(3) تقدّم تحريجه، (ص: 36).

(4) يُنظر: حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 38-46).

في أعلاهما<sup>(1)</sup>. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة: ٢٤]، وقد جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- تقديم محبة الله ورسوله على محبة ما عداها من أسباب الشعور بلذة الإيمان، فقال: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان؛ - وذكر منها- أن يكون الله عز وجل ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما»<sup>(2)</sup>.

**والصنف الثاني: حيل دفاع غير سوية** ينحرف بها الشخص إلى سلوكيات مرضية يتجاهل فيها مشاكله ويتركها بدون حل، مثل: التبرير، كما وصف الله تعالى المنافقين في القرآن أنهم كثيرا ما يلجئون إلى تبرير تصرفاتهم وإضفاء صفة الشرعية عليها<sup>(3)</sup>، فتارة يتحججون بأنَّ الغاية من أفعالهم الإصلاح، وإن كان فسادها ظاهراً للعيان لا يخفى على أحد، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ [البقرة: ١١] <sup>(4)</sup>. وقد جاء صريحا بعدها مباشرة أنهم لا يشعرون بهذا الإفساد الذي يقومون به، لأنهم يحسبون أنَّ ما يفعلونه من موالاة الكفار والتشكيك في نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- وارتكاب المعاصي صلاحا، ولذلك يندفعون إلى تبرير إفسادهم بأنهم أهل إصلاح، قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ [البقرة: ١٢] <sup>(5)</sup>. وتارة يُبرِّرون عجزهم وضعفهم عن مواجهة الكفار بأنَّ الله -تعالى عن ذلك- أخلف ما وعدهم به

(1) يُنظر: محمد شمس الدين بن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط: 3، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م. (ص: 394).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (12/1) برقم: (16) (كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان)؛ ومسلم في "صحيحه" (48/1) برقم: (43) (كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان).

(3) يُنظر: محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، (ص: 248-249).

(4) والذي عليه جمهور المفسرين من الصحابة كابن مسعود وابن عباس وغيرهما أنَّ هذه الآية في المنافقين، وما جاء عن سلمان الفارسي -رضي الله عنه- من أنَّ الأقوام الذين تكلمت عنهم الآية لم يكونوا قد أتوا بعد، فذلك محمول على أنه قال ذلك بعد اندثار من كانت هذه صفته ولم يقصد أنه لم يسبق لهم وجود. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (1/289)].

(5) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (1/291)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (2/306)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (1/286).



من النُصرة، وتارة يتحجَّجون لتحلُّفهم عن الجهاد مع المسلمين وفرارهم من المعركة بأنَّ بيوتهم مُعرَّضة للسرقة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٣ وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٤﴾ [الأحزاب: ١٢ - ١٣] (1).

الاعتبار الثاني: نوع الاتجاه الذي تتخذه هذه الحيل من الأزمة القائمة، وبهذا الاعتبار تتخذ أحد ثلاثة أشكال:

**الشكل الأول: حيل انسحابية هروبية،** مثل: التَّحْيِيلُ والتَّمْيِي، باللُّجُوءِ إلى عالم الخيال لتحقيق ما عزَّ تحقيقه في الواقع. فيعيش في الأمان والأوهام، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله» (2). فالأمني هي رأس أموال المفاليس، وبضاعة العاجزين القاعدين، يقطعون بها أوقاتهم، ويسكرون بها عن مواجهة واقعهم (3).

**والشكل الثاني: حيل عدوانية هجومية،** مثل: الإسقاط، وهو اللُّجُوءُ إلى رمي النَّاسِ بالعيوب التي عند الشخص، حينما يفشل في مُواجهتها وعلاجها، ولذلك أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّ الشَّخْصَ إِذَا كَانَ كَثِيرَ الرَّمْيِ لغيره بالهلكة فهو دليل على هلاكه: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ» (4). ولما كان المنافقون أهل سَفَهٍ كانوا يرمون أهل الإيمان بما عندهم من السَّفَه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [البقرة: ١٣].

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (226/20)؛ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1418هـ. (55/8).

(2) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (57/1) برقم: (191) (كِتَابُ الْإِيمَانِ، الكيس من دان لنفسه وعمل لما بعد الموت)؛ والترمذي في "جامعه" (246/4) برقم: (2459) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب) وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(3) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1416هـ-1996م. (93/3-94).

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (36/8) برقم: (2623) (كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس).

**والشكل الثالث: حيل إبدائية تعويضية،** مثل: الإغلاء - الذي مرّ شرحه-، ومثل الإزاحة، وتتم هذه الحيلة الدفاعية عن طريق إعادة توجيه الانفعال من الجهة المتسببة أصالة بالانفعال لجهة أخرى أكثر أمناً<sup>(1)</sup>، وهذا كما ذكر عن مُناققي أهل الكتاب عند عجزهم عن توجيه الغيظ إلى الصحابة -رضي الله عنهم- لما قويت شوكتهم، أحبر الله تعالى أنهم يُزجّون هذا الغيظ إلى قضم أصابعهم يتخفّفون به من ألم هذا الغيظ الذي في قلوبهم، قال تعالى: ﴿هَاتَتْهُمُ أَوْلَاءٌ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَأَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بغيظكم إِنَّا لَآلَهُ عَليمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ [آل عمران: ١١٩]<sup>(2)</sup>.

وهذا التصنيف يدلُّ على أن هذه الحيل الدفاعية موجودة عند الشاذين نفسياً، وكذلك عند الأصحاء نفسياً، وإنما تختلف بينهما من جهتين؛ من جهة نوعها: فالشاذ نفسياً -في الغالب- يلجأ إلى الحيل الهروبية، على خلاف السوي الذي يلجأ إلى حيل تعويضية. ومن جهة درجتها: فالشاذ يُكثر من اللجوء إليها على عكس السوي<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثاني: تعريفات الصحة النفسية.

التعريفات التي ذُكرت للصحة النفسية كثيرة ومتنوعة، وسبب ذلك اختلاف الأساس النظري الذي على ضوئه ينظر كل باحث للصحة النفسية، والاعتبار الذي يُحاول إبراز مفهومها من جهته.

فهناك تعريفات ركّزت على الغاية من الصحة النفسية، وهو ما عبّر عنه بالشعور بالسعادة والراحة النفسية، وفيه تعريفات ركّزت على الوسائل والطرق التي تحصل بها الصحة النفسية من التكامل بين الوظائف النفسية والتوازن بينها وإشباع الحاجات، وفيه تعريفات ذكرت جوانب الصحة النفسية من تكيف الفرد مع بيئته وتكيف وظائفه النفسية وعدم وجود صراع فيما بينها، وفيه

(1) يُنظر: حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 44).

(2) قال الطاهر بن عاشور: «إن الإنسان إذا اضطرب باطنه من الانفعال صدرت عنه أفعال تناسب ذلك الانفعال، فقد تكون معينة على دفع انفعاله كقتل عدوه، وفي ضده تقبيل من يجبه، وقد تكون قاصرة عليه يشفي بها بعض انفعاله، كتخبط الصبي في الأرض إذا غضب، وضرب الرجل نفسه من الغضب، وعضه أصابعه من الغيظ، وقرعه سنه من الندم، وضرب الكف بالكف من التحسر، ومن ذلك التأوه والصياح ونحوها، وهي ضروب من علامات الجزع، وبعضها جبلي كالصياح، وبعضها عادي يتعارفه الناس ويكثر بينهم، فيصبرون يفعلونه بدون تأمل». [التحرير والتأويل، (4/66)].

(3) يُنظر: د. أحمد عزّت راجح، أصول علم النفس، (ص: 483).

تعريفات ركزت على مظاهر الصحة النفسية ومؤشراتها التي تدل على تمتع الشخص بالصحة النفسية، وهذه الأشياء كثيرا ما تتداخل، فمثلا: الإشباع المتوازن لجميع الدوافع التي تدفع السلوك، هو وسيلة لحصول الصحة النفسية، وهو جانب من جوانبها، وهو في الوقت نفسه مؤشر على اتّصاف الشخص بقدر من الصحة النفسية.

وبالتالي فهذه التعريفات متكاملة والاختلاف بين أكثرها اختلاف تنوع لا تضاد، ولكن ما يُلاحظ أنّ هذه التعريفات في مجملها اتّخذت اتجاهين.

**الأول: تعريفات الاتجاه السلبي،** حيث تعرّف الصّحة النفسية بالخلو من المرض النفسي والعقلي. وهذا الاتجاه يكاد يكون فيه اتفاق بين الباحثين -في مجال الصّحة النفسية- على قصوره وضرورة تجاوزه من جهة أنّ الصحة النفسية لا تعني فقط الخلو من المرض، بل تتعدى ذلك إلى التفاعل الإيجابي مع ظروف الحياة وتحقيق النّجاح على مختلف مستوياتها، فقد تجد شخصا خاليا من أعراض المرض النفسي ومع ذلك غير ناجح في حياته<sup>(1)</sup>.

وهذا المعنى هو معنى التزكية في نصوص الوحيين، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾<sup>(2)</sup> [الشمس: 9]. فإن الزكاة هي النماء والزيادة، قال ابن تيمية: «وزكاة القلب شيء زائد على طهارته من الذنب»<sup>(2)</sup>. فهو يتضمّن الطّهارة من الذّنْب والتحلّي بالفضائل والتزوّد من الخير.

وإن كان هذا المنظور العلاجي المرضي لا غنى لنا عنه في المجال الطبيّ العيادي، إذ لا سبيل إلى تشخيص الإصابة بمرض نفسي ما إلّا من خلال تراكّب أعراض مُعيّنة وبشكل معيّن، واختفاء هذه الأعراض بالشكل الذي يُشخّص به خصوص المرض النفسي يدل على عدم وجود المرض النفسي<sup>(3)</sup>.

(1) يُنظر: د. مصطفى فهمي، الصحة النفسيّة دراسات في سيكولوجيّة التكيف، (ص: 16).

(2) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفائها ويليها التّحفة العراقيّة في الأعمال القلبيّة، ط3، المطبعة السلفيّة ومكنتها: القاهرة-مصر، 1402هـ. (ص: 5).

(3) وهو ما يعتمد عليه اليوم الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسيّة -الطبعة الخامسة- **Diagnostic and Statistical Manual of mental disorders-fifth edition**، المعروف اختصارا بـ **DSM-5**، حيث جاء فيه: «يجب أن يكون لتشخيص الاضطراب النفسي فائدة سريرية: يجب أن يساعد الأطباء لتحديد التشخيص وخطط العلاج ونتائج العلاج المحتملة لمرضهم. ومع ذلك، فإنّ تشخيص الاضطراب النفسي لا يقتضي الحاجة إلى العلاج دائما. الحاجة إلى العلاج هي قرار سريري مُعقّد يأخذ في الاعتبار شدّة الأعراض، بروز الأعراض (على سبيل المثال، وجود أفكار انتحارية)، الضيق (الأم لم

وهذا هو الواقع، وإلا انخرط الأمر إلى تشخيص المرض النفسي بالتَّحْمِينات والتَّخْرُصات غير الموضوعية ولا العلمية. ولكن ما لا يُرَكِّز عليه هذا المنظور هو التَّعامل مع المراحل التي تسبق ظهور الاضطراب النفسي، إذ إنَّ الاضطراب النفسي لا يأتي من الفراغ، وتجاهل تلك الأحوال التي فيها نصيب من الاضطراب وإن كان لا يرقى إلى أن تتوفَّر فيه المعايير التَّشخيصية يُؤدِّي إلى تفاقم ونمُو الاضطراب، والوصول إلى عتبة ظهور الأعراض المرضية بشكل صارخ.

**والثاني: تعريفات الاتجاه الإيجابي،** التي تنحو إلى أنَّ الصحة النفسية هي أكثر من مجرد الخلو من الاعتلال النفسي، وهو ما اختارته مُنظمة الصحة العالمية<sup>(1)</sup>. ومن هذا الاتجاه ما يذهب إليه كثير من الباحثين في تعريف الصحة النفسية بالتَّوافق، ويجعلها متوقَّفة عليه سلبيًا وإيجابيًا<sup>(2)</sup>.

وسأكتفي بسرد ثلاث تعريفات تركز على تفسير الصحة النفسية بالتَّكْيُف والتَّوافق، مع بيان مُميَّزاتها.

**التَّعريف الأوَّل،** تعريف مصطفى فهمي: «الصحة النفسية في النهاية هي: القدرة على التكيف أو التوافق النفسي التي تهدف إلى تماسك الشخصية ووحدها، وتقبُّل الفرد لذاته وتقبُّل الآخرين له، بحيث يترتَّب على كلِّ هذا شعوره بالسعادة والرَّاحة النفسية»<sup>(3)</sup>. ويتميَّز هذا التَّعريف بأنَّه يبيِّن الغاية من الصحة النفسية وهي الشعور بالسعادة والراحة النفسية.

**التَّعريف الثَّاني:** تعريف حسن منسي، حيث أتى بتعريف - بعد ما ذكر إحدى عشر تعريفًا - حاول أن يجمع فيه تلك التَّعريفات السابقة، فقال: «إذن يمكن القول في النَّهاية: إنَّ مفهوم الصَّحة

=

النَّفسية) المصاحب للأعراض... وبالتالي قد يواجه الأطباء الأفراد الذين لديهم من الأعراض ما لا يفي بالمعايير الكاملة للاضطراب النفسي ولكنه يُظهر حاجة واضحة للرعاية».

**American Psychiatric Association, diagnostic and statistical manual of mental disorders, fifth edition (dsm-5<sup>th</sup>), Washington, DC London, England, 2013, (p: 20).**

(1) يُنظر: مُنظمة الصَّحة العالمية، تعزيز الصَّحة النَّفسية، المكتب الإقليمي للشرق المتوسَّط: القاهرة-مصر، 2005م. (ص: 16).

(2) يُنظر: حامد عبد السَّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 27).

(3) د. مصطفى فهمي، الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف، (ص: 312).

النفسية يعني قدرة الفرد على التوافق مع نفسه ومع الآخرين من حوله، أي يشعر بالرضا التام عن سلوكياته اللفظية والعملية المباشرة وغير المباشرة، وقدرته على التكيف والعيش بسلام مع المجتمع الذي يعيش فيه، وعملية التوافق هذه قد تكون على المستوى البيولوجي (الحيوي الجسمي) أو السيكولوجي (النفسي) أو الاجتماعي<sup>(1)</sup>. ويتميز باشماله على المستويات الثلاث التي يحصل فيها التوافق.

التعريف الثالث: تعريف عبد العزيز القوسي: «هي التوافق التام أو التكامل بين الوظائف النفسية المختلفة، مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية العادية التي تطرأ عادة على الإنسان، ومع الإحساس الإيجابي بالسعادة والكفاية»<sup>(2)</sup>. ويحتوي على نفس ميزة التعريف الأول وهي بيان غاية الصحة النفسية وهي الإحساس بالسعادة، ولكن فيه ميزة أخرى وهي القدرة على مواجهة الأزمات والصدمات التي يتعرض لها الفرد في العادة.

وقد اختلفت عبارات الباحثين في تحديد معنى التوافق<sup>(3)</sup>، ومجموعها يدل على أن التوافق عملية تتفاعل فيها الدوافع النفسية مع الظروف البيئية، ويتأثر كل منهما بالآخر، وهذا التفاعل قد ينتج عنه تعديل لأحد الجانبين النفسي أو الاجتماعي، بغرض إحداث الانسجام وإشباع الدوافع من غير إخلال بالقيم الاجتماعية.

والتوافق أو التكيف عملية مستمرة متغيرة، للتغيرات الطارئة على البنى الداخلية للشخص عبر مراحل العمرية التي يمر بها، فكل مرحلة لها متطلباتها، وكذا الأمر بالنسبة للمجتمع بمختلف مستوياته الثقافية والسياسية والاقتصادية في حالة تغير دائم؛ وكل ظرف يستلزم قدرا من الطاقة النفسية حتى يتم التكيف معه، فالصحة النفسية خاضعة لمرونة الوظائف النفسية للتعامل مع البيئة.

(1) د. حسن منسي، الصحة النفسية، ط2، دار الكندي للنشر والتوزيع: أربد-الأردن، 1998م. (ص: 20-21).

(2) د. عبد العزيز القوسي، أسس الصحة النفسية، (ص: 6).

(3) وقد سرد أ. د. الداهري وأ. د. الكبيسي خمس تعريفات للتوافق. وهي كالآتي: 1- العملية التي يقوم الشخص من خلالها بتعديل البيئة المحيطة به. 2- علاقة انسجام الشخص مع البيئة المادية والاجتماعية. 3- الحالة التي تتناول حاجات الفرد ومطالبه بالنسبة للبيئة التي تُحقق له الإشباع الكامل. 4- عملية ديناميكية مستمرة تتناول السلوك والبيئة بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد وبيئته. 5- سعي الإنسان لتنظيم حياته وحل صراعاته ومواجهة مشكلاته من إشباع وإحباطات وصولاً إلى الصحة النفسية. [ينظر: أ. د. صالح حسن أحمد الداهري وأ. د. وهيب مجيد الكبيسي، علم النفس العام، (ص: 203)].

ومع ما يحتوي عليه هذا الاتجاه من الإيجابيات، فإنه يُلاحظ عليه أنه يحتزل الصحة النفسية في التوافق مع شقين، وهما إشباع الدوافع النفسية ومسايرة القيم المجتمعية والظروف البيئية. وينبغي على ذلك جُملة من الملاحظات، يُمكن أن نصنّفها من جهتين: من جهة التوافق مع المجتمع والبيئة، ومن جهة التوافق مع النفس.

أمّا من جهة المجتمع، فأولاً: المبدعون والمتميزون الذين يغيرون وجهة المجتمع -على مختلف المستويات- نحو الأحسن من الرُّسل والأنبياء والعلماء والمصلحين والمفكرين غير متوافقين دائماً مع المجتمع، وطريقة تفكيرهم على خلاف السائد والنمطي. ثانياً: إذا كانت معايير المجتمع فاسدة فموافقتها ومسايرتها لا تدل أبداً على الصحة النفسية.

وأمّا من الجهة النفسية، فأولاً: التقدّم في البناء الشخصي للفرد يحتاج إلى أن يكون لدى الفرد قدر من النقد الذاتي الذي يقتدر به على محاسبة نفسه فينكشف له مكامن النقص في جوانب شخصيته من مكامن القوة، حتى يتسنى له السعي في إصلاح جهات النقص لديه وتكميلها، كل ذلك تزامناً مع العمل على تعزيز جهات القوة في شخصيته. وثانياً: الجوانب النفسية المتوافقة التي تُقاس على أساسها الصحة النفسية مُبهم عند أصحاب هذا الاتجاه الثاني من التعريفات، ولكن لعلهم أضربوا عن ذكره ليشمل ذلك كُلاً الجوانب النفسية في الشخصية من إشباع الدوافع بأنواعها والتعبير المنسجم للانفعالات وسلامة العمليات العقلية والسلوكية.

كما أنّ حدّ هذا الإشباع للدوافع ليس له مقدار محدّد، ذلك أنّ الذي يدلّ عليه الشرع ويؤكّده الواقع أنّ الإشباع غير المنضبط للدوافع -سواء كان إشباعاً لدوافع الحفاظ على الذات، كالأكل والشرب وسائر الشهوات، أو للدوافع الاجتماعية كالتملك والمنافسة وغيرها- وإن كان في الحال يُشعر صاحبه بالنشوة واللذة، فإنّه في المال يُؤدّي إلى قلق واضطراب نفسي. وهكذا الأمر في الانفعالات التوافق معها دائماً لا يعني أبداً التمتع بالصحة النفسية، فالغضب انفعال إذا كان مُنضباً حيث يغضب الشخص في المواقع الموجبة للغضب لا للأمر التافهة، وكان مُتحكماً فيه بحيث يستطيع أن يكظّمه ويوجّهه الوجهة الصحيحة كان ذلك دالاً على الصحة النفسية، أمّا إن صار منصاعاً لغضبه لا يستطيع التحكم فيه كان غير سويّ، وسيؤدّي به ذلك إلى تصرّفات غير سليمة تُعكّر عليه حياته، وقد يندم بعدها حين لا مطمع لإصلاح ما أفسده عليه توافقه الرائد مع غضبه.

والذي يُنجم من هذه المحامل أن تُحدّد مقاصد التوافق والتكيف بما جاءت به شريعة الله الذي خلق الإنسان وهو أعلم به من نفسه، وذلك يعني أن التوافق الحقيقي هو ما يخدم المصالح النفسية الفردية والاجتماعية، ولو كان على خلاف ما تقتضيه الحالة الزاهنة للتوجهات النفسية والاجتماعية، تماما مثل تناول الدواء المر الذي لا يُستساغ من جهة الذوق لحساب تحقيق الصحة.

واستعمال مصطلح التوافق أو التكيف في علم النفس (adjustment) - كما ذكر كثير من الباحثين - مأخوذ من مصطلح المواءمة adaptation في البيولوجيا<sup>(1)</sup>، فكما أنّ سائر الكائنات الحية تتأقلم مع محيطها وتتأثر بالظروف على المستوى الحيوي، فالإنسان زيادة على ذلك يتأقلم مع الظروف المحيطة به على المستوى النفسي.

وقد اختلفت آراء الباحثين في التفضيل بين مُصطلحي التوافق والتكيف؛ فمنهم من لا يُفرّق بينهما<sup>(2)</sup>. والذين يُفرّقون بينهما؛ منهم من يرى بأنّ مصطلح التوافق أحسن من مُصطلح التكيف من جهة أنّه أعمُّ منه، وبناء على أنّ التكيف هو عدم إخضاع البيئة لأيّ تغيير وإمّا تترك كما هي، والذي يتغيّر هو سلوك الفرد حتّى يتطابق مع البيئة. وأمّا التوافق فيشمل تغيير الفرد من مكتسباته وبناءه الشّخصي حتّى يتوافق مع البيئة، وكذلك تغيير ما أمكن من البيئة المحيطة حتّى تتوافق مع مطالب الفرد وقيمه<sup>(3)</sup>، وتقبّل ما لا يمكن تغييره والتّعايش معه<sup>(4)</sup>، كما أنّ التوافق يُظهر دور الإرادة البشرية في إشباع الدوافع والانسجام مع البيئة<sup>(5)</sup>.

ولكن من جهة اللّغة فمادّة التوافق تدلّ على الاتّفاق والمسايرة، على خلاف التكيف حيث يدلّ على اتّخاذ الشّخص كيفية ما تُجاه العوامل النفسية والاجتماعية، قد تكون بالموافقة وقد تكون

(1) يُنظر: د. مصطفى فهمي، الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف، (ص:20)؛ د. حسن منسي، الصحة النفسية، (ص:27)؛ د. عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، (ص:3).

(2) يُنظر: مصطفى فهمي، الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف، (ص:33).

(3) يُنظر: أ. د صالح حسن أحمد الداهري وأ. د وهيب مجيد الكبيسي، علم النفس العام، (ص:204)؛ عبد العزيز بن عبد الله الأحمّد، الطريق إلى الصحة النفسية عند ابن القيم وعلم النفس، (ص:48).

(4) يُنظر: د. مصطفى حجازي، الصحة النفسية-منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة-، (ص:37).

(5) يُنظر: أ. د صالح حسن أحمد الداهري وأ. د وهيب مجيد الكبيسي، علم النفس العام، (ص:203).

بالمخالفة<sup>(1)</sup>؛ وليست كل موافقة محمودة كما أنه ليست كل مخالفة مذمومة، وإنما يتجه النظر إلى الأسس التي عليها بُني الوفاق أو الخلاف.

ومن أجمع وأمنع التعريفات للصحة النفسية ما ذكره مصطفى حجازي: «هي الخاصية المميزة للنظام الإنساني في بُنيته الداخليّة من ناحية، وفي تفاعله الحيوي-الوظيفي مع محيطه من ناحية ثانية؛ وهو ما يُتيح له النماء والارتقاء»<sup>(2)</sup>.

و هذا التعريف يتضمّن النظر إلى الصحة النفسية من أربع جهات متفاعلة ومتبادلة التأثير فيما بينها<sup>(3)</sup>، وهي كالتالي:

الجهة الأولى: صحّة البنية النفسيّة الداخليّة، وتمثّل في سلامة الدماغ والجهاز العصبي، وهو ما يعني بدراسته علم النفس العصبي والفيولوجي<sup>(4)</sup>، ومعاناة الشخص من أيّ خلل في الجهاز العصبي، سيؤثر سلباً على سلوكياته ومشاعره وانفعالاته حين تفاعله مع البيئة المحيطة، ولذلك فالصحة البنيوية هي ركيزة وشرط أساس لما بعدها من الجهات.

الجهة الثانية: صحّة الوظائف النفسيّة، والتي تتمحور في النشاط الإيجابي على كافّة المستويات السلوكيّة والعملية العقلية المعرفية، وردود الفعل الانفعالية، والتفاعلات الاجتماعية. وكما أنّ الصحة الوظيفية تنبني وتتأثر بنوعية الصحة البنيوية، فإنّ الصحة الوظيفية تعود هي نفسها لتؤثر على الصحة البنيوية.

الجهة الثالثة: الصحة النفسية الانتمائية-القيمية، وهي تعني الوحدة الحيوية بين الإنسان ومحيطه الاجتماعي ومرجعياته الثقافية. وهذا البعد كثر إغفاله في المنظورات الغربية، وهو ما أدّى إلى أمراض

(1) ولم أجد من فضّل مُصطلح التّكْيُف على مُصطلح التّوافُق، ولكن التفسير الواسع للتّكْيُف الذي ذكرته هنا، -وهو شموله للموافقة للظروف البيئية والاجتماعية، والمخالفة لها وتغيير ما أمكن منها حتّى تتواءم مع النظام البنيوي والقيمي عند الشخص- ذكره د. عبد العزيز القوسي، أُسس الصّحة النفسيّة، (ص:8)؛ ود. حسن منسي، الصّحة النفسيّة، (ص:29-30).

(2) د. مصطفى حجازي، الصحة النفسية-منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة-، (ص: 53).

(3) يُنظر: المصدر السابق، (ص53-55).

(4) يُنظر: عبد الرحمن محمد عيسوي، علم النفس الفيسيولوجي، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية-مصر، 1989م، (ص7-10).



الاغتراب عن الذات وفقدان المعنى، وتعالى الأصوات بالعودة إلى البحث عن المعنى والرُّجوع بالإنسان إلى إنسانيته.

الجهة الرابعة: الصحة النفسية النمائية، وهي تحقيق التطور والنمو في الأنواع الثلاثة الماضية: الصحة البنيوية والوظيفية والانتمائية-القيمية. وهذه الجهة تُعبر عن حالة المرونة الإيجابية التي تمثلها الصحة النفسية، على عكس التصلب والترتابة وعدم القدرة على التعامل الإيجابي مع الظروف المتغيرة باستمرار، وهذا الجمود هو الذي تمثله حالة الاضطراب النفسي.

هذا المنظور الشمولي للصحة النفسية له عدّة مزايا<sup>(1)</sup>:

أولاً: يتجاوز الطروحات التجزيئية الأحادية النظرة، ويعطي نظرة شمولية تأخذ في الحسبان تأثير جميع الجوانب على الصحة النفسية، بما في ذلك الجوانب البيولوجية من الصفات الوراثية وهيئة الجهاز العصبي والجوانب السوسولوجية الثقافية الاجتماعية. كما أنه من جهة أخرى يتجاوز النظرة القديمة التي تُفسّر الصحة النفسية بمجرد غياب المرض النفسي.

ثانياً: يُحاول أن يُبين العلاقة التفاعلية المتبادلة الأثر والتأثير بين الجوانب البيولوجية المتمثلة في كلّ من الجهاز العصبي والصفات الوراثية المنقولة إلى الطفل من الأبوين، وبين الجوانب السوسولوجية المتمثلة في كلّ القيم والاتجاهات الثقافية البيئية التي يتلقاها الفرد، بدءاً من الأسرة مروراً بالمدرسة وسائر المرافق الاجتماعية انتهاء بالتعاطي مع سائر الثقافات الأخرى التي يعمل الإعلام اليوم على بثّها، ممّا أدّى إلى تهاوي الحدود الفاصلة التي تجعل لكلّ مجتمع ثقافته الخاصّة، وهذا بدوره يفرض مزيداً من الدوائر الاجتماعية التي يتفاعل معها الفرد.

ثالثاً: يفتح الآفاق أمام كلّ النظريات وكلّ البحوث في مجال الصحة النفسية، حتّى تعمل بشكل متكامل غير مُتنافر يخدم بعضها بعضاً.

رابعاً: يُبيّن الحالة الفريدة للصحة النفسية لدى كلّ شخص على أنّها مُحصّلة التفاعل بين القوى النفسية البنيوية والوظيفية والاجتماعية، وكما تختلف هذه القوى من شخص لآخر، فإنّ التفاعل بينها كذلك يختلف من حالة لأخرى، المهمُّ أنّه ليس هناك حتمية جامدة ثابتة.

(1) يُنظر: د. مصطفى حجازي، الصحة النفسية-منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة-، (ص: 112-113).

وما يُنتقد على هذا المنظور أنه يبدو إقصائياً مُعقداً، والحقيقة أن هذا المنظور لا يُقصي تلك النظريات الجُزئية، وإنما يُحاول أن يجعل دراستها تتم في وسط وضمن النظريات الأخرى، بما يخدم بعضها بعضاً وبدون أن يتم إلغاء أحد الجوانب المؤثرة في الصحة النفسية. وأما عن تعقيده فطبيعة الصحة النفسية الخاضعة للمتغيرات البنيوية-الحيوية والأخرى الثقافية-الاجتماعية فأمر يفرضه الواقع، وأما اختزال الصحة النفسية في نظرية أو مجموعة مؤشرات فإنه يُؤدّي إلى تهميش جوانب كثيرة من المعادلة على حساب التركيز على جانب واحد لا يعمل وحده.

كما انتقدت هذه التعريفات من وجهة إسلامية بأنها تُغفل دور الجانب الروحي في الصحة النفسية، ولذلك حاول بعض الباحثين الإتيان بتعاريف تشتمل على أثر التدنن والجانب الروحي في الصحة النفسية، جنباً إلى جنب مع سائر الجوانب الحيوية والاجتماعية وغيرها<sup>(1)</sup>، ومنها: «أن يعيش الإنسان على فطرته في قرب من الله، وسلام مع الناس ووثام مع النفس، وسلامة في الجسد ونجاح في الحياة»<sup>(2)</sup>.

وفي رأي الباحث بمُراعاة هذه التعريفات وما تم إردافه بها من الملاحظات، يُمكن القول بأن الصحة النفسية هي:

«حالة من التوازن الثابت نسبياً لتفاعل الأبعاد النفسية والروحية والحيوية والأبعاد الاجتماعية القيمية والبيئية، تقي الفرد من الاضطرابات النفسية وتُخلّصه منها، وهياً له التعزيز والرفع من كفاءة أجهزته النفسية، بما يُحقّق السعادة للفرد والمجتمع»

شرح التعريف:

إذا تمكّن الفرد من تحقيق التوازن بين الالتزام بالقيم المرجعية لديه -وهي بالنسبة للمسلم تتمثل في دينه الإسلامي المحفوظ عقيدة وسلوكاً وأخلاقاً- واستعمال البيئة في إشباع دوافعه والتعبير عن مشاعره وانفعالاته، كل ذلك بما يُحقّق له صحة جسمه وقوت عياله واستقامة سلوكه وسلامة عقله

(1) يُنظر: محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، (ص: 276-277).

(2) تعريف د. محمد عودة ود. كمال مرسي، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، (ص: 64)، نقلاً عن: شاهيناز بنت حسن علي مليباري، الأمراض النفسية -الوقاية والعلاج- في ضوء السنة النبوية -رسالة ماجستير-، إشراف: أ.د محمد عبد الله عويضة، جامعة أم القرى: مكة-المملكة العربية السعودية، 1430هـ. (ص: 54).

ومعرفته، وطريقة تحقيق هذا الاعتدال والتوازن ليست ثابتة ثباتاً مطلقاً وإنما مُتغيِّرة بالنسبة إلى تغيُّر الظروف البيئية والمراحل العمرية التي يمرُّ بها الفرد من طفولته إلى شيخوخته.

كما أنَّ هذا التعريف يحتوي على المناهج الثلاثة<sup>(1)</sup> للصحة النفسية بدءاً بعلاج الأمراض النفسية ومروراً بطرق الوقاية منها، وانتهاءً بالعمل على تعزيز وإثراء الصحة النفسية.

وهذه المناهج الثلاثة، متكاملة متضافرة يبني كلُّ واحد منها على الآخر ويتداخل معه، فكل واحد منها له وجه ونصيب من الآخر، فالعمل على تعزيز وتقوية الجوانب النفسية يتضمن في الوقت نفسه العلاج والوقاية، ولا قيام للتعزيز بدونهما، أعني لا يُتصوَّر وجود كفاءة وقوَّة نفسيَّة مع معاناة الشَّخص من اضطرابات نفسيَّة.

والوقاية والعلاج إن لم يُؤدِّيا إلى التعزيز فهما قاصران عن الغاية العظمى، كما أنَّ العناية بالعلاج بدون وقاية يُبطئ من عملية العلاج، لأنه حينئذ لا يتحاشى المريض النفسي أسباب الاضطرابات النفسية - وهو لا يقوى على ما يقوى عليه الصحيح نفسياً - ورُبَّما أبطل مفعول العلاج وأصيب بالمرض بشكل أقوى.

وعليه فإهمال التَّكامل بين الوقاية والعلاج يؤدي إلى الوقوع في هذه الدوائر المرضية التي لا يمكن التخلُّص منها إلا إذا تكاثفت هذه المناهج الثلاث.

كما أنَّ هذا المفهوم للصحة النفسيَّة أليق بالحالة التفاعليَّة بين جوانب وأبعاد النَّفس الإنسانيَّة، ممَّا يُعطي تصوُّراً شاملاً ويُعيِّن سبيلاً واضحاً للطريقة المتبادلة الأثر والتأثير التي تعمل بها الأجهزة النفسيَّة؛ ومن هذا المنطلق يتمُّ ترشيد التَّعامل مع الجهاز النَّفسي بهذا الشَّكل المتكامل المتفاعل فيما بينه.

وعلى الرغم من أنَّ مفهوم الصحة النفسية كان في بداياته مقصوراً على الجانب السَّلبي، وهو الخلو من المرض النفسي. وأمَّا الآن فقد تطوَّر المفهوم وهو إن كان لا زال يشتمل على علاج

(1) ذكر الباحثون في مجال الصَّحة النفسيَّة أنَّ هناك ثلاث مناهج في الصَّحة النفسيَّة، الأوَّل: المنهج العلاجي، الذي يهتم بالمرضى النفسيين ويعمل على تخليصهم من المرض النفسي. والثَّاني: المنهج الوقائي: ويهتم بالأصحاء نفسياً من جهة إبعاد أسباب المرض عنهم. والثَّالث: المنهج الإنمائي التَّعزيزي، الذي يعتني بزيادة كفاءة الأصحاء نفسياً. [يُنظر: حامد عبد السَّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص:12)].

المضطربين نفسيًا، إلا أنه صار يُركّز بشكل أكثر على الاهتمام بوقاية الأصحاء نفسيًا من الاضطراب النفسي، بل والعمل على تقوية الجوانب النفسية لديهم بما يُحقّق أقصى استغلال واستفادة للإمكانات النفسية المتاحة معرفيًا كانت أو سلوكية أو انفعالية، حتّى صار يُطلق على علم الصحة النفسية بأنه: علم نفس اضطراب الأسوياء<sup>(1)</sup>.

وهذا المفهوم للصحة النفسية يُعطي دلالة أوضح على هذا المفهوم الإيجابي والمتعدّد الجوانب.

---

(1) يُنظر: د. مصطفى حجازي، الصحة النفسية - منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة-، (ص23).

الباب الأول: مفهوم النفس الإنسانية واضطراباتها بين نصوص  
الوحي وعلم نفس الشواذ.

الفصل الأول: مفهوم النفس الإنسانية وأوصافها في الكتاب والسنة.

الفصل الثاني: الاضطرابات النفسية بين نصوص الكتاب والسنة وعلم نفس الشواذ.

**تمهيد:**

عند سماع مصطلح الصحة النفسية؛ أول ما يخطر بالذهن أنها شيء إضافي مُسند للنفس، ولذلك كان من الأهمية بمكان أن يتم تحديد الأرضية التي تقوم عليها هذه الإضافة، ولذلك فإن هذا الباب يدور على تحديد مفهوم النفس الإنسانية، وذلك عن طريق الاستقراء لجميع النصوص الواردة في النفس الإنسانية، وتحليلها وفق طرق الاستدلال المعتمدة في أصول الفقه، ثم تصنيفها موضوعياً، وذلك يُعتبر أساساً لفهم طبيعة النفس البشرية، ليتسنى بعد ذلك العناية بصحة هذه النفس.

وما دام أنه قد مرَّ أن الأصل المتفق عليه، بين جميع المعايير التي تمَّ مقارنة موضوعنا هذا من خلالها، هو: خلُّ النفس من الاضطراب النفسي؛ فلا بُدَّ من فهم حقيقة الاضطراب النفسي في نصوص الوحي، وكذا في علم النفس المرضي، سواء من جهة النظرية والتشخيص، لأنه يبدو من المستحيل أن نرقى إلى دعم الصحة النفسية، وتحقيق التوازن بين الجوانب النفسية الإنسانية، ما لم نتوازن نحن بأن نضع يدنا على الجانب المقابل المتمثل في الاضطراب النفسي.

## الفصل الأول: مفهوم النفس الإنسانية وأوصافها في الكتاب

والسنة.

المبحث الأول: الأوجه والنظائر لمفردات النفس الإنسانية في الكتاب والسنة.

المطلب الأول: مفردات النفس الإنسانية ونظائرها في الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: الأدلة على رجوع هذه المفردات لمسمى واحد.

المبحث الثاني: مُميّزات كل مفردة من مفردات النفس الإنسانية في الكتاب والسنة.

المطلب الأول: مُميّزات مفردة الروح والنفس والقلب من خلال الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: مُميّزات مفردة الفؤاد والعقل من خلال الكتاب والسنة.

## تمهيد:

يُحتاج لتكوين تصوّر شامل مُستند إلى الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة عن النّفس الإنسانيّة إلى تتبّع المفردات التي أطلققتها نصوص الكتاب والسنة على النفس الإنسانيّة، والأوجه والمعاني التي استعملت فيها تلك المفردات والسياقات التي وردت فيها، ليتمّ الوقوف على النقاط التي تتداخل فيها والأخرى التي تتمايز فيها، وهذا ما سيعمل عليه الباحث في هذا الفصل.



## المبحث الأول: الأوجه والنظائر لمفردات النفس الإنسانية في الكتاب والسنة.

وفي هذا المبحث سيتمُّ سرد المعاني التي أُطلقت عليها كلُّ مفردة من مفردات النفس الإنسانية احترازًا من تحميل النصوص ما لا تحتمله من الدلالات وفَرزًا لما يخصُّ موضوع الدّراسة ممّا لا يخصُّه من نصوص الوحي الكريم، ثمَّ بيان الأدلّة على رجوع هذه المفردات والأسماء إلى مُسمّى واحد.

### المطلب الأول: مفردات النفس الإنسانية ونظائرها في الكتاب والسنة.

عند تتبع نصوص الكتاب والسنة، وكتب الوجوه والنظائر نجد أن الذات الواحدة يُطلق عليها عدّة ألفاظ، وكلُّ لفظ من تلك الألفاظ يتضمن معنى غير المعنى الذي يتضمنه اللفظ الآخر، وكذلك فإن انتقاء واستعمال لفظ دالٌّ على معنى من معاني الذات المراد الكلام عنها ليس اعتباطيًا ولا عبثيًا، وإمّا يُرَاعَ في ذلك ما يُناسب سياق الكلام، وهو القالب الكلامي الذي يُدرج فيه اللفظ لتأدية المعنى المراد. ومن النادر جدا -وربما من المعدوم-، أن يرد لفظ في القرآن يؤدي جميع معنى المراد، بل المعهود أن ترد ألفاظ عديدة كل واحد منها يؤدي معنى من معاني المراد<sup>(1)</sup>. فتكون هذه الألفاظ مترادفة<sup>(2)</sup> من جهة، متباينة<sup>(3)</sup> من جهة أخرى، مترادفة من جهة دلالتها على الذات، متباينة من جهة دلالتها على ما دلّت عليه من الصّفات<sup>(4)</sup>. وهذا ما يُنعت باللفظ المتكافئ<sup>(5)</sup>.

(1) يُنظر: محمد عمر بازمول، شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط:1، الدار الأثرية: عناية-الجزائر، 1424هـ-2003م. (63-66).

(2) المترادف: «ما تعدّد لفظه واتّحد معناه، كالتمح والبر». [يُنظر: أبو القاسم محمد بن أحمد المعروف بابن جزّي، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: أ.د. أبو عبد المعزّ محمد علي فركوس، ط3، دار العواصم: المحمدية-الجزائر، 1434هـ-2013م. (ص: 62)].

(3) المتباين: «ما تعدّد لفظه ومعناه، كالسما والأرض». [يُنظر: المصدر السابق، (ص: 62)].

(4) ومن أمثلة ذلك أسماء الله تعالى كالسميع والبصير والقدير وغيرها، فهي كلّها دالّة على ذات الله تعالى فهي من هذه الجهة مترادفة، ولكن كل اسم من أسماءه سبحانه يتضمن صفة غير التي يتضمنها الاسم الآخر، فصفة السمع التي يدل عليها اسم الله السميع غير صفة القدرة التي يدل عليها القدير. ومن هذا الباب كذلك أسماء القرآن: الكتاب، الذكر، كلام الله. [يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، ط6، مكتبة العبيكان: الرياض - المملكة العربية السعودية، 1421هـ-2000م.. ص100-101].

(5) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الفتاوى الكبرى، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1408هـ - 1987م. (569/6).

وبنفس هذا المسلك: نجد أن النفس الإنسانية قد ورد التعبير عنها في نصوص الوحي بخمسة ألفاظ، وهي: النَّفْس والرُّوح والقَلْب والعقل والفؤاد، وكلُّ هذه الألفاظ مترادفة من جهة دلالتها على نفس المسمى - والتي هي النفس الإنسانيّة -، ولكن كل واحد منها يحمل معانٍ غير المعاني التي تحملها الألفاظ الأخرى، وهي من هذه الجهة متباينة، فالمقصود أن الفرق بين هذه الأمور «فرق بالصفات لا بالذات»<sup>(1)</sup>.

وهذه المفردات التي ورد التعبير بها عن النفس الإنسانية في الوحيين: (الرُّوح، النَّفْس، القلب، الفؤاد، العقل)، منها ما ليس له إلا وجه ومعنى واحد، وهما مُفردتان: (الفؤاد، العقل)، ومنها ما له أكثر من وجه وهي الثلاثة الباقية: (الرُّوح، النَّفْس، القلب)<sup>(2)</sup>، كما أنّ هذه الأوجه التي دلّت عليها هذه المفردات ليست كلّها راجعة إلى النفس الإنسانيّة، ولذلك سيقتصر الكلام في هذا المطلب على هذه الثلاثة، ويوجّل الكلام على مُفردتي (الفؤاد، العقل) في المبحث الثاني.

### الفرع الأول: الأوجه والنظائر لمُفردة الروح.

يحمل الأوجه التي ذكرت للفظ الروح تسعة أوجه، وهي كالاتي: اتفقوا جميعاً على أربعة أوجه هي: (الرَّحمة، جبريل، الوحي، ملك عظيم)، الوجه الخامس: (عيسى عليه السلام) ذكره الثلاثة ما عدا ابن الجوزي، الوجه السادس: (روح الحيوان) ذكره العسكري وابن الجوزي، الوجه السابع: (الحياة)

(1) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الرُّوح، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1395هـ-1975م. (ص:218).

(2) قد تبعت أربعة كتب في علم الوجوه والنظائر، وهي حسب التقدم التاريخي كالتالي: الوجوه والنظائر في القرآن العظيم لمقاتل بن سليمان، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدماغاني، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي. وقد وجدت أن هذه الكتب اختلفت فيما بينها من جهتين: الأولى: في عدد المفردات القرآنية المذكورة فيها، فالتأخر منها ينقل عمّن سبقه، ولذا نجد أن المتأخر منها أكثر مواداً ممّن سبقه. الثانية: في عدّ وتعيين المعاني التي ترد بها المفردة القرآنية، وقد اكتشفت أنّ سبب الاختلاف بينهم راجع إلى أحد أمرين: الأول: الوجه التفسيري الذي رجّحوا حمل الآية عليه، إذا كان في تفسير الآية أكثر من قول. الثاني: تفريع المعاني من الطرف الذي أكثر من الوجوه، ورد الفروع المعنوية إلى المعنى الكلّي من الطرف الذي ذكر عدد وجوه أقلّ.

ومع ذلك فإن هذه الكتب اتفقت على عدم ذكر مفردتي العقل والفؤاد، مما يعني أن هاتين المفردتين جاء إطلاقيهما في القرآن بوجه واحد، إذ لو كان لها في النصوص أكثر من وجه ومعنى لذكرتها -على الأقل- إحدى هذه الكتب، وأما بقية المفردات الثلاثة الباقية، فقد تفاوتت الكتب الأربعة في ذكرها، أما مقاتل بن سليمان وأبو هلال العسكري فلم يذكرها إلا الروح والنفس، واتفق ابن الجوزي والدماغاني على ذكر القلب إضافة إلى الروح والنفس.

ذكره الدّامغانيّ وابن الجوزي، الوجهان الثامن والتاسع: (الريح التي تكون عند النفخ، الأمر) انفراد بذكرهما عن البقيّة ابن الجوزي<sup>(1)</sup>. وتفصيل الكلام على هذه الأوجه، كما يلي:

الوجه الأول: الرحمة، اتفقوا جميعاً على حمل قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. على هذا الوجه، أي قوّاهم برحمة منه، إلا أن العسكريّ جعل هذه الرحمة هي نفسها القرآن.

وعند تتبع السيّاق القرآني لهذا التعبير المذكور في الآية -وهو التأييد بالروح- نجد أنه مذكور في ثلاثة مواضع أخرى، وهي: قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ الآية. [البقرة في موضعين: ٨٧؛ ٢٥٣]. وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدْتْنَا بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾ الآية. [المائدة: ١١٠]. وكل هذه الآيات صريحة جداً في أن الروح التي يؤيّد بها عباده هي روح القدس، وروح القدس ذكر الطبريّ أنه اختلف في تفسير الروح التي أيّد بها عيسى -عليه السلام- على ثلاثة أقوال: جبريل، الإنجيل، الكلمة التي كان يُحيي بها الموتى بإذن الله تعالى. والرّاجح أن روح القدس هو جبريل -عليه السلام-، لما يرد من الاعتراض على القولين الآخرين، وذلك أنه لو حملنا المراد بروح القدس على إحداهما صار عندنا تكرار لا فائدة منه، لأنه سبحانه ذكر تعليمه لعيسى -عليه السلام- الإنجيل وإذنه له بإحياء الموتى بعد ذكره لتأييده له بروح القدس فبعد قوله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدْتْنَا بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ بِالْحِكْمَةِ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ أَخْرَجْنَا آلَ مَرْيَمَ إِذْ هُنَّ عَلَى الْقُلُوبِ الْغَالِيَةِ﴾ [المائدة: ١١٠]<sup>(2)</sup>، وحمل الكلام على التأسيس أولى من حمله على التأكيد.

(1) يُنظر: مقاتل بن سليمان البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: حاتم صلاح الضامن، ط1، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث: دبي-الإمارات، 1427هـ-2006م. (ص: 170-171)؛ أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان، ط1، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة-مصر، 1428هـ-2007م. (ص: 229-230)؛ حسين بن محمد الدّامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق: عبد العزيز سيّد الأهل، ط3، دار العلم للملايين: بيروت-لبنان، 1980م. (ص: 212-213)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط3، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1407هـ-1987م. (ص: 322-324).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (2/320-322).

أما آية: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فقد اختلف فيها المفسّرون على خمسة أقوال<sup>(1)</sup>، ومن تلك الأقوال: جبريل - عليه السلام - أيدهم به يوم بدر، والذي يظهر أنّ هذا القول هو الراجح في المراد بالروح، وذلك لأمرين: أحدهما: أن من أسباب نزول هذه الآية، ما جرى من القتال بين بعض الصحابة وأقربائهم يوم بدر<sup>(2)</sup>. وقد أخبر الله تعالى أنه أمّد المؤمنين يوم بدر بعون من الملائكة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ٩] <sup>(3)</sup>. ثانيهما: المعهود في هذا السياق القرآني -التأييد بالروح- هو جبريل -عليه السلام-، كما مرّ ذكر ذلك في الآيات الآنف ذكرها. كما أنّ نزول الملائكة على المؤمنين وجبريل -عليه السلام- بالوحي إلى الأرض من أعظم أسباب حصول الرحمة. فحصول الرحمة من لوازم نزول الملائكة عموماً وجبريل -عليه السلام- خصوصاً.

الوجه الثاني: جبريل -عليه السلام-، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مریم: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤].

الوجه الثالث: الوحي، وحاصل ما استشهدوا به على هذا الوجه ثلاث آيات:

- (1) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1422 هـ. (4/252).
- (2) فأبو بكر - رضي الله عنه - دعا ابنه يوم بدر إلى القتال وعمر - رضي الله عنه - قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وغيرهم كثير. [يُنظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط2، دار الإصلاح: المملكة العربية السعودية، 1412هـ-1992م. (ص114-115)]. وقد ذكر الواحدي أكثر من سبب لنزول هذه الآية، والذي روى بأن سبب نزولها في بدر هو عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -، وهو من علماء الصحابة في التفسير، كما أنّ حمل الآية على هذا السبب لا يمنع من أن تُحمل عليه بقية الأقوال، لأنّه استعمل عبارة (نزلت في...) وهي عبارة مُتختملة لا صريحة. قال ابن تيمية: «...وإذا عُرف هذا، فقول أحدهم: نزلت في كذا، لا ينافي قول الآخر: نزلت في كذا، إذا كان اللفظ يتناولهما». [تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، (ص:16)].
- (3) وقد ذكر الطبري أن جبريل -عليه السلام- جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم بدر مُبشِّراً إيّاه بهذه الآية. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (13/410)].

الآية الأولى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]. اختلف المفسّرون في المراد بالروح في هذه الآية على ستة أقوال<sup>(1)</sup>، والراجح من هذه الأقوال أنّه سمّي الوحي ومن ضمنه القرآن الكريم روحا لما تحصل به من الحياة، لأنّ الوحي تحصل به من الحياة المعنويّة التي هي حياة القلب والعقل، نظير ما يحصل للجسد من الحياة الحسيّة عندما تُنفخ فيه الروح<sup>(2)</sup>.

الآية الثانية: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الآية، [الشورى: ٥٢]. (روحا) اختلف فيه أهل التأويل على ثلاثة أقوال: وحيًا، رحمة<sup>(3)</sup>، جبريل<sup>(4)</sup>. والوحي فيه رحمة للناس، وإرسال جبريل -عليه السلام- من الطرق التي يُنزل بها الله تعالى الوحي على الرسل، وعليه فهذه الأقوال مُتكاملة يُصدّق بعضها بعضا.

الآية الثالثة: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ الآية، [غافر: ١٥]. ذُكر في معنى الروح هنا الأقوال الثلاثة التي قيلت في الآية السابقة، وزيد على ذلك: القرآن، والنبوة<sup>(5)</sup>. وهذه الأقوال يرجع بعضها إلى بعض، فالنبوة والرحمة تحصلان بالوحي وهو القرآن. وجبريل -عليه السلام- هو الملك المكلّف بإنزال الوحي.

الوجه الرابع: ملك عظيم من الملائكة، وانحصر وصفهم له في صورتين: منهم من وصفه بأنه ملك عظيم وجهه على صورة الإنسان وجسده على صورة الملائكة، ومنهم من وصفه بأنهم خلق يرون الملائكة ولا تراهم الملائكة. وحاصل ما استشهدوا به على ذلك آيتان، وهما:

(1) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (2/550).

(2) هذا القول أكثر المفسّرين على ترجيحه، ومنهم: الطبريُّ والرّازيُّ وابن عاشور والقاسميُّ. [يُنظر على الترتيب: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (17/165)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (19/169)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (14/98)؛ محمد جمال الدين القاسميُّ، محاسن التأويل، (6/350-351)]

(3) حكى هذين القولين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (2/559-560).

(4) حكى هذا القول محمد جمال الدين القاسميُّ، محاسن التأويل، (8/377).

(5) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (21/363-364)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (27/498)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (4/32).

الآية الأولى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ الآية. [الإسراء: ٨٥]. وقد ذكر ابن الجوزي في ذلك ستة أقوال<sup>(1)</sup>، وفي الحقيقة قد جاء في سبب نزول هذه الآية روايات كثيرة كلّها متّفقة على أنّ طائفة من اليهود سألو النبيّ -صلى الله عليه وسلم- عن الروح، ولكن اختلفت الروايات في طريقة طرح السؤال، فبعضها فيه: السؤال عن الروح مجرّدة عن الأوصاف، وبعضها فيه السؤال عن الروح، وكيف تُعذب في الجسد؟<sup>(2)</sup>. وعندما نتتبع هذه الروايات نجد أنّ الروايات الصّحيحة الثابتة وردت بالسؤال عن الروح مجرّدة عن أيّ وصف، أمّا الرواية التي فيها السؤال عن الروح بوصفها بأنّها في الجسد فضعيفة غير ثابتة<sup>(3)</sup>. والحاصل أنّه لا يمكن تقييد الروايات المطلقة الصحيحة بالروايات المقيدة الضعيفة.

وتفسير الروح هنا بأنه عيسى -عليه السلام- مستبعد، ذلك لأنّ القرآن في مواطن عديدة يُبيّن بالتفصيل لا بالإجمال قضية عيسى -عليه السلام-، فيحكي عن قصة بعث جبريل -عليه السلام- إلى أمه مريم -عليها السلام- ونفخه فيها الروح، وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.

أمّا تفسير الروح بأنّها القرآن فيتماشى مع السياق، ولكن لا يُناسب كونه جواباً عن السؤال المطروح، ذلك أن السائل هم اليهود، والمفروض في الجواب عن السؤال -لا سيّما وأنّه صادر من العليم الحكيم سبحانه- أن يكون مُطابقاً لمقصود السائل وحاله، والقرآن كتاب هذه الأمة المحمدية

(1) وهي كالتالي: 1) ما به حياة البدن (أبو سليمان)، 2) ملك عظيم (ابن عباس)، 3) خلق على هيئة بني آدم (مجاهد)، 4) جبريل -عليه السلام- (قتادة)، 5) القرآن (الحسن)، 6) عيسى -عليه السلام- (الماوردي). [يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (50/3-51)].

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (541/17-543).

(3) الروايات المطلقة متفق عليها: أخرجها البخاري في "صحيحه" (37/1) برقم: (125) (كتاب العلم، باب قول الله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)؛ وكذلك مسلم في "صحيحه" (128/8) برقم: (2794) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبيّ -صلى الله عليه وسلم- عن الروح). الروايات المقيدة ذكرها السيوطي في الدر المنثور. [يُنظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر: بيروت-لبنان. (331/5)] وأخرجها الإمام الطبري في تفسيره، (543/17). وكل رجال سنده ضعفاء ما عدا محمّد بن سعد. [يُنظر: أبو إسحاق الحويني الأثري، المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة، تصنيف وانتقاء: أبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل، مكتبة دار ابن عباس للنشر والتوزيع: المنصورة-مصر، 1430هـ. (144/2)].

لا الأُمَّة اليهوديّة، ولا شكَّ أنّهم امتحنوا النبيّ -صلى الله عليه وسلم- بما جاءتهم به رسلهم، إذ من غير المعقول أن يمتحن الشَّخص غيره بما لا معرفة له به.

أما تفسيره بما يكون به حياة البدن أو بالملك سواء كان جبريل أو الملك العظيم الذي تحدّثت عنه الروايات فإنّه يتماشى مع سبب النزول ويتماشى مع السياق فجبريل -عليه السلام- هو الذي نزل بالقرآن، والقرآن فيه حياة للقلوب وشفاء لها بل وفيه نظام الحياة البشريّة كلّها من جميع جوانبها، فيبقى هذان التأويلان أقرب إلى المراد بالروح في الآية.

ثمَّ إنّ القول بأن الروح ما به حياة البدن أولى من القول بأنّها الملك العظيم ذلك أن هذا القول أقرب إلى لحاق الآية وتماها: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. لما فيه من بيان قصور عقولنا عن الإحاطة بإدراك ما تحصل به حياتنا من هذه الأرواح المتّصلة بالأبدان، فإذا كان الحال كذلك فالله تعالى خالق هذه الأرواح أولى بأن تعجز العقول عن الإحاطة بكُنّه وكيفية صفاته سبحانه وتعالى (1).

وعلى القول بأن الروح المسؤول عنه هو ما به حياة أبدان بني آدم، فقد اختلفوا في تأويل معنى الجواب القرآني: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. فمنهم من رأى أنّ الروح من عالم الغيب الذي لا يجوز أن يتكلّم عنه حتّى وصل الحال عند بعضهم بتبديع هذا الفعل (2)، ومنهم من قال أمر الله هو دينه وشرعه وقد جاء بيان الروح في الشريعة على أنّ وجهه وأكملته (3)، والذي يراه الباحث أن

(1) قال ابن تيمية: «والمقصود، أن الروح إذا كانت موجودة حية عالمة قادرة، سمعية بصيرة، تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، ونحو ذلك من الصفات، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدّها، لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً، والشيء إنما تدرك حقيقته إما بمشاهدته أو بمشاهدة نظيره، فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات، فالخالق أولى بمباينتته لمخلوقاته مع أنّصافه بما يستحقّه من أسمائه وصفاته، وأهل العقول هم أعجز عن أن يحدّوه أو يُكَيِّفوه منهم عن أن يحدّوا الروح أو يكيّفوها». [يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني، التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، (ص: 56)].

(2) يُنظر: محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (6/501).

(3) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (21/392). قال ابن تيمية: «والقرآن ليس فيه النهي عن وصف روح ابن آدم ولا النهي عن التعبير عن شيءٍ من صفاتها بل الأحاديث والآثار مملوءة من وصف الروح وأنها تصعد وتنزل وتكون طيبة وخبیثة ومنعمّة». [يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني، الرد على الشاذلي في حزيه، وما

النصوص قد بيّنت لنا ما نحتاج إلى معرفته من تفاصيل أمر الروح، وما يعود علينا نفعه في الدنيا والآخرة، أمّا ما لا حاجة ولا فائدة في معرفته وغير ضائر الجهل به، فالحوض فيه تضييع للأوقات والطاقات الفكرية التي ينبغي أن تُبذل في الأمور التي يعود علينا نفعها دنيا وأخرى. وما كان من أمور الروح فوق ما تُدرّكه عقولنا فالواجب فيه التسليم فيما أخبرتنا به النصوص كمثل انفصال الروح عن الجسد وأنها تُنعم وتُعذب في الحياة البرزخيّة.

الآية الثانية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٣٨: النبأ). ذكر المفسّرون في المراد بالروح في هذه الآية، سبعة أقوال<sup>(1)</sup>. والقول بأنه القرآن يرد عليه أنه لا يصح وصفه بالقيام والتكلم والإذن له، وكذلك القول بأنهم بنو آدم أو أرواحهم لا يستقيم لأنه تقدم من أول السورة التفصيل في حال بني آدم والمآب الذي يصير إليه الطّاغون ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (٢١) ﴿لِلطَّغِينِ مَأْبًا﴾ (٢٢) [النبأ: ٢١ - ٢٢]، والفوز الذي يحظى به المتقون ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٣١) [النبأ: ٣١]، ثم إن المعهود في كثير من الآيات القرآنية تسمية جبريل بالروح، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]. وفي بعضها التصريح باسمه مع إقرانه بالملائكة، لفضله وشرفه قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٩٨) [البقرة: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (٤) [التحریم: ٤]. ولذلك فالأقرب الذي يحتمله السياق والمعهود في الاستعمال من هذه الأقوال، هو جبريل -عليه السّلام-، والله تعالى أعلم.

الوجه الخامس: عيسى عليه السلام، استشهدوا على هذا الوجه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]. و(من) هنا

صنّفه في آداب الطريق، تحقيق: علي بن محمد العمران، ط1، دار عالم الفوائد: مكة-المملكة العربية السعودية، 1429هـ. (ص: 147).

(1) وهي كالآتي: (1) أشرف الملائكة (قاله مقاتل بن حيان)، (2) جبريل (الضحّاك)، (3) خلق ليسوا بملائكة ولا بشر (مجاهد)، (4) ملك عظيم (ابن مسعود)، (5) أرواح بني آدم (ابن عطية)، (7) بنو آدم (قتادة)، (8) القرآن (زيد بن أسلم). [يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (392/4)].



ليست دالّة على التبويض كما ادّعت النَّصَارَى ذلك فبنوا عليه أنّه ابن لله - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً-، وإنما هي لا ابتداء الغاية<sup>(1)</sup>، فيكون المعنى أن ابتداء إحياء عيسى -عليه السلام- كان من الله على غير ما جرت به العادة من أن يُسبق ذلك بغشيان الذكر للأُنثى، بل بمجرد النفخ الذي وُكِّل به جبريل -عليه السلام- كما نصَّ الله تعالى عليه في قوله سبحانه: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: ١٢]. وهذا الروح هو نفسه الذي قال الله تعالى عنه: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مریم: ١٧]. وهو جبريل -عليه السلام-<sup>(2)</sup>.

الوجه السادس: روح الحيوان التي بها يحيا، استشهد بعضهم على هذا الوجه بقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. بناءً على حمل الروح المذكور في الآية على ما يكون به حياة البدن، واستشهدوا كذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: ٩]. وهذه الآية الأخيرة هي في الروح التي يحصل بها حياة البدن الآدمي بخصوصه، لا مُطلق الحيوان.

الوجه السابع: الحياة، وهذا الوجه هو نفسه الوجه السابق، واستشهدوا عليه بالآية نفسها وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

(1) يُنظر: محمد الأمين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع: بيروت - لبنان، 1415هـ-1995م. (323/1).

(2) وقيل في ذلك أقوال أخر، وهي وإن كان بعضها له وجه إلا أن الذي يُوافق منها السياق المعهود في المواضع التي ذُكرت فيها قصة ولادة عيسى -عليه السلام- هو جبريل -عليه السلام-، وليس بعيداً من هذا القول بأنها النفخة التي نفخها جبريل والتي كان منها عيسى -عليه السلام-، ولذلك خصَّه الله تعالى بإضافته إلى نفسه تشريفاً، لأن الملك الذي نفخ فيه الروح هو أشرف الملائكة، على غرار باقي البشر فلم يُذكر أنّ الذي ينفخ فيهم الروح هو جبريل بل لم يُعيّن كما في حديث: «فِيُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ... الحديث». والحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (111/4) برقم: (3208) (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة)؛ ومسلم في "صحيحه" (44/8) برقم: (2643) (كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته). [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (421/8)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (501/1)].

الوجه الثامن: الريح التي تكون عند النفخ، حمل ابن الجوزي عليه قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: ١٢]. وهذا التفسير من باب ضرب المثال، لأنه قال في زاد المسير: «وإنما سمي إجراء الروح فيه نفخاً، لأنها جرت في بدنه على مثل جري الريح فيه»<sup>(1)</sup>. وقد ذكر ابن فارس أن أصل الروح في اللغة الريح<sup>(2)</sup>. وسواء حملنا الروح هنا على جبريل -عليه السلام-، أو النفخة التي كلفه الله بنفخها ومنها كانت حياة البدن، كلُّها محامل ينبني بعضها على بعض.

الوجه التاسع: الأمر، حمل ابن الجوزي عليه قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [الآية، النساء: ١٧١]. وهذا الوجه فيه بُعد، ذلك لأنه إذا حُمِلَ قوله: «روح منه» على الأمر الذي كان به خلق عيسى -عليه السلام- وهو: «كُن»، فإن كلمته التي ألقاها إلى مريم قد دُكر عن السلف في تأويلها أنّها هي: «كُن»<sup>(3)</sup>. وإن كانت النفخة التي يحيا بها البدن أو جبريل الذي أرسل إلى أمّه لينفخ فيها، كلُّ ذلك لا يكون إلا بأمر الله وإذنه كما قال تعالى في وصف الملائكة: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الآية، التحريم: ٦].

### الفرع الثاني: الأوجه والنظائر لمفردة النفس.

عدد الأوجه التي ذكروها للفظ النفس هي خمسة عشر وجهاً: الإنسان، جملة الإنسان، القلب، الروح، النفس بعينها، إخوانكم، أهل دينكم، الأهل، بعضكم، منكم، من جماعتكم، من جنسكم، بأمتهم، آدم، الغيب، العقوبة<sup>(4)</sup>.

عند التمعّن في هذه العبارات التي عبّروا بها وتتبع الآيات التي استدلووا بها على هذه الأوجه، نجد أنّ كثيراً منها يرجع إلى وجه واحد، وإنّما اختلفت اعتباراتهم فقط:

(1) أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (2/534).

(2) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (2/454).

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (9/419).

(4) يُنظر: مقاتل بن سليمان البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، (ص: 100-101)؛ أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، (ص: 473-474-475)؛ حسين بن محمد الدّامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، (ص: 462-463)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، (ص: 595-596).

الوجه الأوّل: (الإنسان) و(جُملة الإنسان) و(القلب) شيء واحد، ما استدلّ به مقاتل والدامغاني على (القلب) آيتان، وهما: قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، كذلك استدل بهما العسكري على (جُملة الإنسان)، وإنما اختلفت عباراتهم تبعاً لوجهة أنظارهم فمنهم من نظر إلى ما يصدق عليه اللفظ وهو الإنسان كُليّة روحه وجسده، وأمّا من نظر إلى حقيقة الإنسان، قال هي قلبه الذي به يعقل فيُفارق بذلك سائر الحيوانات. ثمّ إنّ ما استدلّ به مقاتل على (الإنسان) وهو قوله تعالى: ﴿وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [المائدة: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنِبْنَا عَلَيْهِمْ أِنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٦٦]، فرّق الدامغاني فاستدل بالآيتين الأوليين على (الإنسان)، وجعل الآية الثالثة دليلاً على (جملة الإنسان)، ولذلك تجاوز ابن الجوزي وجه (جملة الإنسان) فلم يذكره، والظنُّ به -والله أعلم- أنّه إنّما تجاوزه لما رأى أنّه لا فرق بين العبارتين (جملة الإنسان) و(الإنسان).

الوجه الثاني: (منكم) و(من جماعتكم) و(من جنسكم)، كلّها ألفاظ ذُكرت في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. فعبارة (منكم) ذكرها العسكري والدامغاني، وعبارة (من جنسكم) ذكرها مقاتل، وعبارة (من جماعتكم) ذكرها ابن الجوزي. إلا أنّ عبارة (من جماعتكم) أشمل أدقّ لأنها تتضمّن أنّ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- من الجنس البشري لا ملكاً ولا جنياً، كما أمره ربُّه أن يقول: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]. وتتضمّن إضافةً إلى هذا معنى آخر ذُكر في كثير من الآيات، وهو أنّ اللسان الذي بُعث به هو لسانهم، كما أنه معلومة لديهم أخلاقه من الصدق والأمانة وغيرها، وكذلك أمّيته -صلى الله عليه وسلم-، وهذا كُله ممّا يُوجب تصديق رسالته واتّباعه فيها.

الوجه الثالث: (الروح)، (النفس بعينها)، انفرد ابن الجوزي بذكر عبارة (النفس بعينها) واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنِبْنَا عَلَيْهِمْ أِنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٦٦]. وذكر الثلاثة -أعني مقاتل والعسكري والدامغاني- عبارة (الروح) واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٣].

الرابع: (إخوانكم) (أهل دينكم) (الأهل) (بعضكم). عبارة (بعضكم) ذكرها مقاتل والدامغاني وابن الجوزي واستدلوا بآيتين، قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْتَغِي مَالًا وَلَا مَوَازِينًا﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]. (الأهل) انفرد بها ابن الجوزي وحمل عليها الآية الأولى<sup>(١)</sup>. (أهل دينكم) ذكرها الثلاثة ما عدا العسكري، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]. وقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]. أمّا عبارة (إخوانكم) فانفرد بذكرها العسكري واستدل بهذه الآية الأخيرة على ذلك.

الخامس: بأمتهم، انفرد بذكره ابن الجوزي والدامغاني، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [الآية، [النور: ١٢]. ظنَّ أهل الإيمان من صحابة النبي -عليه الصلاة والسلام- بعائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- خيرا<sup>(٢)</sup>.

السادس: آدم، ذكره العسكري وابن الجوزي، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ [الآية، [النساء: ١].

السابع: الغيب، ذكره الدامغاني واستدل بقوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. لكن استدل العسكري بهذه الآية نفسها على جملة الإنسان، ثم ذكر بعدها أنه يجوز فيها أن يُحمل النفس فيها على الغيب، لكن لم يعدّه كوجه مُنفصل. وقد ذكر القرطبي أن ما في نفسي بمعنى ما أخفيه وما أضمّره ولا شك أن ما يُخفيه الإنسان يكون في قلبه<sup>(٣)</sup>. وقد مرّ بيان أن

(1) بناء على بعض الروايات التي ذكرت أن بني إسرائيل حين تابوا إلى الله تعالى، صار الأب الذي لم يعبد العجل يقتل ابنه والعكس، وبعضها عمت فصار من لم يعبد العجل يقتل من عبده ولو لم تكن بينهما قرابة. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (75/2)]. وهذا يدل على أنه لا وجه للتفريق بين الأهل وأهل دينكم، ذلك أن الآية هذه ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْتَغِي مَالًا وَلَا مَوَازِينًا﴾ [البقرة: ١٤٤]. نصّت على أن طريقة التوبة هي القتل وبالتالي يصير من قُتل تائبًا، والتائب هو من أهل دين المقتول وإلا لما سُمّي تائبًا.

(2) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (284/3).

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية: القاهرة-مصر، 1384هـ-1964م. (376/6).

من عبّر بوجه القلب في الآيات التي استدلت بها الآخرون على جملة الإنسان أنه نظر إلى حقيقة وجوه الإنسان وهو قلبه.

الثامن: العقوبة، انفرد بذكره الدامغاني وحمل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَحذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وهذا التفسير يبني على تقدير حذف مضاف أي يحذركم عقوبة نفسه الصادرة منه<sup>(1)</sup>، وإنما وقع التحذير من نفسه سبحانه مباشرة لأن العقوبة إنما تترتب على مخالفة أوامره سبحانه، ومخالفة أوامره سبحانه تترتب على عدم كمال تعظيم قدره في القلب، ولهذا وقع التحذير في الآية على مَكْمَن المشكلة وأساسها لا على أعراضها -والله تعالى أعلم-.

### الفرع الثالث: الأوجه والنظائر لمفردة القلب.

لم يذكره غير الدامغاني وابن الجوزي<sup>(2)</sup>، وقد اتفقا على ذكر ثلاثة أوجه، وهي كالآتي:

الوجه الأول: العقل، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]. ذلك أن القلب هو أداة العقل<sup>(3)</sup>، وأنه تفسد وظيفته إذا غلبت عليه الأهواء وتلك الوظيفة هي التعقل، وليس المراد منها مجرد إقامة البراهين العقلية أو البراعة في الحساب، وإنما المراد الاتعاظ بما صنعه الله تعالى بالأمم المكذبة لأنه قبل هذه الآية قال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ [ق: ٣٦]. وهذا الاتعاظ يحمل على الإقدام على فعل الخير، ويحجم بصاحبه عن السعي في الشرور.

الوجه الثاني: الرأى، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]. أي أن الآراء والأهواء والجهات التي انقلبت إليها قلوبهم مختلفة، وذلك سبب ما ذكره الله تعالى -قبل هذه الجملة وبعدها- من رهبتهم الشديدة من المؤمنين الذين اتحدت كلمتهم على الحق، وذلك أيضا

(1) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (8/194).

(2) يُنظر: حسين بن محمد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، (ص388-389)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، (ص:483).

(3) وقد ذكر ذلك غير واحد من المفسرين، [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (373/22)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (26/324)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (4/165)].

سبب العداوة والتنازع فيما بينهم. وقد ختم الله تعالى هذه الآية بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]. والإشارة بذلك إلى تشتت القلوب<sup>(1)</sup>، وينبغي عليه أيضا ما ترتب على هذا التشتت من التنازع والضعف، وهذا يعني أن أعمال العقل يفتقر إلى التجرد من الهوى، لأنّ الهوى والعقل نقيضان، والقلب هو محلّ لكلّ منهما، والنقيضان لا يجتمعان معا ولا يرتفعان معا.

الوجه الثالث: المضغعة التي في الصّدر وهي محلّ النَّفْس، واستدلّا بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. والموصول وصلته (التي في الصدور) صفة للقلوب، تأكيدا ونفيا لاحتمال من أن القلوب شيء آخر غير هذه المضغعة الموجودة في الصدر<sup>(2)</sup>، وهي التي تتصف بخاصية العقل، كما وصفها في أول الآية: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

### المطلب الثاني: الأدلة على رجوع هذه المفردات لمسمى واحد.

وقد تبين للباحث -بعد التأمل في نصوص الوحيين- عدد من الأدلة على أنّ هذه المفردات الخمس ترجع إلى مسمى واحد ألا وهو النفس الإنسانيّة، وهي كالتالي:

أولا: بيان أن القلب بمثابة الآلة لإحداث فعل التّعقل الذي هو خاصية العقل، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]. الآية<sup>(3)</sup>. وجاء أنّ الملائكة أوحى إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في منامه لما ضربت له مثلا في دعوته إلى الجنتّة بالداعي إلى مأذبة صنعها سيّد الدار، فقالت له: «لتنم عينك، ولتسمع أذنك، وليعقل قلبك، فقال -صلى الله عليه وسلم-: فنامت عيناى، وسمعت أذناى، وعقل قلبي»<sup>(4)</sup>.

(1) يُنظر: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1407 هـ. (507/4).

(2) يُنظر: محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (251/7).

(3) ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (234/23)؛ (530/24).

(4) أخرجه الدارمي بهذا اللفظ في "مسنده" (160/1) برقم: (11) (مقدمة المؤلف، باب صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- في الكتب قبل مبعثه)، والطبراني في "الكبير" (65/5) برقم: (4597) (باب الرأى، ربيعة بن الغاز الجرشي)، وقال الهيثمي: «إسناده حسن». [أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1414هـ-1994م. (260/8)، برقم: [13956]. وأخرجه الترمذي في "جامعه" (540/4) برقم: (2860) (أبواب الأمثال عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في مثل الله لعباده). وقال الترمذي: «وقد روي =

وهذا قد أكّده غير واحد من علماء اللّغة وأئمة الإسلام، قال الجوهري: «القلب: الفؤاد، وقد يعبر به عن العقل»<sup>(1)</sup>. وقال الفيروزآبادي: «والقلب: الفؤاد، أو أحص منه، والعقل»<sup>(2)</sup>. وقال ابن الجوزي: «القلب: محلّ النَّفس والعقل»<sup>(3)</sup>.

والعقل الذي تكلمت عنه النصوص نوعان: عقل الإدراك، وعقل الرُّشد. والمراد بالآية الكريمة التي أضفت العقل إلى القلب هو عقل الرُّشد الذي يعني استقامة السلوك، ذلك لأنّ الله تعالى ذمهم وأنكر عليهم عدم استعمال قلوبهم في التعقّل ولم يأت في النصوص ترتيب الذمّ على غياب عقل الإدراك، فدلّ ذلك على أنّ العقل الميناظ بالقلب هو المسؤول عن التّصرف وهو عقل الرُّشد. وهذا لا يمنع القول بأنّ الدّماغ هو الجهاز العصبي المسؤول عن التّعامل مع المعلومات، وهو عقل الإدراك.

وقد توصّل العلماء التجريبيون إلى أنّ الدّماغ وإن كان من الثّابت تجريبياً أنّه مصدر التّعامل مع المعلومات إلّا أنّه يتأثر بالقلب ويؤثر فيه، وبالتالي فالدّماغ يكون كالوسيط<sup>(4)</sup>. فهو يعمل على تصوّر ما تتلقاه الحواسّ، وبعد ذلك يُرسل ذلك إلى القلب وهو الذي يُقرّر شكل التّصرف بُحاه هذه

=

هذا الحديث من غير هذا الوجه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بإسناد أصح من هذا. هذا حديث مرسل، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله، وفي الباب عن ابن مسعود». ولعلّ الترمذي يقصد الطريق التي أخرجه بها البخاري في "صحيحه" بلفظ: «إن العين نائمة والقلب يقظان» من طريق جابر -رضي الله عنه- (93/9) برقم: (7281) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-). قال ابن حجر: «ووصف الترمذي له بأنه مرسل: يريد أنه منقطع بين سعيد، وجابر، وقد اعتضد هذا المنقطع بحديث ربيعة الجرشي عند الطبراني فإنه بنحو سياقه وسنده جيد». [أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب، دار المعرفة: بيروت-لبنان، 1379 هـ. (256/13)].

(1) إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين: بيروت-لبنان، 1407 هـ - 1987 م. (204/1)، (517/2).

(2) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ص:127).

(3) أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، (ص:482).

(4) يُنظر: محمد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، (من ج1 إلى ج5) نشرته دار الوطن: الرياض-المملكة العربيّة السّعوديّة، الطبعة الأخيرة، 1413هـ، (من ج6 إلى ج29) نشرته دار الثريا: غنيزة- المملكة العربيّة السّعوديّة، الطبعة الأولى: 1431هـ-2010م. (300/7).

التصوّرات، ثمّ بعد ذلك يُرسلها إلى الدّماغ الذي بدوره يُرسل إشارات عصبية للجوارح بالذي ورد إليه من القلب (1).

وبهذا يحصل التّوافق بين النّصوص التي أسندت العقل إلى القلب، وبين العلوم التّجريبية التي أسندت العقل إلى الدّماغ، وينتفي التّعارض (2).

ثانياً: تماثل أوصاف النفس والقلب، والقلب والثّوَاد والعقل.

فقد ورد الاطمئنان كوصف من أوصاف النفس، كما ورد كصفة للقلب، فقد قال الله تعالى في وصف نفس المؤمن في أعلى مراتب صحتها وسوائها وكمالها: ﴿يَتَّيَبُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) [الفجر: ٢٧]. وقال تعالى في قلوب عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد: ٢٨]. وقال عزّ وجلّ عن المكروه على الكفر: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال سبحانه حكاية عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُّ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ولعلّ كون النصوص التي وصفت القلب

(1) وتوصّلت البحوث التي أجراها معهد: (رياضيات القلب/heart math) إلى أن هناك أربع طرق يتم بها التواصل بين القلب والدماغ، وهي كالتالي: عصبياً (من خلال نقل النبضات العصبية)، وكيميائياً (عن طريق الهرمونات والناقلات العصبية)، وفيزيائياً (من خلال موجات الضغط)، وحيويّاً (من خلال تفاعلات المجال الكهرومغناطيسي). بل اكتشفوا أن في القلب نفسه خلايا عصبية لها القدرة على التّعامل مع المعلومات، حتّى أطلقوا عليها اسم (دماغ القلب/heart brain).

يُنظر: Rollin McCraty, Ph. D. Director of Research, Heart Math Research Center: SCIENCE OF THE HEART -Exploring the Role of the Heart in Human Performance-, Published by: Heart Math Institute 14700 West Park Ave. P. O Box 1463 Boulder Creek, CA 95006, 2015,(vol2/page3).

(2) وهذا يدلّ على أن آيات الله تعالى المجلّوة التي تمثل القوانين التي تحكم هذا الكون على كل مستوياته في غاية التطابق والتكامل مع آيات الله المتلّوة المتمثلة في آيات القرآن الكريم وما صحّح من أحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأما إذا ظهر التناقض بينهما فالمشكلة يكمن إما في عدم ثبوت النص الشرعي، أو في خطأ العقل البشري إما من جهة عدم كفاية المعطيات والوسائل البحثية التي توفرت لديه أو محدودية ملاحظاته أو انحراف فهمه لنصوص الوحي أو غير ذلك. والعناية ببيان هذا التوافق بين الآيات الكونية والشرعية مما يزيد المؤمن إيمانا، ومما تحدّى الله تعالى به المكذّبين كما قال سبحانه: ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أُولَئِمُّ يَكْفُرُونَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].



بالاطمئنان أكثر من النصوص التي وصفت النفس بالاطمئنان راجع إلى ما في لفظة القلب من الدلالة على التقلب.

وكذلك الازدواجية التي وُصفت بها النفس من القابليّة للفجور والتقوى، في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧ - ٨]، وُصف بها القلب أيضاً، فُوصف بالتقوى كما وُصف بالإثم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ومن ذلك وصف الفؤاد والقلب بالرؤية، والمقصود بها الرؤية العلمية لا الحسيّة، فقال تعالى في الفؤاد: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «رآه بقلبه -صلى الله عليه وسلم-»<sup>(1)</sup>. وقال سبحانه في القلب: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦]. ووصف القلوب بالعمى دليل على أنّها آلة لحصول الرؤية.

ثالثاً: اقتران ومقابلة السمع والبصر بالفؤاد والقلب والعقل في النصوص بالأسلوب نفسه، وهو أنّ السمع والبصر آلتان يُتوصّل بهما إلى الإدراك والعلم بالحقائق الذي محله القلب، وحصول العمى والطبع في القلب يمنع هاتين الحاستين اللتين أنيط التكليف بهما من القيام بالوظيفة التي خلقهما الله لأجلها، كما قال ربنا سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

فمن اقتران السمع والبصر بالفؤاد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، الآية، قال ابن أبي زمنين: «يُسأل السَّمْعُ عما سمع، والبصر عما أبصر،

(1) أخرجه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن، (507/22). فعلى هذا يكون فاعل رأى هو الفؤاد، أي ما شكّ قلبه -صلى الله عليه وسلم- فيما رآه بعين بصيرته بل يتقن ذلك، وقيل في ذلك أقوال أخر. [يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (241/28)].

والقلب عما عزم عليه»<sup>(1)</sup>، قال الرازي: «ومعلوم أن السمع والبصر لا يستفاد منهما إلا ما يُؤدِّيانه إلى القلب، فكان السؤال عنهما في الحقيقة سؤالاً عن القلب»<sup>(2)</sup>، وقال أيضاً: «وذلك لأن هذه الحواس آلات النفس، والنفس كالأمر لها والمستعمل لها في مصالحها فإن استعملتها النفس في الخيرات استوجبت الثواب، وإن استعملتها في المعاصي استحققت العقاب»<sup>(3)</sup>.

ومن اقترانهما بالقلب قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، قال الطاهر بن عاشور: «والقلوب اسم لموقع العقول... ومعنى نفى الفقه والإبصار والسمع عن آلتها الكائنة فيها أنهم عطلوا أعمالها بترك استعمالها في أهم ما تصلح له، وهو معرفة ما يحصل به الخير الأبدي، ويدفع به الضر الأبدي، لأن آلات الإدراك والعلم خلقها الله لتحصيل المنافع ودفع المضار، فلمّا لم يستعملوها في جلب أفضل المنافع ودفع أكبر المضار، نفى عنهم عملها على وجه العموم للمبالغة»<sup>(4)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَنَطَّبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، والفاء في الآية عاطفة للتعقيب<sup>(5)</sup>، وذلك مُشعرٌ بأنّ الطبع على القلب سببٌ لعدم الاستماع للحقّ والانقياد له، كما أنّه كُلمًا صفاً للقلب وطهر فتح الله تعالى على صاحبه من دِقَّةِ السَّمْعِ والبصر بقدر طهارته، ولذلك لما خُصَّ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- بنزع العلقة التي في قلبه، والتي هي حظُّ الشَّيْطَانِ من ابن آدم التي بها يُوسوس له<sup>(6)</sup>،

(1) أبو عبد الله محمد المعروف بابن أبي زَيْنِين المالكِي، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط1، الفاروق الحديثة: القاهرة-مصر، 1423هـ - 2002م. (21/3).

(2) أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (530/24).

(3) المصدر السابق، (341/20).

(4) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (184/9).

(5) يُنظر: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، ط4، دار الإرشاد للشئون الجامعية: حمص-سوريا، 1415هـ. (416/3).

(6) لما ثبت عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني: ظفره-، فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره». [أخرجه مسلم في "صحيحه" (101/1) برقم: (162) (كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى السماوات وفرض الصلوات)].

كان يرى ما لا يراه غيره ويسمع ما لا يسمعه غيره<sup>(1)</sup>، وقد علّل النبيّ -صلى الله عليه وسلم- عدم سماع أصحابه لما يسمع من تعذيب الموتى في قبورهم بقوله: «ولولا تمرّيج قلوبكم أو تزئيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع»<sup>(2)</sup>.

ولما «جعل الله الحق على لسان عمر -رضي الله عنه- وقلبه»<sup>(3)</sup>، رأى وهو فوق المنبر يخطب ما يحدث للبعث الذي بعثه إلى أرض تبعد مسيرة شهر ليجاهدوا في سبيل الله وناداهم فسمعوه<sup>(4)</sup>.

(1) قال النبيّ -صلى الله عليه وسلم-: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون». [أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (510/2) برقم: (3905) (كتاب التفسير، ما في السماء موضع قدر أربع أصابع إلا ملك ساجد لله)؛ والترمذي في "جامعه" (145/4) برقم: (2312) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب في قول النبيّ -صلى الله عليه وسلم- لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً). وقال عقبه: حديث حسن غريب].

(2) والتمرّيج في اللغة يعني الاضطراب والاختلاط. [يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (315/5)]، وهذه الجملة أخرجها أحمد في "مسنده" (5241/10) برقم: (22723) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث أبي أمامة الباهلي -الصدّي بن عجلان بن عمرو ويقال ابن وهب الباهلي- عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم-)، وإسناده ضعيف، لأنّ فيه مُعَانَ بْنَ رِقَاعَةَ، قال فيه أبو حاتم: «يكتب حديثه ولا يحتجُّ به». [يوسف بن عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1400هـ-1980م. (158/28)]، وفيه أيضاً عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ، وقد ضَعَّفَهُ غير واحد من أئمة الحديث، وقال فيه البخاري: «منكر الحديث». [يُنظر: المصدر السَّابِق، (182، 181/28)]. ولكن سياق الحديث رواه ابن عباس قال: «مرَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على قبرين، فقال: أما إنهما ليُعَذَّبَان، وما يُعَذَّبَان في كبير... الحديث». [أخرجه البخاري في "صحيحه" (53/1) برقم: (218) (كتاب الوضوء، باب حدثنا محمد بن المثنى)؛ ومسلم في "صحيحه" (166/1) برقم: (292) (كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه)].

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (312/15) برقم: (6889) (كتاب إخباره -صلى الله عليه وسلم- عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، ذكر إثبات الله جل وعلا الحق على قلب عمر ولسانه)؛ وأحمد في "مسنده" (1932/2) برقم: (9336) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه)؛ والترمذي في "جامعه" (57/6) برقم: (3682) (أبواب المناقب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب) وقال: «حديث حسن صحيح».

(4) وهذه القِصَّة ثابتة وهي كرامة أكرم الله بها عمر -رضي الله عنه-، وليس هذا من باب علم الغيب ولكن من باب الإلهام وما يُسمَّى في الرِّمَن المعاصر بالتَّخاطُّر، وهو من خوارق العادات، ولا يدلُّ التَّخاطُّر بمجرَّده على الصِّلاح أو الوَلَاية، بل يحدث للمؤمن كما يحدث لغيره. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 (مكتبة المعارف). سبع مجلدات: ج(1-4): (1415هـ-1995م)، ج(6): (1416هـ-1996م)، ج(7): (1422هـ-2002م). (102-101/3)].

ومن اقتران السمع بالعقل قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ [الفرقان: ٤٤]، الآية. وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ٤٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠]. فالانتفاع من وظيفتي السمع والبصر متوقّف على وجود العقل، ولذلك فانتفاء العقل الذي يعي عن الله أمره ونهيه يعني انتفاء الانتفاع من حاسّتي السمع والبصر بتصديق الحق، وباعتبار عند النظر في المخلوقات التي خلقها الله تعالى، ولذلك وصف الله تعالى الذين لا يعقلون بالصّم والعمى الذين هما ضد السّم والبصر، فقال تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

رابعاً: وضع الرّوح موضع النّفس والنّفس موضع الرّوح. فبعض النصوص تُخبر بأنّ التي تُفارق البدن عند التّوم والموت، والتي تُنعم وتُعذب وتُقبض وغير ذلك من الأوصاف بأنّها النّفس، وفي بعضها الآخر بأنّها الرّوح. وهذا فيه أنّهما اسمان للمسمّى واحد.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]. فأخبر سبحانه أنّ التي يتوفّاها سواءً عند الموت أو التّوم هي الأنفس، وإنّما الذي يختلف هو طريقة التّوفي، ففي النوم يُعاد إرسالها إلى البدن في دار الدنيا حتى يحين أجل موتها، وأما في حال الموت فتُمسك ولا تُردُّ إلى البدن في الدنيا، كما قال تعالى بعدها: ﴿ فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢]. وثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه أوصى: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه -أي عند النوم-... ثمّ يقول: باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين»<sup>(1)</sup>. وهذا الحديث كالأية فيه نصٌّ على أنّ التي تُقبض وتُمسك عند الموت والنوم هي النفس.

وقد جاء أن الأرواح تتلاقى في المنام مع أن الأجساد مُتباعدة عن بعضها البعض، «فعن عمارة بن خزيمة بن ثابت أن أباه قال: رأيت في المنام كأني أسجد على جبهة النبي -صلى الله عليه وسلم-

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (70/8) برقم: (6320) (كتاب الدعوات، باب حدثنا أحمد بن يونس)؛ ومسلم في "صحيحه" (79/8) برقم: (2714) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع).

، فأخبرت بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «إن الروح لتلقى الروح» الحديث<sup>(1)</sup>، وذلك يتضمن أن التي تخرج عن البدن حال النوم هي الروح، وهي عينها التي أخبر الله تعالى أنه يتوفاها حين نومها حيث سمّاها بالنفس<sup>(2)</sup>.

وكما أخبر سبحانه أن التي يتوفاها عند الموت هي الأنفس كما في الآية السابقة، جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن التي تخرج من البدن عند الموت هي الروح: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»<sup>(3)</sup>. وفي حديث الأمر بالقيام للجنّازة، عبّر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنّ التي تُقبض هي النفس: «إنما تقومون إعظاماً للذي يقبض النفوس»<sup>(4)</sup>، وهو الله تعالى.

كما جاء أن التي ترجع إلى ربّها هي النفس، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلْ فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلْ جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، وقد جاء في الآثار

(1) أخرجه النسائي في "الكبرى" (106/7) برقم: (7584) (كتاب التعبير، من رأى النبي -صلى الله عليه وسلم-)؛ وأحمد في "مسنده" (5120/9) برقم: (22281) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث خزيمه بن ثابت رضي الله عنه)؛ والحديث صحّحه الألباني، وذكر أن الرواية التي وردت في المسند بالنفي تحريف، والصواب ما جاء بلام التأكيد (لتلقى)، لأمرين؛ الأول: لباقي الروايات الأخرى في النسائي وغيره، والثاني: أنها مخالفة للسياق، لأنّ خزيمه -رضي الله عنه- ذكر للنبي -صلى الله عليه وسلم- أنه رآه في المنام، والمناسب لذلك إثبات تلاقي الأرواح في المنام، لا نفيّه. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (781/7) برقم: 3263].

(2) وعليه فمن قال بأنّ التي تخرج عند النوم هي النفس وتبقى الروح، وبأنّ التي تخرج عند الموت هي الروح، كما حكى ذلك ابن الأنباري قائلاً: «...وفترّق بعض العلماء بين النفس والروح فقال: الروح هو الذي به الحياة، والنفس هي التي بها العقل. فإذا نام النائم، قبض الله نفسه، ولم يقبض روحه. والروح لا يقبض إلاّ عند الموت». [يُنظر: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1412هـ-1992م. (374/2)]، فهذا القول يُخالف هذه الأدلة، والذي يظهر أن هذا القول لجأ إليه بسبب الإشكال الحاصل بأن البدن عند النوم يتنفّس ويتحرّك، بخلاف البدن عند الموت فليس فيه شيء من ذلك، فكما اختلف حال البدن بين النوم والموت يلزم منه أن يختلف الخارج بينهما، وحلّ الإشكال في الآية نفسها حيث أخبر الله تعالى أن حالة التوفي هي التي تختلف لا المُتَوَفَّى.

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (38/3) برقم: (920) (كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر).

(4) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (357/1) برقم: (1324) (كتاب الجنائز، كان إذا رأى جنازة قام حتى يمر بها)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (27/4) برقم: (6983) (كتاب الجنائز، باب القيام للجنّازة)؛ وأحمد في "مسنده" (1383/3) برقم: (6684) (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما). حكم الحديث: صحيح. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (135/11)].

الكثيرة، أنّ هذا يُبشّر به المؤمن عند احتضاره، وعند قيامه من قبره يوم البعث<sup>(1)</sup>. ومن تلك الآثار الحديث الطويل، وفيه: أنّ ملك الموت يقول لنفس المؤمن: «أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان»، ويقول لنفس الفاجر: «اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى سخط من الله وغضب»<sup>(2)</sup>.

قال ابن تيمية: «والروح المدبّرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لما نام عن الصلاة: «إن الله قبض أرواحنا حيث شاء وردّها حيث شاء»<sup>(3)</sup>، وقال له بلال: «يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك»<sup>(4)</sup>... وفي الحديث الصحيح: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»<sup>(5)</sup>، فقد سمى المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحا ونفسا. وسمى المعرّج به إلى السماء روحا ونفسا<sup>(6)</sup>.

حامسًا: تفسير الفؤاد بالقلب والعقل، والقلب بالعقل، وقد نصّ على ذلك كثير من المفسّرين، كما قال ابن الجوزي: «قال المفسّرون والمراد بالأفئدة القلوب»<sup>(7)</sup>. وسأسوق بعضًا من أقوالهم في بعض الآيات للتدليل على ذلك.

(1) يُنظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1420هـ-1999م. (401-400/8).

(2) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (37/1) برقم: (108) (كتابُ الإيمان، مجيء ملك الموت عند قبض الروح وذكر ما يكون بعد ذلك في القبر للمؤمن والكافر)، وقال: هو على شرط البخاري ومسلم. قال الألباني: «وهو كما قال». [يُنظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي، مختصر العلو للعلي العظيم، تحقيق واختصار: محمد ناصر الدين الألباني، ط2، المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1412هـ-1991م. (ص:85)].

(3) أخرجه موطأ مالك في "موطأه" (كتاب وقوت الصلاة، النوم عن الصلاة). قال ابن عبد البر: «هذا الحديث في الموطآت لم يسنده عن زيد أحد من رواة الموطأ وقد جاء معناه متصلًا مسندًا من وجوه صحاح ثابتة». [أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مراجعة وتصحيح: مصطفى بن أحمد العلوي-محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية: المغرب، 1412هـ-1992م. (204/5)].

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (138/2) برقم: (680) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة).

(5) تقدّم تحريجه، (ص: 72).

(6) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة النبوية-المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م. (290-289/9).

(7) أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (111/4).

في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]. قال الطبري: «لنُصَحِّحَ به عزيمة قلبك»<sup>(1)</sup>. وقال ابن الجوزي: «لنُقَوِّي به قلبك»<sup>(2)</sup>. وقال ابن عاشور: «والفؤاد هنا العقل»<sup>(3)</sup>.

في قوله تعالى: ﴿وَلِنَصَعِّي إِلَيْهِ أَفْعِدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ الآية، [الأنعام: ١١٣]. قال الطبري: «ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة»<sup>(4)</sup>.

في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. قال ابن كثير: «والأفئدة وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح»<sup>(5)</sup>. قال القاسمي: «والأفئدة أي العقول»<sup>(6)</sup>. وقال ابن عاشور: «والأفئدة جمع فؤاد وأصله القلب ويُطلق كثيرا على العقل وهو المراد هنا»<sup>(7)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]، قال ابن عاشور: «والقلوب مستعملة في معنى الأذهان، على طريقة كلام العرب في إطلاق القلب على العقل»<sup>(8)</sup>.

سادسًا: العلاقة بين الأرواح هي نفسها العلاقة بين القلوب، وتلك العلاقة نوعان: الأول: التآلف الناتج عن التشابه، والثاني: التناكر والتباعد الناتج عن الاختلاف. جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»<sup>(9)</sup>.

(1) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (266/19).

(2) أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (320/3).

(3) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (19/19).

(4) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (58/12).

(5) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (590/4).

(6) محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (396/6).

(7) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (232/14).

(8) المصدر السابق، (599/1).

(9) أخرجه البخاري في "صحيحه" (134/4) برقم: (3336) (كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجنّدة)؛ ومسلم في "صحيحه" (41/8) برقم: (2638) (كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجنّدة). قال المناوي: «والتعارف هو التشاكل المعنوي الموجب لاتحاد الذوق الذي يدرك ذوق صاحبه فذلك علة الائتلاف كما أن التناكر ضده ولذلك قيل فيه: ولا يصحب الإنسان إلا نظيره... وإن لم يكونوا من قبيل ولا بلد». [محمد بن محمد بن تاج العرفين زين الدين المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط2، دار المعرفة للطبع والنشر: بيروت - لبنان، 1391هـ-1972م. (552/1)]. وقال ابن رسلان:

وقد أتى في غير ما آية أن القلوب تتآلف وتتشابه، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨]. فالتشابه في الأقوال نابع عن تشابه القلوب، وجعل هذا التآلف من أعظم نعمه على أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٦٦ ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٣] الآية. وما هذا التوادُّ الحاصل بين أهل الإيمان إلا لاتحاد مقاصدهم على عبادة الله تعالى وابتغاء القرب منه، أما المنافقون الذين تشعبت بهم المقاصد، فقد وصف الله حالهم بقوله تعالى: ﴿تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤].

وهذا التآلف يشمل الجانب السلوكي العملي (الأقوال والأعمال)، كما يشمل الجانب الوجداني الشعوري (العواطف والمشاعر)، فعن ابن مسعود، قال: «لا تسأل الرجل عمّا في قلبه لك، ولكن انظر ما في قلبك له، فإنّ لك في قلبه مثل ذلك»<sup>(1)</sup>. ولذلك أظهر الله تعالى لنا عدم إيمان المنافقين وكذبهم بالغيظ الذي يُكنّونه للمؤمنين، ولو كان ما في قلوبهم موافقا لما في قلوب المؤمنين من محبة الله تعالى وطلب مرضاته لما غاظهم أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]. إلى أن قال: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

=

«ويستفاد من الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فتش عن الموجب لتلك النفرة، ويبحث عنه بنور العلم، فإنه ينكشف له فيتعين عليه أن يسعى في إزالة ذلك وفي تصفيته بالرياضة والسياسة والمجاهدة الشرعية حتى يتخلص من ذلك الوصف المذموم فيميل لأهل الفضائل». [يُنظر: أحمد بن حسين أبو العباس بن رسلان المقدسي، شرح سنن أبي داود، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، ط1، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث: الفيوم-مصر، 1437هـ-2016م. (527/18)].

(1) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (341/11) برقم: (8623) (الباب الحادي وستون من شعب الإيمان: باب في مقارنة أهل الدين وموادتهم، وإفشاء السلام بينهم). والأثر في سنده انقطاع. ولكن ثبت بمعناه بعض الآثار في الاستدلال على المكنون الشعوري عند الآخر بالمكنون الشعوري في النفس، ومنها: «قال رجل ليحيى بن كثير: إني أحبك، فقال: قد علمت ذلك من نفسي». [يُنظر: أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1423هـ-2003م. (341/11)].



فكيف وقد وصل بهم الحال إلى الترنّص بأهل الإيمان أن يُصيبهم مكروه، والفرح بذلك وقد حذّر الله المؤمنين منهم وكشف حالهم، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ۗ﴾ (٧١) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۗ﴾ (النساء: ٧١-٧٣).

ولأجل هذه الخاصية التي وضعها في القلوب -من التآلف حال التوافق والتناكر حال التخالف- نفى الله تعالى أن تحصل مودة بين من آمن به ومن حادّه، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

## المبحث الثاني: مُميّزات كل مفردة من مفردات النفس الإنسانية في الكتاب

### والسنة.

مرّ في المبحث السابق بيان الوجوه والنظائر، والأدلة على تراؤف هذه الأسماء من جهة دلالتها على مُسمّى واحد ألا وهو (النفس الإنسانية)، وفي هذا المبحث بيان ما تميّز به هذه المفردات ويتباين به بعضها عن بعض من جهة ما تختص به من المعاني والصفات في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

### المطلب الأول: مُميّزات مفردة الروح والنفس والقلب من خلال الكتاب والسنة.

#### الفرع الأول: مُميّزات مفردة الروح من خلال الكتاب والسنة.

دلّت النصوص التي ورد فيها لفظ الروح مقصودا بها النفس الإنسانية على عدّة خصائص، وهي كالتالي:

أولاً: أنّ الرُّوح هو الجانب الذي تكون به حياة الجسد الآدمي، قال ابن الأثير: «المراد بالروح الذي يقوم به الجسد وتكون به الحياة»<sup>(1)</sup>، وقال الراغب: «وجعل اسماً للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرّك، واستحلاب المنافع واستدفاع المضارّ، وهو المذكور في قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الآية، [الإسراء: ٨٥]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ الآية، [الحجر: ٢٩]»<sup>(2)</sup>.

ثانياً: تتكلم عنها النصوص كذات قائمة بنفسها، مباينة للبدن إما قبل أن تُنفخ فيه كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل

(1) يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (271/2)؛ محمد جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (462/2).

(2) الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 369).

ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح» الحديث<sup>(1)</sup>. وإما بعد الانفصال عنه، كحديث: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»<sup>(2)</sup>.

ثالثا: لم يأت في النصوص توالي الأوصاف عليها، من التقوى والفجور والاطمئنان واللوم كما تواتت على النفس والقلب، بل غالبا ما تُذكر في النصوص مُضافة إلى الله تعالى أو أمره تشريفا وتكريما: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِي﴾ [الإسراء: ٨٥]. وفي ذلك ما يقتضي أنّها تحوي الجانب الخيري الذي فُطر عليه كلُّ إنسان من عبادة الله تعالى والالتزام بشرعه، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه»<sup>(3)</sup>. وقد تتمُّ المحافظة على هذه الفطرة وتنمو بالأعمال الصالحة وقد تنتكس وتُطمس بعد خضوعها للامتحان والابتلاء، وذلك بعد أن تُنفخ في الجسد ويكتمل نموها عند البلوغ، وإلا إذا لم يكتمل نموها بجنون أو عجز فإنَّ التَّكليف مرفوع عنها، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال -صلى الله عليه وسلم-: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»<sup>(4)</sup>.

رابعا: مادّة الروح تدلُّ على السَّعة والرَّاحة<sup>(5)</sup>، وذلك يُفهمنا أن البدن ضيق الأفق وملازم للتعب، وعليه فالمبالغة والإفراط في الانشغال بتلبية شهواته ومتطلباته من الطعام والشراب واللباس

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (111/4) برقم: (3208) (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة)؛ ومسلم في "صحيحه" (44/8) برقم: (2643) (كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته).

(2) تقدّم تحريجه، (ص: 72).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (100/2) برقم: (1385) (كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين)؛ ومسلم في "صحيحه" (52/8) برقم: (2658) (كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين).

(4) أخرجه ابن الجارود في "المنتقى" (60/1) برقم: (165) (فرض الصلوات الخمس وأبحاثها)؛ وابن حبان في "صحيحه" (355/1) برقم: (142) (كتاب الإيمان، ذكر الإخبار عن العلة التي من أجلها إذا عدت رفعت الأقدام عن الناس في كتبة الشيء عليهم)؛ والحاكم في "مستدرکه" (59/2) برقم: (2363) (كتاب البيوع، الرهن مخلوب ومركوب). حكم الحديث: صحيح. [يُنظر: محمد بن عبد الله أبو عبد الله وليُّ الدين التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، برقم: 3287، (980/2)].

(5) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (454/2).

وشهوة الجماع وغيرها، كُله يُعكّر على الروح صَفْوَهَا، تماما كما أنّ المبالغة في تلبية مُتطلّبات الرُّوح يُفقد البدن قُوّته ويورثه الضّعف الذي يُسبّب اضطراب وظائفه.

بيد أنّ التّوازن في الإشباع الروحي والجسدي يُحقّق الاستقرار والسّواء التّفسي، وقد أقرّ وصدّق النبيّ -صلى الله عليه وسلم- سلمانَ لما أوصى أبا الدرداء -رضي الله عنهما- قائلاً: «إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه»<sup>(1)</sup>.

ولذلك إذا تمتّع الشّخص بهذا التّوازن فإنّه ولا بُدّ سيّشعر بالرّاحة وسعة الصّدر أثناء العبادة والذّكر الذي هو غذاء الرُّوح، كما كان حاله -صلى الله عليه وسلم- مع الصّلاة، حيث كان يقول: «يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها»<sup>(2)</sup>. فكان النبيّ -صلى الله عليه وسلم- يجد في الصلاة راحة من تعب ونصب الدنيا، لما فيها من ذكر الله تعالى واتصال الروح بخالقها، ولما كان عليه من الهدى القويم المستقى من قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

### الفرع الثاني: مميّزات مُفردة النّفس من خلال الكتاب والسنة.

دلّت النصوص التي وردت فيها لفظة النّفس مقصوداً بها النفس الإنسانية على عدّة خصائص، وهي كالآتي:

أولاً: لا تتكلّم عنها النصوص إلّا عندما تكون مُتعلّقة بالبدن، على خلاف الروح التي تتكلم عنها النصوص كذات مُجرّدة قائمة بذاتها<sup>(3)</sup>، فقد ثبت أنّ الملائكة لما تأتي لقبضها، يُنادونها بالنّفس لا الرُّوح، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظّٰلِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطَوٰٓآ أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوهُمُ

(1) تقدّم تحريجه، (ص: 35).

(2) أخرجه أبو داود في "سننه" (453/4) برقم: (4985) (كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة). صحّحه الألباني [يُنظر: محمد بن عبد الله أبو عبد الله وليّ الدين التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (393/1)، برقم: 1253].

(3) يُنظر: محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، ط10، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1417هـ-1997م. (567/2-568).

أَنْفُسَكُمْ ﴿[الأنعام: ٩٣]. وثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- قوله: «إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح، قال: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في جسد طيب،... وإذا كان الرجل السوء، قيل: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث،...» الحديث (1)، ولكن بعد أن تخرج النفس من البدن، لم يأت نعتها بالنفس وإنما بالروح، ولذلك حين تمر الملائكة المكلفة بالقبض على الملائكة في السماء، يسألونهم: «ما هذه الروح الطيبة... ما هذه الروح الخبيثة»، ولا يقولون: ما هذه النفس. وكذلك لما يُأمرون بإعادتها إلى البدن قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «فتعاد روحه» (2)، ولم يقل فتعاد نفسه. وكثيرة هي الآيات التي ذكرت قتل النفس وموتها، كقوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا﴾ [المائدة: ٣٢]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأً مُّوجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥]. ولم يأت في النصوص أنّ الروح تموت، وإنما الذي ذُكر أنّ التي تموت هي النفس (الروح حال اتّصالها بالبدن)، وموتها يعني انفصالها عن الجسد لا فناءها، لأنّه جاء في النصوص الكثيرة بقاء الأرواح بعد خروجها من الأجساد في نعيم أو عذاب (3).

ثانيًا: ذكرت النصوص أنّ النفس فيها الخير والشر، وأنها مُلهمّة بالفجور والتقوى، قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧-٨]. وهي بحسب ما غلب عليها أَمارة بالسوء أو لَوامة أو مطمئنة، ولكن مع انصرافها لإحدى خاصيتي التقوى والفجور، فإن ذلك لا

(1) أخرجه النسائي في "الكبرى" (235/10) برقم: (11378) (كتاب التفسير، قوله تعالى وآخر من شكله أزواج)؛ وابن ماجه في "سننه" (5 / 329) برقم: (4262) ( أبواب الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له)؛ وأحمد في "مسنده" (2 / 1841) برقم: (8890) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه). قال الدارقطني: «برويه ابن أبي ذئب، واختلف عنه... والصحيح عن ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة». [العلل الواردة في الأحاديث النبوية، (13/11)].

(2) أخرجه أحمد في "مسنده" (8/4222) برقم: (18832) (أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث البراء بن عازب رضي الله عنه). صحّحه الألباني. [يُنظر: محمد بن عبد الله أبو عبد الله وليّ الدين التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، برقم: (1630)، (513/1)].

(3) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الروح، (ص:34)؛ محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (570/2).

يمنع احتماليّة الانزياح للطرف الآخر، ما دام أن الله تعالى قد ركب فيها الخاصيتين، ومنحها حقّ الاختيار بين سبيل الخير والتقوى وسبيل الشرّ والفجور، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْتُهُ التَّجْدِينَ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠] <sup>(1)</sup>. ثمّ حملها تبعة الاختيار بين سلوك أحد الطريقتين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩-١٠].

ثالثاً: النَّفْس هي مجموعة السمات الثابتة ثباتاً نسبياً في الإنسان، وهي خلاصة وحصيلة الأخلاق التي تحلّى بها الشخص حتّى صارت له طبعاً. وذلك لأنّ الأوصاف التي وُصفت بها النفس في النصوص جاءت بالاسم، والاسم - في العربية - يدل على الثبوت واللزوم <sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، وقال: ﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة: ٢]. وقال: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧].

وضابط النسبيّة مُهمّ، ذلك أنّ هذه الصّفات: (الأمّارة بالسُّوء، اللّوامة، المطمئنة) أتت على صيغ أسماء فاعلين، واسم الفاعل يدل على الحدث والذات الفاعلة لهذا الحدث، فهو يُشارك الفعل - الذي يدل على الحدث وزمن وقوعه - في دلالاته على الحدث، ولكن لا يدل على زمن مُعيّن كما يدل عليه الفعل، وبالتالي فهو وسط بين الفعل الدال على الحدث والتجدد باستمرار وبين الأسماء الجامدة التي ليس فيها معنى الحدث.

وهذا يُفيد أمرين: الأوّل: أنّ النَّفْس مهما استقامت فصارت مطمئنة أو انحرفت فصارت أمّارة بالسُّوء، فإن ذلك لا يقطع الصّراع بين نوازع الخير ونوازع الشر في النَّفْس، قال بن القيم - بعد ما ذكر النفس المطمئنة والأمّارة -: «والحروب مستمرة لا توضع أوزارها إلا أن يُستوفى أجلها من

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (437/24)؛ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (477/9).

(2) يُنظر في دلالة الاسم على الثبوت واللزوم: محمد بن عبد الحق العمري الطرابلسي، درر الفرائد المستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة (في علوم المعاني والبيان والبدیع)، تحقيق: د. سليمان حسين العميرات، ط1، دار بن حزم: بيروت-لبنان، 1439هـ-2018م. (ص:238).

الدنيا»<sup>(1)</sup>. والثاني: إمكانيّة تغيير ما بالنفس من الأخلاق والصفّات من الأسوء إلى الأحسن، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]<sup>(2)</sup>.

رابعاً: الغالب على النفس الميل إلى الأهواء والشهوات، وذلك لما جبلها الله عليه من محبة الشهوات من النساء والبنين والأموال، وذلك لا على سبيل الإلجاء الذي لا يمكن تركه، بل على سبيل التزيين الذي يستميل النفس مع إمكان ردّها عنه؛ ليتّم بذلك الابتلاء وتحصل المجاهدة<sup>(3)</sup>، قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]. وقال النبيّ -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله كتب على ابن آدم حظّه من الرّزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمّنى وتشتهي، والفرج يُصدّق ذلك كلّه ويكذّبه»<sup>(4)</sup>. وكان من هديه -صلى الله عليه وسلم- في خطبة الحاجة قوله: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا»<sup>(5)</sup>، ولم يُؤثر عنه في أحد روايات هذا الحديث أنه قال نعوذ بالله من شرور أرواحنا. ولذلك جاء الأمر بلزومها حتّى لا تزيغ وتضلّ، وعدم الاشتغال عنها بغيرها ولو كان المشتغل به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا

(1) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، ط1، دار المعرفة: المغرب، 1418هـ-1997م. (ص: 157).

(2) أكثر المفسرين على أنّ المراد: لا يُغَيِّرُ الله ما يقوم من النعم فيحبسها عنهم حتّى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم بالانتكاس من الطاعة والعدل إلى المعصية والظلم، وهذا ما يُوافق تمام الآية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ [الرعد: ١١]. [يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (20/19)]. ولكن عموم اللفظ يشمل التغيير من المعصية إلى الطاعة كما يشمل العكس. [يُنظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن مُعَلَّل اللُّؤبُجِيُّ، ط1، مكتبة العبيكان: الرياض-المملكة العربيّة السّعوديّة، 1422هـ-2001م. (ص: 414)]، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذْقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦].

(3) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (368/6).

(4) أخرجه البخاري في "صحيحه" (54/8) برقم: (6243) (كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج)؛ ومسلم في "صحيحه" (52/8) برقم: (2657) (كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظّه من الرّزنا وغيره).

(5) أخرجه ابن الجارود في "المنتقى"، (251/1) برقم: (736) (كتاب النكاح)؛ والحاكم في "مستدرکه" (265/1) برقم: (984) (كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، الدعاء المبارك)، والترمذي في "جامعه" (398/2) برقم: (1105) (أبواب النكاح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في خطبة النكاح)، وقال الترمذي: «صحيح».

أَهْتَدَيْتُمْ ﴿[المائدة: ١٠٥]. وجاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في تفسير هذه الآية، قوله: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، ودع أمر العوام»<sup>(١)</sup>. وقد رتب المصير الحسن على نهيها عن اتباع الأهواء، والمصير السيء على إيثار الملذات العاجلة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

ومن رحمة الله بعباده أنه راعى في نفوسهم هذه الطبيعة الميالة إلى الشهوات والمتعرضة للخواطر في الأحكام التي شرعها لهم، فلم يؤاخذهم على حديث النفس إذا كان فيما هُوهوا عنه، ما لم يؤل إلى التكلم أو العمل، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله تجاوز عن أمّتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»<sup>(٢)</sup>.

أمّا إذا كان حديث النفس عن شيء مأمور بفعله شرعاً، فإنّ المؤاخذة تُرفع عن العبد بعدم فعله إذا لم تتوفّر دواعيه بمجرّد حديث النفس، لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق»<sup>(٣)</sup>. فدلّ بمفهوم المخالفة من الشرط أنّ مجرّد تحديث العبد نفسه بالغزو رافع عنه وصمة النفاق إذا لم تتوفّر دواعي الغزو ولم يمنع مانع منه<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (108/2) برقم: (385) (كتاب البر والإحسان، ذكر إعطاء الله جل وعلا العامل بطاعة الله ورسوله في آخر الزمان أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله)؛ والحاكم في "مستدرکه" (322/4) برقم: (8007) (كتاب الرقاق، أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة)؛ وأبو داود في "سننه" (215/4) برقم: (4341) (كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي)؛ والترمذي في "جامعه" (146/5) برقم: (3058) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ومن سورة المائدة)؛ وابن ماجه في "سننه" (146/5) برقم: (4014) (أبواب الفتن، باب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (145/3) برقم: (2528) (كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق)؛ ومسلم في "صحيحه" (81/1) برقم: (127) (كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (49/6) برقم: (1910) (كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو).

(٤) وقد ذهب بعض الشراح إلى أنّ المراد بحديث النفس هنا العزم وانعقاد النية [يُنظر: علي بن محمد الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (2470/6)؛ يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني أبو المظفر الوزير، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق:



وكفُّ المسلم عن تحديث نفسه بمشاغل الدنيا وحِرْصُه على حضور قلبه في الصلّاة، ممَّا تقوى به الصلّاة على أن تكون سببا في مغفرة الله تعالى لما مضى من ذنبه، قال النبيّ -صلى الله عليه وسلم-: «من تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(1)</sup>.

وتنجلي هذه الميزة بشكل أكثر إذا التفتنا إلى أن وصف الأمر بالسوء واللوم أتى بصيغة المبالغة، ممَّا يعني أن النفس يكثر منها الأمر بالسوء، ويكثر منها اللوم.

وإن كان واضحا معنى الأمانة بالسوء أمَّا نفس تأمر بالفجور، وأنَّ المطمئنة نفس مؤمنة، فقد اختلف في المراد بالنفس اللّوامة في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ [القيامة: ٢]. على أقوال<sup>(2)</sup>. وعند تتبع هذه الأقوال نجد أمَّا ترجع إلى ثلاث اعتبارات وهي كالتالي: أوّلا: هل هذه النفس الموصوفة بكثرة اللوم هي نفس المؤمن أو الفاجر أو كل إنسان؟ ثانيًا: هل اللوم هذا يكون في الدنيا أو في الآخرة؟ ثالثا: على ماذا يقع اللوم؟

والذي يتناسب مع سياق الآية: أمَّا نفس المؤمن، لأنَّ الله تعالى أقسم بها والقسم وهو تأكيد الكلام بذكر مُعْظَم<sup>(3)</sup>، ونفس الفاجر حقيرة لا تصلح للتعظيم.

=

فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن: الرياض-المملكة العربيّة السّعوديّة، 1417هـ. (73/8). ولكن هذا الوجه خلاف ما يقتضيه ظاهر الحديث، ولذلك قال الأمير الصنّاعيُّ: «فقوله: (ولم يحدث نفسه) لا يدل على العزم الذي معناه عقد النية على الفعل بل معناه هنا: لم يخطر بباله أن يغزو ولا حدّث به نفسه ولو ساعة من عمره ولو حدّثها به وأخطر الخروج للغزو بباله حيناً من الأحيان خرج من الاتصاف بخصلة من خصال النفاق». [محمد بن إسماعيل الأمير الصنّاعي، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلّة الأحكام، تحقيق: عصام الصبّاطي وعماد السيّد، دار الحديث: القاهرة-مصر، 1507هـ-1994م. (459/2)].

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (43/1) برقم: (159) (كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثا ثلاثا)؛ ومسلم في "صحيحه" (141/1) برقم: (226) (كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (49/24-50)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (720/30-721)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (368/4)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (338/29-339)؛ محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الرُّوح، (ص: 225-226).

(3) يُنظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون: بيروت-لبنان، 1436هـ-2015م. (ص: 675).

ثمَّ إنَّ إقرانها مع يوم القيامة يحتمل معنيين: الأوَّل: أنَّها تلوم نفسها يوم القيامة على عدم الزيادة، ويرد على هذا المعنى: أنَّ اللوم لا يتناسب مع حالة الفرح الذي وصف الله به المؤمنين عند دخولهم الجنة، ولكن ثبت أن أهل العافية يتمنون لو أنَّهم ابتلوا وصبروا حتى ينالوا أجر أهل البلاء من المؤمنين، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض»<sup>(1)</sup>. وكذلك ثبت أنَّ الشُّهداء يسألون الله تعالى بأن «ترد أرواحنا في أجسادنا فنقاتل في سبيل الله فنقتل مرة أخرى»<sup>(2)</sup>. وبالتالي هذا اللوم والتمني الذي يتمناه أهل الجنة أنَّهم لو تباح لهم فرصة أخرى للاجتهاد أكثر في الصالحات ليس كالندم الذي يُعانيه أهل النار -عياذاً بالله منها-، فهذا الأخير مشوب بضيق الصدر والألم، وأما الآخر فمشوب بالفرح بفضل الله تعالى والطمع في رحمته سبحانه.

الثاني: أنَّها تحاسب صاحبها في الدنيا على التقصير في طاعة الله عزَّ وجلَّ، وهذا الجانب هو المهم، وكل ذلك استعداداً ليوم الحساب الذي ذُكر وصفه بعدها في قوله تعالى: ﴿يَبْتَؤُاْ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمًا قَدَمًا وَأَخْرَجَ ۝١٣﴾ [القيامة: ١٣]. ولذلك قال الحسن البصري: «إن المؤمن -والله- ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قُدماً ما يعاتب نفسه»<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثالث: مميّزات مُفردة القلب من خلال الكتاب والسنة.

يتحصّل من النصوص التي ذكرت مُفردة القلب، عدّة مميّزات لهذه المفردة عن المفردات الأخرى، وهي كالآتي:

(1) أخرجه الترمذي في "جامعه" (206/4) برقم: (2402) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم، باب)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (375/3) برقم: (6649) (كتاب الجنائز، باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من الصبر على جميع ما يصيبه من الأمراض)؛ والطبراني في "الصغير" (156/1) برقم: (241) (باب الألف، باب من اسمه إبراهيم). والحديث حسَّنه الألباني. [ينظر: محمد بن عبد الله أبو عبد الله وليُّ الدين التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، برقم: (1570) (494/1)].

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (38/6) برقم: (1887) (كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة).

(3) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (275/8).

أولاً: أنّه المحلّ الحسيّ الذي تتعلّق عنده الروح بالبدن، وهو «مستكن في الفؤاد، وهو بيت النفس، ومسكن العقل، وسمي قلباً لتقلبه»<sup>(1)</sup>، وهو هذا العضو الصنوبري المعروف أنه موجود في الصدر، لقول النبيّ -صلى الله عليه وسلم-: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(2)</sup>. ولقوله تعالى: ﴿فَإِنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. فهذا النصفان صريحان في أن المقصود بالقلب -الذي به إدراك المعاني، وعلى حركته يترتب صلاح السلوك أو فساده- هو هذه المضغة الموجودة في الصدر<sup>(3)</sup>.

ولا شك أن من وظائف هذه المضغة جسدياً (فيزيولوجياً) هي ضخّ الدّم الميحمّل بالغذاء والأكسجين إلى سائر أعضاء البدن، ولكن وظيفة العقل والفقّه والتدبّر إنّما هي وظائف للنفس التي تتعلّق بهذا القلب. وإلا لو لم يكن القلب هو المحلّ الذي تتعلّق به الرّوح فلا معنى لذكر هذه الأوصاف الكثيرة لهذه المضغة دون سائر أعضاء وجوارح البدن. وممّا يُؤكّد هذا المعنى أنّ الرّوح تُحدث حركة في الصّدر عند خروجها في سكرات الموت<sup>(4)</sup>.

(1) أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (30/1).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (20/1) برقم: (52) (كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه)؛ ومسلم في "صحيحه" (50/5) برقم: (1599) (كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات).

(3) اختلف في طريقة تعلق الروح بالبدن، فمنهم من جعلها هذا الهواء المتردد فيه، ومنهم من قال هي عرض من أعراضه (أي لا قيام لها بذاتها وإنما تقوم بالبدن فإذا زال البدن زالت)، ومنهم من قال ليست متحدة بالبدن وإنما تتصرف فيه من بعيد كتصرف الملك في مملكته، ومنهم من قال هي داخل هذا البدن. [يُنظر في سرد هذه الأقوال ومناقشتها: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (398-397/21)؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي: القاهرة-مصر. (47/5)]. وهذا أمر غيبي فالخوض فيه بدون وحي تعب ليس وراءه أرب. ولكن الأقرب لما دلّت عليه النصوص، أن الروح مخلوق لله تعالى قائم بذاته غير البدن وهو مُشابه للبدن ويجيا البدن ما استمرّت هذه المشابكة، لما جاء في النصوص من ذكر أن الروح تُنفخ من البدن وتخرج منه وتعود إليه، والروح عين قائمة بذاتها ليست بعرض، وهي تصعد وتنزل وتُنعّم وتُعذّب، والحاصل أنّها ليست من جنس هذه الأجسام الترابية الكثيفة، ولذلك قياسها عليها وتوهم أنّها يلزم من صفاتها هذه ما يلزم من صفات الأجسام المشهودة غلط، لأنّه قياس مع الفارق. [يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (341-340/17)].

(4) وجاء هذا في حديث عن أسامة-رضي الله عنه- قال: «كان ابن لبعض بنات النبي -صلى الله عليه وسلم- يقضي -أي تعزّيه سكرات الموت-، فأرسلت إليه أن يأتيها، فأرسل إن لله ما أخذ، وله ما أعطى وكل إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه، فأقسمت عليه، فقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقمت معه. ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبادة بن

وهذا من تمام الاتّساق والإبداع في صنع الله تعالى حيث جعل المحل الذي تتعلق به الروح هو نفسه الذي يتوقف عمل كل البدن على حركته. ولا يمنع القول بأن المحل الذي تتعلق به الروح أساسا هو القلب، أن يكون للروح نوع تعلق ببقية أعضاء الجسد، به يكون حياتها، للأدلة التي أطلقت تعلق الروح بالجسد، ولذلك قال الآمدي - في تعريف الرُّوح -: «هي عبارة عن جسم لطيف بخاري منشؤه القلب، وهو منبع الحياة والنفس»<sup>(1)</sup>.

ثانياً: القلب هو مجمع المقاصد ومدار التكليف. قد يكون السلوك سيئاً في نفسه من جهة الحكم الشرعي، ولكن لا تترتب عليه آثاره لمجرد عدم قصد القلب وتوجّهه إلى العلة التي من أجلها حرّم هذا الفعل. فالكفر مثلاً - قولاً كان أو فعلاً - يُخرج صاحبه من دائرة الإسلام ويُفقدته كلّ ما يترتب على إسلامه من المصالح في الدنيا والآخرة، ولكن لو وقع في الكفر ظاهراً بلسانه أو فعلاً مكرهاً غير عازم بقلبه فإنّ الكفر لا يقع عليه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]. وإذا كان الكلام الذي يكفر به المسلم ويخرج به من الملة لا عبرة به حالة الإكراه واطمئنان القلب بالإيمان، فما دونه من الكلام كأنواع العقود من النكاح والبيع والعقود وغيرها من باب أولى عدم الاعتداد به في حالة الإكراه<sup>(2)</sup>.

الصامت فلما دخلنا، ناولوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصبي، ونفسه تَقَلُّلٌ في صدره، حسبته قال: كأنها شنة، فبكى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال سعد بن عباد: أتبكي؟ فقال: إنما يرحم الله من عباده الرّحماء». [أخرجه البخاري في "صحيحه" (133/9) برقم: (7448) (كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين)؛ ولفظ: (وروحه تَقَلُّلٌ في صدره) عند ابن ماجة في "سننه" (523/2) برقم: (1588) (أبواب الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت)]. وتَقَلُّلٌ: أي تُحدث صوتاً شديداً جزأً حركتها. [يُنظر: إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق ابن قرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر، 1433هـ-2012م. (364/4)]. والشنة: هي القرية البالية. [يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (506/2)].

(1) أبو الحسن سيف الدين الآمدي، المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق: حسن محمود الشافعي، ط2، مكتبة وهبة: القاهرة-مصر، 1413هـ-1993م. (ص: 108-109).

(2) يُنظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 450).

ولذلك فالله تعالى لا يُؤاخذ عباده بمجرد السلوك الظاهري الذي تجري عليه أحكام النَّاس في الدنيا، وإنما يُؤاخذ على ما عمّدت إليه القلوب وكسبته، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. وقال سبحانه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بأصابعه إلى صدره»<sup>(١)</sup>. وأخبر سبحانه عن نفسه أن الذي يُريده منّا هو التقوى التي تقوم بالقلوب، قال تعالى عن التقرب إليه بالذّبائح من الأنعام: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوى مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]<sup>(٢)</sup>، وقد جاء بيان أن التّقوى محلّها القلب، قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات»<sup>(٣)</sup>.

وقد يكون السلوك الظاهريّ صالحا ولكن يترتب عليه عكس ما يقتضيه هذا الظاهر لمجرد انحراف قصد القلب عن المقصد الذي شرع من أجله هذا العمل الصالح، ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- قوله: «من تعلّم علما مما يتنغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عَرْف الجنة<sup>(٤)</sup> يوم القيامة»<sup>(٥)</sup>. وأمّا من تعلّم علما يُتقرب إلى الله بتعلمه طلبا لمرضاة الله مع إصابة العرض الدنيوي فإنّه لا يدخل تحت هذا الوعيد؛ لأن الوعيد في الحديث محصور فيمن لا دافع

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (11/8) برقم: (2564) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره).

(2) وقد جاء في سبب نزولها أن المسلمين ابتغوا التشبّه بالمشرّكين في تلطيخ الكعبة بدماء الذبائح التي يتقربون بها. [يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (239/3)].

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (10/8) برقم: (2564) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره).

(4) وعَرْف الجنة هو: رائحتها الطيبة. [يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (217/3)].

(5) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (279/1) برقم: (78) (كتاب العلم، ذكر وصف العلم الذي يتوقع دخول النار في القيامة لمن طلبه)؛ والحاكم في "مستدرّكه" (85/1) برقم: (287) (كتاب العلم، مذمة تعلم علم الدين لغرض الدنيا)؛ وأبو داود في "سننه" (361/3) برقم: (3664) (كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله)؛ وابن ماجه في "سننه" (169/1) برقم: (252) (أبواب السنة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به). والحديث صحّحه الألباني. [يُنظر: محمد بن عبد الله أبو عبد الله وليّ الدين التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، برقم: 227، (77/1)].

له إلى التعلّم إلاّ العرض الدُنْيوي الآجل، ويشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الآية، [النساء: 134] (1).

وقد يهّم القلب إلى عمل الخير ثمّ بعد ذلك تقعد بصاحبه ظروفه أو يَضْعُف نشاطه عن ذلك، فمن كرم الله -عزّ وجلّ- أنه يكتب له ذلك كاملاً كأنّه عمله جزاءً على همّ قلبه، قال النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «-وكان في غزاة- إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شِعْباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه حسبهم العذر» (2). وهذا على خلاف الهمّ بالسيئة، قال النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعلمها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعلمها كتبها الله له سيئة واحدة» (3). وهذا في الهمّ وهو دون العزم.

أما العزم الذي تنعقد فيه نيّة القلب على الفعل بحيث لو خُلِّي بينه وبين ما عزم عليه لَفَعَلَهُ فإن السيئة فيه كالحسنة (4)، جاء في الحديث: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم الله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته، فوزرهما سواء» (5). وقد توعّد الله تعالى بالعذاب الأليم من قام بقلبه إرادة

(1) يُنظر: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح مشكاة المصابيح، (683/2).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (26/4) برقم: (2838) (كتاب الجهاد والسير، باب من حسبه العذر عن الغزو).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (103/8) برقم: (6491) (كتاب الرقاق، باب من همّ بحسنة أو بسيئة؟) ومسلم في "صحيحه" (83/1) برقم: (131) (كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت وإذا همّ بسيئة لم تكتب).

(4) يُنظر: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط1، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، 1347هـ-1929م. (151/2).

(5) أخرجه الترمذي في "جامعه" (153/4) برقم: (2325) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر؟ وابن ماجه في "سننه" (306/5) برقم: (4228) (أبواب الزهد، باب النية؟) والبيهقي في "سننه الكبير" (189/4) برقم: (7922) (كتاب الزكاة، باب وجوه الصدقة وما على كل سلامى من الناس منها كل يوم)، وأحمد في

الظلم في المسجد الحرام<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ نُدْقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وكلُّ مؤمن يعتقد اعتقاداً جازماً بأنَّ الله تعالى هو المتصرِّف المدبِّر لكلِّ شيءٍ، ولكنَّ حُصَّ تصريفه وتدييره سبحانه للقلب بالذِّكر لشرفه، وكونه مُتَّصِل الرُّوح بالبدن وملك الجوارح، إذ هو الخاصية الإنسانية التي تعلق بها التكليف وحمل الأمانة، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فهو سبحانه وحده الذي يعلم ما تُكِنُّ الصُّدُور، وهو القادر وحده على أن يفصل ويمنع الاتصال بين عزم ونية القلب وبين تصرُّفات المرء الجسمانية<sup>(2)</sup>.

ثالثاً: القلب هو آلة العلم النافع، والعمل الصالح.

فكما أنَّ كل عضو خُلِق لأجل وظيفة مُعيَّنة وهياً بالقُوَّة المناسبة التي تُسَعِّفه على أداء وظيفته، ولا يتأتى منه ما خُلِق لأجله على وجه التَّمَام والسَّدَاد إلا إذا كان صحيحاً وسالماً من نوعين من الآفات. النوع الأوَّل: الآفات التي تُفقد القدرة على أداء وظيفته من الأساس، كالعمى الذي يصيب العين، والخرس الذي يُصيب اللسان. والنوع الثاني: الآفات التي تُعيقه عن تمام وظيفته وكما لها، وذلك كالعشا الذي يُصيب العين<sup>(3)</sup>، واللُّثْغَة التي تُصيب اللسان<sup>(4)</sup>.

"مسنده" (4078/7) برقم: (18309) (مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه)، قال الترمذي-عقب الحديث-: «هذا حديث حسن صحيح».

(1) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (602/18).

(2) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (315/9).

(3) قال الجوهري: «الأعشى، وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار». [إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (2427/6)]. وقال الرَّاغِب: «العشا: ظلمة تعترض في العين». [الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالرَّاغِب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 568)].

(4) وهي ثقل في اللسان يُسبب صعوبة في النطق ببعض الحروف. [يُنظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ص: 787)].

فكذلك القلب -الذي هو ملك الجوارح- خلقه الله وهيأه بقوتين: قوة العلم والتمييز وقوة الإرادة والمحبة<sup>(1)</sup>، وصحّته وسلامته باستعمال هاتين القوتين في الوظيفة التي خلقه الله تعالى لأجلها، وذلك بأن يُسخّر هاتين القوتين في العلم بالحق وتمييزه عن الباطل، ومحبته وإيثاره على أهواء نفسه وميولاتها، والله تعالى هو الحقّ، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢]. ولذلك لا تسكن النفوس ولا تطمئن القلوب إلا بذكره عزّ وجلّ: ﴿أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(٢٨)</sup> [الرعد: ٢٨]، والقرآن الذي هو كلامه المتضمن أخباره التي كلها صدق، وأحكامه التي كلها عدل هو الحقّ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ [فاطر: ٣١]. ولذلك جعل فيه الشفاء من أمراض القلوب وآفاتهما لمن آمن به وأقبل عليه، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

ومع ثبوت خطر اللسان وعظيم أثره على الجوارح، لما جاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وموقوفاً: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان<sup>(2)</sup>، فتقول اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»<sup>(3)</sup>، فإن ربنا سبحانه قد أسند الإثم إلى القلب عند كتمان الشهادة<sup>(4)</sup>، مع أنّ كتمان الشهادة ذنب لساني، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا

(1) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، مكتبة المعرفة: بيروت-لبنان، 1395هـ-1975م. (24/10-1).

(2) أي: تدلّ وتخصّص. [يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (4/188)].  
(3) أخرجه الترمذي في "جامعه" (208/4) برقم: (2407) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في حفظ اللسان)؛ وأحمد في "مسنده" (2512/5) برقم: (12089) (مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)، وأخرجه غيرهما، والحديث: روي عن حماد بن زيد، واختلف عليه هل وقف به على أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، أم رفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد خرّج الترمذي الروایتين، ثمّ قال عن رواية الوقف: «وهذا أصح من حديث محمد بن موسى، هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد، ولم يرفعه». وهذا ترجيح من الإمام الترمذي لرواية الوقف، ولكن مع ذلك فإنّ هذا لا يعني نزع حكم الوقف الرّاجحة، لا سيّما وأنّ هذا ممّا لا يُقال بالرّأي. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (18/402-403)].

(4) وهذا الإسناد قائم دائماً، سواء على إعراب آثم خبراً لأنّ، وقلبه فاعل مرفوع بآثم، أو على جعل الهاء في (إنّه) ضمير الشان، وآثم خبر مُقدّم وقلبه مبتدأ مؤخّر. [يُنظر: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، (1/444)].



الشَّهَادَةُ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ [البقرة: ٢٨٣] الآية، ذلك لأنَّ مبدأ كلِّ ذنبٍ إنما هو إصرار القلب وعزمه ونيتته<sup>(1)</sup>. وعليه: فإنَّ الجوارح إذا كانت تنقاد للسان، فإنَّ اللسان مع الجوارح كُلُّها خاضعة للقلب.

والقلب من أعظم خواصه الثقل والتحول من حال إلى آخر، لما جاء عنه -صلى الله عليه وسلم-: «إنما سمي القلب من تقلُّبه، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة، يقلبها الريح ظهرا لبطن»<sup>(2)</sup>. وهذا التقلُّب بسبب اختلاف نوع القرارات والمواقف التي يتخذها ممَّا يرد عليه من الفتن، وكان -صلى الله عليه وسلم- يُكثر أن يدعو: «يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك»<sup>(3)</sup>.

وقد مثَّل النبي -صلى الله عليه وسلم- حال القلب مع هذه الواردات بقوله: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عَوْدًا عَوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكَتَ فِيهِ نَكْتَةُ سُودَاءٍ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكَّتَ فِيهِ نَكْتَةُ بِيضَاءٍ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصَّفَاءِ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجْحِيًّا<sup>(4)</sup> لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يَنْكُرُ مَنْكَرًا إِلَّا مَا

(1) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (1/253)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (3/128).

(2) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (1/66) برقم: (88) (أبواب السنة، باب في القدر)؛ وأحمد في "مسنده" (8/4528) برقم: (19972) (أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه). وصحَّحه الدارقطني في العلل الواردة مرفوعا، وأعله موقوفًا. [يُنظر: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، (7/247)].

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (3/222) برقم: (943) (كتاب الرقائق، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من التملق إلى الباري في ثبات قلبه له على ما يجب من طاعته)؛ والحاكم في "مستدرکه" (1/525) برقم: (1932) (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن)؛ والترمذي في "جامعه" (5/495) برقم: (3522) (أبواب الدعوات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب). وقال الترمذي: «وهذا حديث حسن».

(4) فمثَّل قلب المؤمن بالصَّفَاء: وهو الحجر المتين الأملس الذي لا يعلِّق به شيء. وجعل لونه البياض الدال على النِّقاء والطَّهارة من الأكدار، ومثَّل قلب الفاجر بالكأس المقلوب الفارغ الذي لا يعلِّق به شيء من الإيمان والحكمة. وجعل لونه مُرْبَادًّا من الرُّبْدَة وهي اختلاط السَّوَادِ بالبياض دليلًا على أنَّه قلب مليء بالأكدار والفتن. [يُنظر: عياض بن موسى السبتي أبو الفضل، إكمال المعلم بفوائد مُسَلِّم، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: المنصورة-مصر، 1419هـ-1998م.

[454-453/1]

أشرب من هواه»<sup>(1)</sup>. فهذا بيان لغاية ما تصير إليه القلوب سلبا وإيجابا، ولكن مجمل النصوص من القرآن والسنة وصفت ثلاثة أنواع من القلوب: الأول: القلب السليم من أمراض الشهوات والشبهات المنيب إلى الله تعالى الذي يُحبت عند ذكره، وهذا قلب المؤمن. وهو الذي قال الله تعالى عنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]. وقال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣٣]، والثاني: القلب القاسي الذي علاه ران الذنوب والمعاصي، وضربت عليه الأكنة وطُبع وُختم عليه فلا ينفذ إليه الهدى، وهذا قلب الكافر والمنافق. وهو الذي قال الله تعالى عنه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]<sup>(2)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام: ٢٥]. والثالث: قلب مريض، فيه من الإيمان بالله ما هو مادة حياته، وفيه من اتباع الهوى أو تشرب الشبه ما هو مادة هلاكه، وهو لما غلب عليهما، وهذا قلب العاصي من المسلمين. وهو ما قال الله تعالى عنه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢]. أي شهوة الرّنا<sup>(3)</sup>.

**المطلب الثاني: مميّزات مفردة الفؤاد والعقل من خلال الكتاب والسنة.**

**الفرع الأول: مميّزات مفردة الفؤاد من خلال الكتاب والسنة.**

تتميّز مفردة الفؤاد ببعض المعاني، وهي كالآتي:

أولاً: الفؤاد هو مكنن العقائد والمشاعر والعواطف في النفس الإنسانيّة، حيث ذكرت النصوص أنّ الفؤاد يفرغ ويخلو عند الفرع والرّوع، ويصبح خاليا كالهواء، ولذلك لما وقع موسى -عليه السلام- في يد امرأة فرعون، وأرادت أن تتّخذة ولدا أخبر الله تعالى عن حالة فؤاد أم موسى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (54/9) برقم: (7096) (كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر)؛ ومسلم في

"صحيحه" (89/1) برقم: (144) (كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يآرز بين المسجدين).

(2) قال الرّاعب: «صار ذلك كصدإ على جلاء قلوبهم، فعمي عليهم معرفة الخير من الشر». [الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالرّاعب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 373)].

(3) يُنظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (ص: 663).

مُوسَى فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لُنُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾  
 [القصص: ١٠] (1). ولما رده إليها علل ذلك فقال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ الآية، [القصص: ١٣].

كما أخبر الله تعالى عن الظالمين يوم القيامة بأنّ أفئدتهم من شدّة الهول والفرع، تكون هواءً أي فارغة خاوية عن جميع الخواطر والآمال، وهذا الفراغ الوجدانيّ من المشاعر الطيبة كالرجاء في مغفرة الله تعالى ونحوه، من شأنه أن يذهب بعقل المرء وإدراكه فيصير فؤاده لا قوّة فيه ولا ثبات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣] (2). ولذلك ذكر الله تعالى قبل هذه الآية ببضع آيات أنّه يُثَبِّتُ أهل الإيمان في حياتهم الدنيوية والأخروية بما في ذلك سؤال الملكين في القبر والقبر «هو أوّل منازل الآخرة» (3)، (4)، عن البراء بن عازب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» [إبراهيم: ٢٧]، نزلت في عذاب القبر. فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد -صلى الله عليه وسلم-، فذلك

(1) اختلف السلف في الشيء الذي فرغ منه فؤاد أمّ موسى على أربعة أقوال: أولاً: من كل شيء إلا من ذكر ابنها موسى لمحبتها له (قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك)، وهو الذي رجّحه ابن جرير الطبري. ثانياً: من الأمن فأصبح فرحاً خائفاً (وهذا رواه الضحاك عن ابن عباس)، ثالثاً: من الحزن لعلمها بعدم غرقه (قاله أبو عبيدة)، ولا يتناسب هذا مع همّها بإبداء أنه ابنها لما سُقِط في يد عدوّه فرعون، فلولا أن الله ربط على قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله تعالى لأبدت به. رابعاً: من العهد الذي عهده الله إليها برّد ابنها لها (قول ابن زيد والحسن)، لما بعده من أنّ الله ربط على قلبها لتكون من المؤمنين بعهد الله ووعد الصّادق. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (526/19-529)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (376/3)].

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (108/19)؛ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (321/6)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (247/13).

(3) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (523/1) برقم: (389) (من مسند أمير المؤمنين أبي عبد الله عثمان بن عفان رضي الله عنه، هادي مولى عثمان رضي الله عنه)، والحاكم في "مستدرکه" (371/1) برقم: (1377) (كتاب الجنائز، إن القبر أول منازل الآخرة)، والترمذي في "جامعه" (142/4) برقم: (2308) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب)، وابن ماجه في "سننه" (333/5) برقم: (4267) (أبواب الزهد، باب ذكر القبر والبلى)، والبيهقي في "سننه الكبير" (56/4) برقم: (7164) (كتاب الجنائز، باب ما يقال بعد الدفن). وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(4) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (589/16).

قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»<sup>(1)</sup>، وأما الظالمون من الكُفَّار والمنافقين والفُسَّاق فيُضِلُّهم ولا يُثَبِّتُهم، ولذلك خُتِمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٢٧)</sup>، والغالب في عبارة (نزلت في) الدلالة على أن ما ذكر بعدها من المعاني التي تدخل في النص لا أن النص مخصوص به<sup>(2)</sup>، وعليه فالتثبيث عامٌ كما دلَّت الآية في الدنيا وفي الآخرة بجميع مراتبها من البرزخ إلى البعث إلى الحشر إلى الحساب، ويتأكد في البرزخ عند سؤال الملكين.

والفؤاد إذا خلا عن الإيمان فإنه يميل إلى الملذّات والأهواء العاجلة والأباطيل المزخرفة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(١١٣)</sup> وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ أَفْعِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣]. وقد خصَّ الله تعالى بالذكر عدم إيمانهم باليوم الآخر دون ما عداها من الأمور التي يجب الإيمان بها وهم بها كافرون، إشارة إلى ما هو المدار في ميل أفئدتهم، وهي: اللذات العاجلة<sup>(3)</sup>، ومعلوم عند العقلاء «أن الفضائل مُرَّة الأوائل حُلوة العواقب، والرذائل حُلوة الأوائل مُرَّة العواقب»<sup>(4)</sup>، وقد أخبرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ملذّات الآخرة وآلامها التي تكون في الآجل، بأنّها محفوفة بنقيضها في العاجل: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»<sup>(5)</sup>.

وقد وصف الله تعالى النار التي يُعذَّب بها من كفر به وجحد بآياته، فقال تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ﴾<sup>(٦)</sup> الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِئَةِ﴾<sup>(٧)</sup> [الهمزة: ٦ - ٧]. وقد ذكر في نصوص أخرى أن النار يُعْم عذابها الجسد كلّهُ، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾<sup>(٥٤)</sup> يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ

- (1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (97/2) برقم: (1369) (كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر)؛ ومسلم في "صحيحه" (162/8) برقم: (2871) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه).
- (2) يُنظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، (ص: 15-16).
- (3) يُنظر: محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (471/4).
- (4) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، ط1، دار ابن حزم: بيروت-لبنان، 1419هـ-1998م. (ص: 133).
- (5) أخرجه مسلم في "صحيحه" (142/8) برقم: (2823) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

وَمِنْ نَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ [العنكبوت: ٥٤-٥٥]. وقد التمس المفسّرون وجهين لتخصيص تعذيب الأفتدة بالنار: الأوّل: أنّها مواطن الكفر والعقائد الخبيثة والنّيّات الفاسدة<sup>(1)</sup>. والثاني: أنّ الفؤاد هو منتهى الشعور من اللّذة والألم، فإذا بلغ إليه الألم يموت صاحبه، ولكن مع ذلك لا يموتون، كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَنَادُوا بِمَلَكِكُمْ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتٌ﴾ [الزخرف: ٧٧]. وهذا أقصى ما يصل إليه العذاب<sup>(2)</sup>.

ومّا يدلّ على أنّ الفؤاد يعبّر به في النصوص عن الجانب العاطفي والوجداني الشعوري في النفس الإنسانيّة، أنّ الذي يتأثر بالحزن عند مُصيبة الموت هو الفؤاد، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «مات ميت من آل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاجتمع النساء يبكين عليه، فقام عمر ينهاهنّ ويتردهنّ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: دعهنّ يا عمر، فإن العين دامعة، والفؤاد مصاب، والعهد قريب»<sup>(3)</sup>، وعندما يأمر الله الملائكة بقبض روح الصبيّ يسألهم عن حالة أبيه: «هل قبضتم ثمرة فؤاده»<sup>(4)</sup>. وكذلك لما دعا إبراهيم -عليه السلام- ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا﴾ الآية، [إبراهيم: ٣٧]. وإتّما عدل عن التعبير بطائفة من الناس عن أفئدة من الناس ليكون إهواء الناس ومسيرهم إلى البيت المحرّم عن شوقٍ ومحبة<sup>(5)</sup>.

(1) يُنظر: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (796/4)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (286/32).

(2) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (489/4).

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (428/7) برقم: (3157) (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدما أو مؤخرا، ذكر الإباحة للنساء أن يبكين موتاهن ما لم يكن ثم نوح)؛ والحاكم في "مستدرکه" (381/1) برقم: (1410) (كتاب الجنائز، الميت يسمع خفق نعالمه)؛ والنسائي في "الكبرى" (394/2) برقم: (1998) (كتاب الجنائز، الرخصة في البكاء على الميت)؛ وأحمد في "مسنده" (1260/3) برقم: (5995) (مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما). والحديث إسناده ضعيف لجهالة حال سلمة بن الأزرق. [أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (130/10)].

(4) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (210/7) برقم: (2948) (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدما أو مؤخرا، ذكر بناء الله جل وعلا بيت الحمد في الجنة لمن استرجع وحمد الله عند فقد ولده)، والترمذي في "جامعه" (329/2) برقم: (1021) (أبواب الجنائز عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب فضل المصيبة إذا احتسب)، وقال: «حديث حسن غريب».

(5) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (241/13).

ثانيًا: الفؤاد من أعظم النعم التي امتنَّ الله تعالى بها على عباده. إذ به يتلقَّى ما يرد إليه من الحواسِّ وبه يُميِّز بين ما ينفعه وما يضرُّه من الأمور، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. ولكن قلَّ من يُؤدِّي شكر هذه النعمة قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ فَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ فَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨]. وشكرها لا يكون إلا باستعمالها في التدبُّر في آيات الله تعالى الكونيَّة والشرعيَّة، ولذلك من جحد الدلائل على قدرة الله وعظمته يكون قد حرم نفسه من الانتفاع بخاصيَّة الفؤاد، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الاحقاف: ٢٦]. فجعل الله تعالى علة عدم إغناء أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم عنهم أنهم أنكروا آيات الله تعالى<sup>(١)</sup>، ولم يُدعوا لها لا من جهة التصديق ولا من جهة التَّطْبِيق. فدلَّ ذلك بالمفهوم أنَّ الانتفاع بالأسماع والأبصار والأفئدة هو التأمُّل في آيات الله تعالى الكونيَّة والتَّصْدِيق بما ثبت من الأخبار التي جاءت في آياته الشرعيَّة والانقياد لأحكامها.

ولما كانت هذه الأمور الثلاثة من أعظم النعم، والنعم عموماً مسئول عنها يوم القيامة، ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]<sup>(٢)</sup>. خُصَّ بالذكر المسئلة يوم القيامة عن الأسماع والأبصار التي هي وسائل للإدراك وعن الأفئدة التي هي منتهى المدركات ومقرِّها، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]<sup>(٣)</sup>.

والفؤاد قد يُصدِّق ما يرد إليه من الحقائق عبر السَّمْع والبصر إذا كان سليماً، وقد يُضللُّ صاحبه ويوقعه في الأوهام إذا كان مُنحرفاً غير مُتجرِّد من الأهواء، وكلا الوجهين دلَّ عليهما قول الله

(1) وإذ في الآية تعليلاً. [يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (54/26)].

(2) ذُكر عن السلف في المراد بالنعيم عدَّة أقوال، وهي من باب التفسير بالمثل والصواب أنَّ السؤال يعُمُّ كلَّ نعمة وكلَّ شخص كافراً كان أو مسلماً. [يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (486/4)].

(3) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (341/20)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (232/14).

تعالى عن فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١]. على القرائتين في (كذب) <sup>(1)</sup>، حيث إنّه قرأ بالتشديد فيكون المعنى: ما كذب فؤاده ما رآه عينه. وقرأ بالتخفيف فيكون المعنى: ما أوهمه فؤاده أنّه رأى وهو لم ير <sup>(2)</sup>.

ثالثاً: الفؤاد يحتاج إلى تثبيت، وتثبيته يحصل بتلقّي العلوم النافعة تدريجياً.

مرّ في الآيات السابقة أنّ الفؤاد قد يصير فارغاً كالهواء، وقد يزل حينها إذا لم يُثبّت فيتخلّى عن الخير الذي هو فيه ويتكس، وقد ذكرت الآيات القرآنيّة أنّ الله ثبت فؤاد نبيّه -صلى الله عليه وسلم- بأمرين: أولاً: بتنزيل القرآن الكريم عليه مُنجمًا شيئاً فشيئاً حسب الوقائع والأحداث، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان: ٣٢]. وثانياً: بقصص من سبقه من الأنبياء الذين لاقوا الشدائد في دعوتهم، ولذلك قال تعالى بعد ما ذكر جملة من الرُّسل والأنبياء الذين خالفهم أقوامهم وآذوهم: ﴿ وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠]. ولولا هذا الثبّيت لما استمرّ النبي -صلى الله عليه وسلم- على دعوته ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤]. وإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- في حاجة إلى هذا الثبّيت حتّى لا يزلّ فؤاده فغيره أحوج إليه منه.

ونظير هذا الثبّيت في الفؤاد، ما ذكره الله تعالى في آيات عديدة من الرّبط على قلوب عباده الصّالحين حتّى يلازموا الحقّ الذي هم عليه، قال تعالى عن أمّ موسى لَمَّا وَقَعَ موسى -عليه السّلام- في يد فرعون ﴿ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠]. وأخبر أنّه -عزّ وجلّ- ربط على قلوب الفتيّة من أصحاب الكهف حتّى تمكّنوا من المجاهرة بتوحيدهم لله تعالى ونبذهم للشرك الذي انتشر في قومهم: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٤]. وكذلك ربط الله تعالى على قلوب الصّحابة -رضي الله عنهم- يوم

(1) والقراءتان صحيحتان. [ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (509/22)].

(2) ينظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (186/4).

بدر، لما أنزل عليهم المطر فكان سببا في تقوية قلوبهم وإزالة الفزع عنهم، بالإضافة إلى ارتوائهم من العطش واغتسالهم من الجنابة، قال تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝۱۱﴾ [الأنفال: ۱۱] (1).

### الفرع الثاني: مميّزات مُفردة العقل من خلال الكتاب والسنة.

يتميّز لفظ العقل حسب المعاني السيّاقية التي ورد فيها بما يلي:

أوّلا: العقل وظيفة الرُّوح وفعلها وعرض من أعراضها وليس ذاتًا قائمة بنفسها (2). والدليل على ذلك أنّه لم يأت التعبير عن لفظ العقل بالاسم في النصوص القرآنية بل بالفعل، حيث ورد بالصيغ التالية: عقلوه في موضع واحد، نعقل موضع واحد، يعقلها موضع واحد، تعقلون ثلاث وعشرون موضعا، يعقلون اثنان وعشرون موضعا (3).

وحثّى ما ورد التعبير عنه بالاسم بالمرادفات التّالّية إنّما ورد مُضافا إليه اسمُ ذا الذي هو بمعنى صاحب تارة مُفردا وتارة مجموعا، وهي أربعة ألفاظ: 1) اللب بالجمع على صيغتين: ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝۱۹۰﴾ [آل عمران: ۱۹۰]؛ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝۳۹﴾ [البقرة: ۲۶۹]، 2) الحجر بالافراد ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ۝۵﴾ [الفجر: ۵]، 3) التّهيّة بالجمع ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ۝۵۴﴾ [طه: ۵۴]، 4) الحلم بالجمع، ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا ۝۳۲﴾ [الطور: ۳۲]. وذلك يدلُّ أنّ العقل لا يقوم بذاته.

ولذلك لم يأت نعته بصفات مختلفة كما جاء في النّفس عندما وُصفت بالاطمئنان والأمر بالسّوء واللّوم وكما جاء في القلب عند وصفه بالسّلامة والمرض والقسوة، وذلك لأنّ الفعل لا يتحمّل الأوصاف لأنّه عرض يقوم بغيره، على خلاف الأسماء التي تدلُّ على الدّوات وأوصافها.

(1) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (462/15).

(2) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (303/9)، (338/18).

(3) يُنظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث: القاهرة-مصر. (ص: 468-469).



وأما الأحاديث فقد أتى عن أئمة الحديث رمي الأحاديث التي رويت في العقل بالتضعيف، ولم يقصد العلماء الذين نفوا صحة أحاديث العقل نفي جميع ما تكلمت به الأحاديث عن العقل، وإنما قصدوا بذلك جملة من الأحاديث التي جمعها بعض المعتزلة في كتبهم، وتواطؤوا على روايتها<sup>(1)</sup>، لتأكيد ما عليه مذهبهم في كثير من المسائل التي تعتمد على تعظيم العقل، وتقديمه على النقل إذا تُؤمّت المعارضة بينهما<sup>(2)</sup>، ولذلك لم يرم واحد من المحققين ما ثبت من الأحاديث والآثار لمجرد وورد لفظ العقل أو مرادفاته فيها<sup>(3)</sup>.

ثانياً: العقل الذي ذُكر في النصوص نوعان، وهما:

النوع الأول: طَبَّعي عَرَزِي، بمعنى أنّ الإنسان يُولد مُهيئاً به، ولذلك عُرِف من هذه الجهة بأنه: «القُوّة المتهيّئة لقبول العلم»<sup>(4)</sup>. وهو الذي يتكلم عنه الفقهاء وأصحاب الأصول لما يترتب على وجوده من التّكليف وتوجُّه الخطاب بأوامر الشريعة، وعلى فقدته من ارتفاع التّكليف، ولذلك سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- قوم ماعز لما أتاه يسأله أن يُقيم عليه حدّ الرّجم، فقال: «أتعلمون

(1) قال ابن حبان: «لست أحفظ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- خبراً صحيحاً في العقل -ثم ذكر أنّ الرواة الذين رووا أحاديث العقل قد وصفهم الأئمة بالكذب، فقال: - ليسوا ممن أحتج بأخبارهم فأخرج ما عندهم من الأحاديث في العقل». [محمد بن حبان أبو حاتم الدارمي البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، (ص: 16)]. وقال الدارقطني: «إن كتاب (العقل) وضعه أربعة: أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المخبّر فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد آخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فأتى بأسانيد آخر». [نقلا عن محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط1، مكتبة المطبوعات الإسلامية: حلب-سوريا، 1390هـ-1970م. (ص: 66)]. وقد ذكر ذلك أيضاً كثير من الأئمة الذين ألفوا في الأحاديث المكذوبة والموضوعة. [ينظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1417هـ-1996م. (120/1)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط1، المكتبة السلفية: المدينة النبوية-المملكة العربية السعودية، ج 1، 2: 1386هـ-1966م، ج 3: 1388هـ-1968م. (174/1)].

(2) وصاحب الحق يستدل ثم يعتقد أمّا المُنطَل فيعتقد ثم يتخيّر من الأدلة ما يتماشى مع اعتقاده ووجهة نظره ولو كانت هذه الأدلة واهية ثم يلتمس لها أوجه قوّة وإن لم يجد لجأ إلى اختلاق أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان، ورتباً يتهم على الأدلة المخالفة لمذهبه الذي اعتمده -وإن كانت صحيحة- تضعيفاً وتحريفاً.

(3) وسيأتي ذكر كثير منها في النُقطة الموالية، كما أنّ الأئمة الذين طعنوا في تلك الروايات، هم أنفسهم ألفوا في مدح صفات العاقل، ومدح أعمال العقل: مثل روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان.

(4) الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 577).

بعقله بأسا تنكرون منه شيئاً؟ فقالوا: ما نعلمه إلا وَفِيَّ الْعَقْلُ»<sup>(1)</sup>. فدلّ ذلك أنّه لولا وجود هذا العقل لما أقام عليه الحدّ، وهو المراد في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»<sup>(2)</sup>. والمرفوع عن الصبيّ هو قلم المؤاخذة لا قلم الثواب<sup>(3)</sup>. وذلك للأحاديث الدالّة على ثبات الأجر للصبي، والتي منها قوله -صلى الله عليه وسلم- لما سألته امرأة عن صبيّ لها: «أَلْهَذَا حَجٌّ؟» قال: نعم، ولك أجر»<sup>(4)</sup>. قال النَّوَوِيُّ: «فِيهِ حُجَّةٌ لِلشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ وَجَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ حَجَّ الصَّبِيِّ مَنْعَقِدٌ صَحِيحٌ يَثَابُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُجْزِيهِ عَنِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ، بَلْ يَقَعُ تَطَوُّعًا»<sup>(5)</sup>.

وأما الجنون والنائم فغاية ما جاء إثبات الأجر لهما بناءً على الحالة التي كانا عليها قبل أن يَعْتَرِيَهُمَا الجنون والنوم، ويدلُّ على ذلك حديث المرأة التي أتت النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقالت: «إِنِّي أَصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادَعِ اللَّهَ لِي، قَالَ: إِنْ شِئْتَ صَبِرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتَ اللَّهَ أَنْ يَعْفِيكَ. فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادَعِ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفُ، فَدَعَا لَهَا»<sup>(6)</sup>. وقد اختلف في الصرع الذي أصاب هذه المرأة هل هو صرع الخلط الرَّاجِعُ إِلَى خَلَلٍ فِي أَمْرَجَةِ الدِّمَاغِ، أم هو صرع الأرواح الرَّاجِعُ إِلَى مَسِّ الْجِنِّ لِبَدَنِ الْمَرِيضِ<sup>(7)</sup>. وعلى كليهما فالصرع بنوعيه يذهب بعقل الإدراك والوعي -كما يشهد بذلك الواقع-، وقد رَبَّبَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- الأجر لمن صبر على ذلك، كما أن من لجأ إلى الأدوية التي ثبت نفعها فلا جناح عليه للأدلة التي

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (120/5) برقم: (1695) (كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى).

(2) تقدّم تحريجه، (ص: 78).

(3) يُنظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (122/12)؛ محمد بن تاج العرفين زين الدين المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (35/4).

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (101/4) برقم: (1336) (كتاب الحج، باب صحة حج الصبي).

(5) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (99/9).

(6) أخرجه البخاري في "صحيحه" (116/7) برقم: (5652) (كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح)؛ ومسلم في "صحيحه" (16/8) برقم: (2576) (كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن).

(7) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، (ص: 51-54)؛ علي بن محمد الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (1147/3)؛ محمد بن علي الشوكاني اليمني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تحقيق: عصام الدين الصباطي، ط1، دار الحديث: القاهرة-مصر، 1413هـ-1993م. (233/8)؛ محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن: الرياض-المملكة العربيّة السّعوديّة، 1426هـ. (237/1-238).

أمرت بالتداوي. وأمّا التائب فلقوله -صلى الله عليه وسلم-: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم بالليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه صدقة من ربه»<sup>(1)</sup>.

وهذا النوع الطّبعي الغريزي من العقل جاء كثيرا في الأحاديث، وذكرت الأحاديث له ثلاثة أوجه<sup>(2)</sup>:

أولاً: التذكّر والحفظ: ومنه حديث: «يأتي أحدكم الشيطان وهو في الصلاة، فيقول: اذكر كذا وكذا حتى ينفك العبد لا يعقل»<sup>(3)</sup>، أي لا يتذكّر كم صلى. وفي الأثر عن أنس بن مالك قال -في صفة النبيّ- صلى الله عليه وسلم: -كان يُعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه»<sup>(4)</sup>، أي لتُحفظ عنه. ومنه حديث: «ما رأيت من ناقصات عقل...-ثمّ فسّر نقصان عقلها فقال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى،...الحديث»<sup>(5)</sup>. وذلك تحسباً لاضطراب حفظها وذهولها عن التذكّر

(1) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (339/2) برقم: (1172) (كتاب الصلاة، باب ذكر الناي قيام الليل فيغلبه النوم على قيام الليل)؛ وابن حبان في "صحيحه" (323/6) برقم: (2588) (كتاب الصلاة، ذكر تفضل الله جل وعلا على المحدث نفسه بقيام الليل ثم غلبته عيناه حتى نام عنه بكتابة أجر ما نوى)؛ والحاكم في "مستدرکه" (311/1) برقم: (1174) (كتاب صلاة التطوع، تحريص قيام الليل). صحّحه الألباني. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (204/2) برقم: 454].

(2) حسب تتبّعي للأحاديث وجدت أنّ العقل يُطلق ويُراد به معنيان آخران لا علاقة لهما بالعقل الذي هو وظيفة النفس، وهما: ربط الدابة، وتأدية دية القتل، فمن الأول حديث: قال رجل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: «أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: اعقلها وتوكل». [أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (510/2) برقم: (731) (كتاب الرقائق، ذكر الإخبار بأن المرء يجب عليه مع توكل القلب الاحتراز بالأعضاء ضد قول من كرهه)؛ والحاكم في "مستدرکه" (623/3) برقم: (6679) (كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، تعليم التوكل). والحديث حسنه الألباني. يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (150/2)]. ومن الثاني حديث: «...فمن قُتل فهو بخير النَّظَرَيْنِ، إما أن يُعقل، وإما أن يُقاد أهل القتل...». [أخرجه البخاري في "صحيحه" (33/1) برقم: (112) (كتاب العلم، باب كتابة العلم)].

(3) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (86/2) برقم: (926) (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال بعد التسليم). وحكم الحديث: حسن. [يُنظر: أبو عبد الله محمد ابن ماجه القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد-محمد كامل قره بللي-عبد اللطيف حرز الله، ط1، دار الرسالة العالمية: بيروت-لبنان، 1430هـ-2009م. (86/2)، الحاشية رقم: 2].

(4) أخرجه البخاري في "صحيحه" (30/1) برقم: (94) (كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه).

(5) أخرجه البخاري في "صحيحه" (68/1) برقم: (304) (كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم)؛ ومسلم في "صحيحه" (50/1) برقم: (49) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص).

أثناء النزاع على الشهادة للطبيعة التي ميّزها الله بها عن الرجل من اللبونة والعطف<sup>(1)</sup>، وإنما الكلام هنا على المرأة التي احتفظت بطبيعتها كما خلقها الله، أمّا من شدّت عن طبيعتها وترجّلت فالشاذُّ يُحفظ ولا يُقاس عليه.

ثانيًا: الفقه والفهم، ومنه ما رواه عبد الله بن عمرو: «أنّ أعرابياً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- وعليه جُبّة من طيالسة مكفوفة بالديباج، فقال الأعرابيُّ: إن صاحبكم هذا يقصد النبيّ -صلى الله عليه وسلم- يريد رفع كلِّ راع وابن راع، ويضع كلِّ فارس وابن فارس، فقام النبي -صلى الله عليه وسلم- مُعْضَبًا فأخذ بمجامع ثوبه فاجتذبه وقال: ألا أرى عليك ثياب من لا يعقل» الحديث<sup>(2)</sup>، فأدّبته النبيّ -صلى الله عليه وسلم- بأن نبّهه على لبسه ثياب من لا يعقل، أي من لا يفقه شيئاً من أحكام الدين، والتي من جملتها تحريم لبس الحرير للرجال<sup>(3)</sup>.

ثالثًا: الوعي وحضور الذهن. ومنه حديث: «عن أنس، أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دخل المسجد، فرأى حبلاً ممدوداً بين ساريتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: فلانة تصلي فإذا أعيت تعلقت به، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لتصل ما عقّلت، فإذا خشيت أن تُغلب فلتنم»<sup>(4)</sup>. ومعنى العقل في هذا الحديث ليس الحفظ ولا الفقه، ولكن الانتباه وحضور القلب

(1) يُنظر: عبد العزيز بن مرزوق الطّريفيّ، الفصل بين النّفس والعقل، ط1، مكتبة دار المنهاج: الرياض-المملكة العربيّة السّعوديّة، 1439هـ. (ص:43).

(2) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (48/1) برقم: (154) (كتاب الإيمان، إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويغض سفسافها)؛ وأحمد في "مسنده" (1386/3) برقم: (6694) (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما). والحديث إسناده صحيح. [أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (671/11)].

(3) وقوله: «عليه جُبّة من طيالسة مكفوفة بالديباج» يعني: عليه ثوب من سواد مزّين على أطرافه بالحرير. [يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (97/2)، (132/3)].

(4) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (240/6) برقم: (2493) (كتاب الصلاة، ذكر الزجر عن صلاة المرء النافلة إذا غلبته عيناه مخافة أن يقول ما لا يعلم)؛ وأحمد في "مسنده" (2776/5) برقم: (13322) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه). حكم الحديث: صحيح. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، (215/4) برقم: (2484)].

الذي هو ضدُّ الغفلة النَّاتجة عن التَّعب والإعياء، كما جاء في الرواية الأخرى: «لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»<sup>(1)</sup>.

النوع الثاني من العقل: العقل الكسبي الاختياري، وهو الذي أتى في النصوص الذمُّ والوعيد على من عطَّل أعماله وغيَّبه، كما أتى المدح والوعد بالثَّواب على من أعمَّله. وهذا النوع يكثر الكلام عنه عند أصحاب الأدب والسُّلوك، وإعماله يكون من جانبين:

الأوَّل: جانب فكري نظري، وقد أتت النصوص بوصف مجالات عدَّة لهذا الجانب، منها: التأمل في آيات الله تعالى، ومنها: تدبُّر القرآن الكريم، ولذلك ذكر في آيات عديدة أنه أنزل الكتاب لعلَّة أن يعقلوا ما فيه من الأحكام والحِكَم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]. ومنها: النظر في سنن الله تعالى في الأقسام السَّابقة، والاتِّعاض بما حدث في الأمم السابقة، ولذلك يأتي كثيرا الإرشاد إلى إعمال العقل في سياق ما أنزله الله تعالى بالْمُكذِّبين من الأمم السَّابقة قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ [١٣٦] وَإِنكُمْ لَنُمرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْحِحِينَ [١٣٧] وَبِالْبَلِّ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [١٣٨] [الصفات: ١٣٦-١٣٨]. وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْطَلَةٌ وَقَصِرَ مَشِيدٌ﴾ [٤٥] أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا [الحج: ٤٥-٤٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

والجانب الثاني لهذا النوع هو جانب عملي سلوكي، وهو الانضباط الأخلاقي، وبهذا الاعتبار عرَّف بأنه: «الحابس عن ذميم القول والفعل»<sup>(2)</sup>. وهو الذي نفاه الله تعالى عن النَّفر من الأعراب

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (53/2) برقم: (1150) (أبواب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة)؛ ومسلم في "صحيحه" (189/2) برقم: (784) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعى في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد).

(2) أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (69/4).

الذين أسأوا الأدب في خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- عند نداءهم له، فقال سبحانه فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات: ٤] <sup>(1)</sup>.

وقد جمع الله تعالى بين هذين الجانبين الفكري والعملي في مدح عباده المؤمنين من أصحاب العقول فقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَبْتَى الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] وهذا جانب عملي، ثم قال تعالى واصفا الجانب الفكري النظري: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١].

ولا قيام للنوع الثاني إلا بوجود النوع الأول <sup>(2)</sup>، كما أن وجود النوع الأول إذا لم يؤد بصاحبه إلى النوع الثاني فإن وجوده كعدمه، ولذلك يأتي في التخصيص نفي العقل عن أنعم الله عليه بعقل الإدراك الذي لا كسب ولا اختيار فيه للإنسان ولكنه لم يتجاوز به إلى عقل التفكر والسلوك، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]. كما جاء بيان أن النوع الأول يتعد بصاحبه عن الإيمان فيكون وبالا عليه، وذلك إذا استعمله في تحريف الحق، كما قال تعالى: ﴿أَفَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]. فدلّت الآية أن مجرد إدراك الحق بحفظه وفهمه <sup>(3)</sup>، لا يكفي في أن يكون الشخص على الحق، ما لم يؤد هذا الحق الذي حفظه وفهمه على الوجه الذي حفظه به وفهمه، لا أن يحرفه لأغراض عاجلة كما أخبر الله عنهم بعدها بآيات: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا

(1) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (96/28). وقال الطاهر بن عاشور: «ونفي العقل عنهم مراد به عقل التأدب الواجب في معاملة النبي -صلى الله عليه وسلم-». [التحرير والتنوير، (225/26)].

(2) وقد مثلت عدم نفعيّة العقل الكسبي الاختياري الحاصل باتباع الشرع عند غياب العقل المطبوع الغريزي، بعدم نفعيّة وجود الضوء عند غياب البصر. [يُنظر: محمد بن حبان أبو حاتم الدارمي البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، (ص: 18)].

(3) وكلام المفترين في الآية يدور حول عقل الإدراك، بعضهم عبّر بالفهم وبعضهم بالسمع والوعي وبعضهم بالعلم قال الرازي: «فلما رأهم علموا بصحته». [مفاتيح الغيب، (561/3)]; قال ابن الجوزي: «ومعنى عقْلُوهُ: سمعوه ووَعَوْهُ» [زاد المسير، (80/1)]; وقال القاسمي: «من بعد ما عقْلُوهُ أي فهموه على الجليّة». [محاسن التأويل، (334/1)].

بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿ [البقرة: ٧٩]. وذلك لا يكون إلا بالإيمان بهذا الحقّ المدرك اعتقاداً وقولاً وعملاً، ولأجل هذا أوصى الله المؤمنين عمّن كان هذا حاله - وهو تحريف الحقّ الذي أدركه حفظاً وفهماً - بعدم الطّمع في إيمانه، وعلّل عدم الطّمع في إيمان هؤلاء بأنهم يُحرّفون كلام الله تعالى (1).

الميزة الثالثة: العقل خاصيّة إنسانيّة خيريّة، ولتمخّض خيريّته لم يأت في النصوص دُؤه والاستعادة من شرّه كما جاء في النفس، وإتّما غاية ما ذكر ذمّ تعطيله وتغيّبه وعدم إعماله. حيث رُتّب على تعطيله النزول عن مرتبة الإنسانيّة إلى مرتبة البهيميّة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَكَا لَا نَعْلَمُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ إِنْ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الضَّمُّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يونس: ٤٢].

وهذا التّعطيل هو سبب العقاب في الآخرة، كما قال تعالى - عمّا يندم عليه أهل النار - : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك: ١٠]. والعقل الذي ندموا على تغيّبه في الدنيا ليس هو عقل الإدراك، لأنّ بغيابه يرتفع التّكليف، وغير المكلّف لا يُحاسب فضلاً عن أن يُعاقب. وإتّما الذي غاب عنهم هو عقل الهداية إلى طريق الخير، والذي يتضمّن اتّباع الرُّسل تصديقا بما جاؤوا به من الأخبار، وعملاً بما جاؤوا به من الأحكام (2). ولولا غياب عقولهم وغلبة الهوى عليهم لما استطاع الشيطان إضلالهم عن طريق الرُّسل ولما اتخذوا بتزيينه وزخرفته للباطل، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٢].

ومن الجوانب التي من خلالها بيّنت النصوص خيريّة العقل كونه سبباً للشجاعة والإقدام على القتال في سبيل الله، والاجتماع القلوب واتحادها على الحقّ، لقوله تعالى: ﴿ لَا يُقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا

(1) وقد تنازع المفسّرون هل التحريف واقع على المعنى دون اللفظ أو على اللفظ دون المعنى. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (248/2-249)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (3/560-561)؛ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 56)]. ولفظ التحريف في الآية مُطلق يحتمل الأمرين، وقد ثبت عن أهل الكتاب الأمرين معاً، وعليه فلا حاجة لتخصيص الآية بأحد الأمرين. [يُنظر: محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (1/335)].

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (30/588).

إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ [الحشر: ١٤]. فنفى الله تعالى عن هؤلاء أمرين: الأول: الشجاعة في المواجهة والقتال، والثاني: اتحاد قلوبهم وائتلافها. وجعل مردّ انتفاء هذين الأمرين إلى انتفاء العقل فعلم بذلك أنّ إعمال العقل - الممدوح في النصوص - هو المرتكز الذي تركز عليه شجاعة القلب وبه تتألف القلوب فيما بينها (1).

ولعلّ أهمّ فضيلة في العقل أنّه السبيل إلى توافق الظاهر مع الباطن، والعمل والسلوك مع الاعتقاد، وذلك من أهمّ سمات الشخصية المؤمنة المتزنة على عكس الشخصية المنافقة المضطربة التي يتخالف فيها الظاهر مع الباطن والسلوك مع الاعتقاد، ويدلّ لذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ [البقرة: ٧٦]. والآية نزلت في منافقي اليهود الذين كانوا يُظهِرون الإيمان والموادّة للمؤمنين لمجرّد أن يغنموا من أموال المسلمين ويسلموا منهم ويتجنّسوا على مجالسهم مع إبطانهم الكُفر وإضمارهم العداوة لهم، فإذا كانوا في خلوة لا يراهم أهل الإيمان فيها يُعاتب بعضهم بعضا على إخبارهم المؤمنين بما في كتابهم التوراة من العذاب الذي فتحه الله عليهم، فجعل منهم القردة والخنازير، وكذلك بما فيه من البشارة بالنبّيّ محمّد - صلى الله عليه وسلم - وصفته، وذلك الإخبار حُجّة للمؤمنين عليهم في اتباع محمّد - صلى الله عليه وسلم - ونُصرتهم وفي أنّهم ليسوا أحبّ إلى الله ولا أكرم منهم فضلا على أن يكونوا أبناء الله - تعالى عن ذلك وتقدّس -، ووقعت المعاتبة على عدم إعمال العقل لأنّ قيام الحُجّة عليهم بإخبارهم لأهل الإيمان بما أخبروهم به هو خلاف المقصد الذي خالطوا من أجله المؤمنين وهو التجنّس عليهم والأمن منهم ومن دفع الجزية لهم، وإذا كانت الفرقة المعاتبة أعقل وأقل سفها من الفرقة المعاتبة، حيث تنبّهت لهذا الأمر فإنّها هي الأخرى لا تخلو من السّفه ونقص العقل ذلك أنّهم يُعاتبون أصحابهم على إذاعتهم لما تكتموا عليه من التوراة

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (106/28).



لغلاً يكون حُجَّةً للمؤمنين عليهم عند الله، وهم يعلمون أن الله يستوي عنده السرُّ والعلانية، ولذلك قال بعدها: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوكُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧] (1).

الميزة الرَّابِعة: العقل ميزان تُقاس به الفضائل بما يُوجب التحلّي بها والرذائل بما يُوجب التخلّي عنها، وقد جاء بيان ذلك في نصوص الوحي من أربعة وجوه:

الوجه الأول: العقل يقضي بتقدم الدائم الباقي وإن كان آجلاً، على الفاني الرّائل وإن كان عاجلاً. وذلك أن ميزة الفضائل أنّها صعبة الأوائل ثقيلة على النفس لكن عواقبها وثمارها طيبة، وأمّا الرذائل فهي سهلة الأوائل تميل إليها النفس لكن عواقبها مؤلمة (2). ولذلك يأتي كثيراً التّنبه على أنّ ممّا يُوجب العقل تقدّم الدار الآخرة - بلزوم تقوى الله تعالى بطاعته والابتعاد عن معصيته - على الدُّنيا العاجلة. قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقَوْنَ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقَوْنَ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].

الوجه الثاني: الإيمان جماع كلّ خير وفضل كما أنّ ضِدّه وهو الكُفر جماع كلّ شرّ ورذيلة، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «عجبا لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن» الحديث (3). كما أنّ الوقوع في الرذائل لا يجتمع مع كمال الإيمان الواجب، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهباً، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم، حين ينتهبها وهو مؤمن».

(1) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (3/ 563)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (1/ 80-81)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (1/ 569-570)؛ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 56).

(2) يُنظر: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، (ص: 133).

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (227/8) برقم: (2999) (كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير).

مؤمن»<sup>(1)</sup>، إذا تقرّر هذا فقد ورد كثيرا نفْيُ العقل عن أهل الكُفر، كقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 171]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: 103]. فدلّ ذلك أنّ أعظم نتيجة من نتائج انعدام العقل الكُفر، وأنّ أعظم نتيجة للاتّصاف بالعقل الإيمان.

ولما أنكر إبراهيم -عليه السلام- على قومه شركهم وصرّهم العبادة لغير الله تعالى ممّا لا ينفعهم ولا يضرّهم، ذكرهم بإعمال عقولهم، قال تعالى: ﴿ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 67]. وعندما بيّن موسى -عليه السلام- لقومه صفة الله تعالى حتّى يؤمنوا به، ورماه فرعون بالجنون، أجابه: ﴿ قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: 28]. فبان بذلك أنّ توحيد الله تعالى والإيمان به مُتوقّف على إعمال العقل.

ولذلك قابل سبحانه بين الإيمان وانعدام العقل، وجعلهما كالتقيضين الذين لا يجتمعان معا ولا يرتفعان معا: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَفْسِ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [100]

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (136/3) برقم: (2475) (كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه)؛ ومسلم في "صحيحه" (54/1) برقم: (57) (كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون). قال النووي: «هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه. فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان. وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفْيِ الشيء ويراد نفْيِ كماله... وإنما تأوّلناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق» [أخرجه البخاري في "صحيحه" (71/2) برقم: (1237) (كتاب الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله)؛ ومسلم في "صحيحه" (66/1) برقم: (94) (كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار)]، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور: أنهم بايعوه -صلى الله عليه وسلم- على أن لا يسرقوا ولا يزنوا، ولا يعصوا إلى آخره. ثم قال لهم -صلى الله عليه وسلم-: «فمن وثق منكم فأجره على الله، ومن فعل شيئا من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته، ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه» [أخرجه البخاري في "صحيحه" (12 / 1) برقم: (18) (كتاب الإيمان، باب)؛ ومسلم في "صحيحه" (126/5) برقم: (1709) (كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها)]. فهذان الحديثان مع نظائهما في الصحيح مع قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: 48]. مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك، لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان». [أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (41/2)].

[يونس: ١٠٠] <sup>(1)</sup>. ومن أعظم الدلائل على اختلال عقول الكُفَّار الذين بُعث فيهم النبي -عليه الصلاة والسلام- كونهم يُثبون أنّ الله تعالى هو الخالق الرَّازق القادر، وهذا يقتضي إفراده بالعبادة والدُّعاء ولكنهم مع ذلك يَصرفون العبادة لغيره، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦٣].

الوجه الثالث: العقل يقضي بأن يكون المرء على نفسه أحرص منه على غيره في التحلّي بالفضائل واجتناب الرذائل، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤]. فأنكر الله عزَّ وجلَّ على من يأمر غيره بالبر وينسى نفسه <sup>(2)</sup>، وأرجع هذا الاختلال في السلوك إلى اختلال عقولهم، لأنَّ «التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول، إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النَّصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يُشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويُهمَل نفسه فحدَّتهم الله تعالى من ذلك بأن قرَّعهم بهذا الكلام» <sup>(3)</sup>.

الوجه الرابع: العقل يدلُّ العبد على التَّصديق بالرُّسل، وهم ما تركوا خيرا إلا دُلُّوا أمهم عليه ولا شرًّا إلا حدَّروهم منه، كما ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم-: «إنَّه لم يكن نبيًّا قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلُّ أمته على خير ما يعلمه لهم، ويُذيرهم شرًّا ما يعلمه لهم» <sup>(4)</sup>.

وذلك بتأمُّل أحوالهم فهم لا يُريدون أجرا ومُقَابلاً على دعوتهم، وإمَّا غايتهم هداية الخلق بالإرشاد والبيان، وأمَّا الأجر على ذلك فيبتغونه من الله وحده، ولذلك حكى الله تعالى عن هود -

(1) يُنظر: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (373/2).

(2) المقصود بالآية هم أهل الكتاب، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (7/1)].

(3) أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (487/3).

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (18/6) برقم: (1844) (كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول).

عليه السّلام - قوله: ﴿يَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥١) [هود: ٥١]. فنبّههم على عدم تغييب عقولهم في إخلاصه لهم في النصيحة لتجرّدها من المطامع<sup>(1)</sup>.

وأنّ شأن النبي، ليس كشأن ملوك الدنيا همّهم جمع الأجور العاجلة من المال والجاه. وبهذا الأمر استدلت ملكة سبأ على صدق سليمان - عليه السّلام - حيث تنبّهت للفرق بين حال ملوك الدنيا،

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٤) [النمل: ٣٤]، وحال سليمان وجوابه عندما امتحنته بالهدية، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونِي

بِمَالٍ فَمَاءَ اتْنِينَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (٣٦) [النمل: ٣٦].

وكذلك أمر الله تعالى نبيّه - صلى الله عليه وسلم - بأن يخاطب قومه بإعمال عقولهم في النظر في حاله وما يعرفونه عنه قبل أن يأتيهم بالرسالة، فقد كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكان ذا أخلاق عظيمة من الصدق والأمانة التي كنتم أنتم تصفونه بها فكيف يُعقل أن تقرّوا بأُمّيته وصدقه وأمانته ثمّ ترمونه بعد ذلك بافتراء هذا الكتاب، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبَكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦) [يونس: ١٦]<sup>(2)</sup>.

ولما ادّعت كلٌّ من فرقتي النصارى واليهود انتماء أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السّلام - إلى الملة التي أنزلها الله إليهم وحرّفوها، ردّ الله عليهم بأنّ العقل يقضي بأنّ الإنسان لا يمكن أن ينتمي إلى شرع، وهو قد مات قبل أن يُنزل، وإبراهيم - عليه السّلام - بُعث وقُبض قبل بعثة موسى وعيسى -

عليهما السّلام - قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ

إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٥) [آل عمران: ٦٥]. ولئن كانت العبرة في النسبة بالمنهج الذي

يسير عليه الشخص لا بتقدم التاريخ ولا تأخره، فإنّ إبراهيم - عليه السّلام - كان يسير على منهج

توحيد الله تعالى ونبد الشّرك، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا

(1) يُنظر: محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (6/106).

(2) يُنظر: المصدر السابق، (6/12).

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ [آل عمران: ٦٧]. فإن كان عندكم عقول وأنتم تتشرفون بادّعاء انتماء إبراهيم -عليه السّلام- إلى ملّتكم، فالواجب عليكم أن تلتزموا بالمنهج الذي كان يسير عليه إبراهيم -عليه السّلام- وسائر الأنبياء من تنزيه الله تعالى عن النّقائص وتعظيمه وتوحيده بالعبادة، وهذا المنهج خلاف ما انتهى إليه أمر النّصارى من التثليث وادّعاء الألوهية في عيسى -عليه السّلام-، وما آل إليه أمر اليهود من التّعطيل<sup>(1)</sup>.

الميزة الخامسة: العقل هو الوسيلة الوحيدة للاستدلال على الغيب بالشّهادة، وعلى اللازم بالملزوم، وعلى المعاني بالحسيّات، وذلك مثل إحياء الأرض بإنزال الغيث بعد يُسبها لتقريب معنى إحياء القلب بالذّكر واستماع الوحي بعد ما يعتريه من القسوة التي تعرض له جرّاء المعاصي والدّنوب، ولذلك قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد: ١٧]. وقبلها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴿١٦﴾ [الحديد: ١٦]»<sup>(2)</sup>.

وكذلك الاستدلال بالمألوف على الخارق للعادة، ومثاله: الاستدلال على قدرة الله تعالى على الطمس والمسح بذوي الأبصار والقوائم، بقدرته على إرجاع الإنسان من حالة القوة في زمن الشباب

(1) التّعطيل لغة هو: الإخلاء والإفراغ. [ينظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (351/4)]، والمراد به هنا هو نفي صفات الله تعالى وإخلائه عن الحماد، كما قال الله عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿٦٤﴾ [المائدة: ٦٤]. ولما نفوا كمال قدرة الله تعالى وقوّته، فرعموا أنّ الله -تعالى عن ذلك علّوا كبيرا- أصابه إعياء من خلق السّموات والأرض، أنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ [ق: ٣٨]. واللُّغُوبُ هو: الإعياء [الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 742)] وهذا باعتبار الغالب، وإلا فكلُّ واحدة من الطائفتين عندها ما عند الأخرى، فاليهود كذلك حكا الله تعالى عنهم الشرك في عبادة العجل: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُونَ إِلَىٰ هِمَّتِهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ [طه: ٨٨ - ٨٩]، وكذلك النّصارى عندهم تعطيل، ذلك أن نسبة الولد لله تعالى -كما قالوا في عيسى أنّه ابن الله- فيه نفي كمال حياة الله تعالى، وذلك أن الإنسان خصوصا والحيوان عموما لنقص حياته ومحدوديّتها بالموت يحتاج إلى من يخلفه بعده، أمّا الله تبارك وتعالى فحياته كاملة فهو الأول الذي ليس لأوليّته ابتداء والآخر الذي ليس لآخريّته انتهاء، فنسبة الولد له -تعالى عن ذلك وتقدّس- تعطيل لكمال اتّصافه بالحياة.

(2) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التّحرير والتنوير، (393/27).

إلى حالة الضعف في الشيخوخة قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ (٦٦) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (٦٧) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦٨) [يس: ٦٦-٦٨] (١).

ولكون العقل وسيلة الاستدلال فُرن فعل (يعقلون، تعقلون) بالآيات (٢). وذلك في أربعة عشر موضعا في القرآن الكريم، وقد جعل تصريف هذه الآيات للعقل حتى يستدل ويهتدي بها من أربعة أوجه، هي كالاتي:

### الوجه الأول: توحيد الله تعالى بالرُّبوبيّة والإلهيّة.

وأما توحيدهِ بالرُّبوبيّة فيعني الإقرار بانفراده بالخلق والملك والتدبير، فقد بثَّ الله تعالى للعقل حتى يهتدي إلى وحدانيّته بالخلق والتدبير ضربين من الآيات، آيات في الآفاق وأخرى في النفس، وقد جُمعا في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] (٣). وكلُّ ضرب منهما يتفرّع إلى أنواع كثيرة:

(1) يُنظر: محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (193/8).

(2) والآيات هي جمع آية ويُراد بها في الإطلاق القرآني: العلامة الظاهرة، وحقيقته لكل شيء ظاهر، وهو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مُدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته. [يُنظر: الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 101)].

(3) وقد رويت عن السلف في المراد بآيات الله في الآفاق والأنفس أقوال عدّة، وأقربها إلى سياق الآية وأقواها قولان، القول الأول: أنّ آيات الآفاق هي ما أودعه الله في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ من عجائب الخلق من الكواكب وأنواع الحيوانات وغيرها، وآيات الأنفس هي ما أودعه الله في الإنسان من الحواسِّ كالسَّمْعِ والبصر والأجهزة كالمعدة والرئتان والأمعاء وغيرها (قول ابن زيد). القول الثاني: أنّ آيات الله تعالى في الآفاق هي حوادثه في البلدان بنصرة النبي -صلى الله عليه وسلم- والفتوحات التي من الله بها على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وآياته في الأنفس هي نُصْرَةُ النبي -صلى الله عليه وسلم- في مكة (هذا قول الحسن ومجاهد). وقد رجَّح الطبري القول الثاني بناءً على تناسبه مع دلالة السِّين في قوله تعالى: (سنريهم) التي تدلُّ على الاستقبال، وذلك يقتضي أنّ الآيات الدالّة على أنّ ما بُعث به محمد -صلى الله عليه وسلم- حق، والتي سُرِّيهم إيّاها لم يروها من قبل، وأما آيات السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ فقد رأوها. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (493/21) - (494)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (57/4)]، واعترض الرّازي هذا التّرجيح بأنّ الكُفَّار قد تكون لهم الغلبة على المسلمين والاستيلاء على البلاد -كما حصل غير مرّة- ولا يدلُّ مجرّد ذلك أنّهم على الحق، وقد تكون الفتوحات التي من الله بها على المسلمين آية لا من جهة النُّصرة وحدها، وإنّما من جهة مُطابقتها الواقع لما أخبر الله ورسوله به. ورجَّح الرّازي القول الأوّل لأنّه لا يرد عليه هذا الاعتراض، مع أنّ الاعتراض الأوّل -وهو تقدّم رؤيتهم لآيات السَّمَاوَاتِ

أنواع الضرب الأول: آيات الله في الآفاق: وقد ذكرت التّصوُّص - التي حضّت العقل على الاهتمام بالتأمُّل في عجائب الخلق في السّماوات والأرض ودلائلها على وُحدانيّة الله تعالى بالخلق والتّديب - ثلاثة أنواع من الآيات:

الآية الأولى: ما نصبه الله تعالى من التّألف والتّناسق الدّقيق بين السّماء والأرض مع تباين خلقتهما، فالماء النّازل من السّماء يخرج الله به أنواع النّبات من الأرض، ومنه يستقي الإنسان والحيوان، والشّمس المعلّقة في السّماء والتي من جريانها يحدث الليل والنّهار، وفي سقوط أشعتها على الأرض من المنافع ما لا يُدرّكه الحصر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ فِي السَّمَاءِ وَالتَّوَالُفِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

والأرض، والذي توعّد الله أن يُريهم إيّاه مُقيّد بالمستقبل - مدفوع بأنهم رأوا جُمل ذلك، وأمّا تفاصيل ذلك فهي التي سيربهم إيّاها شيئاً فشيئاً. [يُظن: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (574/27)]. وتقرير ذلك أنّ كلّ إنسان يرى جُمل ما ربّبه الله تعالى فيه من الحواس، ولكن تفاصيل ذلك والتّناسق والتّكامل الذي تشتمل عليه كلّ خلية لو تُفصّل علم جزء منه لفنيت الأعمار دونه، ولن يُحاط بعلمه، ولذلك لولا استناره المتأخّر بما وصل إليه المتقدّم لما تقدّم العلم التّجريبي، ومن هذا المبتدئ وهو النظر في آيات الكون كتب بعض علماء الإسلام عن بعض علوم الطّبيعة. ويُقال مثل ذلك في سائر آيات السّماوات والأرض وما تحويه عوالمهما من البحار والنباتات والمعادن والحيوانات، بأنّ الذي نراه ونعلمه منها إنّما هي الجُمل، أمّا التّفاصيل فالواقع يشهد قيام علوم دقيقة تفصيليّة حديثة حول كلّ فرد من أفراد هذه الآيات الكونيّة، تتقدّم شيئاً فشيئاً موعلة في أسرار هذا الكون الفسيح.

وقد ظهر للباحث وجهان آخران لترجيح ما ذهب إليه الرّازي، الأوّل: وهو راجع إلى إعراب الآية، وهو أنّ رأى التي في الآية بصريّة لا علميّة لأنّها تتعدّى لمفعول واحد، ولما تُضاف إليها همزة التّعدية تتعدّى إلى اثنين، ولو كانت قلبية فإنّها تصير بإضافة همزة إليها مُتعدية إلى ثلاثة كما قال ابن مالك في ألفيّته: «إلى ثلاثة رأى وعلماً.. عدّوا إذا صاروا أرى وأعلماً» [متن ألفيّة ابن مالك في النّحو والصّرف، ط1، دار ابن حزم: بيروت-لبنان، 1434هـ-2013م. (ص: 40)]، والذي يتناسب مع ذلك هو حمل آيات الآفاق والأنفس على عجائب الله تعالى في الخلق، لأنّ ذلك ممّا تُدرّكه بالبصر كشأن الطّبيعيّات. أمّا حمل الآيات على الفتوحات فذلك ممّا لا يُدرّك بالبصر، وأمّا نعلم صدق وقوعه بالأخبار المتواترة المنقولة إلينا. الوجه الثّاني: أنّ التّحدّي بتوعّد الله تعالى بأن يُري عباده آياته في عجائب الخلق بما وهبهم إيّاه من ميزة العقل باقي ودائم ومُتحدّد في كلّ زمان، على خلاف الفتوحات فقد تكون في زمن دون آخر، والله تعالى أعلم.

والاستدلال بهذه الآيات على وُحدانيّة الصّانع -سُبْحانه وتعالى- أولى وأقوى من مُجرّد الاستدلال بها على وجوده، وذلك لأمرين: الأوّل: لأنّ دهاء العرب كانوا من المشركين الوثنيين لا من المعطّلين الدّهريّين، والثاني: لأنّ قبلها قوله سُبْحانه: ﴿وَالنَّهْكَمُ إِلَهٌ وَوَحْدٌ لَّآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، فسبقت مساق الدليل على صدق ما قبلها<sup>(1)</sup>.

وهذا التّألف هو الذي يُهيأ الوضع الأمثل للحياة على ظهر الأرض، ولولا أنّ المدبّر واحد لما أمكن قيام السّماوات والأرض فضلاً عن تألفهما وتناسقهما، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

الآية الثّانيّة: اختلاف وتفاضل قطع الأرض مع تقاربها وتجاورها، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]. فبعض هذه القطع سبخة، وبعضها تُرابيّة، وبعضها رمليّة وأخرى صخريّة حجريّة، وبعضها مُرتفعة وأخرى مُنخفضة<sup>(2)</sup>. ثمّ إنّ القطع التي جُعلت خصبة للزّراعة، تُنبت أنواعاً مُختلفة من الثّمار، مع أنّ الماء الذي تُسقى به واحد والهواء الذي تتعرّض له واحد والشّمس التي تقع عليها واحدة، وأعجب من هذا أنّ النوع الواحد من هذه الثّمار يتفاضل بعضه على بعض في الدّوق والفائدة واللّون وغير ذلك. وإذا كان هذا الاختلاف قائماً مُشاهداً مع اتّحاد ما ذُكر من الماء الذي تُسقى به والشّمس التي تتعرّض لها والهواء الذي تمتصّه فلا مُوجب لاختلافها -والحالة هذه- إلاّ أن يكون هناك مدبّر حكيم هو الذي فاضل بينها، وهو الله عزّ وجلّ. فلم يبق إلاّ أن يُقال أنّ هذا الاختلاف حدث من غير مُحدث، وذلك يقدر في سلامة العقل لأنّه من المعلوم بالضرّورة من العقول أنّ كلّ حادث لا بُدّ له من مُحدث، ولهذا ختم هذه الدّلائل على تفرّده سُبْحانه بالتّدبير بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] (3).

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (88/1).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (330/16).

(3) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (186/20).



الآية الثالثة: انسجام حركة الأفلاك والنجوم والكواكب، من غير تصادم ولا اضطراب على مرّ السنين، وما ينجم عن حركتها من الليل والنهار وفصول السنة بالترتيب نفسه من غير سبق، وغير ذلك ممّا بلغنا علمه وممّا لم يبلغنا، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢]. وهذه الأفلاك من الشمس والقمر وغيرهما من النجوم تسير في الحيز المكاني نفسه-وهي السماء الدنيا-، ولو أنّها تسير من تلقاء نفسها، أو أنّ الذي يُسيّرهما أكثر من إله، لوقع بينها تعارض واصطدام على خلاف ما هو الواقع من هذا النظام الذي نشاهدها عليه، حيث جعل لكلّ منها فلكا تدور فيه، قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [النحل: ٣٨] وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس: ٣٨-٤٠]. فلم يبق إلا أنّ الذي يُسيّرهما هو الإله الواحد، وكلّها آيات دالة وشاهدة بما احتوت عليه من هذه العظمة والجمال والنظام على قدرة مُبدعها -سُبْحَانَهُ- وعلمه وحِكمته.

أنواع الضرب الثاني: آيات الله في النفس، ويُراد بها جميع ما أودعه الله في البدن الآدمي وروحه من الخصائص العجيبة، وما يترتب على اتّصالهما وانفصالهما من الحياة والموت، أمّا البدن فقد احتوى على كثير من الحواسّ والجوارح والأعضاء، وكلّ واحد منها في تمام الملائمة للوظيفة التي أُنيطت به، وأمّا الرُّوح فهي التي بها حياة البدن وقوامه وبها يكون العقل الذي به يرتقي الإنسان عن حدّ البهيمة، وقد اشتملت النصوص التي أرشدت العقل إلى تأمل الآيات التي في النفس، على نوعين من الآيات. وهما:

الآية الأولى: بيان مراحل الحياة البشريّة، وكيف يتطوّر منذ أن كان مُضغّة من اللحم لا حياة فيها، فبيث الله فيها الحياة عندما يُرسل إليه الملك فينفخ فيها الرُّوح، وكيف يخرج إلى الدنيا وينتقل من مرحلة إلى أخرى إلى أن يقضي الله أمرا محتوما، فيأذن بقبض روحه وانفصالها عن بدنه، لينتقل من دار العمل إلى دار الحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شِيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر: ٦٧]. وذلك من جهتين: الأولى: جهة الاطراد حيث كلُّ الخلق يمرون على هذه الأطوار بالترتيب: فيكون جنينا، ثم طفلا، ثم شابًا، ثم شيخا، والواقع شاهد بعدم تقدّم هذه المراحل بعضها على بعض. والجهة الثانية هي جهة الاختلاف: فمع هذا الاطراد في

التنقل من مرحلة إلى ما بعدها إلا أنه ليس كل أحد يجتاز هذه المراحل كُلِّها بل قد يُداهمه الموت في أوّلها أو وسطها فيموت طفلاً أو شاباً حسب الأجل الذي قدره الله تعالى، ولذلك تحدّى الله تعالى المكذّبين من الدهريّين والمشرّكين بإرجاع الرُّوح إلى الجسد حين الموت، فقال سبحانه ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٧] (1).

فهذا الاطراد في ترتيب هذه المراحل وعدم خروج الناس عنها، مع عدم القدرة على الإفلات من الموت من أعظم الأدلّة على أنّ بدن وروح الآدمي مُدبّرٌ مُتحكّمٌ فيه من لدن قادرٍ عليمٍ حكيمٍ - سبحانه وتعالى -.

الآية الثانیة: ما ألهم الله تعالى به الإنسان من طرق التسخير المختلفة والانتفاع من الدوابّ وثمار الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنظُرُوا بِطَوْنِهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ وَأَنْ تَتْلُوا صَوْتًا مِمَّا يَلْقَى الْإِنسَانُ مِنْ الْأَنْعَامِ وَمِنْ تَلَوَاتِهِمْ لَسَوْبِقٌ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَهُمْ خَيْرًا مِمَّا يَخْلُقُ الْإِنسَانَ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِمْ لَكَنُفٍ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل: ٦٦-٦٧].

فذكر تعالى أنّه جعل لهم عبرة فيما رزقهم به من الأنعام (2)، وهم يعلمون أنّها تأكل من نبات الأرض الأخضر والغلف ما تأكل، ورأوا غير مرّة عند ذبحها ما في بطونها من حمرة الدماء، ومع ذلك

(1) وقد ذكر المفسرون خمسة أوجه في معنى غير مدينين وهي: غير موقنين (قاله مجاهد)، غير محاسبين (رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن وسعيد بن جبيرة وعطاء وعكرمة)، غير مبعوثين (قاله قتادة)، غير مجزيين (قاله أبو عبيدة)، غير مملوكين (أدلاء (قاله ابن قتيبة). [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (157/23)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (230/4)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (230/4)]. قلت: وهذه الأقوال يُصدّق بعضها بعضاً، ذلك أن الحساب يتضمن البعث، ويقتضي الجزاء. وهذه الأمور الثلاثة هي التي من أجلها جعل الله تعالى الموت، وهو انفصال الروح عن البدن، فإن كنتم غير موقنين بأنّ الله تعالى هو المدير الذي يستحق العبادّة وحده دون ما سواه وهو الذي سيحاسبكم على أعمالكم ويُجازيكم عليها، فحاولوا منع الرُّوح من مفارقة البدن عند سكرات الموت.

(2) قال القاسمي في محاسن التأويل (383/6): «بيّن تعالى آيته في الأنعام بما ذكر، ليستدلّ به على وحدانيته وانفراده بالألوهية، وليستدلّ به أيضاً على الحشر، فإنّ العُشب الذي يأكله الحيوان إنما يتولد من الماء والتراب، فقلب الطين نباتاً وعشبا، ثمّ تبديله دماً في جوف الحيوان، ثمّ تحويله إلى لبن، أعظم عبرة على قدرته تعالى على قلب هذه الأجسام الميّنة من صفة إلى صفة».

فإنّه يستقيهم منها لبنا أبيضاً صافياً ليس فيه شيء من حمرة الدّم ولا من خضرة الفرث، لا تعافه نفوسهم ولا تأبى حلوقهم استيساغته، وهذا وجه من أوجه الانتفاع منها وقد ذكر قبل هذه الآية وبعدها من السورة نفسها أوجها أخرى سخّر الله تعالى بها لعباده هذه الأنعام حيث إنهم يستفيدون منها حيّة: بركوبها وجرّائها الأرض وحمل الأمتعة الثّقيلة عليها أثناء السّفَر، وميّتة: بلحومها أكلاً وبقلودها وأشعارها وأوبارها وأصوافها ألبسة وأفرشة ومساكن تقيهم برد الشّتاء وحرّ الصّيف. قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بَشِقِ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالخَيْلَ وَالْبغالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٥-٨]. وقال تعالى: ﴿وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ [النحل: ٨٠].

ثمّ ذكر سبحانه أنّه ألهمهم للانتفاع من ثمار النّخيل والأعنان عدّة طرق: الطريقة الأولى: بالأكل في الحال إذا كانت رطباً، الطّريقة الثّانية: بالأدخار تمرًا وزبيبا، فيكون قوتا لهم في أزمنة الجذب، الطريقة الثّالثة: باستخراج الأشربة النّافعة منها، كالخلّ والرّب والنّبذ وغيرها<sup>(1)</sup>.

(1) يُنظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 443)؛ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاشي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلي، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة: مصر. (109/2).

وقد اختلف في معنى السّكر في الآية الكريمة على ثلاثة أقوال: الأوّل: منهم من حملة على الخمر (وهذا القول ذهب إليه ابن مسعود وابن عمر والحسن ومجاهد وغيرهم)، وأجيب عن الإيراد الذي يرد على ذلك -وهو كون الخمر محرّماً والامتنان لا يكون بشيء محرّماً- بأنّ الآية مكّيّة وإنزالها كان قبل تحريم الخمر، فتكون على هذا منسوخة. أو يُمكن الإجابة عن هذا الإيراد بدون الحاجة إلى النّسخ، بأن يُقال: الخطاب مَوْجّه للمُشركين والخمر من أشربتهم النّافعة، مع ما في الآية من التّشبيه على تحريمها عندما قابلها بالرّزق الحسن، فدلّ بهذه المقابلة أنّ الخمر غير حسن في الشّريعة. الثّاني: ومنهم من حملة على النّبذ وهو عصير التّم والعنب يُطبخ ثمّ يُترك حتّى يشتدّ ولو أسكر (وهذا مروى عن ابن عبّاس)، وعلى هذا الوجه استدلّ به أبو حنيفة على حليّة النّبذ. الثّالث: ومنهم من حملة على أنواع الأشربة والأطعمة التي تُتخذ من ثمرات النّخيل والأعنان، كالخلّ والرّب والنّبذ إذا لم يشتدّ إلى الدّرجة التي يُسكر بها (ابن عبّاس والضحاك)، وعلى هذين القولين الآخرين فالآية مُحكّمة غير منسوخة. [يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (235/20)؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (247-241/17)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (569-568/2)]. وهذا القول

وكلُّ هذه الآيات الدالّة على وُحْدانيّة الله تعالى وانفراده بالخلق والملِك والتّدير، تدلُّ بالضرورة على وُحْدانيّته تعالى في استحقاق العبادة، ولهذا كثيرا ما يحتجُّ الله تعالى على المشركين به في العبادة على توحيدهم له في الملِك والتّدير<sup>(1)</sup>. وقد ضرب الله تعالى مثلا للمشركين - حتى يُعملوا عقولهم فيه - بسنة جرى عليها تعاملهم الاجتماعي، فقال سبحانه: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]. فإذا كنتم لا ترضون أيها الأسياد أن يشرككم خدمكم وعبيدكم - الذين تملكونهم مجازا لا حقيقة<sup>(2)</sup>، وملئكم إيّاهم من بعض الوجوه دون بعض - في الأشياء التي رزقكم الله إيّاهم من الأموال والأزواج وغيرها، فكيف ترضون إذا كانت لكم عقول تزنون بها الأمور أن تجعلوا لله تعالى شركاء في عبادته، وأنتم وعبيدكم وكلُّ ما في العالمين خلقه وملئكم من جميع الوجوه وهو المتصرف فيكم والمدير لجميع أموركم<sup>(3)</sup>.

=

الأخير هو أولى الأقوال بالصواب، ذلك لأنَّ حمل الآية على الوجه الذي تكون به محكمة أولى من حملها على الوجه الذي تكون به منسوخة، وحمل الامتنان بهذه النعم على جميع خلق الله تعالى مؤمنهم ومُشركهم أولى من تخصيصها بالمشركين دون المؤمنين لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]. ثمَّ إنَّ علّة تحريم الخمر هو السكر، وهي موجودة في النبيذ إذا اشتدَّ، ولذلك لما سأل أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له: يا نبيَّ الله إن أرضنا بها شراب من الشعير والمزِر، وشراب من العسل البتُّع، أجابه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». [أخرجه البخاري في "صحيحه" (162/5) برقم: (4344) (كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع)؛ ومسلم في "صحيحه" (99/6) برقم: (1733) (كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام)]. والمزِر: نبيذ يتخذ من الدُّرة. وقيل: من الشعير أو الحنطة. [المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (324/4)]، والبتُّع بسكون التاء: نبيذ العسل وهو خمر أهل اليمن. [المصدر السابق، (94/1)].

- (1) كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنْقِفُونَ﴾ [يونس: ٣١].
- (2) لأنَّ هذا الملِك قد ينتقل إمَّا ببيع أو هبة، وقد يزول بعق أو مكتابة أو موت.
- (3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (95/20)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (97/25).

وفي المقابل جاءت أمثال أخرى في إرشاد العقل إلى حقارة الشُّرك والتعلُّق بغير الله عزَّ وجلَّ، وأنَّه بدون العقل فلن يتوصَّل الإنسان إلى فهم هذه الأمثال والانتفاع منها، وذلك بعدما ذكر الله تعالى أخذه للمُكذِّبين بألوان العذاب - بإرسال الحجاره المحمَّاة التي تحملها الرِّيح تارة وبالصَّيحة تارة (وهي الصَّوت القوي) وبالإغراق تارة وبالحسِّف تارة أخرى<sup>(1)</sup>، ولم ينفَعهم ما تعلَّقوا به من دون الله - ذكر مثلاً لهم في تعلُّقهم بالمعبودات والأولياء من دون الله تعالى والتي لم تنفعهم في الدُّنيا ولن تنفعهم في الآخرة فتُنَجِّهم من عذاب الله وذلك أقلُّ ما يُراد من الولاية فضلاً على أن تُغدق عليهم من النِّعم، فمثَّل حالهم باتخاذ العنكبوت بيتاً ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١]. لا يقيها من حرٍّ ولا بردٍ ولا يحميها من الهوامِّ الأخرى، وذلك أقلُّ ما يُراد من البيت فضلاً على أن يكون مكاناً للراحة لها. بل يصير موضع إزعاج لصاحب البيت من بني الإنسان فيتبتَّعه بالمسح بما يُؤدِّي إلى إيذاء العنكبوت وقتلها، وكذلك المشرك تعلَّقه بالأولياء من دون الله لا يحميه من عذاب الله تعالى، وهو سبب في الوقت نفسه لإلحاق العذاب به من الله تعالى في الدُّنيا والآخرة، ولذلك ختم هذه الآيات بقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]<sup>(2)</sup>.

### الوجه الثاني: قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت للحساب والجزاء.

وقد نصب الله تعالى آيات للعقل حتَّى يتوصَّل إلى الاستدلال على ذلك، منها قصَّة القتيل - التي شهدها بنو إسرائيل وأخبروا بها مُشركي العرب - الذي قتله أبناء قبيلته طمعا في الميراث، ثُمَّ جاؤوا عند موسى - عليه السلام - يُطالبون بدمه وميراثه، فأمرهم الله تعالى أن يضربوه بجزء من البقرة التي ذبحوها قبل ذلك، فحيي وأخبر بمن قتله، والشَّاهد منها ترتُّب الحياة على الضَّرْب بعضو جسد ميِّت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْفُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [البقرة: ٧٢ - ٧٣]<sup>(3)</sup>. ومنها كذلك: اليقظة

(1) ذكر الرازي أن هذه الأنواع الأربعة من العذاب ترجع إلى العناصر الأربع، وهي: النار والهواء والماء والتراب. والإنسان مركب منها وبها قوامه وبسببها بقاؤه ودوامه، فمن عجيب قدرة الله - عزَّ وجلَّ - أنه إذا أراد هلاك الإنسان جعل ما منه وجوده سبباً لعدمه، وما به بقاؤه سبباً لفنائه. [يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (57/25)].

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (57/25).

(3) يُنظر: محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (328/1).

بعد التّوم، فكما أنّه هو القادر على إحياءكم بالتّهار بعد توفّيكم بالليل وهذا مُشاهد لكم، فهو القادر كذلك على بعثكم وإرجاع أرواحكم في أجسادكم بعد الممات، ولذلك قرئنا في قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٨٠] (١). ومنها كذلك: ما يترتب على إنزال الغيث من إحياء الأرض بعد جفافها، فالقادر على إحيائها بأنواع النّبات والثّمار بعد يُبسها قادر على إحياء أجسادكم بعد موتها، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية: ٥].

وهذا كلّهُ إذا تيقن العبد واهتدى بعقله إليه يقتضي منه أن يحرص على استقامة سلوكه، ذلك لأنّ مصيره الأبديّ الذي سيخلد فيه رهن بما يكون عليه سلوكه في الدنيا، ولذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يُوصي بالإكثار من ذكر الموت: «أكثرُوا ذكر هادم اللذات» (٢)، وكان يقول -عليه الصلاة والسلام-: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور... فزوروها، فإنها تُذكر الآخرة» (٣)، وما ذلك إلا لأنّ تُذكر الموت وما يكون بعده من الحساب والجزاء هو أعظم الحوافز للمؤمن على الاجتهاد في تقويم سلوكه.

**الوجه الثالث: الاعتبار بما فعله الله بالأُمم السابقة.** وما أنزله بالفُسّاق منهم من ألوان العذاب، قال تعالى: ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [٣٤] ولقد تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيْنَ أَيْدِي الْقَوْمِ يَعْقِلُونَ [٣٥] [العنكبوت: ٣٤-٣٥].

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (106/18).

(2) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (259/7) برقم: (2992) (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدما أو مؤخرا، ذكر الأمر للمرء بالإكثار من ذكر منغص اللذات نسأل الله بركة وروده)؛ والحاكم في "مستدرکه" (321/4) برقم: (8004) (كتاب الرقاق، أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)؛ والنسائي في "الاجتبي" (381/1) برقم: (1/1823) (كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت)؛ والنسائي في "الكبرى" (379/2) برقم: (1963) (كتاب الجنائز، كثرة ذكر الموت)؛ والترمذي في "جامعه" (141/4) برقم: (2307) (أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ذكر الموت). وقال الترمذي: «حسن غريب».

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (65/3) برقم: (977) (كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه).

الوجه الرابع: الالتزام بالآداب والأحكام الشرعية على جميع المستويات سياسياً واجتماعياً وأسرئياً، وذلك لما يترتب على التزامها من المحاسن، وعلى تضييعها من المفاسد<sup>(1)</sup>.

فعلى المستوى الأسري: فالأسرة تبني أساساً بالزواج، وقد تستمر العلاقة بين الزوجين وقد يعرض من الظروف ما يقتضي انفصام العلاقة بالطلاق أو موت أحد الزوجين، وقد جاء بيان أحكام النكاح والطلاق وما يتبع ذلك من النفقة والعدة والرضاع وغيرها في إحدى وعشرين آية من سورة البقرة<sup>(2)</sup>، وقد ختمها الله تعالى بقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢٤١)</sup> كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ<sup>(٢٤٢)</sup> [البقرة: ٢٤١-٢٤٢].

وعلى المستوى الاجتماعي: وعند الكلام على الصعيد الاجتماعي، يدخل في ذلك جميع العلاقات التي تربط الأسر والأفراد فيما بينها، سواء كانوا من الأقرباء أو من الجيران أو الأصحاب أو غيرهم، وسواء كانوا من ذوي الصحة والعافية أو من ذوي الاحتياجات الخاصة، وقد رفع الله تعالى العنت والمشقة عن المجتمع الإسلامي، بما شرعه من إباحة الأكل من بيوت أقاربهم مع الالتزام بآداب الضيافة من إلقاء التحية والاستئذان وغيرها من الآداب التي أتى بيانها في نصوص أخرى، وقد ختم الله كل ذلك بأنه بيّن هذه الأحكام لعباده حتى يعقلوها عقل فهم وإدراك لما فيها من المصالح، وعقل سلوك بالأخذ بهذه الأحكام والالتزام بهذه الآداب، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٦١)</sup> [النور: ٦١].

(1) بعد استقراء النصوص التي ذُكرت فيها الآيات مع العقل، وجدت ثلاثة مواضع أتت فيها الآيات بمعنى الأحكام الشرعية، ووجه إرشاد العقل إليها في هذه المواضع تأمل ما فيها من الحكيم والمصالح العاجلة والآجلة، وهذا الوجه ذكره كثير من المفسرين. [ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (6/495) (24/423)؛ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (7/411)؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (1/219)].

(2) من الآية 221 إلى الآية 242.

وأما على المستوى السياسي: وهو يشمل كلّ ما يخصّ تنظيم الدولة الإسلاميّة في العلاقات الداخليّة و الخارجيّة<sup>(1)</sup>، وقد جاء إرشاد العقل إلى بيان قضية تمثّل مُرتكز السياسة، وهي أنّ الدولة الإسلاميّة لا يُخشى عليها من الأعداء الخارجيين بقدر ما يُخشى عليها من الأعداء الداخليين الذين يُظهرون الولاء للمسلمين وهو لا يُقتصرّون في أعمال معاول الإفساد والهدم والتخريب، ولا يصلح في العقل اتّخاذ من يُضمر الحقد على المسلمين محلاً للمشاورة في أمور الرعيّة، وإفشاء أسرارها إليه، لأنّه لا يُؤمن أن يستخدمها في إلحاق الضّرر ببلاد الإسلام، وإعانة الأعداء عليهم، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتِ أَلْبَعَضُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ [آل عمران: ١١٨]. فبيّن الله تعالى لأهل العقول العلامات الدالّة على إبطانهم للحقد، من جهة أقوالهم وهو كُفر هؤلاء بنبيّ الإسلام - صلى الله عليه وسلم-، والكتاب الذي أنزله إليهم، ومن جهة أفعالهم وهو عدم التّقصير في إلحاق الضّرر والشّماتة بهم متى ما سمحت لهم الظروف بذلك<sup>(2)</sup>.

(1) ولست بصدّد ذكر كل ما اشتمل عليه الكتاب والسنة من معالم السياسة الشرعية، وإنما أكتف بذكر النصوص التي ذكر فيها العقل مع الآيات، وقد ألف أهل العلم في القدم والحديث في السياسة الشرعية، وأصلوا له حتى صار علما قائما بذاته، ومن تلك المؤلفات على سبيل المثال: الطرق الحكمة في السياسة الشرعية لابن القيم، درر السلوك في سياسة الملوك لأبي الحسن الماوردي.

(2) والآية وإن كانت نازلة في المنافقين، فصفة (من دونكم) في الآية الكريمة شامل للمنافقين ولجميع الكفّار ممّن ليسوا على ملّة الإسلام كما قال ابن قتيبة. [ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (7/146)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (8/339)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (1/318)].



## الفصل الثاني: الاضطرابات النفسية بين نصوص الكتاب والسنة وعلم نفس الشواذ.

المبحث الأول: مفهوم الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذ.

المطلب الأول: بُدّة عن تاريخ الاضطراب النفسي.

المطلب الثاني: الأسس النظرية المفسرة للاضطراب النفسي، وأسبابه.

المطلب الثالث: تعريف الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذ، وتصنيفاته.

المبحث الثاني: مرض القلب في نصوص الوحي، والمقارنة بينه وبين الاضطراب النفسي

في علم نفس الشواذ.

المطلب الأول: تعريف مرض القلب، وبيان أنواعه في نصوص الوحي.

المطلب الثاني: أسباب مرض القلب وأعراضه في نصوص الوحي.

المطلب الثالث: المرض النفسي بين نصوص الوحي وعلم نفس الشواذ.

### تمهيد:

الاضطراب النفسي أو المرض العقلي أو المرض القلبي هي مصطلحات يجمعها حدوث خلل في الوظائف النفسية، وأشملها الاضطراب النفسي لأنَّ النفس تُمثِّل الجانب البدني والجانب النفسي معاً، ولذلك يُعبَّر بها عن الرُّوح حال اتِّصالها بالبدن كما مرَّ، وسيتمُّ العمل في هذا الفصل على تجلية معنى الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذِّ ثمَّ بيان معنى مرض القلب في الآيات والأحاديث انتهاءً بالمقارنة بينهما.

## المبحث الأول: مفهوم الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذ.

وبعد ما كان يُطلق على اختلال الوظائف النفسية - في علم النفس المرضي - مرض نفسي، باعتبار أنه راجع إلى أساس حيوي عضوي (بيولوجي) كسائر الأمراض العضوية، ومع تقدّم العلم التجريبي لُوحظ وجود حالات لاختلال وتغيّر سلمي في الجوانب النفسية من الإدراك والتفكير والشعور والانفعال والسلوك، من غير وجود تغيّرات في الأعضاء الحيوية فأصبح يُطلق عليه اضطراب نفسي بدلاً عن مرض نفسي، بالإضافة إلى أنّ عبارة (اضطراب نفسي) أخفّ وقعا - في نظر عامة الناس - من عبارة (مرض نفسي) <sup>(1)</sup>. كما أنّ مُصطلح اضطراب يعكس الجانب الآخر لمفهوم التوازن بين الجوانب النفسية في حالة السواء والصحة النفسية.

وسيتّم عرض نبذة عن تاريخ الاضطراب النفسي، ثمّ بيان الأسس النظرية التي اعتمدها المدارس والاتجاهات النفسية في تفسير الاضطراب النفسي، مع تحديد أسبابه، ثمّ ذكر التعاريف التي عرّف بها مع التعقيب عليها، انتهاء بسرد مختلف التصنيفات التي صُنّف بها الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذ.

### المطلب الأول: نبذة عن تاريخ الاضطراب النفسي.

حاول الإنسان منذ القدم تفسير ما يُصيبه من الأمراض النفسية كانت أو جسميّة، وتعامل الإنسان وموقفه الإجرائي بُجاء الاضطرابات النفسية على اختلاف أنواعها ومراتبها، تغيّر من مرحلة زمنيّة إلى أخرى بناء على نظريته وتفسيره للاضطراب النفسي.

وقد ذكر الباحثون أنّ تاريخ البشريّة مع الاضطراب النفسي مرّ بأربعة نماذج <sup>(2)</sup>، وهي:

(1) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، ط1، دار دجلة ناشرون وموزعون: المملكة الأردنية الهاشمية-عمان، 2015م. (ص:36).

(2) يُنظر: علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 29)؛ د. عبد الستار إبراهيم، العلاج النفسي الحديث، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، 1980م، (ص: 8).

أولاً: مرحلة التفسيرات التي كان يُرجع فيها جميع الاضطرابات النفسية إلى حركة التوجوم والأفلاك السماوية، ودخول الأرواح الشريرة إلى الدماغ وتأثيرها على جميع وظائف الجسد، وقد تناقل كثير من الباحثين عملية الترنبة - وهي إحداث ثقب في الجمجمة - حسب ما كشفته أبحاث المستحثات من بعض الجماجم المثقوبة، وقد فسرت الغاية من هذه العملية بإخراج الروح الشريرة التي تسكن الدماغ.

ثانياً: مرحلة التفسيرات الحيوية (البيولوجية)، والتي تُسند جميع أنواع الاضطراب النفسي إلى أساس حيوي بمعنى أنّ كل مرض نفسي ناتج عن اختلال في مكونات الجسد. وهذا النموذج وإن كان قد بدأ قديماً من عهد الطبيب هيبوقراط اليوناني (350 ق. م تقريباً) والطبيب جالينوس الروماني (200 ق. م تقريباً)، إلا أنّه تطوّر جدّاً وبشكل أكثر دقة وموضوعية، حيث أصبح معروفاً في «علم الأعصاب» الفرق بين مناطق الدماغ من جهة ووظيفتها، فهناك مناطق مسئولة عن الكلام وأخرى عن الإبصار وهكذا، كما اكتُشف الفرق بين أنواع الناقلات العصبية والوظائف المسؤولة عنها، كما أصبح معروفاً الفرق بين وظائف الهرمونات التي تُفرزها الغدد الصماء والتي تُؤثر على الوظائف الجسمية والنفسية كالنوم والتوتر والقلق وغيرها، ولا زال هذا الاتجاه له وزنه ومكانته في الطب النفسي إلى اليوم، وبناء عليه يتم وصف العقاقير والأدوية الكيميائية.

ثالثاً: مرحلة التفسيرات النفسية (السيكولوجية) الوظيفية أحادية الجانب، وساعد في الانتقال إلى هذا الاتجاه الكشف عن اضطرابات نفسية مع سلامة الأجهزة العضوية الجسمية، حيث بزغت في مطلع القرن 20م حركة التحليل النفسي، والتي ترى بأنّ الاضطرابات النفسية ما هي إلا أعراض للصرعات التي تحدث بين جوانب الشخصية في اللاشعور، ولما اعترى هذه الحركة من غموض التشخيص و طول مدة العلاج وما وُجّه إليها من النقد الشديد خاصة في أنّها لم تُبن على أسس تجريبية علمية، ظهرت - في المرحلة نفسها - مدرسة أخرى مُقابلة لها في النظر إلى الاضطراب النفسي وهي السلوكية والتي كانت ترى بأنّ الاضطراب النفسي هو نفسه العرض الظاهر في السلوك، وليس هو نتيجة مُنبثقة عن صراعات نفسية خفية لا شعورية كما يذهب إليه التحليل النفسي.

وإذا كانت بدايات مدرسة التحليل النفسي قد تغلغت في تجاوز ما هو عضوي وسلوكي ظاهري إلى ما هو نفسي وحصرت الإنسان في صراعاته الداخلية، فإنّ السلوكية في بداياتها كذلك بلغت في سلب الإنسان جوانبه الداخلية وحصرته في جوانبه السطحية والتي يُمكن ملاحظتها تجريبياً.

رابعاً: مرحلة التفسيرات النفسية (السيكولوجية) الوظيفية متعددة الجوانب، والتي تُحاول ألا تتهزّب من الطبيعة المعقّدة للاضطراب النفسي، حيث تُزاوج في نظرتها للاضطراب النفسي بين الجوانب الداخليّة من التفكير والشّعور والجوانب الخارجيّة من السلوك والانفعال، فعندما يحدث الاضطراب النفسي لا يقتصر على جانب من هذه الجوانب بل يشملها جميعاً، فتحدث تغييرات انفعالية وشعورية وسلوكية وحيوية في الوقت نفسه.

وأهمّ ما تميّز به علم نفس الشواذ منذ النصف الثاني من القرن العشرين إلى العصر الحالي الحرص على الأسلوب التوفيقي الذي يستفيد من جميع النماذج والاتجاهات في تفسير الاضطراب النفسي، وبذلك خفّت الصراعات والتزاعات بين الاتجاهات النفسية<sup>(1)</sup>.

### ملاحظات على هذا السرد التاريخي للاضطراب النفسي:

الملاحظة الأولى: هذه المراحل ليست باعتبار التوالي الزمني لأنّ إرجاع الاضطرابات النفسية إلى أسس عضوية -الذي يُعتمد إلى اليوم في إعطاء العقاقير التي تعمل على إعادة التوازن بين الإفرازات الكيميائية في الدماغ- ظهر منذ الطبيب اليوناني هيبوقراط (350 ق. م تقريباً)، حيث أرجع الأمراض النفسية والعقلية -كالمالينخوليا (وهو ما يُعرف اليوم بالاكتئاب السوداوي أو الحاد) وغيرها من الاضطرابات النفسية والعقلية- إلى أساس عضوي. وكلّ مرض نفسي -حسب نظرية الأنماط لهيبوقراط- هو ناتج عن اختلال في التوازن بين أمزجة الجسم الأربعة، وهي: (الدم- تُفرزه الكبد- والبلغم- تُفرزه الرئتان- والصفراء- عُصارة المرارة- والسوداء- عُصارة الطحال-)، حيث جعل لكل واحد من هذه الأربعة طبيعة ونمطاً، فالنمط الدموي: يتميّز بالنشاط والحماس وحِدّة الطبع، والبلغمي: ثقيل مُتبدّل غير مبال، والصفراوي: عنيد سريع الانفعال، والسوداوي: مكتئب انطوائي بطيء الفكر والحركة<sup>(2)</sup>.

وسبق هذا التفسير الحيوي العضوي وتزامن معه ظهور التفسير الفلكي للاضطراب النفسي الذي يرى بتأثير الكواكب والأجرام السماوية في الحوادث الأرضية، والاضطراب النفسي حادث من هذه الحوادث. وهؤلاء الذين ذهبوا إلى ربط الحوادث الأرضية بحركة النجوم والأفلاك هم الصابئة

(1) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 26).

(2) يُنظر: حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 54).

الذين ذكرهم الله في غير آية من كتابه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰرِئِ وَالصَّٰبِغِينَ﴾ [البقرة: ٦٢]. والآية الكريمة ذكرت أنَّ النَّاجِينَ منهم هم الذين آمنوا بالله تعالى المتفرد بالخلق والتدبير، وذلك يقتضي الإيمان بجميع رسله -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام-، وعملوا العمل الصَّالح المبني على إخلاص العبادة لله تعالى وعدم الإِشْرَاق به مع الاتِّبَاعِ لِلْأَنْبِيَاءِ فِي ذَلِكَ. وقد حكت كتب التفسير عن السَّلف في تعريفهم أقوال كثيرة، مردُّها إلى صنفين من الأقوال:

الصَّنْفُ الْأَوَّلُ: أقوال وصفتهم بأنَّهم من أهل الكتاب، ثم القائلون بهذا اختلفوا، فمنهم من قال بأنَّهم من النَّصَارَى كَابْنِ عَبَّاسٍ، ومنهم من قال يَقْرَءُونَ الرَّبَّوْرَ كَأَبْنِ دَاوُدَ كَابْنِ الْعَالِيَةِ.

الصَّنْفُ الثَّانِي: أقوال وصفتهم بأنَّهم قوم لا دين لهم. وقد اضطربت الأقوال جدًّا هنا في توصيفهم -بالإضافة إلى احتوائها على الوصف المشترك بأنَّهم لا دين لهم-، فقال مجاهد بن جبر: هم بين النَّصَارَى والمجوس، وقال سعيد بن جبيرة: هم بين اليهود والنصارى، وقال الحسن والحكم: قوم كالمجوس، قال ابن زيد: قوم يقولون: لا إله إلا الله فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، وقال قتادة: قوم يُصَلُّونَ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَيَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ<sup>(1)</sup>. وهذا لأنَّ الصَّابِغَةَ قوم أخذوا من كلِّ نَحْلَةٍ وَمِلَّةٍ بعض توجُّهاتها، وخلطوها بالفلسفات اليونانية والمصريَّة القديمة، وعليه فهذه الأقوال كلُّ واحد منها حدَّد ووصف جانباً من مذهبهم.

ولفظ الصَّابِغِينَ فِي الْآيَةِ قَرَأَهُ الْجُمْهُورُ بِالْهَمْزِ، وَقَرَأَهُ نَافِعٌ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَ الْبَاءِ، فَقَرَأَهُ الْهَمْزُ مِنْ صَبَأٍ بِمَعْنَى ظَهَرَ وَطَلَعَ، أَي هُمُ الَّذِينَ طَلَعُوا خَارِجِينَ مِنْ كُلِّ دِينٍ. وَقَرَأَهُ تَخْفِيفُ الْهَمْزِ مِنْ صَبَا بِمَعْنَى مَالٍ، أَي هُمُ الَّذِينَ مَالُوا عَنْ أَدْيَانٍ كَثِيرَةٍ أَخَذُوا مِنْ كُلِّهَا قَبْسًا رَكَّبُوا بِهِ دِينَهُمْ، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ لَفْظَ الصَّابِغَةِ عَرَبِيٌّ. وَذُكِرَ عَنْ بَعْضِ الْمُسْتَشْرِقِينَ أَنَّ لَفْظَ الصَّابِغَةِ مُعَرَّبٌ وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ كَلِمَةِ عِبْرِيَّةٍ، وَهِيَ (صَبَع) فَتَلَبَّتِ الْعَيْنُ هَمْزَةً، وَتَعْنِي غَطَسَ فِي الْمَاءِ، وَهُوَ طَقَسَ مِنَ الطُّقُوسِ يُسَمَّى بِالتَّعْمِيدِ أَخَذَتْهُ الصَّابِغَةُ الْمُنْدَائِيَّةُ مِنَ النَّصَارَى<sup>(2)</sup>.

(1) يُنظَرُ: أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، (2/146-148)؛ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، زَادَ الْمَسِيرَ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ، (73/1).

(2) وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ مَوْجُودَةٌ إِلَى الْيَوْمِ فِي الْعِرَاقِ وَإِيرَانَ، وَقَدْ طَرَأَ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ التَّغْيِيرِ بِسَبَبِ مَنَهِجِهَا الْمُتَمَيِّعِ، وَالصَّابِغَةُ الْمُنْدَائِيَّةُ يَدْعُونَ أَهْلَهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى سَامِ بْنِ آدَمَ وَيُحْيِي بَنَ زَكَرِيَّا وَإِدْرِيسَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَلَهُمْ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مَكْتُوبَةٌ بِلُغَةِ سَامِيَّةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ السَّرِّيَانِيَّةِ، وَمِنْ أَمْزَجَاتِهَا: (الْكَنْزُ رَبَّانِيًّا) وَهُوَ أَكْبَرُ كِتَابِهِمْ، وَ(إِسْفَرُ مَلُوشَا) أَي كِتَابُ السَّمَاءِ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ طُرُقُ التَّنْجِيمِ

وجامع أصل دينهم هو عبادة الكواكب والنجوم، وهم يؤمنون بوجود الخالق سبحانه وتعالى ولكن يتخذون له الوسائط وهي الأرواح العلوية من الملائكة التي تسكن الكواكب، وبعضهم يبني لها الهياكل في الأرض، وسبب هذا التنوع في العقائد والشعائر هو تعرضهم لقهر كثير من الأمم المليئة وغير المليئة<sup>(1)</sup>، وهم الذين حكى الله تعالى عنهم مُناظرة إبراهيم -عليه السلام- لهم، في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ﴿٧٦﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٦] الآيات<sup>(2)</sup>.

والعلاج النفسي منذ عهد قريب كان فيه التتجيم أسلوبا من أساليب العلاج المعتمدة من قبل الجامعات الأوروبية، وذلك في نهاية القرن الثامن عشر ميلادي، على يد الطبيب فرانز أنطون مسمر (franz anton mesmer)، الذي كانت عنوان رسالته للدكتوراه (أثر الكواكب على جسم الإنسان)<sup>(3)</sup>.

وحتى في عصرنا الحالي كثير من الناس سواء في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية لا زال اللجوء إلى السحرة والكهّان ظاهرة اجتماعية قائمة حتى في المجتمعات التي تدّعي التحضّر. وصار الترويج لبعض طقوس الديانات الشرقية الشركية كالبودية والهندوسية يتم عن طريق مُصطلحات علمية وطبية، تحت قناع العلاج بالطاقة وقانون الجذب وممارسة اليوجا وغير ذلك من هذه الأسماء

=

وتأثير الكواكب في الحوادث الأرضية، [يُنظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، ط3، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1418هـ.، (2/724-733)].

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (1/534-537).

(2) يُنظر: أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم الشّهْرستاني، الملل والنحل، ضبط وتعليق: كسرى صالح العلي، ط1، مؤسّسة الرّسالة ناشرون: بيروت-لبنان، 1436هـ-2015م، (ص:324-325)؛ أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الرّد على المنطقيين، تحقيق: د. سيّد سليمان النّدوي، ط1، مؤسّسة الرّيان للطباعة والنشر والتّوزيع: بيروت-لبنان، 1426هـ-2005م، (ص:499-501)؛ أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، ط1، دار الصمعي: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1419هـ-1998م (ص:248).

(3) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 25).

المزخرفة، التي لا يعتزُّ بها إلا من وقف عند بخرجها ولم ينفذ إلى حقيقتها، لأنَّ العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

الملاحظة الثانية: بعض تفسيرات الباحثين لتلك الوقائع في مراحلها حين تعامل الإنسان مع الاضطراب النفسي فيها نظر، فربط تفسير الاعتقاد بوجود أرواح داخل الدماغ بمُجرّد وجود هذه الثقوب في بعض الجماجم تفسير تحكّمي يحتاج إلى دليل، وذلك لقيام الاحتمال أنّ هذه الثقوب كانت لونا من ألوان التعذيب، أو أثرا من آثار آلة من الآلات التي كان يستعملها الإنسان القديم في الحروب، أو أنّها كانت تُستعمل لعلاج مرض عضوي مُعيّن في الدماغ.

أما تفسير الأمراض النفسية بأنّها أثر من آثار حركة النجوم والأفلاك، فهذا قد نصّت النصوص الشرعية على تعاطي الأمم السابقة له، وحكمت بتحريمه لأنه ضرب من السحر، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»<sup>(1)</sup>. ولما صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بالصَّحَابَةَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ، فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُورِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»<sup>(2)</sup>. وعن جابر رضي الله عنه قال: «انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-. يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-. فَقَالَ النَّاسُ: إِنَّمَا انْكَسَفَتِ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ. فَقَامَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَصَلَّى بِالنَّاسِ... فَأَنْصَرَفَ حِينَ انْصَرَفَ، وَقَدْ آصَتِ الشَّمْسُ. فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ. وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنْ

(1) أخرجه أبو داود في "سننه" (22/4) برقم: (3905) (كتاب الكهانة والتطير، باب في النجوم)؛ وابن ماجه في "سننه" (670/4) برقم: (3726) (أبواب الأدب، باب تعلم النجوم)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (138/8) برقم: (16609) (كتاب القسامة، باب ما جاء في كراهية اقتباس علم النجوم)؛ وأحمد في "مسنده" (502/2) برقم: (2025) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي -صلى الله عليه وسلم-). حكم الحديث: صحيح. [ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، برقم: 2840، (41/5)؛ محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: 793، (420/2)].

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (59/1) برقم: (71) (كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء).



النَّاسِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا»<sup>(1)</sup>. وبهذا يتبيّن أنّه لا علاقة لحركة النجوم في التأثير على الناس، ومنه ما يُذاع اليوم على الجرائد وعلى بعض المواقع باسم علم الأبراج، وهو علم زائف، وهذا المنهبي عنه من علم النجوم يُسمّى بعلم التأثير.

وأما علم التّسيير<sup>(2)</sup>، وهو الاستدلال بهذه النجوم على الجهات الأربع (الشمال والجنوب والشرق والغرب) في السّفر برّاً وبحراً، ومعرفة جهة القبلة، أو الاستدلال بها على الأوقات كوقت نزول المطر والريّح وغيره، فهذا مشروع، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]<sup>(3)</sup>.

وأما تأثير السّحر والعين والمسّ الشّيطاني على الإنسان-وعلى جانب ما وقع فيه من الكلام بين من أثبتته وبين من نفاه من الفرق الإسلاميّة- كان الواجب عدم الخوض فيه من منطلق وعلى مستوى العلم التجريبي، ذلك لأنّ العلم التجريبي يتحدّد مجال بحثه فيما يصل إليه الحسّ، ومن المقرّر به أنّ الاضطراب النفسي الواحد قد يكون له أكثر من سبب، وعليه فالوصول إلى السبب الحيوي أو النفسي أو الاجتماعي لا يعني بالضرورة عدم وجود أسباب روحية أخرى، لها أثرها في الصحة والاضطراب النفسيين.

وإرجاع جميع الاضطرابات النفسيّة إلى كيد الشّياطين غير سليم، وهذا ما يفعله كثير من السحرة والمشعوذين والذين يتخذون الرّؤية مهنة يتكسّبون منها، حيث يُوهمون جُهّال النَّاسِ بأنّ جميع ما يُصيبهم من الأمراض نفسيّة كانت أو بدنيّة هو مُنحصر إمّا بسبب مسّ شيطاني أو سحر أو عين، وذلك حتّى يلجأ عامّة النَّاسِ إليهم في العلاج ليستنزفوا منهم أموالهم بغير حقّ.

(1) أخرجه من هذه الطريق مسلم في "صحيحه" وهي التي فيها ذكر موت إبراهيم -رضي الله عنه- حين انكساف الشّمس (31/3) برقم: (904) (كتاب صلاة الاستسقاء، باب ما عرض على النبي -صلى الله عليه وسلم- في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار)، وأخرجه الشّيخان من طرق أخرى، فيها ذكر انكساف الشّمس وكيفية صلاة الكسوف دون قصّة موت إبراهيم -رضي الله عنه-.

(2) يُنظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، ط2، دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، 1424هـ. (519/1).

(3) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (191/20).

وفي المقابل فالنفي التام لتأثير السحر والمسّ والعين وغير ذلك من صور كيد الشياطين لبني آدم غير سليم أيضاً، لأن تأثيره ثابت بالصحيح من المنقول والصريح من المعقول والواقع يُصدّق ذلك<sup>(1)</sup>، بل صارت تتعالى بعض الأصوات في المجتمعات العلمية بنفي وجود الجنّ والشياطين أصلاً، فضلاً عن نفي وجود علاقة بينها وبين الإنس، والقول بأن الشيطان ليس له تأثير على الإنسان مُطلقاً تكذيب لله -تعالى وتقدّس-، حيث إنه أمر عباده بالتعوّذ منه في مواضع كثيرة من القرآن، مثل سورتي الفلق والناس، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]. فالاستعاذة من شرّ الشياطين دليل صريح على أن لها تأثيراً على بني آدم.

ولكن الملاحظ أنّ ما يُقلق البحوث النفسية الحديثة من القول بأنّ بعض الاضطرابات النفسية تعود إلى أثر السحر والمسّ وتأثير الشياطين عموماً -وهو نفسه ما أدّى بكثير من الباحثين إلى إقصاء أثر ذلك على الحالة النفسية- أنّ العلم التجريبي الحديث الذي يتحدّد مجال بحثه ودرسه على المستوى المادي الشهودي ليس فيه من الآليات ما يتعامل به مع هذا الجانب الغيبي من عالم الجن والشياطين، في حين أنّ الشريعة احتوت على كثير من الأذكار والآداب التي يُحصّن المسلم بها نفسه من تأثير الجن والشياطين، كقوله -صلى الله عليه وسلم-: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة... كانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي... الحديث»<sup>(2)</sup>. وجاء في قصّة أبي هريرة -رضي الله عنه- مع الشيطان، أنّه قال له: «إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسيّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتّى تختم الآية فإنّك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يُقرّبَنَّكَ شيطان حتّى تُصبح... فأقرّه النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قائلاً: أما إنّهُ قد صدّقك وهو كذوب»<sup>(3)</sup>، وكتب السنّة والأذكار مليئة بهذا.

(1) يُنظر: طارق بن علي الحبيب، العلاج النفسي والعلاج بالقرآن (رؤية طبيّة نفسية شرعية)، ط3، مكتبة الملك فهد: الرياض - المملكة العربية السعودية، 1424هـ-2003م. (ص: 134، 187-191، 271، 307)؛ خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، الحذر من السحر دراسة علمية لحقيقة السحر وواقع أهله من منظور الكتاب والسنة مع بيان المشروع في الوقاية والعلاج، ط3، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان: الرياض - المملكة العربية السعودية، 1428هـ-2007م. (ص: 351).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (126/4) برقم: (3293) (كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده)؛ ومسلم في "صحيحه" (69/8) برقم: (2691) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (101/3) برقم: (2311) (كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازهُ الموكّل).

الملاحظة الثالثة: طريقة سرد البحوث الغربية - وبعض الباحثين ممن تأثروا بها من أبناء الأمة الإسلامية، ممن نقل الحضارات الغربية بدون تمحيص - للتاريخ الذي مرَّ به تعامل الإنسان مع الاضطراب النفسي؛ أنها تُغفل إغفالاً تاماً الحضارة الإسلامية بل وتتغافل عن الشرائع التي بُعث بها الرُّسل والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وكأنَّ الحضارة الإنسانية بدأت من افتراضات الفلاسفة اليونانية وتخميناتهم، إلى أن تمَّ تجديدها عن طريق العلم التجريبي الغربي الحديث.

وكانَّ الشرائع السماوية داخلية في ذلك التعميم المضلل الذي كانت تتعامل به الشعوب القديمة مع المرضى النفسيين والعقليين بالسجن والحرق والتعذيب، في حين أنَّ الذي جاء في الوحي المحفوظ ضد ذلك تماماً، بدءاً من عيادة المريض أيّاً كان نوع مرضه نفسياً أم بدنياً، انتهاءً بالسَّعي إلى تعاطي الأسباب التي ثبت نفعها في العلاج.

ولعلَّ من أبرز الأسباب التي ولدت لدى الشعوب الغربية - لا سيَّما في المجالات العلميَّة - زُهايا من الأديان عامَّة ما تعرَّض له كثير من المفكرين والعلماء التجريبيين في العصور الأوروبية المظلمة من الاضطهاد وتعسف رجال الكنيسة باسم الدِّين المسيحي الذي حرَّفه النَّصارى وبدلوه، حيث كان يتمُّ قتل المرضى العقليين بالحرق والتعذيب وغير ذلك بدعوى أنَّهم مُذنبون وسحرة لهم نوع اتِّصال مع الشياطين، وكانت هذه الحال في أوروبا هي الغالبة من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر ميلادي<sup>(1)</sup>، في الوقت نفسه الذي كانت الأمة الإسلامية في رقيِّ حضاريِّ في جميع المجالات، بما في ذلك الطبِّ، حيث استرشد الأطباء المسلمون بما ورد في الوحي، واستفادوا بناءً على ذلك من الحضارات الأخرى، والمطلَّع على تاريخ الأمة الإسلامية في العصور الوسطى، يقف على دلائل هذا<sup>(2)</sup>، حيث ظهرت حركة التَّطبيب تأليفاً وممارسة لدى عدَّة أطباء ومُعالجين مسلمين، وبُنيت كثير من المستشفيات التي كانت تُسمَّى (البيمارستان) بالفارسيَّة، وتمَّ بناء أوَّل مستشفى للأمراض النفسيَّة والعقليَّة على يد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في سنة 88هـ الموافق لسنة 706م، وكانت تُقدِّم فيه كثير من الخدمات الطبيَّة والرَّعاية النفسيَّة للمرضى النفسيين والعقليين سواء كانوا رجالاً أم

(1) يُنظر: ول ديورانت و ويليام جيمس ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرون، نقلهم: د. محيي الدِّين صابر، دار الجليل: بيروت-لبنان، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: تونس، 1408هـ-1988م. (139/23).

(2) يُنظر: أ. د. محمد مؤنس عوض، في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط1، دار العلم العربي: القاهرة-مصر، 1432هـ-2011م. (ص: 142).

نساء، من أهل الإسلام أم من غيرهم من الذميين والمعاهدين، وسرد هذه الخدمات الطبية بأسسها وأشكالها وأساليبها مما يضيق عنه هذا البحث<sup>(1)</sup>.

## المطلب الثاني: الأسس النظرية المُفسّرة للاضطراب النفسي، وأسبابه.

### الفرع الأوّل: الأسس النظرية المُفسّرة للاضطراب النفسي.

لا تخلو طريقة نفسية -سواء في الوقاية أو التشخيص والعلاج- من الاعتماد على أساس مفاهيمي للاضطراب النفسي، لأنّ الحكم على الشيء فرع عن تصوّره، يقول إميل فرانكل: «لا يُوجد علاج نفسي لا يستند إلى نظرية عن الإنسان وفلسفة للحياة، فالعلاج النفسي يقوم عليها عن عمد أو عن غير عمد»<sup>(2)</sup>. وقد تشعبت وجهات النظر في تفسير وتوصيف الاضطراب النفسي بين الباحثين، بحيث إنّ كلّ باحث له آرائه الخاصّة في هذا المجال، التي تكاد تخرج عن الحصر والعدّ، وحتى لا أقع في التشتت فالتركيز سيكون على تحديد المنطلقات النظرية الكبرى التي انبثقت منها وتأسست عليها تلك التوجهات النفسية لدى الباحثين، ويمكن أن نميّز بين خمس نماذج نظرية كبرى في تفسير الاضطراب النفسي، وسأذكرها نموذجاً نموذجاً، مبيّناً نظرتهم للاضطراب النفسي ثمّ مضمونه ثمّ أهمّ الميزات وأخيراً أهمّ الانتقادات الموجهة إليه، وهذه المناهج -وإن بُذل فيها من الجهد العلمي ما بُذل- ما دامت أنّها اجتهاد بشريّ، فإنّها لا تخلو من ملاحظة، وذلك من شأنه أن يعمل على إصلاح هذه المناهج وتقويمها، ولذلك نجد أنّ هذه الملاحظات على هذه النظريات والمناهج أوّل ما تنبع من أبناء النظرية أنفسهم، الذين همهم البحث عن الحقيقة لا التعصّب الأعمى، والبشر مهما كانوا فهم مجبولون على الخطأ، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوّابون»<sup>(3)</sup>، وهذه النماذج هي كالاتي:

(1) يُنظر: د. عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس الإكلينيكي، الدار الجامعية: الإسكندرية-مصر، 1992م. (ص: 35)؛ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ط2، دار الرائد العربي: بيروت-لبنان، 1401هـ-1981م. (ص: 10-20).

(2) فيكتور إيمانيل فرانكل، إرادة المعنى -أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى-، ترجمة: إيمان فوزي، دار زهراء الشرق: القاهرة-مصر، 1997م. (ص: 21).

(3) تقدّم تخرجه، (ص: 19).

## أولاً: المنظور الحيوي (البيولوجي).

أ- نظرتة إلى الاضطراب النفسي: يرى أصحاب هذا المنظور أنّ كلّ اضطراب نفسي أو عقلي له أساس عضوي حيوي، فالاضطراب النفسي ما هو إلا عرض لتغيرات حاصلة على مستوى الجسم.

ب- مضمون المنظور الحيوي (البيولوجي): ويضمّ هذا المنظور ثلاث نظريات فرعية، وهي كالتالي:

1- النظرية البنيوية (بنية الجسم): وهي تقوم على الاستدلال بالسّمات الجسدية على نوع السّمات النفسية للشخصية، وأوّل من ابتداء الكلام فيها وأدخلها في علم النفس الحديث هو آرنتست كريتشمز Arnest Kretschmer ومن بعده وليام هيربرت شيلدون William Herbert Sheldon في أوائل القرن العشرين، حيث اعتقدا أنّ هناك تناسباً بين الجسم والمزاج، فذهبا إلى تفصيل السمات النفسية كالانطواء والاكتئاب وحب المنافسة و الاتصال الاجتماعي وغيرها وتخصيصها بمقابلة أشكال ظاهرية معينة للجسد كالنحافة والسمن ومدى بروز العضلات، وهذه النظرية هي أضعف النظريات الثلاث؛ ذلك أنّها ليست بمطردة فقلّما تجد شخصين لهما نفس الشكل الجسدي يشتركان في جُلّ صفات الشخصية فضلاً أن يشتركا في كلّها، كما أنّ الشكل الجسمي ليس بثابت، بل يطرأ عليه التّغيير بسبب الأنماط المعيشية الغذائية والحركية مع بقاء السّمات النفسية على حالها.

2- النظريات الكيميائية: والتي ترى أنّ الاضطراب النفسي ناتج عن خلل في الإفرازات الكيميائية في الجسم، ومنها انطلقت دراسة العقاقير الكيميائية وتأثيرها على الوظائف النفسية، وهذه وإن كانت بداياتها ضعيفة إلا أنّها تحسّنت بمرورها عبر أطوار كثيرة.

واليوم توصّلت بحوث العلم التجريبي إلى اكتشاف أنواع الإفرازات الكيميائية في الجهاز العصبي (النّاقلات العصبية)، وكذلك أنواع الإفرازات الكيميائية في الجهاز الغدي (الهرمونات)، والوظيفة النفسية التي يتعلّق بها كلّ ناقل عصبي وكلّ هرمون.

3- النظريات الغذائية (الأبضية): والتي ركزت على تأثير نوع الغذاء على الوظائف النفسية، وإن كان من غير السليم إرجاع جميع الاضطرابات النفسية والطبائع الشاذة إلى نوع الغذاء المتناول، إلا أنه ثبت تجريبياً تأثير كثير من العناصر الغذائية في كفاءة عمل الجهاز العصبي والهرموني.

4- النظريات الوراثية (الجينية): لفتت إلى دور الوراثة في انتقال الصفات النفسية كالجسمية إلى الأولاد عن طريق المورثات، والتي في ضمنها التشوهات الخلقية في الدماغ أو الجهاز العصبي أو الغدد الصماء، والتي بدورها تؤثر على الوظائف النفسية وتحدث اضطرابات نفسية معينة.

### ج- أهم مزايا المنظور الحيوي (البيولوجي):

1- أنه كشف عن الأساس الحيوي للاضطراب النفسي، حيث قام بتحديد نوع التغيرات الحادثة في الاضطرابات النفسية.

2- وضع أساساً لتصنيع الأدوية الكيميائية والعقاقير النفسية، وذلك عن طريق تحديد تأثير زيادة أو نقصان الإفرازات الكيميائية في حدوث الاضطراب النفسي، حتى يتم تعديل وموازنة هذه المواد الكيميائية في الجسم ليعود الشخص إلى طبيعته.

### د- أهم الانتقادات الموجهة إلى المنظور الحيوي (البيولوجي):

1- اقتصرت هذه النظريات على اختلافها على العوامل الحيوية، وأغفلت أثر العوامل النفسية والبيئية على السلوك الإنساني، بل وأثرهما على الجانب الحيوي نفسه، والذي بدوره يتبادل التأثير مع هذين الجانبين، ويتعاقد معهما في تشكيل الاضطراب النفسي.

وبالتالي فالجانب الحيوي الذي افترضت هذه النظريات أنه هو الأساس الذي تنبع منه الاضطرابات النفسية، هو في حد ذاته خاضع لتأثير العوامل النفسية والبيئية، فإن كانت الاضطرابات النفسية أعراضاً لاضطرابات حيوية جسمية، فإن الاضطرابات الحيوية الجسمية هي بدورها تكون أعراضاً لاضطرابات نفسية وبيئية -سوء تكييفية-.

2- هذا المنظور فسح المجال وروج للمؤسسات الصناعية للعقاقير النفسية (كالمهدئات والمنومات ومضادات الاكتئاب)، والتي همها ارتفاع الدخول عن طريق زيادة كمية استهلاك هذه العقاقير النفسية -على حساب صحة المستهلك-، وهذا أدى إلى ارتفاع استهلاكها بدون ضوابط

ومن غير إشراف طبيّ بيعها بطرق غير مشروعة، وحتىّ مع تناولها بإشراف ووصفة طبيّين - وبسبب أنّ هذه الأدوية تتسبّب في الإدمان مع الوقت - فكثيراً ما يتكاسل الناس عن الحرص على الالتزام بالخطة الطبيّة التدريجيّة التي تُخلّصهم من إدمانها<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: المنظور النفسي التحليلي.

أ- نظرتة إلى الاضطراب النفسي: يرى أصحاب هذا المنظور أنّ الاضطراب النفسي ليس هو السلوك الظاهر الشاذ، بل إنّ أساس الاضطراب النفسي هو القلق الناتج عن إحباط بعض الدوافع والحاجات الذاتيّة بعد صراع بينها وبين القيم الاجتماعيّة الأخلاقيّة، حيث يتمّ كبت تلك الرغبات في اللاشعور، وإذا لم يتمّ حلّ هذا الصّراع على مستوى الواقع أو على مستوى الخيل الدفاعية. فإنّ هذه المكبوتات تُعبّر عن نفسها في شكل اضطراب نفسي أخفّ اصطلاحاً عليه بالعُصاب Neurosis، أو أشدّ اصطلاحاً عليه بالذهان Psychosis.

ب- مضمون المنظور النفسي التحليلي: رائد هذا المنظور هو طبيب الأعصاب النمساوي سيجموند فرويد Sigmund Freud مؤسس مدرسة التحليل النفسي، والمنظرون لهذا الاتجاه يتفقون على أهميّة ثلاث عمليّات: الصّراع بين الدوافع والقيم، والقلق الناتج عن هذا الصّراع، ودور الخيل الدفاعيّة في التّعامل مع الدوافع غير المشبعة.

وجوهر نظريّة التحليل النفسي قبل أن يتم توسيعها وتعديلها من طرف تلامذة فرويد، أنّ سلوك الفرد مُحتمّم بما يحتويه لا شعوره من خبرات جنسيّة في الطفولة، والعلاج فيها قائم على سحب المكبوتات من اللاشعور إلى الشعور بواسطة ما قبل الشعور للتعامل الواقعي الواعي معها، وذلك عن

(1) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقليّة (نظريّاتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 40-48)؛ د. أحمد عبد الخالق، محاضرات في علم النفس الفيسيولوجي، ط1، دار المعرفة الجامعيّة: الإسكندريّة-مصر، 1986م. (ص: 368-397)؛ د. علي إسماعيل عبد الرحمن، مقدمة في علم الأدوية النفسيّة، ط1، دار التّحفة للنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، 1427هـ-2006م. (ص: 52-80).

طريق عملية التداعي الحرّ، والتي تقوم على الاسترخاء والتحدّث مع الطّبيب النفسي، والتّعبير عمّا في الشّعور بحريّة مطلقة<sup>(1)</sup>.

ويرى فرويد أنّ جميع سلوكيات الطّفل تُعبّر عن طاقة جنسيّة، حيث قسّم مراحل الطّفولة -بناءً على العضو الذي يُعبّر به الطّفل عن الطّاقة الجنسيّة- إلى أربعة مراحل، وهي بالترتيب كالتّالي: المرحلة الفمّيّة، الشرجيّة، القضيبيّة، التّناسليّة. والتّثبيت في أيّ مرحلة من هذه المراحل ينتج عنه في الرّشد أنواع من الشّخصيّات<sup>(2)</sup>.

والشخصيّة -حسب فرويد- تتركّب من ثلاث قوى نفسيّة (الهُو؛ الأنا؛ الأنا الأعلى)، أمّا الهو فهو محلّ الغرائز والدّوافع، ومقرّه في اللاّشعور، وكلّ الدّوافع في نظر فرويد هي شكل من أشكال الطّاقة الجنسيّة (الليبيدو)، والهُو فيه خاصيّتان أساسيّتان، وهما: التّعامل وفق مبدأ اللّذة، وعدم مُراعاة المعايير الاجتماعيّة. ويُقابل الهو الأنا الأعلى الذي يحمل القيم الأخلاقيّة والمعايير الاجتماعيّة، وهو يعمل وفق مبدأ السّموم عن الواقع، ومقرّه ما قبل الشّعور. وأمّا الأنا فهو الوسيط بين الهو والأنا الأعلى، حيث يتّصف بالتّفكير المنطقي ويعمل على مبدأ الواقع في محاولة للتّوفيق بين الدّوافع الذاتيّة (الهُو) والمعايير الاجتماعيّة (الأنا الأعلى)، وهو يعمل على ثلاث مستويات: اللاّشعور وما قبل الشّعور ويحسم الصّراع في الشّعور، فإذا نجح الأنا في حل الصّراع نتج عندنا صحة نفسيّة نسبيّة -لأنّ هذا الصّراع حتمي ودائم-، وإذا فشل في حلّ الصّراع تصدّت له الحيل الدفاعيّة التي تقوم على تشويه الواقع لتؤهلّ الفرد لمعيشة ما لا يستطيع مُواجهته في الواقع، فإذا أخفقت الحيل الدفاعيّة في ذلك نتج عندنا اضطراب نفسي -عُصاب-، فإذا أخفق العُصاب في احتواء القلق النفسي، زادت شدّة الاضطراب ونتج عندنا مرض عقلي -ذهان-.

وقد انشقّ عن فرويد كثير من تلامذته حتّى سُمّوا بالفرويديّين الجُدّد، وذلك بسبب مُخالفتهم له في بعض أجزاء النظريّة، لا سيّما تركيزه على الطّاقة الجنسيّة، وحتميّة مراحل الطّفولة على سلوك الشّباب، ومن أبرزهم: كارل غوستاف يونج (Carl Gustav Jung) (الذي ركّز على الجانب

(1) يُنظر: سيجموند فرويد، الأنا والهُو، ترجمة: أ. د. محمد عثمان نجاتي، ط4، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1402هـ-1982م. (ص: 28-29، 37-38)؛ د. فيصل عباس، التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية -مقاربة عميادية-، ط1، دار الفكر العربي: بيروت-لبنان، 1996م. (ص: 51، 53).

(2) يُنظر: سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، (ص: 36-40).



الرُّوحي في الشَّخصيَّة)، وألفرد أدلر Alfred Adler (الذي ركَّز على عُقدة النَّقص، وتحقيق المكانة الاجتماعيَّة)، وغيرهم. ولكن مع ذلك لم يخرجوا عنه في التَّأكيد على أساسيات النَّظريَّة كمفهوم الشعور واللاشعور، وأهميَّة إشباع الدَّوافع، ودور الحيل الدفاعيَّة التي على رأسها الكبت في تحقيق الصَّحة أو الاضطراب النَّفسيين.

### ج- مزايا المنظور النَّفسي التَّحليلي:

1- هذا المنظور أحدث نقلة نوعيَّة في منهج علم النَّفس من التَّركيز على الأساس العُضوي للاضطراب النَّفسي -وفرويد في الأصل كان طبيب أعصاب-، إلى الالتفات نحو العمليَّات النَّفسيَّة، والتَّنبؤ به بشأن أهميَّة الشُّعور واللاشعور في الاضطراب النَّفسي.

2- التَّركيز على دور الطُّفولة وتأثيرها على شخصيَّة الفرد في مرحلة الرُّشد.

3- بيان أهميَّة إشباع الدَّوافع ودور الآليَّات الدفاعيَّة في تحقيق الصَّحة النَّفسيَّة والوقاية من الاضطراب النَّفسي.

### د- أهمّ نقاط النَّقد المُوجَّهة إلى نظريَّة التَّحليل النَّفسي:

1- نقص الإسناد التَّجريبي لأصل ما قامت عليه النَّظريَّة، لأنَّ فرويد كان يعتمد على ملاحظاته في العيادة، وكان يعتمد على الاستدلال من غير إخضاع تلك الملاحظات إلى قواعد منهج البحث التَّجريبي. حتَّى إنَّه صرَّح قائلاً: «غير أن عمل المحلل يختلف عن غيره من ناحية واحدة: فهو مضطر إلى أن يستغني عن المعونة التي يمكن أن يُقدِّمها التَّجريب لبحوثه»<sup>(1)</sup>.

2- صعوبة وطول مُدَّة العلاج من أجل تقصِّي الأشياء الخفيَّة في اللاشعور، وغموض الرُّموز التي كان يُفسر بها الأحلام ويعتمد عليها في الاستدلال على الأشياء المكبوتة في اللاشعور.

3- عيِّنات غير ممثِّلة ولا كافية وتخيُّز حضاري، أقام سيجموند فرويد أبو التَّحليل النَّفسي نظريَّته على دراسة عيِّنة محدودة (جُلُّهم من الرُّاشدين)، وبنى عليها استنتاجات حول الطُّفل مع أنَّه لم

(1) سيجموند فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة في التَّحليل النَّفسي، ترجمة: عزَّت راجح، ومراجعة: محمد فتحي، دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاؤه: مصر. (ص: 159).

يدرس الطُّفل نفسه. وتأكيدُه على قضية الجنس هو ردُّ فعل عكسي تُجاه الحضارة الفيكتورية التي كانت - في نظره - مُتزمّة تُجاه الجنس.

4- حتمية ما يُعامل به الإنسان في طفولته على بقية حياته، حيث كان فرويد يرى أنّ سلوك الإنسان رهن بالسَّنوات الخمس الأولى من حياته. فإذا كان المريض العقلي ضحيةً بدنه فالمريض النفسي هو ضحيةً طفولته.

5- تفسير الإيمان بالله - تعالى وتقدّس - بأنّه ليس إلاّ تعبيراً عن عقدة أوديب (كراهية الابن لأبيه لميل الابن الجنسي نحو أمّه)<sup>(1)</sup>، وتوصيف الدّين - عامّة - بأنّه عصاب، والعجيب أنّ فرويد حينما يصف التدنُّن بأنّه عُصاب، وأنّه ليس إلاّ شكلاً من أشكال الإعلاء للطاقة الجنسيّة، في الوقت نفسه يضمُّ الدّين إلى القيم الاجتماعيّة والتوجُّهات الحضارية<sup>(2)</sup>، والتي تمثّل الجانب المقابل في معادلة التّعاض - عنده - بين الهو الذي يحمل غريزتي الجنس والعدوان والأنا الأعلى الذي يحمل القيم الأخلاقيّة، وفي ذلك تناقض واضح، ومعلوم أنّ الشّيء لا يتعارض مع نفسه.<sup>(3)</sup>

### ثالثاً: المنظور السلوكي.

أ- نظرتُه إلى الاضطراب النفسي: الاضطراب النفسي حسب هذا المنظور هو سلوك غير مُلائم تعلّمه الشّخص عن طريق استجابة مُعيّنة لمثيرات بيئية خارجيّة مُعيّنة، وأصحاب هذا المنظور يُجَبِّدون بدلا عن مصطلح (الاضطراب النفسي) مصطلح (السلوك غير المتكّيف) لأنّ كُلاً من السلوكات المقبولة اجتماعياً وغير المقبولة هي في الأخير مُتعلّمة من البيئة الخارجيّة. حتّى قال مؤسّس

(1) يقول فرويد: «لكن يتّضح لنا من الفحص التحليلي النفسي للفرد بمنتهى الجلاء أنّ إله كلّ إنسان هو صورة أبيه، وأنّ الموقف الشخصي لكل فرد تجاه الإله منوط بموقفه إزاء أبيه المادي...». [سيجموند فرويد، الطُّوطم والحرام، ترجمة: جورج طرايبشي، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت-لبنان. (ص: 192)]، ويقول أيضاً، في آخر بحثه عن هذا: «سيكون في مستطاعي إذن أن أختتم هذا البحث السّريع وأن أُخصّه قائلاً: إنّنا نهنّدي في عقدة أوديب إلى بدايات الدّين والأخلاق...». [المصدر السّابق، (ص: 204-205)].

(2) يُنظر: سيجموند فرويد، حياقي والتحليل النفسي، ترجمة: مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي، ط4، دار المعارف: القاهرة- مصر، 1994م. (ص: 101-103)؛ د. فيصل عباس، التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية - مقارنة عيادية-، (ص: 42).

(3) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسيّة والعقليّة (نظريّاً، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 49-85)؛ سيجموند فرويد، الأنا والهو، (ص: 44-65)؛ د. فيصل عباس، التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية - مقارنة عيادية-، (ص: 31-41).

هذا المنظور جُون واطسُن: «أعطني مجموعة من الأطفال سليمي التكوين البنيوي، وفي ضمن شروطتي وعالمي الخاص، وبغض النظر عن كُلِّ شيء من أصلهم الوراثي وقدراتهم ومواهبهم، وأنا أضمن لك عن طريق التدريب (التعليم الإشرافي)، أن أُحوّل بعضهم إلى طيب، وبعضهم إلى رجال قانون، وبعضهم إلى فنّانين وبُحّار، أو حتّى شحّاذين ولصوص...» (1).

**ب- مضمون المنظور السلوكي:** السلوكية هي ردّ فعل مُعاكس للمناهج النفسية القائمة على الاستبطان، والذي يعني: (وضع المريض النفسي تحت ظروف مُعيّنة، ويطلب منه المعالج أن يُعبّر عمّا يدور في باطنه من الأفكار والمشاعر، ومنه عملية التّداعي الحرّ، التي يستعملها التحليل النفسي الذي يرى أنّ السلوك هو عملية معقّدة تحدث في اللاشعور، وفي عملية العلاج يتمّ استدعاء هذه المكبوتات إلى الخارج للتعامل الواعي الواقعي معها). ومُبرّر السلوكية في تجاوز هذه المناهج هو أنّ العمليّات العقلية من التفكير والشعور لا يُمكن ملاحظتها موضوعيًّا، فبدلاً عنه لجأت السلوكية إلى دراسة السلوك الخارجي باعتبار أنه ملاحظ، وله مُثيراته البيئية الموضوعية التي يُمكن إخضاعها للتجربة والقياس. ومن أعلام هذا المنظور: إيفان بافلوف Ivan Pavlov، وجُون واطسُن Jhon Watson، وإدوارد لي ثورندايك Edward Lee Thorndike، وفريدريك سكّينر Frederic Skinner.

وقد بدأ هذا المنظور على يد العالم الفيزيولوجي الروسي إيفان بافلوف وزملائه بتطبيق نظرية المنعكس الشرطي على الحيوانات، لمّا لاحظ سيلان لعاب الكلاب بمُجرّد دقّ الجرس الذي يتمّ بعده تقديم الطّعام، فاستنتج أنّ المثير المحايد -وهو دقّ الجرس- تنتج عنه نفس الاستجابة -سيلان اللّعب- للمثير الأصلي -وهو تقديم الطّعام- عند تكرار إقرانهما معاً.

ولكن بافلوف وزملائه لم ينشروا هذه المبادئ، وأتمّ الذي نشرها وأدخلها في منهج البحث النفسي هو جون واطسن الأمريكي بمقالته المشهورة: (علم النفس كما يراه السلوكي) والتي نادى فيها بدراسة السلوك الخارجي بدلاً عن العمليّات الداخليّة من الشعور والتّفكير، كما دعا إلى تسمية علم النفس بعلم السلوك بدلاً عن علم العقل، وكذلك لقي كتابه (السلوكية) رواجاً كبيراً في الأوساط العلميّة، ولم يكتف فقط بالتّنظير بل طبّق نظرية المنعكس الشرطي لبافلوف على الطّفّل ألبرت الذي

(1) Jhon Watson, BEHAVIORISM, london -usa, (p 82).

كان لا يخاف من الفئران ويُحِبُّ اللَّعِبَ معها، وأعاد عِدَّةَ مرَّاتٍ ضرب مطرقة مُحدثا صوتا مُدَوِّيا في نفس اللَّحظة التي يرى فيها الطِّفْلُ ألبرت الفأر، فصار يخاف منه. فالمثير الأصلي هو: صوت المطرقة، والاستجابة هي: انفعال الخوف، والمثير المحايد هو: رؤية الفأر، فانتقلت الاستجابة من المثير الأصلي إلى المحايد. بل إنَّ الطِّفْلَ ألبرت صار يُعَمِّمُ هذا الخوف على جميع الحيوانات التي تُشبه الفأر كالأرانب، وطريقة واطسن سُمِّيت فيما بعد: (بالإشراف الاستجابي الكلاسيكي).

وقد اهتمَّ ثورندايك باستنتاج قانون الأثر، وهو نفس الإشراف، ولكنَّه يعمل في عكس اتجاه الإشراف، فإذا كان واطسن اعتنى بتأثير المثيرات المحايدة عند إقرانها بالمثيرات الأصليَّة -حالة كونها سابقة لاستجابة مُعيَّنة- في استجابة لاحقة لهذا المثير، فثورندايك اعتنى بتأثير هذه المثيرات -حالة كونها لاحقة لاستجابة مُعيَّنة- على الاستجابة السَّابِقة لها، واستنتج من تجارب قام بها على القطط أنَّ الاستجابة السُّلوكية تميل للتكرُّر إذا أدَّت لنتيجة سارَّة (مُكافأة)، وتميل للانطفاء إذا أدَّت لنتيجة ضارَّة (عقاب). ومن هنا أتى التَّأكيد على دور العقاب والثَّواب في تعديل السُّلوك والعلاج السُّلوكي.

وعَمِلَ سَكِنر على تطوير نظريَّة ثورندايك، فهدَّها ونقَّحها وحرص على تطبيقها على حياتنا اليوميَّة، ووجد أنَّ سلوكاتنا مُرتبطة ومُتحكِّم بها عن طريق نوعيَّة وكميَّة المكافآت التي نلتقَّاها جرَّاء القيام بسلوك ما، وقد تكون هذه المكافآت حسيَّة وقد تكون معنويَّة، وبنى عليه أنَّه يُمكن تعديل السُّلوك عن طريق تعزيز سلوكات مرغوبة بالمكافأة، وسَمَّاه بقانون التَّعزيز. وسُمِّيت طريقة سَكِنر: (بالإشراف الإجرائي الجديد). ولم يكن سَكِنر ينفي تأثير العمليَّات الدَّاخليَّة في السُّلوك إذ إنَّها هي بذاتها مُتعلِّمة عن طريق الخارج، على أن تتم دراستها على نفس الأسس التَّجريبيَّة التي يُدرس بها السُّلوك الخارجِي.

ولإيغال السُّلوكيَّة الأولى في نفي تأثير كلِّ ما ينتمي إلى التَّفكير والشُّعور في السُّلوك، تمسُّكا بالمنهج التَّجريبي، ظهر جماعة من السُّلوكيِّين سُمُّوا بالمنظرين المعرفيِّين الأوائل، وعلى رأسهم كلارك هِل Clark Hull وكنيث سبينس Kenneth Spence وإدوارد تولمان Edward Tolman، حيث لاحظوا أنَّ المثير الواحد ينتج عنه استجابات مُتنوِّعة؛ وهذا يعني وجود عامل آخر وسيط بين المثير والاستجابة، ذلك هو العامل المعرفي الإدراكي الذي ألغاه السُّلوكيُّون الأوائل، وبيَّنوا أنَّ العامل المعرفي يُمكن إخضاعه للتَّجربة والقياس.

ج- مزايا المنظور السُّلوكي: من أبرز إسهامات السُّلوكيَّة، ما يلي:

1- السلوكيون يؤمنون بإمكانية التغيير، وأنَّ الشَّخص كما تعلَّم استجابات سلوكية غير مُتكيفة يمكنه أن يُعدِّلها بأن ينفكَّ عنها ويتعلَّم بدلها سلوكيات ملائمة، ويتجاوزون إضاعة الوقت - عند العلاج- في البحث عن العقد النفسية المتعلقة بالجنس في مرحلة الطفولة وأثرها على السلوك، التي بنى عليها فرويد نظريته.

2- السلوكية كانت سببا لتخليص علم النفس من التخمينات الغامضة والتَّنظيرات الفلسفية التي لا تدعمها التجربة إلى الالتزام بالمنهج التجريبي العلمي الموضوعي، الذي يُتيح تعميم نتائجه، والتعامل معها كقوانين علمية ثابتة وواضحة، يتمُّ بها تعديل السلوك.

3- نجاح السلوكيين في تعديل كثير من السلوكيات غير المتكيفة لا يُنكر، وذلك عن طريق عمليتي الإشراف الكلاسيكي والإشراف الإجرائي، واستفادت منها كثير من المناهج التربوية التعليمية.

### د- الانتقادات على السلوكية:

1- حتمية السلوك الإنساني لمثيرات البيئة الخارجية، وأنه مرهون بما يتلقاه الفرد من أنواع المثيرات والمكافآت كما ونوعا.

2- رغم أنَّ هذا المنظور لا يُولي اهتماما لتأثير العوامل النفسية الدَّاخلية والعوامل الحيوية البيولوجية (والتي في ضمنها عامل الوراثة) في السلوك، إلاَّ أنه في الوقت نفسه قام على خلفية تطويرية إحدائية، تنصُّ على إسقاط الفروق بين الحيوان والإنسان، بوصفه حيوانا متطورا، وتعميم نتائج تجارب أُجريت على الحيوانات -من الفئران والكلاب والقطط بتعريضهم لمثيرات ورصد الاستجابة التي يُبدونها- على الإنسان، وهذا يبني على نظرية تشارلز دارون في أنَّ الإنسان هو حيوان تطوَّر عبر آلاف السنين، وأنَّ الانفعالات التي يُديها سلوكيا يشترك في جانب كبير منها مع الحيوان، حيث اكتسبها الإنسان من جدوده العليا من القردة<sup>(1)</sup>، فتمَّ سلخ الإنسان من إنسانيته التي يعلو بها على الجزء البهيمي الغريزي في كيانه الإنساني.

(1) يُنظر: تشارلز دارون، التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان، ترجمة: مجدي محمود المليجي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة-مصر، 2005م. (ص: 567)؛ عبد المجيد كركوتلي، بافلوف أبحاثه في الجهاز العصبي والتعلُّم والتدريب وظواهر أخرى، ط3، مطبعة الهلال: دمشق، 1986م. (ص: 36-38).

وهاتان النقطتان -الحمية والاختزالية الحيوانية- لم تنفرد بها السلوكية بل شاركتها فيهما التحليلية الفرويدية، التي كانت ترى أن السلوك الإنساني مدفوع بمجموعة من الغرائز الحيوانية، تتمثل في الجنس والعدوان، وأن سلوك الإنسان الراشد محتوم بالمراحل الجنسية التي يمرُّ بها في طفولته (1).

3- التبسيط السطحي للسلوك الإنساني من طرف السلوكية الكلاسيكية، التي كانت تتجاهل الحياة الداخلية للإنسان من الأفكار والمشاعر ودورها في توجيه السلوك، ولذلك لم تُقاوم كثيراً حتى تمَّ تجاوزها من المنظرين السلوكيين المعرفيين الأوائل بالاعتراف بالعامل الإدراكي المعرفي كوسيط بين المثير والاستجابة، ولكن مع ذلك بقيت النظرة إلى العوامل المعرفية على أنها هي بدورها تتشكل عن طريق مثيرات بيئية خارجية، إلى أن تمَّ تعديل السلوكية القديمة جذرياً بظهور الاتجاه المعرفي السلوكي المعاصر. (2)

#### رابعاً: المنظور الإنساني والوجودي.

هذان المنظوران أو الاتجاهان يتشابهان في كثير من الأمور ويفترقان في بعضها، كما أنهما لم يتسعا ذلك الاتساع الذي اشتهرت به المدرستان السابقتان السلوكية والتحليلية، ولذلك جمعتهما معا.

#### أ- نظرة المنظور الإنساني والوجودي إلى الاضطراب النفسي:

يتفق المنظوران على أن السلوك الشاذ، هو: فشل الإنسان وضعف إرادته في تحقيق إنسانيته وقيمه، ولا يكون ذلك إلا بالتعالي على غرائزه الحيوانية وظروفه البيئية، ولا يمكن اختزال اضطرابه النفسي في أشياء خارجة عن وعيه وإرادته، سواء كانت عوامل حيوية بيولوجية (الغرائز)، أو كانت

(1) وتأثر فرويد الشديد بنظريات دارون كما صرح هو عن نفسه قائلاً: «...غير أن نظريات دارون التي شاع الاهتمام بها في ذلك الحين اجتذبتني إليها اجتذاباً قوياً لما كانت تُبشِّرُ به من تقدُّم فائق في تفهُّم الكون...». [سيجموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، (ص: 20)]؛ ويقول -مُبيِّناً تأثره بفرضيات دارون في تفسير الدين بعقدة أوديب-: «...وعندما تأملت بعد ذلك فَرَضَ دارون أن الناس في الأصل كانوا يعيشون قبائل، كلٌّ منها تحت سيطرة رجل واحد قوي -بمثابة الأب-،...خطر لي...الرؤيا التالفة:.. نشأة الدين ضمن مجال عقدة الأب». [يُنظر: المصدر السابق، (ص: 102-103)].

(2) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 86-118)؛ لويس كامل مليكة، العلاج السلوكي وتعديل السلوك، (ص: 44، 70)؛ د. عبد الرحمن العيسوي، العلاج السلوكي، دار الراتب الجامعية: بيروت-لبنان، 1997م. (ص: 60-69)؛ هارولد رينجالد بيتش، تعديل السلوك البشري، ترجمة: د. فيصل محمد الزراد، دار المريخ للنشر: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1412هـ-1992م. (ص: 333-343).

عوامل بيئية (مثيرات ومكافآت)، وإن كان الإنسان والوجوديون يعترفون بتأثير هذين الجانبين الحيوي والبيئي على الصحة النفسية، ولكن ليس بالشكل الذي صوّرتهما به المناهج السابقة.

والفرق الإجمالي بين الاتجاهين: أنّ الإنسانيين يرون أنّ الاضطراب النفسي ينشأ من إخفاق الفرد في تحقيق ذاته، والوجوديون يرون أنّه ينشأ من إخفاق الفرد في تأسيس قيمه الخاصة بظرفه الذي هو فيه، وهذا يُفضي إلى بيان جهات الاختلاف التفصيلية بين الاتجاهين، وهي كالتالي:

أولاً: (من جهة النظر إلى الإنسان) الإنسانيون ينظرون إلى الفرد ذاته، في تحقيق حاجاته البدنية والنفسية والاجتماعية، ودفعه إلى تنمية مهاراته وقدراته باستمرار، أمّا الوجوديون فهم ينظرون إلى الفرد في داخل سياق ظروفه، ويشددون على الابتعاد عن النظر الذي يفصل ذات الإنسان عن ظرفه الموضوعي، ويحاولون من خلال ذلك إعانته على اكتشاف المعنى والقيمة التي تتعلق بظرفه.

ثانياً: (من جهة طريقة العلاج) الإنسانيون يحرصون على التعاطف الوجداني مع المريض وإعانته حتى يُحقق ذاته، أمّا الوجوديون فهم يحاولون الدُخول إلى عالم المريض والتماهي فيه للنظر إلى العالم من موقعه، وهذه العملية يُسمونها ب: «عملية الحضور والمواكبة»<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: (من جهة هدف العلاج) الإنسانيون: لأنهم ينظرون إلى الإنسان أنّه خير بفطرته، ولذلك هم أكثر أملاً وإيجابية في النظر إلى الإنسان، فالهدف ليس هو إلاّ مساندة المريض على تلبية احتياجاته البدنية والنفسية والاجتماعية، وبهذا سيقدر بفطرته على الرجوع إلى خيريته وبذلك تتحقق صحته النفسية، أمّا الوجوديون: فهدفهم هو إعانة المريض على أن يستبصر بذاته كما هي، لا كما يُحاول الآخرون أن يجعلوها، ولذلك فهم أكثر واقعية، فالإنسان كما يحمل في جنبات نفسه الخير والحبّ والمعاني الفاضلة، يحمل كذلك الحزن والألم والمعاناة، فالعلاج لا يكون بالهرب من هذه الأشياء، وإتّما يكون بمواجهتها - وهذا هو الهدف - وذلك بمساعدة المريض على أن يُضفي على معاناته معنى وقيمة.

## ب- مضمون المنظور الإنساني والوجودي:

(1) يُنظر: رولو ماي وإرفين يالوم، مدخل إلى العلاج النفسي الوجودي، ترجمة: عادل مصطفى، ط4، رؤية للنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، 2015م. (ص: 151).

هذان المنظوران يهدفان إلى تجاوز مادّية المناهج النفسية السائدة، والتي حاول من خلالها كل من السلوكيين والتحلليين - رغم وجود كثير من نقاط الخلاف بينهما - أن يدرسوا الجوانب النفسية الإنسانية على قانون العلوم الطبيعية، فجعلوا الإنسان مدفوعاً بعرائزه الحيوانية ومشروطاً بظروفه البيئية. ويذهب الإنسانيون والوجوديون إلى نفي الموضوعية المطلقة للعلم التجريبي في علم النفس، وذلك من جهة الدور الذي تلعبه اتجاهات العالم واستعداده لتلقي نتائج التجربة، وطريقة تفسير نتائجها. ولئن كان يُعدُّ نقد المنهج الطبيعي في علم النفس عائقاً في وجه صياغة قوانين علمية نفسية مُطردة، فالتسليم المطلق لإدخال قواعد المنهج العلمي الطبيعي في العلوم الإنسانية قد لا يقلّ خطورة وإعاقة في وجه التقدم بالعلوم الإنسانية والنفسية إلى الأمام<sup>(1)</sup>. فالغرض الأسمى لكل معالج إنساني أو وجودي، هو: العودة بالإنسان إلى إنسانيته، والتي سلبتها منه المناهج التي درستته على المستوى البيولوجي الحيواني التطوري - نموذج الفأر - فأرادت أن تعمم عليه نتائج تجارب طبقت على الفئران في المختبر، والأخرى التي درستته على المستوى الميكانيكي المعرفي - نموذج الآلة - الذي يتوقف على كمية ونوعية المعارف المدخلة فيه<sup>(2)</sup>، فالإرادة الإنسانية التي كرم الله بها الإنسان، والتي لها دورها في تجريد المعاني واستخلاص القوانين العامة وبناء الحضارات ومعايشة المآسي، وكلُّ هذا لا نظير له عند الحيوان ولا عند الآلة، وقد خلص مور Moore بعد استعراضه لعدد هائل من الدراسات المتعلقة بالذكاء الحيواني، إلى أنه: «حينما نحاول قياس قوتهم في التفكير التجريدي وقدرتهم على رؤية وتكوين مبادئ عامة على نحو منطقي، نحصل على درجات صفرية، لأنَّ هذه القدرات ببساطة غير موجودة - أي عند الحيوان -»<sup>(3)</sup>.

والافتراضات الأساسية التي ينطلق منها المنظور الوجودي والإنساني، - بناء على الأساس الكلي الذي يتلخّص في أنه لا يمكن إخضاع دراسة الحياة الإنسانية لمنهج العلوم الطبيعية المادية - هي أربع افتراضات:

(1) يُنظر: فرانك سيفيرين، علم النفس الإنساني، ترجمة: طلعت منصور وعادل عز الدين وفيولا الببلاوي، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة-مصر، 2019م. (ص: 180).

(2) يُنظر: فيكتور إيميل فرانكل، إرادة المعنى - أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى -، (ص: 21-22).

(3) يُنظر: فرانك سيفيرين، علم النفس الإنساني، (ص: 114).



**افتراض 1- التوجه الظاهري (الفينومولوجي):** والذي يعني التعامل مع الظواهر الإنسانية بما هي عليه، وعدم تزييفها بإضفاء تفسيرات ذاتية عليها، وقد مثله رولو ماي بالإشكال الآتي: «وكيف لنا أن نثق أننا نرى المرضى على ما هم عليه بالفعل، وأن ما نراه ليس ببساطة مجرد إسقاط لنظريَّاتنا الخاصة عن هؤلاء المرضى؟»<sup>(1)</sup>، وهذا من أكبر التحديات التي تواجه المعالج النفسي الإنساني الوجودي، حيث يتوجَّب عليه الدُّخول إلى عالم المريض وعدم إسقاط توجُّهاته الخاصة عليه.

**افتراض 2- تفردية الإنسان:** كلُّ إنسان في وجوده، هو كيان يتمتَّع بقدر من التَّفرد الذي لا يُمكن اختزاله والتَّغافل عنه، بدعوى التَّركيز على مجموعة معادلات علمية وقوانين -نفسية سلوكية أو تحليلية- عامَّة.

فالإنسان وإن كان كائناً متعدِّد الجوانب المعرفية والشُّعورية والسلوكية والانفعالية والمعنوية لكن هذه الجوانب لا تُوجد منفصلة عن بعضها بعضاً إلا في الدَّهن، وأمَّا في الواقع إمَّا توجد مجتمعة في فرد واحد، وإن كان كلُّ إنسان يختلف عن الآخر في كلِّ جانب من جوانب الحياة الإنسانية على حدة، فبالأحرى أن يكون ثمة اختلاف في الوجود الكلي الذي تجتمع فيه هذه الجوانب في إنسان مُعيَّن، وهذا ما يُسمِّيه الوجوديُّ مؤسِّس العلاج بالمعنى إيميل فرانكل ب: «الأنطولوجيا والأنتروبولوجيا ذات الأبعاد» أي الوجودية الإنسانية متعدِّدة الأوجه.

وهذه الفردية الإنسانية الوجودية ذات الأبعاد لها قانونان:

**القانون الأوَّل:** أنَّ الظاهرة الواحدة تسقط عن بعدها الأصلي في أشكال صور مُختلفة عن بعدها الأصلي، وتظهر متناقضة مع بعضها بعضاً، فلو أُتي بكوب أسطواني ثلاثي الأبعاد وسُلِّط عليه الضوء من فوق ومن الجانب، الظل الذي يسقط على الأرض دائرة، والذي يسقط على الحائط مستطيل. فالدائرة والمستطيل ليست هي الأسطوانة وإن كانتا مُمثَّلتان بعدين من أبعادها، كما أنَّ الدائرة غير المستطيل، وفرق آخر وهو أنَّ الدائرة والمستطيل شكلان مُغلقان مُصمتان، بخلاف شكل الكوب المفتوح.

(1) رولو ماي وإرفين يالوم، مدخل إلى العلاج النفسي الوجودي، (ص:51).

فالإنسان في فرديته كالكُوب الثلاثي الأبعاد المفتوح المتكوّن من بُعد حيوي بيولوجي، وبُعد نفسي سيكولوجي (الغرائز)، وبُعد معنوي روحي. هذا البعد الأخير هو الذي تجتمع فيه الأبعاد معا وعلى مستواه يتم التأليف والتّوفيق بين جميع هذه الأبعاد. وهو في حُرّيّة إرادته تُجاه ما تتكوّن منه شخصيّته من الدوافع الغريزيّة والاجتماعيّة مفتوح كالكوب ليس محتوما لها، أمّا إن تمّ إسقاطه عن بُعده الأصلي المعنوي ففسّر أنّه ليس إلّا حيوان، أو ليس إلّا آلة، فسيظهر في شكل نظام مُغلق محتوم لغرائز فيسيولوجيّة أو ردود أفعال تُجاه مثيرات بيئيّة.

**القانون الثّاني:** الصُّور السّاقطة عن أبعاد أصليّة لأشكال متعدّدة تظهر مُتماثلة، في حين أنّ أبعادها الأصليّة مُختلفة، فلو أُتي بمخروط وأسطوانة وكُرّة، وسلّط عليهم الضوء من فوق، الظل الناتج في الثّلاثة هو دائرة.

فالأعصاب والاضطرابات النفسيّة التي تُصيب الإنسان كثيرا ما تكون أعراضها واحدة، بل ومُتداخلة، ولكن المنشأ والبُعد الذي نشأت منه هذه الأعراض حتّى مع اتّحاد صورة العرّض المرضي - من شخص لآخر ومن الشّخص نفسه بين حالة وأخرى - يختلف، فهناك أعصاب جسميّة المنشأ ترجع إلى وجود اختلالات في الجهاز العصبي أو الهرموني أو إفرازاتهما، وتحتاج إلى عقاقير وأدوية أو جراحة للمُخ أو صدمات كهربائيّة، ويوجد أعصاب نفسيّة المنشأ ترجع إلى اختلالات وظيفيّة في الشّخصيّة، سواء كانت داخلية شعوريّة، أو كانت سلوكية تعلّمها الشّخص عن طريق عمليّات إشرطيّة من البيئة، وهذه تحتاج إلى علاج نفسي تحليليّ أو سلوكيّ أو حتّى دوائيّ، وقد يتمّ الجمع بين أكثر من علاج، ويوجد أعصاب معنويّة روحيّة راجعة إلى الخواء والفراغ الرُّوحي، والذي من أعظم أسبابه: غياب التّعاليم الدّينيّة التي تحمل كثيرا من القيم، والتبعيّة العمياء، بأن يفعل ما يفعله غيره أو ما يرغب غيره منه فعله. واتباع الأهواء والإغراق في الشّهوات<sup>(1)</sup>.

فهذان القانون يحفظان فردية الإنسان من تشويهاها عن طريق فكّ الوجود الإنساني وتجزئته، والتّعامل معه على مستويات أدنى من المستوى المعنوي الأعلى الذي تجتمع وتتألف فيه جميع الأبعاد والمستويات الإنسانيّة: الجسد والعقل والنفس والرُّوح.

(1) يُنظر: فيكتور إيميل فرانكل، إرادة المعنى - أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى -، (ص: 30-36، ص: 101-102).

**افتراض 3- الإمكانية البشرية:** التي تتمثل في إرادة الإنسان وقدرته على أن يكون نفسه لا غيره، وأن يُحقّق أقصى قدر ممكن من ذاته.

**افتراض 4- الحرية والمسؤولية:** الكائن الإنساني وإن كان في جزء يخضع فيه للظروف الحيويّة والبيئيّة شأنه شأن الحيوانات، لكن فيه جزء آخر من الوعي الذّاتي الذي يتعالى به عن حيوانيّته، حيث يسمح له بالاختيار، فالحيوان ليس بينه وبين إنفاذ غرائزه إلّا أن تنهياً الظروف له، على عكس الإنسان الذي عنده قدرة على التحكّم في هذه الغرائز والتّعالى عليها وتوجيهها تُسمّى بحريّة الإرادة، وهذا الاختيار الواعي يفرض على الإنسان أن يتحمّل مسؤوليّة ما يترتّب على اختياراته التي تُشكّل وجوده.

ولا يُعنى هنا بحريّة الإرادة في مقابلة كل حتميّة، لأنّ الإنسان في الأخير هو كائن محدود، فالحرية هنا ليس المقصود بها التحرّر من الظروف، «وإنّما بالأحرى حرّيّة اتّخاذ موقف مُعيّن تجاه أي ظروف قد تواجه الإنسان... بل... أن يفصل ذاته حتّى عن أسوأ الظروف... والأعجب من هذين... لا يستطيع الإنسان أن يفصل ذاته عن موقف خارجي فقط، وإنّما يفصل عن ذاته أيضاً، فهو يستطيع أن يختار اتّجاهه من ذاته»<sup>(1)</sup>. وبهذا التّجاوز للذّات والتّسامي عنها يقتدر على أن يُحاسب نفسه ويعاتبها ليهدّبها ويقيمها ويتقدّم بها نحو الأمام، وإلّا فمن دون هذا الانفصال عن الذّات والتّرفّع عنها، لن يستطيع الفرد أن يُبصر الجوانب السّلبية والإيجابيّة في شخصيّته، فضلاً عن أن يعمل على تنمية إيجابيّاته، وإصلاح سلبيّاته.

رغم هذا التّوافق المنهجي بين الوجوديّين والإنسانيّين، إلّا أنّه هناك بعض النّقاط التي يمتاز بها كل من الالبّاهين:

**النّقاط التي يتميّز بها الإنسانون عن الوجوديّين:**

يظهر تميّز الإنسانون في فكرتين، وهما كالآتي:

(1) هذا الكلام قاله فيكتور بناء على الخبرة التي عاشها في معسكرات الاعتقال النّازية، والتي تأمّل فيها السّجناء ومثابرتهم للعيش رغم صعوبة الظروف، واستنتج من تلك الخبرة أنّ الإنسان يبذل الجهد ليحيا فقط إذا كان عنده معنى يحيا من أجله. [ينظر: فيكتور إيمايل فرانكل، إرادة المعنى - أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى، (ص: 22-23)].

أولاً: أنّ الإنسان خيّر بفطرته وإيجائي بطبيعته، إذا لم يقم المجتمع باستعمال وسائل القمع والقهر، فلا بُدَّ أن تظهر إبداعاته. لأنّه ليس مدفوعاً فقط بالغرائز الحيوانية البدنية كالأكل والشرب والجنس، بل هو مدفوع كذلك بغرائز أعلى من ذلك من التشوّف إلى الإبداع والسّعي إلى الأمن وغيرها.

ثانياً: مفهوم الذات، وهي الصُّورة التي تُمثّل نظرنا الكلية لأنفسنا وللعالم من حولنا، وهي تتشكّل عن طريق الخبرات التي نعيشها من ردود أفعال الآخرين بُجاننا.

ومن أبرز مؤسسي ومنظري الاتجاه الإنساني في علم النفس اثنان، كارل روجرز Carl Rogers وأبراهام مازلو Abraham Maslow.

### كارل روجرز ونظريته في تحقيق الذات.

أمّا تحقيق الذات عند كارل روجرز، فهو يرى أنّ الإنسان مدفوع بقوة واحدة وهي النزعة لتحقيق الذات وتطويرها، وذلك على مستويين: أدنى وأعلى؛ أمّا الأدنى: فهو مستوى مادي - عضوي - يتضمّن تحقيق عوامل الحفاظ على الحياة بالأكل وغيره، وأمّا الأعلى: فهو مستوى نفسي معنوي يتضمّن تعزيز صورته عن نفسه، وذلك باختيار وتحقيق قدراته التي تُشعره بالرّضا، واجتناب الخبرات التي تُشعره بالتقصّ ولا تُعزّز صورته عن نفسه.

وهذه الصُّورة الإدراكية - حسب روجرز - التي يبينها الفرد عن نفسه، ويتعامل بها مع ما يمرُّ به من الخبرات، يبدأ تشكُّلها منذ الطفولة بالطريقة التي يتعامل بها الوالدان مع ولدهما، فإذا كانت مُعاملتهما له قاسية لا تعترف بالحاجات العضوية للطفّل، وليس فيها استحسان للجوانب الحسنة في شخصيته، فالذي ينشأ عن هذا هي نفسية متصلّبة ليس فيها مرونة في التّعامل مع الخبرات الجديدة واستعمالها في تعزيز الذات، لأنّ صورة الشّخص عن ذاته قد تمّت زعزعتها حال الطفولة، والنّتيجة عن هذا التّنافر بين صورة الذات والخبرات الجديدة هي: شخصية فاشلة مُضطربة قلقة. وفي المقابل إذا كانت التربية حال الطفولة تتسم بالمعقولة والضبط من غير قسوة فستنشأ لدى الطّفّل ذات مرنة تتمتع بقدر عالٍ من الواقعية والإيجابية بُجان الخبرات التي يمرُّ بها في حياته، فيميّز بين ما يعمل على تعزيز الذات فيأتيه، وبين ما يُحقرها فيتعد عنه، والنّتيجة عن هذا التّوافق بين صورة الذات والخبرات الجديدة هي: شخصية ناجحة هادئة تتمتع بقدر لا بأس به من الصحة النفسية.

## أبراهام مازلو ونظريته في هرم الحاجات.

وهذا الهرم يتكون من سبع مستويات للحاجات والدوافع الإنسانية، والتي لا يمكن الانتقال إلى مستوى إلا إذا تمَّ إشباع المستوى الذي قبله، حيث تتركب هذه المستويات ابتداءً من قاعدة الهرم، كالتالي: أولاً: مستوى الحاجات الحيويّة (البيولوجيّة)، والتي تتمثل في توفير متطلّبات البدن من الأكل والنوم والنكاح وغيرها. ثانياً: حاجات الأمن، المتمثلة في الحاجات البيئية الأوسع، كاستقرار الأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة. ثالثاً: حاجات الانتماء والحبّ، وهذه بيئية كذلك ولكنها أضيق، والتي تضم الانتماء إلى وجهة حضاريّة مُعيّنة، وتكوين روابط قويّة مع الأصدقاء والأقارب. رابعاً: حاجات التقدير، بالحصول على مكانة اجتماعيّة مرحّب بها. خامساً: الحاجات المعرفيّة العلميّة الثقافيّة. سادساً: الحاجات الجماليّة، كاللجوء إلى الفنون. سابعاً - وهي قمة الهرم، ولا يمكن الوصول إليها إلا بعد التّحقّق بما قبله من المستويات-: تحقيق الذات، وذلك بالعمل المستمر على تنمية المواهب والقدرات، بما يُحقّق للفرد تقبُّل ذاته والتوحد مع توجّهاته والتكامل في قدراته. وإعاقة أيّ مستوى من هذه المستويات -لا سيّما في مرحلة الطفولة- ينتج عنه إعاقة ما بعده من المستويات، وعندها لا يبلغ الشّخص إلى مرتبة تحقيق ذاته.

والمضطرب نفسياً -حسب روجرز ومازلو- هو: شخص فقد إشباع حاجاته الأساسيّة على اختلاف مراتبها، وتشوّه تقييم صورته عند نفسه، وهو يحتاج إلى الدّعم الذي يُعينه على تلبية حاجاته وتعديل وتقييم نظره إلى ذاته، حتّى يحظى بصحة نفسيّة جيّدة.

## النقاط التي يتميّر بها الوجوديون عن الإنسانيين:

المنظور الوجوديّ تُعزى جذوره إلى الفلاسفة الوجوديين، وأشهرهم: سورين كيركجورد Soren Kierkegaard -مؤسس الوجوديّة-، وهایدجر Heidegger، وسارتر Sartre، وغيرهم. لا سيّما الفيلسوف هوسرل Husserl الذي تحوّل إلى مُفكّر وجودي في ق. 20 م، وبرز كاتّجاه في علم النفس كردّ فعل لمعاناة الجنس البشري من مخلفات الحربين العالميتين والعصر التكنولوجي، التي أدّت إلى فقدان المعنى من الوجود والاعتراب عن الذات، ومن أشهر علماء النفس الوجودي: فيكتور فرانكل Victor Frankl، وفان دان بيرج Van den Berg، ورولو ماي Rollo May.

هناك ثلاثة أفكار مركزيّة يشترك فيها الوجوديون:

أولاً: وحدة الوعي الإنساني، وأطلق عليها الوجوديون مُصطلح (الوجود في العالم)، وفحوى هذه الفكرة: أنه لا يجوز الفصل بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي، فلا يوجد شيء موجود في العالم خارج عن خبراتنا العقلية، ولا توجد خبرة عقلية غير مستقاة من هذا العالم. وهذا الذي أكد عليه فان دان بيرج في أن سبب العُصاب هو توجُّهات المجتمع الحضاري، التي أوقعت الإنسان في حالة من انشطار الذات والاعتراب عنها وعدم تماسكها، وذلك لعدم قيام روابط قويّة بين الفرد وذاته من جهة، وبينه وبين المجتمع من جهة أخرى.

ثانياً: الأصالة، والتي تعني أن يعيش الفرد بناءً على توجُّهاته ورغباته هو، لا على توجُّهات الناس من حوله ورغباتهم، فطريقة العيش التي يتجنّب فيها الفرد الاصطدام مع المجتمع على حساب إنكار ما يدور في داخله -ولا يلزم من هذا إنفاذه دائماً حسب الوجوديين-، ينتج عنه في الأخير ذات مزبقة خارجيّة تحمل تحتها الذات الحقيقيّة التي لم يتمّ الاعتراف بها أصلاً.

ثالثاً: العيش في اللحظة، بالتّوكيد على الحاضر والمستقبل بمواجهة الماضي، وذلك يعني: أن الإنسان ليس ضحيّة للماضي، حتّى يتمّ التنبؤ بسلوكه بالنظر في ماضيه فقط، بل هو في تغير مستمر دائم.

## د- أهمّ مزايا المنظور الإنساني الوجودي:

1- بيان دور إرادة الإنسان في العلاج من اضطراباته النفسيّة، وأنه ليس ضحيّة لغرائزه ولا لظروفه، والنظرة الخيريّة الإيجابيّة للإنسان من جهة الإنسانيين، والواقعيّة الوجوديّة من جهة الوجوديين. وبذلك وقف هذا المنظور ضد الحتميّة التي وقعت فيها المناهج السّابقة، بمحاولتها إلحاق العلوم الإنسانيّة بالعلوم الطّبيعيّة.

2- النظرة النّمائيّة للصّحة النفسيّة، حيث إنّ الاضطراب النفسي لا ينشأ فقط من سوء التّكليف، وإمّا من إخفاق الفرد في تحقيق ذاته وتعزيز قدراته. والحرص على اجتناب النظرة الاختزاليّة للإنسان، والتّأكيد على النظرة المتكاملة له، يقول أبراهام مازلو: «لذا ينبغي أن نولي اهتماماً خاصّاً إلى المفكرين المتقاربن أصحاب النظريّات المتمركزة على الإنسان الكلّي في العالم الكلّي»<sup>(1)</sup>.

(1) فرانك سيفيرين، علم النّفس الإنساني، (ص: 44).

3- الإشادة بتأثير الجانب الروحي المعنوي وأهميته في إحداث الاضطراب والصحة النفسيتين، فالاغتراب عن الذات الحقيقية، والفراغ المعنوي، والهروب من مواجهة مآسي واقعه المؤلم كما هي، كلُّها تمثِّل أرضية خصبة لنشوء ونماء الاضطرابات النفسية.

4- تحسين وتطوير طريقة الإرشاد النفسي، وذلك بالتأكيد على المعاملة الحسنة مع المريض النفسي، بالتعاطف معه وإعانتته على الوصول إلى تلبية حاجاته، ومُحاولة النَّظر إلى الأمور من جهته وزاويته، وعدم إسقاط توجُّهات المعالج الشخصية على المريض.

### ج- الانتقادات الموجهة إلى المنظور الإنساني الوجودي:

1- انتقدت المناهج الأخرى الإنسانيين والوجوديين بأنَّ طريقتهم في البحث لا تعتمد على الطُّرق العلميَّة التجريبيَّة، وقد ردُّوا على هذا بأنَّهم لا ينكرون دور الغرائز والمثيرات البيئية في توجيه السلوك، وإنما ينكرون القول بحتمية الإنسان لها، وسحب منهج العلوم الطبيعية على كل الجوانب الإنسانية لا يصح، لأنه يغفل كثير من القضايا، مثل: الإرادة وحرية الاختيار، المعاني والقيم، تحقيق الذات وتنميتها. وازدادت هذه القضايا أهمية في المدينة المعاصرة، والتي تشعبت فيها اهتمامات النَّاس مع الحرية المطلقة، وسقطت فيها الحدود بين الثقافات بسبب التكنولوجيا والإعلام، وترعزت فيها القيم، وطمغت فيها المادَّة<sup>(1)</sup>.

2- التائر بالمنهج التحليلي والسلوكي: فالمنظور الوجودي ما هو إلا وجه آخر للتحليل النفسي، لاشتراكهما في البحث عن شيء مفقود في الذات إلا أنَّ التحليلي يبحث عن الدافع الغريزي المكبوت في اللاشعور لدى المريض، والوجودي يُعين المريض على أن يبحث عن المعنى السيِّاقِي لمعاناته، وبعض المعالجين الوجوديين بدأ مسيرته العلميَّة تحليليًّا مثل فرانكل. وأمَّا المنظور الإنساني ما هو إلا توسيع لمفهوم الدوافع الذي شكَّه فرويد مع اختلاف في الترتيب، وإن كان فرويد يرى بأنَّ القيم والمعاني العليا كالأخلاق والدين ما هي إلا إعلاء لغريزة الجنس، فإنَّ الإنسانيين يرون بأنَّ القيم هي دوافع أوليَّة مُستقلَّة.

(1) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 133-150).

وسبق أن الإنسانيين - لا سيما روجرز - يعطون أهمية للتعليم الإشرافي في معاملة الوالدين للطفل في بناء صورته عن نفسه، ويؤمنون كما يؤمن السلوكيون بأهمية الحاضر في التغيير، والتركيز على الطفولة يشبه مراحل النمو النفسي الجنسي وأثرها على الصحة النفسية في الرشد - عند فرويد -.

وهذه النقطة من جهة أخرى قد تكون ميزة، وذلك من جهة أن استفادة المنهج الجديد من المناهج السابقة مزينة له، وليست عيباً. يقول رولو ماي: «لكن المدرسة الوجودية تقدم للعلاج النفسي بعداً ثالثاً وتضيف إليه عمقاً جديداً. والطريف في أمرها أنها لا تجحد فضل المدارس الأخرى ولا تلغيها، بل تبقى عليها وتفيد من إسهاماتها، وتوغل من تحتها إلى أعماق... فالدوافع الفرويدية والأدرية، والإشراف السلوكي، ونماذج يونج البدائية... كل أولئك كشف ثمين، غير أنها تركنا مع صورة للمريض غير مكتملة»<sup>(1)</sup>.

3- غموض ومجهولية المعنى الذي يُنادون بتحقيقه، وإن كان لكل ظرف معنى يتناسق مع سياقه فلا بد أن يكون فيه معان وجودية كبرى، تنضوي تحتها هذه المعاني السياقية، والبحث عن المعنى السياقي الظرفي في ضوء المجهولية العامة للمعنى ما هي إلا محاولة فاشلة لتخليق الوجود من العدم. ومما يُبرز هذا أن المنظور الوجودي عالة في فنياته على المدارس السابقة، كما يقول مؤسس العلاج الوجودي رولو ماي: «العلاج النفسي ليس فنيات محددة نتدرب عليها، وقد كان مؤسس الحركة الوجودية دائماً يقرون إن للطالب أن يتلقى التدريب التقني لأي مدرسة من المدارس العلاجية وما عليه إلا أن يصوغ فروضه الأساسية في قالب وجودي»<sup>(2)</sup>.

ومع ذلك فهناك بعض الفنيات العلاجية الوجودية التي ذكرها إميل فرانكل، وقد ركز على تقنيتين، هما: التقنية الأولى: إيقاف الإمعان الفكري، والتي تهدف إلى إعانة المريض على الوصول إلى حالة من الهدوء الداخلي، وهي تقوم على أن الأشياء التي تُحسن فعلها تلقائياً تتعرض للإعاقة عندما تُصبح محط للاهتمام المبالغ فيه والتفكير الزائد، وهذا ينفذ في حالة الوسواس القهري. والتقنية الثانية: المقصد المتناقض ظاهرياً، وهي تُعين في حالات الرهاب (الخوف المرضي) بحيث يُعين المعالج المريض على مواجهة مخاوفه، بتشجيعه على فعل ما يُخيفه، وهذا يظهر أنه يزيد من خوفه ولكن في الحقيقة

(1) رولو ماي وإرفين يالوم، مدخل إلى العلاج النفسي الوجودي، (ص: 13).

(2) المصدر السابق، (ص: 88).



هذا هو ما يذهب بخوفه، والذي يزيد من خوفه إنما هو الهروب من مواجهة مخاوفه<sup>(1)</sup>. ولكن حتى وجود هذه التقنيات لا يرفع عن الاتجاه الوجودي مجهولية المعنى الذي إذا تحقّق به الإنسان فإنه سيقتدر على التعامل مع اضطراباته النفسية.

### خامسا: المنظور المعرفي السلوكي.

#### أ- نظره إلى الاضطراب النفسي:

يرى أصحاب هذا المنظور أنّ الاضطراب النفسي هو راجع أساسا إلى معتقدات تُمثّل خرائط وأنماط فكرية سلبية -تشكّلت لدى الشخص عن طريق الخبرات الماضية-، حيث تعمل على توليد أفكار آلية تلقائية-غير واعية- للتعامل مع المؤثرات الخارجية، فينتج عن ذلك سلوكيات غير تكيفية.

ب- مضمون المنظور المعرفي السلوكي: رغم أنّ المنظور المعرفي السلوكي لم يظهر في الساحة العلمية كأسلوب عملي مُعتمد في العلاج النفسي إلا في أواخر القرن العشرين، فإنّ الفكرة الرئيسية منه قديمة جداً، حيث يُرجعها بعض الباحثين إلى الفيلسوف الرواقي إبيكتيتوس (Epictetus) الذي تُوفيّ سنة 134 بعد الميلاد، والذي عبّر عنها بقوله: «الناس لا تُحرّكهم الأشياء، ولكن يحركهم منظورهم للأشياء»<sup>(2)</sup>.

والمصطلح الشائع لهذا المنظور هو العلاج المعرفي السلوكي، وأطلق ألبرت آيس Albert Ellis عليه مصطلح العلاج النفسي العقلاني، ثم العقلاني الانفعالي، ثم العقلاني الانفعالي السلوكي، وكل تلك التسميات إلى جانب تسميات أخرى كثيرة متنوّعة من طرف باحثين هنا وهناك، كلّها راجعة إلى أصل واحد وهو المزاوجة بين الجوانب المعرفية والوجدانية الانفعالية والسلوكية وحتى البيولوجية في إحداث الاضطراب النفسي<sup>(3)</sup>، ثمّ بعد ذلك اشتهر بمصطلح المعرفي السلوكي، وأحيانا يتمّ الاختصار على وصف المعرفي، وهذا رغم أنّه يُبيّن المحلّ الأساسي الذي يُمثّل المنطلق في تفسير الاضطراب النفسي، ولكن من جهة أخرى فإنّ علم النفس المعرفي غير العلاج المعرفي السلوكي. فعلم

(1) يُنظر: فيكتور إيميل فرانكل، إرادة المعنى -أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى-، (ص: 120-141).

(2) يُنظر: البروفسور هوفمان إس جي، العلاج السلوكي المعرفي المعاصر-الحلول النفسية لمشكلات الصحة العقلية-، ترجمة: د. مراد علي عيسى، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، 2012م. (ص:16).

(3) يُنظر: المصدر السابق، (ص: 14).

النفس المعرفي أسسه إريك نايسر Ulrik Neisser - وهو سلوكي في الأصل - واعتنى فيه بالدراسة التفصيلية للعمليات العقلية التي تدور على تلقّي ومعالجة المعلومات - وهي: الإدراك، والذاكرة، واللغة، والتفكير، ودوره في اتخاذ القرارات وحلّ المشاكل - على ضوء المنهج التجريبي، وقد عرفه نايسر بأنه: «جميع العمليات التي يتمُّ من خلالها نقل المدخلات الحسية وتحويلها واختصارها وتوضيحها وتخزينها واستعادتها واستعمالها»<sup>(1)</sup>.

أمّا العلاج المعرفي السلوكي فقد أسسه ألبرت آيس Albert Ellis وآيرون ت بيك Aaron T Beck، وإن كان الاثنان لم يعملوا معاً، فكلاهما قد عمل على تطوير هذه الطريقة العلاجية وكلاهما متمرسان في التحليل النفسي - في الأصل -، وبذرة عملهما على هذه الخطة العلاجية بدأت من حيث تعرّض المنهج التحليلي لكثير من النقد، وليس الهدف منه الدراسة التفصيلية للعمليات العقلية، وإنما هو طريقة في العلاج تقوم على منظور تكاملي تبادلي التأثير بين الجوانب النفسية الخارجية (السلوكية والانفعالية)، والجوانب النفسية الداخلية (المعرفية والعقلية)، والهدف منه هو: «تغيير طرائق التفكير والسلوك اللاكيفية من أجل تحسين السعادة النفسية»<sup>(2)</sup>. ويظهر في هذا المنظور استفادته من جميع المنظورات السابقة، بما فيها المنظور الوجودي الإنساني.

### ج- من أهمّ مزايا الاتجاه المعرفي السلوكي:

1- السببية المتعددة والمتبادلة، وذلك بالاعتراف بجميع العوامل البيئية والحيوية والنفسية داخلية كانت أو خارجية، وعدم إقصاء تأثير أيّ منها على الحالة النفسية سلباً وإيجاباً، والتركيز على كيفية تبادل التأثير بين هذه الجهات، وهذا أكسبه مرونة في النظر إلى الاضطراب النفسي من عدّة زوايا، ولأن يتّسع لكثير من الطرق العلاجية النفسية.

2- التنويه بشأن الأفكار الراسخة -المعتقدات-، وأهميتها الكبيرة في توجيه السلوك، إذ إنّها تُعتبر مصنعا للأفكار التلقائية التي يتم بها ترشيد الانفعالات والسلوكيات عند مواجهة مختلف المواقف.

(1) د. رافع النصير الزغلول ود. عماد عبد الرّحيم الزغلول، علم النفس المعرفي، ط1، دار الشروق: القاهرة-مصر، 2014م. (ص: 17).

(2) البروفسور هوفمان إس جي، العلاج السلوكي المعرفي المعاصر -الحلول النفسية لمشكلات الصحة العقلية-، (ص: 21).

3- تعزيز النظرة الإيجابية الإنسانية التفاضلية لدى الشخص تجاه الأمور، والتي بدورها تُعطيه القدرة على التخلص من الاضطرابات السلوكية الانفعالية، بل واكتساب العادات الجيدة، يقول مؤسس هذا الاتجاه آيرون بيك في إحدى محاضراته: «أحد أهم نقاط العلاج المعرفي، هي أن تكون إنسانياً ومتفائلاً، أن تتعاطف مع الناس وتتواصل معهم، وأن تتحلّى بالتفاؤل تجاه حياتك، إن فعلت ذلك ستحظى بحياة أكثر هناءً، من وجهة نظري هذا هو السر»<sup>(1)</sup>.

د- أهم الانتقادات الموجهة إلى المنظور المعرفي السلوكي: وإن كان يظهر على هذا المنظور أنه هجين، حيث جمع كثيراً من محاسن المنظورات السابقة، وحرص على تجنب معيبيها، ولكنه لا يخلو من بعض الملاحظات، ولعلّ من أبرزها مايلي:

1- الصعوبة في طريقة العلاج، وذلك من جهة المعالج النفسي ومن جهة المعالج، لأنه يستلزم من المعالج أن يغوص في شخصية المريض وطريقة تحليله للأمور حتى ينظر إلى الأمور من نفس الزاوية التي ينظر بها المريض، ليفهم حالة المريض بشكل جيّد ولا تحصل بين المعالج والمريض مقاومة<sup>(2)</sup>، وهذا قد يعزّ على المعالج في كثير من الحالات، كما يتطلّب من المريض أن يكون على درجة لا بأس بها من الاستبصار الذاتي بأن يكون واعياً بذاته، وهذا ما يقلّ في كثير من المرضى النفسيين الذين وصلوا إلى حالات أكثر تقدماً، وزمناً ينعدم في المرضى العقلين.

2- النظرة التعقيدية للحالة النفسية بين ما يكون سبباً ونتيجة، لأنه يفترض أنّ العوامل البيئية والنفسية -معرفة كانت أو سلوكية- والتي يُسمّى بيك بالجال فوق الجيني Epigenetics لها القدرة على التأثير في جوانب حيوية جينية في الجسم، كما أنّ الجينات تعود هي نفسها لتؤثر في الجوانب السلوكية المعرفية<sup>(3)</sup>، وبالتالي فما يكون سبباً لعرض مرضي في حالة، قد يكون ناتجاً عنه في حالة أخرى.<sup>(4)</sup>

(1) رابط الفيديو: <https://www.youtube.com/watch?vT9JyOxiFEQs>. تمّ الاطلاع عليه يوم: 2021/06/02.

(2) يُنظر: البروفسور هوفمان إس جي، العلاج السلوكي المعرفي المعاصر-الحلول النفسية لمشكلات الصحة العقلية-، (ص:45-46).

(3) يُنظر: المصدر السابق، (ص:20).

(4) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 120-132)؛ د. سامية ابريغم، نقد نظرية ألبرت أليس -نظرية العلاج العقلاني الانفعالي-، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، الجزائر: جامعة

## الفرع الثاني: أسباب الاضطراب النفسي.

الاضطراب النفسي ما دام أنه حادث من الحوادث، فهو خاضع لمبدأ السببية، وقد ذكر الباحثون في مجال الصحة النفسية وعلم النفس المرضي عدّة أسباب، وذكروا لها أقساما، ولكن لم يذكروا الاعتبارات التي بُنيت عليها تلك الأقسام.

وكلُّ تلك الأقسام -حسب ما يراه الباحث- ترجع إلى اعتبارين؛ وهما كالتالي:

### الاعتبار الأوّل: مدى مباشرة هذه الأسباب لظهور أعراض الاضطراب النفسي.

وعلى هذا الاعتبار تُصنّف إلى نوعين:

**النوع الأوّل:** أسباب غير مباشرة (الأصيلة الممهّدة)، وهي التي تكون أصلا لما بعدها من الأسباب المباشرة، حيث تُهيئ الشخص للإصابة بالاضطراب النفسي. ومن أمثلتها: وجود خلل حيوي، سواء في الصفات الوراثية (الجينات) أو في كيمياء الدماغ أو في الإفرازات الهرمونية؛ التربية والخبرات السيئة التي تلقفها الشخص من الدوائر الاجتماعية التي يعيش في وسطها، كالأسرة والمدرسة.

**النوع الثاني:** أسباب مباشرة (المساعدة المرسّبة)، وهي التي تكشف عن وجه الخلل النفسي لدى الفرد، وتُخرجه في شكل أعراض ظاهرة. ومن أمثلتها: الصدمات الانفعالية الناتجة عن الحروب والكوارث الطبيعية والأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية؛ الانتقال عبر المراحل العمرية من الطفولة إلى الشباب إلى الشيخوخة.

### الاعتبار الثاني: الجهة التي يصدر منها الاضطراب.

وبناء عليه تُصنّف إلى ثلاثة أنواع:

---

الشهيد حمة لخضر الوادي، عدد: 19، نوفمبر 2016. (ص: 271-273)؛ عزى صالح نعيمة وصادقي فاطمة، العلاج المعرفي السلوكي -مقاربة نظرية حول نظرية آرون بيك وجيفري يونغ-، مجلة آفاق علمية، الجزائر: المركز الجامعي لإيليزي، عدد: 03، نوفمبر 2019. (ج: 11، ص: 668-669).

## النوع الأول: أسباب وظيفية نفسية.

وهذا النوع هو ألصق الأنواع بالاضطرابات النفسية لأنه يقع في نفس المجال الذي تظهر فيه الاضطرابات النفسية، ومن أبرز الأسباب النفسية ما يلي:

أ- الصراع النفسي: وهو التعارض بين دافعين فأكثر، بحيث يستحيل إشباع الدافعين معا، مثل التعارض بين المعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية لدى الشخص، أو مثل التعارض بين الحاجات النفسية والظروف الاجتماعية كالتعارض بين إشباع الدافع الجنسي بالزواج، وعدم تمكن الشخص من تكاليفه ومتطلبات إقامة أسرة.

وهذا الصراع إذا لم يتم حله -إما عن طريق ترتيب الأولويات وإرجاء إشباع بعض الدوافع إلى أن تيسر الظروف، أو وضع البدائل، أو عن طريق تلؤس معنى لفشله بعد ما جرّب كل الطرق الأخرى- فإنه سيقع في إحباط إشباع بعض الدوافع الأساسية مع ما يُصاحبه من الشعور بعدم الارتياح، ومن ذلك ينتج القلق الذي -إذا لم تنجح الحيل الدفاعية في تهدئته- ظهر في شكل أعراض لاضطراب نفسي مُعيّن، والقلق هو خاصية مُشتركة -تقريبا- بين كل الاضطرابات النفسية الوظيفية.

وفي الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية -بداية من الطبعة الثالثة حتى الخامسة- قد تمّ استبدال مُصطلح «العُصاب neuroses» بمُصطلح «اضطرابات القلق anxiety disorders»، وذلك لأنّ مُصطلح اضطرابات القلق أدقّ من مُصطلح العُصاب من جهة وصف الاضطراب النفسي، كما أنّ العُصاب مُصطلح فرويدي قائم على نظرية التحليل النفسي، ولاقى عدّة انتقادات منها ما يعود إلى نظرية التحليل النفسي، ومنها ما يعود إلى المُصطلح نفسه، وكلُّ منظور من المنظورات السابقة لها نظرتها الخاصة إلى القلق<sup>(1)</sup>.

ب- فقدان المعنى من الحياة: حيث يظن الشخص أنّ وجوده في هذه الحياة هو وجود عبثي، لا حكمة فيه. ومن وقع في شرك العبثية فإنه يعزُّ عليه أن يُواصل حياته، فضلا على أن يعيشها بكفاءة وفاعلية.

(1) يُنظر: د. مصطفى فهمي، الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف، (ص: 185-199)؛ د. حسن منسي، الصحة النفسية، (ص: 35-40)؛ قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 160-165).

ج- النظرة السلبية للحياة: بالتشاؤم الذي يُؤدّي بالشخص إلى التركيز على ملاحظة الجهات السلبية في شخصيته، وقد يُفضي به ذلك توهُماً إلى إسناد فشله إلى أشياء لا علاقة لها بسلبياته، ومن ثمّ التراجع عن كثير من مصالحه بسبب أوهام في ذهنه لا أساس لها من الواقع، ويزيد ذلك ويقوى إذا غَدِمَ التفاته إلى الجانب الإيجابي في حياته.

د- العاطفية الزائدة عن الحدّ: والعاطفة مأخوذة من العطف وهو الميل والتعلّق، ولا يخلو أحد في الحياة من الابتلاءات والصّراعات كفقْد عزيز أو تعطلّ مصلحة، وإذا كان لدى الشخص هذا الحسّ العاطفي الشّدِيد ازداد ألمه النَّفسي بهذه الأزمات إلى أن يظهر في شكل اضطراب نفسي، وإن لم يقوى على الظهور في شكل أعراض اضطرابية، فإنّه يُعيق حركته في الحياة، ويجبسه عن السّعي في مصالحه ولا بُدّ.

هـ- العادات السلوكية الخاطئة: مثل تعويد الشخص نفسه على الغضب والانفعال لأسباب تافهة لا توجب الغضب؛ الإدمان على الخمر والمشروبات الكحولية أو تعاطي المخدّرات أو الانشغال بالقدح والكلام في أعراض النَّاس؛ عدم الالتزام بنظام صحي في النَّوم والغذاء والحركة، وغيرها من العادات السلوكيات المضرّة.

### النوع الثّاني: أسباب حيويّة جسميّة.

وهذه الأسباب ذُكرت في الطب القديم من طرف الطبيب اليوناني هيبوقراط قبل الميلاد، حيث قسّم النَّاس إلى أربعة أنماط من الشّخصيّة بناء على الغالب من الإفرازات الجسميّة الأربعة، وهي: (الدّم؛ البلغم؛ الصّفراء؛ السّوداء)، إلى أن جاء كريتشمر وقسّم أنماط الشّخصيّة إلى ثلاثة، التّحيف (ومن مميّزاته: التوتّر وضعف العلاقات الاجتماعيّة)، السّمين (ومن مميّزاته: الميل إلى الرّاحة والتّفاعل الاجتماعي)، القويّ (ومن مميّزاته: الميل إلى النّشاط وإثبات الدّات والعُدوان)<sup>(1)</sup>. ومثل هذا ورد عند ابن الجوزي حيث نصب علامات جسميّة يُستدلُّ بها على نوعيّة العقل وبعض خصائص الشّخصيّة، مثل صفة العين والرّأس والأنف والطّول وغيرها، وفصّل صفات هذه الجوارح بين أمارات دالّة على

(1) يُنظر: حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 111).

الدِّكَاء، وأخرى على الحُمق، وأخرى على البخل وهكذا<sup>(1)</sup>. والجسم قد يتغيَّر بالنَّمط المعيشي المتَّبَع في حين تبقى خصائص الشَّخصيَّة ثابتة، وبالتالي فالحالة الجِسْميَّة الخارجِيَّة قد يُستعان بها على إدراك الجوانب النَّفسيَّة لدى الفرد، ولكن لا يُتوقَّف عندها إذ إنَّها ليست فاصلا دقيقا ولا علامة مُطَرَّدة<sup>(2)</sup>.

ومع تقدُّم العلم التَّجريبي أصبح الاهتمام يتركِّز على ثلاث جوانب حيويَّة لها علاقة واضحة ومُثبتة علميًّا -تجريبيًّا وإحصائيًّا- بالحالة النَّفسيَّة، حيث لوحظ وجود تغيُّرات محسوسة في هذه الجوانب بين حالي الصحة النفسية والاضطراب النفسي، وهذه الجوانب هي كالآتي:

### أولا- الوراثة:

فكما تنتقل الصِّفات الخُلقيَّة الجسديَّة من الوالدين إلى الولد عن طريق المورثات (الجينات) كذلك تنتقل السِّمات الخُلقيَّة النفسيَّة، وقد تباينت وجهات النَّظر في أثر الوراثة على الصحة النفسية والسُّلوك بين مُثبت وناقٍ، والرَّأي الذي يتماشى مع الأبحاث العلميَّة أنَّ للوراثة دورها في الإصابة بالاضطراب النفسي، ولكنها ليست حاسمة ولا حتميَّة، حيث تتبادل التَّأثير مع البيئة على الحالة النفسية للفرد.

وقد توصَّلت بعض الدِّراسات إلى أنَّ المُصابين بالاضطرابات العقليَّة لا سيِّما الفُصام يكون لديهم استعداد وراثي -تشوُّهات وراثيَّة- في تركيبة الدِّماغ للإصابة به، وتوصَّلت دراسات أخرى إلى تحديد المورثات (الكروموزومات: الصَّبغيَّات) المسؤولة عن اضطرابات معيَّنة، وعند قياس نسبة انتقال الاضطرابات النَّفسيَّة وُجد -كأمثلة على ذلك- أنَّ الرُّهاب (الخوف المرضي) ينتقل من الوالدين إلى الطِّفل بنسبة 30%، والاكْتئاب ينتقل بنسبة 20%<sup>(3)</sup>. وهذه النَّسب تُوكِّد أنَّ الوراثة لا تعمل وحدها بل تتكامل مع العامل البيئي، ولو كانت تعمل لوحدها لكان انتقال الاضطراب النَّفسي

(1) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، شرح: عبد الأمير مُهنَّا، ط1، دار الفكر اللبناني: بيروت-لبنان، 1410هـ-1990م. (ص:30)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، الأذكياء، تحقيق: عبد الرحمن ديب الخُلُو، ط2، دار إحياء العلوم: بيروت-لبنان، 1411هـ-1990م. (ص: 25).

(2) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النَّفسيَّة والعقليَّة (نظريَّاتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 40-41).

(3) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النَّفسيَّة والعقليَّة (نظريَّاتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص:45)؛ علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النَّفسيَّة والعقليَّة، (ص: 85-89).

مُطَرِّداً، بحيث لا يتخلّف في أغلب الحالات على الأقلّ، فكيف والحال أنّه مُتخلّف في أغلب الأحوال.

### ثانياً-الجهاز العصبي والنّاقلات العصبية:

الجهاز العصبي من جهة تركيبه يتكوّن من قسمين: قسم مركزي، ويضم الدّماغ والحبل الشّوكي. وقسم تلقائي ذاتي، ويضم جميع الأعصاب الموزّعة على جميع أعضاء الجسم. وكلّ عصب مُكوّن من مجموعة من الخلايا العصبية.

وأما من جهة وظيفته فهو الذي يتحكّم بالسلوك، حيث يُوجّه عمل الأعضاء الجسميّة عن طريق استقبال الرّسائل العصبية الحسيّة التي يتّم بها فهم البيئة الدّاخليّة (مثل الحزن والفرح والغضب) والخارجيّة (مثل الأصوات والمرئيات والرّوائح) ومن ثمّ إرسال الأوامر لها برّد فعل مُعيّن، وعلى مستواه تتّم العمليّات العقلية العُليا من التّفكير وتخزين المعلومات وتحليلها<sup>(1)</sup>.

ويتّم في علم الأعصاب المقارنة بين فحص أدمغة المرضى العقليين والنفسيين وفحص أدمغة الأصحّاء نفسياً حين القيام بأنشطة واختبارات مُعيّنة، وكذلك فحص أدمغة من أُصيبوا بجرح في الدّماغ، وتحديد تأثير ذلك على سلوكهم وانفعالهم. ليستنتجوا عن كُُلّ ذلك الكشف عن علاقة أجزاء مُعيّنة من الدّماغ بوظائف مُعيّنة، وبالتالي إدراك المناطق المسؤولة عن اضطرابات مُعيّنة، ووجد أنّ التهابات الدّماغ ينجم عنها عدّة أعراض اضطرابيّة، من أهمّها: تشوُّش الوعي، بدرجات مُتفاوتة من أقصى درجاته كالهذيان والرّزور(البارانويا) إلى أخفّ درجاته المتمثّلة في مُجرّد ضبابيّة التّفكير وارتباكها؛ اضطرابات الذاكرة كالخرف والنسيان؛ اضطراب التّوجيه، حيث يصير المريض إلى حالة لا يعرف فيها مكانه ولا زمانه ولا الأشخاص المحيطين به، وغيرها كثير<sup>(2)</sup>.

وإفرازات الجهاز العصبي تُسمّى بالنّاقلات العصبية، وهي موادّ كيميائية يتمّ عبرها نقل الرّسائل العصبية الحسيّة والحركيّة بين الدّماغ وسائر أعضاء الجسد. وكلّ ناقل عصبي مسؤل عن جُملة من الوظائف المعيّنة، وعليه فأيّ خلل في هذه النّاقلات يترتّب عليه وجود خلل في الوظيفة المتعلّقة بالنّاقل.

(1) يُنظر: حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 85-94).

(2) يُنظر: علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 89-91).



ومن أشهر هذه الناقلات: الدوبامين dopamine وهو المسئول عن الشعور بالنشوة والمتعة والتحفيز والحركة، ولذا فإنَّ النقص فيه ينتج عنه الكسل والشعور بعدم الرغبة في العمل والرُعاش (ارتجاف الأطراف)؛ السيروتونين serotonin وهو الناقل المسئول عن اعتدال المزاج والنوم، وعليه فالنقص فيه يترتب عليه اضطرابات المزاج كالاكتئاب من الحادِّ إلى الخفيف كما ينتج عن النقص فيه اضطرابات النوم<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً- الغدد الصماء والهرمونات:

الغُدُّ الصمَّاء هي أعضاء داخلية موزعة في الجسم، تُفرز مواد كيميائية تُدعى بالهرمونات (hormones)، تتحكَّم عن طريقها بالوظائف الحيوية كالنمُو وإنتاج الطاقة الجسمية، وكذلك تتحكَّم بالوظائف النفسية من تغيُّرات المزاج وشهوة الأكل والجنس وغيرها.

وعدد هذه الغُدُد تسعة: وهي كالأتي، ثلاثة في الدماغ، وهي: (الغدة تحت المهاد؛ الغدة النخامية؛ الغدة الصنوبرية)، واثنان في العنق، وهما: (الدرقية؛ وجارات الدرقية)، وواحدة في وسط الصدر، وهي: (التيموسية أو الزعترية)، واثنان وسط البطن، وهما: (الكظرية أو فوق الكلوية، وجُزُر لآبجرهانز في البنكرياس)، وواحدة أسفل البطن في الحوض، وهي: (الخصيتان عند الذكر /المبيضان عند الأنثى).

ويوجد غدد أخرى في الجسم كالغدد المخاطية التي تُفرز المخاط وغيرها، ولكن التي تؤثر على الوظائف الجسمية والنفسية هذه الغدد التسع، حيث تعمل على إفراز مواد كيميائية -الهرمونات (hormones)- في الدم مباشرة -ولذلك سُميت صمَّاء-، يتمُّ نقلها على شكل أوامر إلى الأنسجة الخلوية في الجسم، حيث تعمل هذه الهرمونات على تحديد بناء الخلايا-مثلا هرمون الذكورة testosterone لدى الرجال هو المعني بظهور الصفات الذكورية لدى الرجال كظهور اللحية وخشونة الصوت وغيرها، في المقابل هرمون الأنوثة estrogen هو المعني بظهور الصفات الأنثوية لدى النساء، كالتددين وهكذا-، وكذلك تعمل على تحديد وظائف الأجهزة العضوية -مثلا هناك هرمونات مسؤولة عن التحفيز والانتباه، كهرموني التوتر: cortisol /adrenaline، وهناك هرمونات مُقابلة لها مسؤولة عن التثبيط والشكون، مثل هرمون النوم: melatonin-.

(1) يُنظر: المصدر السابق،(ص: 92).

وتُشرف عُدتا تحت المهاد والغدة النُخامية على التحكّم بباقي عمل الغُدَد، ولذلك فموقع هذين الغُدَّتَيْن من باقي الغُدَد كموقع المدير من سائر العُمَّال في المؤسَّسة، إفرازات الغدد الأخرى الهرمونيَّة مُتوقَّفة على إفرازات هذين الغُدَّتَيْن، وإذا علمنا أنَّ الوظائف النَّفسية والجسميَّة مُتوقَّفة على إفرازات الغدد الهرمونيَّة، فإنَّ أيَّ اضطراب في هذه الهرمونات وعدم توازن في إفرازها بالزيادة أو النقص، ينتج عنه اضطرابات نفسيَّة وجسميَّة مُعيَّنة، وذلك حسب نوع الهرمون الذي حصل فيه الخلل، كما وُجد تجريبياً أنَّ عُدتَي تحت المهاد والنُخامية تتأثّر بشكل كبير بالقلق والتوتر النَّفسي، وعليه فإنَّ القلق النَّفسي من شأنه أن يُجرب عمل جميع هذه الغُدَد، عن طريق تأثيره على هاتين الغُدَّتَيْن.

وهناك تناغم بين الجهاز الغددي الهرموني وبين الجهاز العصبي، حيث يعمل الجهاز العصبي بإصدار الأوامر ويمثلها الجهاز الهرموني، وكذلك فإنَّ التغيُّر في إفراز الهرمونات يتحمَّس له الجهاز العصبي وينجم عنه تغيُّرات في الوظائف الحسيَّة والحركيَّة، وتُعتبر عُدة تحت المهاد مع الغدة النُخامية همزة الوصل بين الجهاز العصبي وسائر الغُدَد الأخرى، حيث تقعان في الدِّماغ الذي هو مركز الجهاز العصبي من جهة، وترتبطان فيما بينهما بمُوصَّلات دمويَّة (شعيرات دمويَّة) وأخرى عصبيَّة (خلايا عصبيَّة) من جهة أخرى، وعليه فالجهازان العصبي والغددي الهرموني مُتكاملان مُتلاحمان، يتمُّ عن طريقهما اتِّصال الجسد بالدِّماغ في مُقابلة المتغيِّرات البيئيَّة الخارجيَّة لتحقيق التَّكْيُف والتَّوازن<sup>(1)</sup>.

ودراسة الجهاز العصبي مع الجهاز الغددي الهرموني، نقف به على الأساس الحيوي الجسمي للآليات التي تتبادل بها الوظائف النَّفسية والجسميَّة التأثير على بعضها بعضاً.

### النوع الثالث: أسباب بيئيَّة اجتماعيَّة.

الدَّوائر الاجتماعيَّة التي يعيش فيها الفرد، من الأسرة والمدرسة والأقارب والتوجُّهات الحضاريَّة والثقافيَّة لها دورها الكبير في تشكيل شخصيَّة الفرد إمَّا بشكل إيجابي مُنتج، أو بشكل سلبي عقيم،

(1) يُنظر: د. محمد صفوت عبد الجيد جادر، فيسيولوجيا الغدد الصمَّاء الهرمونات والنَّاقلات العصبيَّة، ط2، مصدر الكتاب: منتدى سور الأزبكية، 1996م. (ص: 2)؛ حامد عبد السَّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 113)؛ د. عبد العزيز القوصي، أُسس الصِّحة النَّفسية، (ص: 44-53).

وبالنظر في هذا الجانب الاجتماعي البيئي، يُمكن أن نحدّد كثيرا من العوامل -التي تؤثر على الفرد بالقلق والإجهاد النفسي الدائم الذي يؤول إلى الإصابة بالاضطراب النفسي-، وهي كالاتي:

أ- عوز المجتمع من الوسائل التي تُعتبر ضرورية في تلبية الحاجات الأساسية للفرد، بسبب تدهور الحالة الاقتصادية، مثل: المجاعة؛ عدم العناية بالمرضى وتطبيبهم؛ عدم توقُّر التعليم؛ البطالة لانعدام مناصب العمل والشُّغل؛ غلاء المهور وارتفاع تكاليف الزواج وبناء أسرة؛ التعرُّض للكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات؛ المعاناة من الحروب والإدارة السيئة للخلافات السياسية التي ينتج عنها تزعزع الأمن والعيش في حالة من الدُّعر.

ب- التربيّة السيئة: سواء في الأسرة، إمّا بشكل مباشر بإساءة معاملة الوالدين والإحوة للطفل، أو بشكل غير مباشر كإقحامه في النزاعات والخصومات التي تحصل بين الوالدين، أو قلّة عناية الأمّ بالطفل لانهماكها في الانشغال بأعمال أخرى، أو تزعزع الكيان الأسري بالطلاق، وقد تكون هذه التربيّة السيئة في المدرسة إمّا من جهة لجوء المعلمين إلى الطُّرق غير السليمة في التّعامل كاللّعنيف الشّديد أو الإهمال أو التّدليل الزائد، أو خلُّوهم من المعرفة بالمشاكل التي يتعرّض لها الأطفال، وقد يُعاني الطفل من التربيّة السيئة في الموضوعين معا، وهو بدوره عندما يكبر -إذا بقي على ذلك- سينقل تلك الخبرات التربيويّة السيئة إلى أولاده، وسيتعامل بها مع من يليه -إذا لم يُمنّ الله تعالى عليه بالتّعافي منها-، وهكذا نبقى في حلقة مُفرغة تُنتج أجيالا سيئة الخلق، ثمّ نتساءل عن أسباب سوء تربيّة هذه الأجيال.

ج- ضعف أو انعدام الرّوابط الاجتماعيّة القويّة بين أفراد المجتمع من صلة الأرحام، وكفالة الفقراء والأيتام، والتّعاون على المشاريع الخيريّة التي يعود نفعها على العبد في الدُّنيا والآخرة<sup>(1)</sup>.

### ملاحظات على أسباب الاضطراب النفسي:

ويلاحظ على أسباب الاضطرابات النفسية بأنواعها الثلاث جُملة من المميّزات والخصائص، تتمثّل فيما يلي:

(1) يُنظر: حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص:121-125).

أولاً: التعدد، فلكل اضطراب نفسي أكثر من سبب، ولا يمكن أن نختزل ونقصر كل اضطراب في سبب واحد بعينه، وذلك راجع لتعقيد الحياة النفسية التي تتجاذبها عوامل وراثية وبيئية، حيوية (بيولوجية) ونفسية (سيكولوجية) واجتماعية (سوسيولوجية).

ثانياً: التداخل، فالسبب الواحد قد ينتج عنه عدة اضطرابات نفسية، فالصدمات الانفعالية الناتجة عن كارثة طبيعية مثلاً، قد يُصاب الشخص بسببها بدرجة معينة من الاكتئاب تتراوح شدته بين الخفيف أو المتوسط أو الحاد، وقد يقوى ذلك السبب فينتج عنه خلل في كيمياء الدماغ، وقد تشتد فتظهر في شكل ذهان (مرض عقلي).

ثالثاً: الفردية والخصوصية، كل نوع من أنواع الاضطرابات النفسية له حالة من الفردية في اجتماع الأسباب وطريقة تأثيرها على حالة الشخص، وهذا ما ينفي القول بجمالية الأسباب بالنسبة لكل الأحوال، وعليه فلا يمكن أن نربط اضطراباً نفسياً معيناً بسبب وحيداً معيناً، وإن كان يغلب على بعض الاضطرابات النفسية نوع معين من الأسباب، ولذلك في التشخيص النفسي الطبي - جنباً إلى جنب مع الفحص السريري - يُؤخذ بعين الاعتبار تاريخ المريض النفسي منذ طفولته للكشف عن جانب التربية، ويُنظر في أقرانه للكشف عن الجانب الوراثي، وفي كل توجهاته الثقافية وغيرها، حتى يتم تفسير الأعراض المرضية في ضوء كل تلك الجهات المؤثرة على الحالة النفسية معاً.

رابعاً: التعاضد والتراكب، وهذا يظهر في الأسباب الأصلية والمساعدة، حيث إن درجة تأثير السبب المساعد تتوقف على العتبة التي وصل لها تأثير السبب الأصلي الممهّد، فالاستجابة عند التعرض إلى صدمة انفعالية من شخص لم يحظ بالرعاية اللازمة وهو طفل، تختلف عن استجابة شخص آخر قدّمت له هذه الرعاية، فالأسباب المساعدة بالنسبة للأسباب الأصلية، هي بمثابة ضغط الزناد الذي يُفجّر البارود، أو القطرة التي يطفح بها الكيل، بل إن السبب الذي أدّى إلى تدهور في الحالة النفسية لشخص معين، بالنسبة لشخص آخر يتمتع بقدر عالٍ من الثبات النفسي قد يكون سبباً في تعزيز صحته النفسية وتقوية جوانب معينة في شخصيته<sup>(1)</sup>.

(1) يُنظر: حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 107-108).

## المطلب الثالث: تعريف الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذ، وتصنيفاته.

### الفرع الأول: تعريف الاضطراب النفسي.

الاضطراب النفسي هو الطرف المقابل المضاد للصحة النفسية، ولذلك من أسباب تعدد تعريفات الاضطراب النفسي الاختلاف حول مفهوم الصحة النفسية، وإن كان مجرد الخلل من الاضطراب النفسي لا يُعبّر عن حالة الصحة النفسية فإنه شرط أساس فيها. وعليه فإنه يتعدّد فهم المقصود بالصحة النفسية دون إدراك مفهوم الاضطراب النفسي.

ورغم ما يكتنف تحديد الاضطراب النفسي من غموض وصعوبة، تتمثل في تباين الأسس النظرية في تفسيره، واختلاف المعايير التي على ضوءها يُحدّد ما هو سويّ وما هو شاذّ غير سويّ، وتعدّد الجوانب التي تتفاعل معها الأجهزة النفسية، فقد حاول الباحثون في مجال علم نفس الشواذّ وعلم النفس المرضي وعلم الصحة النفسية وضع تعريف يُحدّد مفهوم الاضطراب النفسي، ومن أجمع تلك التعريفات التي وقفت عليها ما يلي:

التعريف الأول: «اضطراب وظيفي في الشخصية نفسي المنشأ، يبدو في صورة أعراض نفسية وجسمية مختلفة، ويؤثر في سلوك الشخص فيعوق توافقه النفسي، ويعوقه عن ممارسة حياته السوية في المجتمع الذي يعيش فيه»<sup>(1)</sup>.

التعريف الثاني: «يُعبّر الاضطراب النفسي والعقلي عن مفهوم لجانب من السلوك يتعارض مع ما نُطلق عليه سلوكا سليما، أو عاديا أو ناضجا. والاضطراب أو المرض النفسي لا يُحقّق الرضا والتقبّل للشخص أو لمن حوله أو لكليهما معا. ويؤدّي المرض النفسي إلى إثارة اضطرابات شاملة في سلوك الإنسان قد تشمل حالته الانفعالية، أو تفكيره، أو سلوكه الاجتماعي، أو وظائفه العضوية والجسمية، أو كُلاًّ هذه الأشياء مجتمعة في وقت واحد»<sup>(2)</sup>.

(1) حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 9).

(2) د. عبد الستار إبراهيم، العلاج النفسي الحديث، (ص: 50).

التعريف الثالث: «وجود جملة من الأعراض أو التصرفات التي يمكن تمييزها سريريًا (إكلينيكيًا)، والتي تكون مصحوبة في معظم الحالات بضائقة وتشوش في الوظائف الشخصية»<sup>(1)</sup>.

وهناك تعريفات أخرى كثيرة غير هذه، ويمكن من ذلك كُله تحديد الأوصاف المشتركة بين هذه التعريفات، وهي كالآتي:

أولاً: الاضطراب النفسي هو اضطراب وظيفي أساساً في جوانب الشخصية، وليس خللاً عضويًا، وإن كان الخلل العضوي قد يكون ناتجاً عن اضطراب نفسي أو مُتسبباً فيه، كما في الأمراض النفس-جسمية.

ثانياً: الاضطراب النفسي لا بُدَّ أن يُؤثِّر تأثيراً سلبياً على الجوانب النفسية داخلية كانت كالتفكير والشعور، أو خارجية كالانفعال والسلوك، وقد يقوى فيؤثِّر على الجوانب الجسمية. وفي غالب الأحيان يظهر الاضطراب النفسي في شكل مزيج مُركَّب من مجموعة من الأعراض السلوكية والانفعالية والشعورية، وبناء على هذه الأعراض بُنيت المعايير التشخيصية التي يتم من خلالها تصنيف اضطراب نفسي معيّن.

ثالثاً: الاضطراب النفسي يُعيق الفرد عن توافقه وتكيفه مع متطلّبات المرحلة العمرية التي يمرُّ بها (الطفولة، الشباب، الكهولة، الشيخوخة)، ونوع جنسه، وظروفه الاجتماعية، وطريقة تعامله مع الآخرين.

رابعاً: تتنوّع الأسباب المسؤولة عن الاضطراب النفسي من أسباب وراثية (جينية) ونفسية وبيئية-اجتماعية كالتجارب المؤلمة والصدمات الانفعالية، وأخرى سلوكية نمطية كالنمط الغذائي الخاطيء، وسوء التفاعل الاجتماعي غير الهادف وقلة الحركة والرياضة، وأسباب حيوية عضوية كتلف في نسيج الجهاز العصبي أو عدم توازن في الناقلات العصبية أو خلل في إفراز الغدد للهرمونات،

(1) مُنظمة الصحة العالمية المكتب الإقليمي للشرق المتوسط، المراجعة العاشرة للتصنيف الدولي للأمراض -تصنيف الاضطرابات النفسية والسلوكية- icd-10، ترجمة: وحدة الطب النفسي بجامعة عين شمس بالقاهرة بإشراف أ. د أحمد عُكَّاشة، نشر منظمة الصحة العالمية، 1999م. (ص: 5).

وأَسباب رُوحِيَّة معنويَّة كالفرَّاغ الوُجودي وفقدان القِيَم والمعاني. وهذه الأسباب غالباً ما تتداخل وتتعاقد في إحداث الاضطراب النَّفسي. (1)

## الفرع الثاني: تصنيفات وأنواع الاضطرابات النفسية.

يكتنف تصنيف الاضطرابات النفسية بعض الصعوبات والتحدّيات، من أهمِّ هذه الصُّعوبات وأجمعها:

أولاً: أصعب التّصنيفات هو التّصنيف على أساس الأسباب، إذ إنّ العلاقة بين النَّفس والجسد علاقة تفاعليَّة حيث يؤثّر كلُّ منهما على الآخر، فقد يكون الاضطراب نفسي المنشأ كالقلق أو الوسواس المرضي، ويؤدّي إلى اضطراب عضوي حيوي، كالارتفاع الدَّائم لهرمونات التوتّر كهرمون الكورتيزول النَّاتج عن الضَّغط والتوتّر النَّفسي المستمر، والذي يظهر ذلك بشكل جلي في الضَّعف والهزل البدني، وقد يكون الاضطراب عضوي المنشأ كخلل في الجهاز العصبي أو الهرموني كنقص النَّاقِل العصبي (السيروتونين) المسؤول عن السَّعادة مثلاً، ويظهر في شكل اضطراب نفسي كنوبة اكتئابِيَّة أو اكتئاب حادّ. فإذا تمَّ توجيه الاعتبار في تصنيف الاضطرابات النفسية إلى الأسباب سنقع في مُشكل، وهو أنّ أعراض الاضطرابات النَّفسيَّة هي في حدِّ ذاتها تكون سبباً لغيرها، بحيث إنّ ما يكون عرضاً ناتجاً عن سبب، هو في حدِّ ذاته يعود ليكون سبباً مؤثراً في السَّبب الذي نتج عنه، في شكل حلقات دائريَّة. كما أنّ الأسباب تتداخل في إحداث الاضطراب النفسي، فالسبب الواحد ينتج عنه في ظروف معيَّنة اضطرابات نفسيَّة متنوّعة، والأسباب المتعدّدة تقود بالنَّسبة لظروف مختلفة إلى نفس الاضطراب النَّفسي.

ثانياً: تداخل الأعراض بحيث يوجد العرض الواحد في عدة أمراض نفسيَّة مختلفة، مثل: وجود أعراض الانطواء، والانكفاء على الدَّات، ومشاعر الحُزن في كثير من أنواع الاضطرابات، كالاكتئاب الحادّ و الخفيف، واضطراب ثنائي القطب Bipolar (اضطراب الاكتئاب الهوسي بأشكاله المتنوّعة). وفي المقابل فالاضطراب النَّفسي لا تقتصر أعراضه على الظهور في جانب واحد حيوي

(1) يُنظر: علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 49-52).

بيولوجي أو نفسي وظيفي أو سلوكي انفعالي، بل كل اضطراب نفسي تنشأ عنه زُملة من الأعراض<sup>(1)</sup> المشتمة على كل جانب من هذه الجوانب، وهذا يُبيِّن التداخل الشَّدِيد بين الاضطرابات النفسية، وحادَّة الفروقات بينها لدرجة أنَّها تظهر لبادي الرأْي مُنعمة، وهذا ما توصَّلت إليه جمعيَّة الطب النفسي الأمريكيَّة عند تصنيفها للدَّلِيل التَّشخيصي DSM-5، حيث أشادت بذلك قائلة: «لقد توصلنا إلى الاعتراف بأن الحدود الفاصلة بين الاضطرابات مسامية أكثر مما كانت متصورة في الأصل»<sup>(2)</sup>.

رابعاً: أن النظر إلى الاضطرابات النفسية لها دلالتها السياقية ورمزيتها المرضية في وحدة الكيان الإنساني الكلي، بدءاً من الجينات الموروثة عن الأبوين إلى الخبرات التي عايشها الشَّخص من الدَّوائر البيئية من حوله كالأسرة والمدرسة والأصدقاء والأقارب والمجتمع، انتهاءً بالطُّرق المعرفية الاعتقادية التي يعتمدها الفرد في تلقي وتفسير الأحداث التي تعترضه في الحياة اليومية.

وهذه الصُّعوبات لم تمنع الباحثين - في علم الصحة النفسية وعلم النَّفس المرضي - من وضع عدَّة تصنيفات، ويُمكن أن تُصنَّف بناءً على ثلاث اعتبارات:

### أولاً: التصنيف على مدى شدَّة وثبات الاضطراب النفسي.

وتُصنَّف على هذا الاعتبار إلى أربعة أقسام:

### القسم الأول: اضطرابات القلق أو العُصاب النفسي.

هذا القسم يُمثِّل المرحلة الوسيطة بين حالة الصَّحة النفسية والحالات الدُّهانية، وأوَّل من أطلق مُصطلح العُصاب على اضطرابات القلق هو عالم النفس كولين CULLEN الذي كان يرى بأنَّ القلق يُعبِّر عن خلل في الجهاز العصبي، ثمَّ جاء سيجموند فرويد ليُحافظ على نفس المصطلح، ولكن بمعنى جديد، وهو أنَّ القلق يُعبِّر عن رغبات نفسية مكبوتة في اللاشعور، وهو - على وفق هذا المنظور التحليلي الفرويدي - لا يتضمَّن الدَّلالة على خلل عُضوي في الجهاز العصبي، وقد اعتمد DSM-

(1) جاء في المعجم الوسيط: «الرُّمْلَةُ: الرُّفْقَةُ أو الجماعة». [جمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، المعجم الوسيط، ط2، دار الدعوة: القاهرة-مصر، 1392هـ-1972م. (401/1)].

(2) American Psychiatric Association, diagnostic and statistical manual of mental disorders, fifth edition (dsm-5th), Washington, DC London, England, 2013. (p: 5-6).



2- الدليل التشخيصي والإحصائي بطبعته الثمانية- مُصطلح العُصاب، إلى أن تمَّ إسقاطه في الطبعة الثالثة منه DSM-3 وبقي هذا الإسقاط مستقرا بعدها في الطبعتين الرَّابِعة DSM-4 والخامسة DSM-5، وتمَّ استبداله بمُصطلح اضطرابات القلق، وذلك لِعِدَّة أمور، وهي: غموض مُصطلح العُصاب، وإشارة المصطلح للجهاز العصبي مع أنَّ القلق هو اضطراب نفسي وليس خللا عصبيًا، واشتهار دلالة المصطلح على مفاهيم فرويد حول أثر المكبوتات الجنسيَّة اللَّاشعوريَّة في إحداث القلق.

وليس الكلام هنا عن القلق العادي الطبيعي، الذي هو ضروري للحياة الإنسانية، حيث يُنبِّهنا إلى تفادي كلِّ ما يُهدِّد حياتنا من جهة، ويدفعنا إلى تحقيق التقدُّم في جميع المجالات من جهة أخرى، وهذا القلق يكون مُوجَّهاً ولحظيًّا حسب ما يتطلَّبه التكيف مع الظروف.

ولكن الكلام هنا عن القلق الذي يُعبَّر عن خلل في الوظائف النَّفسية، والسَّمة العامَّة لجميع اضطرابات القلق هي: التوتُّر المستمر والشَّديد الخارج عن سيطرة الفرد، والذي يترافق معه أعراض اضطرابيَّة سلوكيَّة وجسميَّة، وقد يكون مُوجَّهاً نحو موضوع مُعيَّن، ولكن بشكل شديد مُبالغ فيه أكثر ممَّا يتطلَّبه الموقف بكثير - بحيث لا يزول بزوال مُثيره الموضوعي، وغالبا ما تكون هذه المواقف من قضايا الحياة العادية، مثل: صعوبات العمل والمرض والتَّفَاعُل الاجتماعي-، أو يكون مجهول السَّبب، وهذا أغمض وأخطر حيث يشعر الشَّخص بالخوف والخطر والتَّهديد وعدم الأمن لا بُجَاه شيء مُعيَّن، وإمَّا هو يشعر بذلك فقط.

والقلق يحرم صاحبه من أن يجيا الحياة الطَّبِيعيَّة العادية، فضلا عن الحياة ذات الكفاءة العالية، حيث يُفقد القدرة على النَّوم والأكل، ويُسبَّب له الفشل في الدِّراسة والعمل والتَّفَاعُل الإيجابي مع الحياة. (1)

واضطرابات القلق تأخذ عِدَّة أشكال، من أبرزها ما يلي: الرُّهاب (أو الخوف أو الخوف المرضي)؛ اضطراب الوسواس القهري؛ اختلال الآنيَّة (أو التفكُّك أو فقدان الهويَّة أو تبدُّد الشخصية)، وهناك بعض الأنواع من الاضطرابات التي اختلفت في تصنيفها، كاضطراب التَّحويل

(1) يُنظر: حامد عبد السَّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 484-490)؛ علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النَّفسية والعقلية، (ص: 187-203)؛ قاسم حسين صالح، الاضطرابات النَّفسية والعقلية (نظريًّا، أسباجها، طرائق علاجها)، (ص: 160-183).

(الهيستيريا) واضطراب توهُم المرض (الهيوكوندريا)، فبعضهم أدرجها في اضطرابات القلق كما فعل حامد زهران<sup>(1)</sup>، وبعضهم صنّفها ضمن الاضطرابات النفس-جسميّة كما فعل قاسم حسين حيث جعلها نوعين رئيسين منها<sup>(2)</sup>.

## القسم الثاني: الذهان.

يُمثّل الذهان مرحلة مُتقدّمة من الاضطراب النفسي، والسّمة العامّة لأنواع الاضطرابات الذهانية هو الانفكاك عن الواقع، وعدم الوعي بالذّات، ويُصاحبه ظهور اضطرابات انفعاليّة ومعرفيّة، وبعض أنواع الذّهانات -وبالأخصّ العضويّة منها- يظهر فيها تدهور شديد في الذاكرة والعمليّات العقليّة، بحيث لا يعي المريض الذهاني نفسه وما يدور حوله، ولا يستطيع السّيّطرة على نفسه بحيث يُشكّل - إن لم يُؤخذ بيده إلى المستشفى، ويُوضع تحت المراقبة الطّبيّة - خطرا على نفسه أو على غيره، فيتسبّب لنفسه أو لغيره بالأذى، جرّاء الألم النفسي الشّديد الذي يعاني منه.

وذكر الباحثون عدّة فروق بين العُصاب والذهان، والفرق العامّ الذي تنضوي تحته كلّ تلك الفروق الفرعيّة، والذي لا يكاد يُختلف عليه في علم الاضطرابات النفسية، أنّ العصبيّ يتميّز بقدر من الواقعيّة والوعي، حيث يهتم بنفسه ويعترف بمرضه ويسعى إلى العلاج، على خلاف الذهاني الذي ينفك انفكاكا كلياً عن الواقع ولا يعي مرضه، وتعتريه الأوهام والهلاوس، وإن لم يُؤخذ بيده قد يُؤذي نفسه أو غيره، ولهذا السّبب يُوضع الذهاني في المستشفى، بخلاف العُصابي الذي يُراجع المرشد أو الطّبيب النفسي، في حين أنّه يُترك ليختلط بمجمّعه ويُراول أعماله.<sup>(3)</sup>

وهناك جدل بين الباحثين في تصنيف الاضطرابات النفسية على أساس الشدّة والحِدّة، والقول بهذا التّصنيف إنّما يتماشى مع القول بأنّ الفرق بين العُصاب والذهان فرق في الكَم لا في النّوع، بمعنى أنّهما يقعان على نفس المتّصل والمستوى، فالذهان ما هو إلّا حالة مُتقدّمة من العُصاب التي تمّ التّغافل عنها حتّى زاد حجم الأعراض. وأمّا من يتبنّى الرّأي القائل بأنّ الفرق بينهما فرق في النّوع،

(1) يُنظر: حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 490، 498).

(2) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسيّة والعقليّة (نظريّاتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 369-370).

(3) وقد ذكر كلّ من حامد زهران وعلي صالح جدولاً بالفروق بين العُصاب والذهان. [يُنظر: حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 531-532)؛ علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسيّة والعقليّة، (ص: 121-125)].

فالمستوى الذي يقع فيه العُصاب غير المستوى الذي يقع فيه الذُّهان، فالذُّهان يستند إلى اختلالات وراثية وبيولوجية وعصبية، بخلاف العُصاب الذي يستند إلى اختلال نفسي في التكيف مع البيئة الخارجية.

ومع ذلك فالتغيرات البيولوجية العصبية الواقعة في الاضطرابات الذهانية - والتي ينفك فيها المريض عن الواقع - لا يمكن القول بأنها المتسببة في هذه الاضطرابات النفسية دائما، لاحتمال أن تكون تلك التغيرات البيولوجية ناتجة عن اختلالات نفسية أساسا، وإن كانت بعض الحالات يظهر فيها جليا كون أحدهما سببا والآخر نتيجة، فالاضطرابات النفس-جسمية تنتقل من النفس إلى الجسد، وإصابات المخ والدماغ ينتقل فيها الاضطراب من الجسم إلى النفس، وهذا يُبين أن الفصل بين العُصاب والذُّهان هو نظري أكثر منه عملي، ذلك أن العلاقة بين النفس والجسد علاقة تأثرية، فالعُصاب وإن كان نفسيا في الأصل كالقلق والتوتر المرضي إن لم يُعالج لا ريب أن يُسبب خللا في الجهاز العصبي والغددي، وهذا يُفيد في عدم التهورين من شأن العُصاب، والحرص على المسارعة في علاجه، حتى لا يتطور إلى ذُّهان.<sup>(1)</sup>

وعادة ما يُصنّف الذُّهان إلى نوعين: وظيفي وعضوي، أما العضوي: وهو الذي يترافق مع اختلال عوامل عضوية في بنية الجهاز العصبي، أو إفرازات النواقل العصبية ومستقبلاتها في الدماغ، أو وجود خلل في الغدد الصماء وإفرازاتها الهرمونية. ويأتي على عدّة أشكال، من أبرزها ما يلي:

أ- الصرع: وينتج عن خلل وعدم توازن في كهرباء الدماغ، وينجم عنه تشنجات وتقلصات في جميع الجسد أو في بعض أجزائه، كالاhtزاز والجمود في وضعيّة مُعيّنة بشكل مُفاجئ لفترات قصيرة، وقد ينجم عنه الإغماء والسقوط أحيانا.

ب- السكتة الدماغية: الناتجة عن انسداد وعاء من أوعية الدّم في الدماغ، بعد التعرّض للانسداد فينفجر هذا الشريان في الدماغ، وتصل بعض حالات السكتة الدماغية إلى الوفاة إذا كان النزيف شديدا. وقد يُسبب اضطرابا في بعض الوظائف النفسية دون أن يُؤدّي إلى الموت، وذلك إذا كان فيه تجلّط للدّم فقط أو كان النزيف خفيفا.

(1) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 198-200).

ج- زُهْرِيُّ الدِّمَاغ: وهو مرض فيروسي ينتقل عن طريق اللّمس والجماع (العملية الجنسية)، وهو يُؤثّر على الدِّماغ، وتظهر على المريض مجموعة من الاضطرابات الانفعالية والسلوكية والعقلية، حيث يعجز المريض عن القيام بأسهل العمليات الحسابية، وعن تذكّر الأحداث القريبة الحصول، وتتميّز انفعالاته بسرعة التغيّر حيث ينتقل من تصرفات اكتئابية انطوائية إلى أخرى هذائية افتخارية بسرعة.

د- الزّهائمر (مرض الحَرْف): وهو يترافق مع تآكل في خلايا الدِّماغ، ويتميّز بمعاناة المريض من فقد شديد في الذاكرة، وضعف في الإحساس بالألم، وصعوبات في الكلام وتناسق الحركة، ويؤدّي إلى الموت المبكّر، وهو غالبا ما يُصيب الأفراد الذين تزيد أعمارهم عن 65 سنة، وقد يصيب من سنّه أقل من ذلك، وسُمّي بذلك نسبة إلى الطبيب الألماني لويس الزّهائمر الذي اكتشفه وشخّصه سنة 1906م.

وأما الذّهان الوظيفي: فهو اضطراب يُمثّل خللاً في التّعبير عن الوظائف النّفسيّة (الإدراكية أو الانفعالية أو المعرفيّة أو غيرها)، ولا يُلاحظ عليه أيّ تغيّرات عُضوية، ويتّخذ عدّة أشكال، وهي كالآتي:

أ- الفصام (Schizophrenia): هو مُصطلح يدلُّ على الانفكاك بين تفكير الشّخص وانفعاله، ويُلاحظ ذلك من خلال عدم التّناسب بين سلوك الشّخص والمواقف البيئية التي يتعرّض لها، ويتمُّ ترجمة هذا الانفكاك والانفصام بين أجزاء الشخصية في عدّة أعراض اضطرابية في الوظائف النّفسيّة، من أبرزها: عدم التّرابط المنطقي في استعمال اللّغة، حيث يتكلّم المريض بتراكيب لفظية متتالية ليس بينها أيّ ترابط منطقي، ومنه: صكّ ألفاظ جديدة، وإصدار أصوات غريبة؛ اضطرابات إدراكية وتشوُّش في التّفهُم والتّعاطي مع الواقع، ويتمثّل ذلك في وُجود أوهام كاعتقاد أنّ شخصا ما يصبُّ الأفكار في رأسه، أو يسحبها منه بقوّة، أو أنّ أفكاره مبنوثة كشريط فيديو يراها كلُّ أحد، وقد يُعاني من هلاوس سمعيّة وبصريّة، فيسمع ويُبصر أشياء لا يراها ولا يسمعها غيره من الأسوياء؛ اضطرابات وجدانية تتّصف بالتبّد وعدم الاكتراث والجمود العاطفي، بعدم وجود أيّ تعبير عن الشعور الدّاخلي في قسمات وجه المريض، أو عدم التّناسب للتّعبير الوجداني مع الظرف البيئي الذي يُحاول المريض التّعبير عنه، كالضحك عند المصيبة أو الحزن عند حصول النّعمة مثلا؛ اضطرابات الحركة، ولها عدّة أشكال من أبرزها، التّكرار الحركي: وهو الانشغال بحركة لا فائدة منها، كهزّ الرّأس

لساعات طويلة مثلاً، وكذلك الجمود والثبات في وضع مُعيَّن بلا حركة كالحشبة، كالوقوف على ساق واحدة بثبات لساعات طويلة من اليوم.

وتوصَّل الباحثون في علم نفس الشواذ والاضطرابات النفسية إلى تشخيص أنواع مُتعدِّدة للفُصام، أهمُّها أربعة (الفُصام البسيط، التفكُّكي، الهُدائي أو الزُّوري، التخشُّبي أو الجمودي)، ووجدوا أنَّه ليس من الضَّروري وجود نوع واحد فقط عند الفُصامي، بل كثيراً ما تتداخل أعراض أكثر من نوع في الشَّخص نفسه، أو قد ينتقل ويتغيَّر من نوع لآخر. ويتميِّز الفُصام عن اضطرابات الذُّهان العُضويَّة من جهة الذاكرة والذكاء، حيث لُوحظ أنَّ الفُصامي يقتدر على استرجاع الذِّكريات والقيام بعمليَّات تتطلَّب قدراً من الذكاء، بخلاف حالات إصابة الميَّح فإنَّ المريض يُعاني من تدهور بيِّن في الذاكرة. ووجدت بعض البحوث (على يد جولدن وزملائه، سنة 1980م) باستعمال أجهزة للتصوير الإشعاعي في تفحُّص أدمغة المصابين بالفُصام المزمَن - ولا بُدَّ من التَّركيز هنا على ضابط المزمَن - أنَّ لديهم تجاويف دماغية أوسع من التجاويف الدماغية للأشخاص الطبيعيِّين، ولكن غير معروف إذا كان هذا الاتساع في هذه التجاويف هو الذي تسبَّب في الفُصام، أو أنَّه يُشكِّل أثراً جسميًّا خلفه الفُصام الوظيفي الذي هو الانفكاك بين انفعال الشخص وتفكيره، لا سيَّما وأنَّ هذه الصور الإشعاعية أُجريت على أدمغة مصابين بفُصام بعد مُدَّة طويلة، في حين عزی آخرون الفُصام إلى طريقة التَّربية غير السليمة من أمِّ فُصاميَّة، وعلى كُُلِّ فمن المرجَّح ألاَّ تنحصر أسباب الفُصام في سبب واحد، إمَّا يكون ناجماً عن تفاعل عوامل مُتعدِّدة بيولوجية ووراثية وبيئية وسلوكية ومعرفية<sup>(1)</sup>.

**ب- الهُذاء أو الزُّور (Paranoia):** وسمِّي بجنون العظمة والاضطهاد، وهو اضطراب يتميِّز بالأوهام والمعتقدات المخالفة للواقع عن العظمة أو الاضطهاد، وربَّما عن غيرها مع الاحتفاظ بالتفكير المنطقي، حيث تبدو طريقة استدلاله صحيحة، لولا أنَّه بناها على أوهام لا أساس لها من الواقع، يعني أنَّ العمليَّات الفكرية التي يقوم بها الهُدائي منطقيَّة في شكلها، ولكنَّها غير واقعية ولا منطقيَّة في مضمونها، لأنَّ المقدمات التي بنى عليها استدلاله غير صحيحة، وبالتالي: لا بُدَّ أن تكون النَّتائج غير صحيحة، ورغم تفاهة هذه الأوهام إلاَّ أنَّ صاحبها يميل إلى تعزيزها بالتَّركيز على انتقاء

(1) يُنظر: حامد عبد السَّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 533-543)؛ علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 409-439)؛ قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظريَّاتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 223-277).

أحداث من الواقع تتماشى مع أوهامه، ويبدأ يُلاحظ كل إشارة وكل همسة تصب في اتجاه شكوكه، ولا يلتفت مُطلقاً إلى التصرفات الكثيرة الواضحة التي تُصادم شكوكه، ليقوم بعدها بتشويه جميع الأحداث الخارجية - بما في ذلك التي ضد شكوكه - حتى تنسجم مع نظامه العقائدي الوهمي.

والشخص الهذائي مُتمركز بشدة حول ذاته، كثير الشك في كل شيء من حوله، حساس بشكل مُفرط، يعيش في عالم زائف من نسج خياله، حيث يعتقد أن كل ما يقع له صلة به، ويعمل على إسقاط - بشكل آلي دفاعي لا شعوري - سمات شخصيته غير المرغوبة على الآخرين، ويميل إلى تفسير تعسفي زائف لسلوك الآخرين من وجهة نظر شخصية زائفة، على أنها تهديد أو إهانة مقصودة له، فإذا أذاعت وسائل الإعلام تقريراً معيناً مثلاً فيعتقد أنه هو المقصود بذلك، وإذا رأى مجموعة من الناس يتحدثون فإنه يظن أن مؤامرة تُحاك ضده، وإذا أراد شخص إعانته على أمر من أموره نظر إلى هذا الشخص الذي يُريد إعانته على أنه يُريد إهانته وإذلاله واحتقاره، وهذا يُفضي به إلى السلوك العدواني تجاه الآخرين، وسوء التوافق الاجتماعي.

وقد يتداخل الهذاء مع غيره من الاضطرابات كالفصام الهذائي والهوس الهذائي، وقد يظهر كعرض لاضطراب ذهاني عضوي ناتج عن خلل في الدماغ كالصرع، وقد يترافق مع تعاطي المخدرات وشرب الكحول، وقد يكون اضطراباً قائماً بذاته وهو المقصود هنا. (1)

**ج- الهوس (Mania):** حالة من المزاج المُفرط الزائد عن الحد الطبيعي، والتي تؤدي إلى حالة من الهيجان السلوكي المرح، وسرعة الانفعال، وعدم الانتباه والتشتت، وسرعة الكلام النابعة عن كثرة الأفكار المتدفقة إلى ذهن الشخص، فيصير كلامه متقطعاً غير مكتمل، ومن الأعراض الظاهرة أنه يبالغ في تقدير وتضخيم ذاته، لما يشعر به من الطاقة التي تؤهله لقلّة النوم ومواصلة العمل أو الدراسة بدون انقطاع ومن غير تعب، ولا يستطيع الفرد التحكم بهذه الحالة، وهذا وإن يظهر أنه أثر إيجابي للهوس، ولكن حالة الهوس أخطر من ذلك، وعادة ما تقود صاحبها إلى أفعال طائشة تهورية قد تلحق الضرر بنفسه أو غيره، وتسبب له مشاكل أمنية واجتماعية واقتصادية، كصرف كل أمواله وتبذيرها دفعة واحدة، أو سيطرة سيارته بسرعة جنونية داخل المدينة، أو العلو على منبر في اجتماع ما والتكلم بكلام لا علاقة له بموضوع الاجتماع من جهة، وغير مترابط في نفسه من جهة أخرى،

(1) يُنظر: حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 543-548)؛ قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 287-300).

والهوس ليس على مرتبة واحدة، بل له ثلاث مراتب: الهوس الخفيف (Hypomania)، والهوس الحادّ (Actue Mania)، الهوس الهذيانى (Delirious Mania).<sup>(1)</sup>

وحالة الهوس مهما دامت فإنّها عادة ما تزول، وعند زوالها يعتري صاحبها من الأعراض الاكتئابية كالإعياء والتعب أضعافاً أضعاف ما كان فيه من النشاط والحماس، ورغم أنّ الباحثين في مجال الاضطرابات النفسية يذكرون الهوس كاضطراب مزاجي مُنفصل، له أعراضه الخاصة التي يتمييز بها، إلاّ أنّه من جهة الوجود في الخارج وعملية التشخيص، فإنّه لا يُبدّ أن تليه نوبة اكتئاب سواء كانت سابقة أو لاحقة له، وإن طالت المدة الفاصلة بين النوبتين، وبالتالي: يتمّ تشخيصه على أنّه اضطراب ثنائي القطب، وحتّى الحالات التي لم يُلاحظ فيها حدوث نوبة اكتئاب بعد نوبة الهوس، فإنّ كثيراً من الباحثين يُشكّك في هذا التشخيص، ويعزو ذلك إلى انعدام المتابعة الطويلة للمريض، لا سيّما وقد وُجد أنّ حالات الهوس تستجيب طبيّاً للعلاجات التي تُعطى للمصابين باضطراب ثنائي القطب.<sup>(2)</sup>

**د- الاكتئاب (Depression):** وهو اضطراب يُقابل حالة الهوس، ويتميّز بانخفاض المزاج، والذي يُترجم في كثير من الأعراض، من أبرزها: الشعور باليأس والتعب المزمن، وتدنيّ تقدير الذات، تشتت الانتباه وضعف التركيز، ضعف التفاعل الاجتماعي حتّى مع الأقارب فضلاً عن الأبعاد، والفقدان الكليّ للذة والمتعة في الأنشطة الحياتية الاعتيادية، فضلاً عن القيام بالأعمال التي تتطلّب عزيمة قويّة، وإحصائياً الإناث يُشكّلن ضعف الذكور في الإصابة بالاكتئاب.

ويُصنّف الاكتئاب باعتبار شدّته إلى ثلاث مراتب: الاكتئاب الخفيف، والمعتدل، والحادّ أو الكآبة الكبرى. ومن جهة أخرى يُصنّف الاكتئاب إلى قسمين: اكتئاب عُصابي، يدخل ضمن أنواع العُصاب المتقدّمة، ويشمل الاكتئاب الخفيف والمعتدل. واكتئاب دُهاني، ويدخل ضمن الدُهان، وهو المقصود بالكآبة الكبرى، فالفرق بينهما فرق بالدرجة لا بالتّوع<sup>(3)</sup>. والاكتئاب ليس هبوط عادي في المزاج، أو حالة من الحزن العابرة، فهذه لا يكاد يخلو منها أحد، وأيّما هي حالة من الهبوط الشّديد في

(1) يُنظر: حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 548-551)؛ قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظريّاتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 187-188).

(2) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظريّاتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 197).

(3) يُنظر: المصدر السابق، (ص: 218).

المزاج، والألم النفسي الذي يعرُّ على المصاب به أن يكمل حياته، وتُؤثِّر على سلوكه وإدراكه وتفكيره وجسده، وعلاقاته الاجتماعية، ومما يُبيِّن الألم النفسي الذي يشعر به المكتئبون وعزوفهم عن الحياة، «أنَّ الاكتئاب من العلل الشائعة على مستوى العالم برمته، حيث يؤثر على أكثر من 300 مليون شخص... ويمكن للاكتئاب أن يسبب معاناة كبيرة للشخص المصاب به، وتردِّي أدائه في العمل أو في المدرسة أو في الأسرة. ويمكنه أن يفضي في أسوأ حالاته إلى الانتحار. وفي كل عام يموت ما يقارب 800000 شخصا من جراء الانتحار الذي يمثل ثاني سبب رئيسي للوفيات بين الفئة العمرية 15-29 عاماً»<sup>(1)</sup>.

وتتعدَّد أسباب الاكتئاب وتتنوِّع من أسباب بيئية: كالأحداث الصَّدمية والضُّغوط الحياتية المستمرة، حيث لوحظ حدوث الاكتئاب غالبا بعد فترات من الإجهاد النفسي المستمر. وأسباب معرفية: تدور حول النظرة السوداوية التَّشائمِيَّة للحياة، ومن خلال الاستجابات العيادية التي قام بها عدد من الأطباء للمكتئبين، وجدوا أنَّ النظرة السلبية للحياة هي سمة مشتركة لدى جميع المكتئبين. وأسباب وراثية: حيث وجدت دراسات إحصائية كثيرة أنَّ الاكتئاب ينتقل بين التوائم المتماثلة بنسبة تدور بين 50% إلى 70%، في حين وجدت إحصائيات أخرى أوسع من هذه أنَّ تأثير الوراثة على حدوث الاكتئاب يتراوح ما بين 40% إلى 50%، وحددت بعض الدِّراسات الأخرى عددا من الجينات الوراثية، التي يُظنُّ أنَّ لها دخلا في إحداث الاكتئاب، وأسباب بيولوجية وكيميائية عصبية: لاحظ علماء البيولوجيا والأعصاب أنَّ الاكتئاب يترافق مع تعيُّرات بيولوجية في ثلاث مستويات: مستوى النواقل العصبية، ومستوى الغدد الصماء والهرمونات، ومستوى بُنية الدِّماغ.

أمَّا على مستوى النواقل العصبية، فأكثرها علاقة بالاكتئاب هو الناقل العصبي السيروتونين، حيث وُجد أنَّ نقصه هو المتورِّط في عملية الاكتئاب، واكتشف في أواخر الثمانينات دواء Prozac الذي يعمل على تثبيط الأنزيمات التي تُحطِّم هذا الناقل، ومن ثمَّ إعادة تدوير امتصاص السيروتونين من جديد.

(1) منظمة الصحة العالمية WHO، الاكتئاب، <https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/depression>، 09/07/2021.



وعلى مستوى الغدد والهرمونات، فوجد أنّ قصور الغدة الدرقية يرتبط بالاكتئاب الشديد، وهرمونات الغدة الدرقية هي المسؤولة عن التمثيل الغذائي، كما وجدت مستويات عالية في هرمون الكورتيزول الذي تُفرزه الغدة الكظرية (فوق الكلوية) لدى مرضى الاكتئاب، وهو الهرمون المسؤول عن تحفيز الجسم وتنبهه ليتهيأ بذلك عند المخاطر اللحظية - كهجوم حيوان مفترس مثلاً - إمّا بمواجهتها أو الهروب منها، وهذا الهرمون في الحالة الطبيعية يتم ارتفاعه إلى مستوى مُعيّن في النهار لأنّه يعمل على تنشيط الجسم، وتقلّ مستوياته في الليل حتّى يرتاح الجسم ويحصل له استشفاء من الإجهاد الذي تعرّض له في النهار، ولكن ما يحصل لدى مرضى الاكتئاب، عند التعرّض للضغوط المستمرة والشعور بالتهديد، هو تدفق مستمر لمستويات عالية من الكورتيزول، فيصير يعمل بشكل عكسي لوظيفته الأصلية، حيث يؤدي بالمكتئب إلى الأرق وانعدام شهية الأكل، وانخفاض شديد وعمّ في الطاقة والانتباه، وهدم للأنسجة الخلوية في الجسم.

وعلى مستوى بنية وتركيب الدماغ، فقد لاحظوا وجود تقلص وضمور في حجم الحصين - جزء من الدماغ - (Hippocampus) عند مرضى الاكتئاب الحادّ، بل لوحظ ضمور في الحجم الكلي للدماغ بعد فترات طويلة من الاكتئاب، ووجد أنّه كلّما طالت فترة الاكتئاب كلّما كان الضمور بشكل أكبر، كما وجد أنّ الحصين يحتوي على مستقبلات للكورتيزول، وهناك جدل علمي حول ما إذا كان الإفراط في إفراز الكورتيزول عند التوتر المستمر هو المتسبّب في تآكل الخلايا الدماغية في الحصين، ممّا يؤدي إلى ضموره، أو أنّ الأشخاص المكتئبين عندهم ضعف في الخلايا العصبية للحصين، حيث تتآكل عند التعرّض للتوتر المستمر، ممّا يؤدي إلى ارتفاع مستويات الكورتيزول في الدم، يعني: هل المستويات المرتفعة من الكورتيزول هي المتسبّب في تآكل خلايا الدماغ أم العكس، وهذا يبيّن تفاعل الجهاز العصبي مع الغددي عند حدوث الاكتئاب<sup>(1)</sup>.

وهذا السرد الموجز للجانب الحيوي البيولوجي للاكتئاب، يُبيّن أنّ هذه التغيّرات الجسميّة من الضمور في الدماغ عامّة وفي الحصين خاصّة، واضطراب هذه النواقل العصبية في الدماغ، إلى جانب

---

Robert M. Sapolsky, Depression, antidepressants, and the shrinking hippocampus, (1) PNAS Proceedings of the National Academy of Sciences, united states of America, vol: 98, October 23, 2001, (p: 12320-12322); Robert M. Sapolsky, Stanford's Sapolsky On Depression in United States of America (Full Lecture), (<https://www.youtube.com/watch?v=NOAgplgTxfc>), 09/07/2021

اختلال إفراز هرمون الكورتيزول وقصور الغدة الدرقية، هي نتيجة للاكتئاب والتوتر والإجهاد النفسي أكثر من كونها هي التي تسببت بالاكتئاب، وهذا لا يعني الاستغناء عن الأدوية الكيميائية، وربما حتى الصدمات الكهربائية والجراحة الدماغية إن احتيج إليها، ذلك أنه ثبت أن علاج هذه الأعراض له أثر إيجابي في تحسُّن حالة المكتئب، ولكن أصل المشكلة هي النظرة السوداوية للحياة، وإن تغوغل عنها فقد تُعاود تلك الأعراض الجسمية الظهور مرّة أخرى، وبشكل لا يُجدي معه العلاجات الجسمية من الأدوية الكيميائية والصدمات الكهربائية، لا سيّما إذا اعتاد الجسم عليها. ولذلك فلا جرم أن يُقال: إنَّ الاكتئاب هو أخطر اضطراب نفسي يُمكن أن يُصاب به المرء على الإطلاق، لا سيّما النسختان القويّتان منه، وهما: الاكتئاب الحادّ أو الأكبر أو الرئيس، والذي يُرمز إليه اختصارا بـ(MDD) اختصارا لكلمة: Major Depressiion Disorder، واضطراب ثنائي القطب. (1)

**هـ- اضطراب ثنائي القطب (Bipolar):** وهذا هو الاسم العلمي الحالي له، وكان يُسمّى في بداياته بالجنون الدّوري، وحنون الهوس والكآبة، وذهان الهوس والاكتئاب (Manic-Depressive psychosis)، وهو اضطراب مزاجي مُركّب من قطب الاكتئاب وقطب الهوس، حيث يتقلّب مزاج المريض في دورات، بين نوبات اكتئاب يكون فيها المزاج واطئا مُتدنياً، ونوبات هوس يكون فيها المزاج مُرتفعا طاغيا، وقد يتخلّل هذه الدّورات من التّناب بين الاكتئاب والهوس فترات من اعتدال المزاج، وهو اضطراب نادر الحدوث قبل البلوغ، وفي أغلب الأحوال يكون بين سنّ العشرين والثلاثين، وكغيره من الاضطرابات المزاجية فإنَّ أسبابه تتنوّع إلى أسباب بيئية وجينية وراثية وعصبية، ولكنّه أقلّ انتشارا من الاكتئاب الحادّ، كما أنّ نسبة الإصابة به بين الذكور والإناث تكاد تكون متساوية.

وهذا التّناب بين الاكتئاب والهوس، له صُور كثيرة، تتشكّل من ثلاث جهات، الأولى: جهة تنظيم حدوث نوبات الاكتئاب والهوس، فقد يكون منظّما بحيث تحدث نوبة اكتئاب وتليها نوبة هوس وهكذا. وقد لا يكون منظّما بحيث تحدث ثلاث دورات من الاكتئاب مثلا، ثم تليها دورتان من الهوس، ثم تحدث دورة من الاكتئاب ثم تليها ثلاث دورات من الهوس. الجهة الثانية: توالي

(1) يُنظر: حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 514-520)؛ علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 239-258).

نوبات الهوس والاكتئاب، فقد تتوالى على المريض دورات الاكتئاب والهوس وتخللها فترات اعتدال في المزاج، وقد تتوالى عليه بدون حالة تحسن، وهذه أقلُّ حدوثاً ممَّا قبلها. **الجهة الثالثة: تداخل أعراض القطبين أو انفصالهما**، في الغالب تحدث كل من نوبتي الاكتئاب والهوس بشكل منفصل، وقلماً تتداخل أعراض الاكتئاب والهوس في آن واحد، كحالة الاكتئاب الباسم: حيث يبدي أعراض سلوكية خارجية هوسية - كالاتساما - في حين أنه يشعر بالاكتئاب، أو عكس ذلك في حالة الدُّهول الهوسي: حيث يتصرّف بسلوكيات اكتئابية كالذُّهول وعدم الانتباه، في حين أنّ لديه شعور هوسي.

وفي الحالات المختلطة ونوبات الهوس الحادة ينفكّ المريض عن الواقع، وتتطاير أفكار العظمة والأوهام في رأسه، وتُدهمه الهلاوس، ويصير خطيراً على نفسه وغيره، ولذلك يجب -وخاصةً في الحالات الحادة- وضعه تحت المراقبة، لئلا ينحر نفسه، أو يؤذي غيره.<sup>(1)</sup> ومن أشهر الأدوية المستعملة في اضطراب ثنائي القطب: الليثيوم، ولخطورته يحتاج أن يكون أخذه تحت مراقبة طبيّة<sup>(2)</sup>.

### القسم الثالث: اضطرابات الشخصية.

هي أنماط منحرفة في السلوك والتفكير عمّا هو متوقَّع في ثقافة الفرد، وتتميز بالثبات والاستمرارية في جميع المواقف الشخصية والاجتماعية، ويتّصف صاحبها بالتصلُّب وسوء التكيف، بحيث إنّه يتصرّف بشكل تعسّفي في تفسير الأحداث التي يمرُّ بها وفق منظوره الخاص، وهي تتسبّب لصاحبها بدرجة مُعيّنة من الضيق والقلق وعدم الشعور بالسعادة، ولكن ليس بتلك الدرجة التي تظهر بها الاضطرابات العصابية والذهانية، والمضطرب شخصياً يكون واعياً ومُدركاً لواقعه، ويستطيع التحكم بنفسه، وغالبا ما يتعايش مع اضطرابه، وقد لا يدرك أنّه مُضطرب شخصياً، ويشعر أنّ المشكل في الناس الذين يتفاعل معهم وليس فيه، وهذا ما يتسبّب في غالب الأحوال بالتّعافل عن علاجها، ممّا يجعل علاجها صعباً، وبالتالي: تكون كامنة في الشخص، وتجعله عرضة للوقوع في الاضطرابات العصابية ثمّ الذهانية، حيث تُشكّل أرضية من الأسباب الأصلية الخفية التي تستند عليها

(1) يُنظر: حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 551-555)؛ علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 439-457)؛ قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 195-196).

(2) يُنظر: قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 220).

الصدمات الانفعالية في إحداث الاضطراب النفسي المفرد، ولذلك لوحظ أن بعض أنواع اضطرابات الشخصية تتوافق مع حدوث أنواع معينة من الاضطرابات النفسية العصابية والذهانية.<sup>(1)</sup>

وقد تمَّ تحديد عشرة أنواع لاضطرابات الشخصية في الدليل التشخيصي والإحصائي (DSM-5)، تمَّ تجميعها في ثلاث مجموعات (أ. ب. ج)، بناءً على أوجه التشابه الوصفية بين تلك الأنواع. المجموعة (أ): السمة المشتركة لأنواع هذه المجموعة أن أصحابها يظهرون غريبي الأطوار، ويتصرفون بشكل غير واقعي، وغير مألوف لدى الآخرين. وتضمُّ ثلاثة أنواع، هي كالآتي:

أولاً: (Paranoid Personality Disorder)، اضطراب الشخصية الزوربي، هو نمط يتَّصف بعدم الثقة والارتياح والشك بنوايا الآخرين، وتفسيرها بشكل سلبي.

ثانياً: (Schizoid Personality Disorder)، اضطراب الشخصية الفصامي، يتَّصف صاحبه بالعزلة عن المجتمع، ولا يرغب بإقامة علاقات اجتماعية، ويفضّل الأشغال الفردية، غير مبال بآراء الآخرين، وغير متعاطف.

ثالثاً: (Schizotypal Personality Disorder)، اضطراب الشخصية ذو النمط الفصامي، يتَّصف بما يتَّصف به الاضطراب السابق من العزلة الاجتماعية، ولكن بشكل أكثر حدّة، وذلك راجع لأنه شخص شكوكي جداً، ويميل إلى التفكير الخرافي: (كقراءة أفكار الآخرين، والتحكُّم بهم من بعيد بطريقة سحرية).

المجموعة (ب): السمة المشتركة للأنواع التي تدرج تحت هذه المجموعة أن أصحابها يتصرفون بشكل عاطفي تمثيلي (درامي). وتضمُّ أربعة أنواع، هي كالآتي:

أولاً: (Antisocial Personality Disorder) اضطراب الشخصية المعادي للمجتمع، يتَّصف صاحبه بالعدوانية والاندفاعية مع عدم مراعاة المعايير الاجتماعية، وانتهاك حقوق الآخرين بدون الشعور بالندم، بل قد يلوم ضحاياه ويستهتر بهم، كأن يقول: هو مُغفل، هذا قدره... وقد ذكر الأستاذ قاسم حسين أن هذا النوع من اضطرابات الشخصية حظي بأهمية وتركيز

(1) يُنظر: علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 479-480)؛ قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 301-302).

بحثي أكثر، لأنه شائع في كل المجتمعات بنسبة 1% بالنسبة للإناث، و3% بالنسبة للذكور من كل مجتمع، ولما يرتكبه المصابون به من النشاط الإجرامي الذي يُهدّد أمن المجتمعات من جهة أخرى<sup>(1)</sup>.

ثانيًا: (Borderline Personality Disorder) اضطراب الشخصية الحدّي، والذي يتميز بعدم الاستقرار وكثرة التقلّب سواء في صورته عن نفسه، أو في علاقاته مع الآخرين (لأسباب غير معقولة قد تتحوّل صداقته إلى عداوة)، والإحساس المزمن بالفراغ، وسرعة التقلّب المزاجي الذي يستمر بضع ساعات، وقد يُؤدّي به إلى محاولات انتحارية، وبالتقريب فإنّ 10% منهم يقومون بالانتحار فعليًا.

ثالثًا: (Histrionic Personality Disorder) اضطراب الشخصية التمثيلية، صاحبه تُسيطر عليه المبالغة في محاولة جذب انتباه الآخرين، بكل ما أمكن من التعبير الانفعالي المبالغ فيه، والعناية الشديدة بالمظهر الخارجي، وأهمّ سمة هي: عدم الارتياح من المواقف التي لا يكون فيها هو محور الاهتمام.

رابعًا: (Narcissistic Personality Disorder) اضطراب الشخصية المتعجرف (النرجسي)<sup>(2)</sup>، يتّصف بتضخيم ذاته وتعظيمها، وتحقير الآخرين والتكبر عليهم، ويشعر أنّه يستحقّ من التقدير والمدح والإطراء أضعاف ما يُبديه الآخرون، وكثيرا ما يُصدم إذا لم يُقدّر أحد إنجازاته حتّى ولو كانت ضئيلة جدًّا في الواقع.

**المجموعة (ج):** وتشارك أنواع هذه المجموعة، في أنّ أصحابها يتميّزون بالقلق والخوف والتوجّس من الآخرين. وتضمّ ثلاثة أنواع، هي كالاتي:

أولًا: (Avoidant Personality Disorder) اضطراب الشخصية التجنّبي، يتّصف أصحاب هذا الاضطراب بالحساسية الشديدة للنقد السلبي من الآخرين، والنظر إلى الذات بازدراء وأنّه غير كفؤ، وهذا ما يجعله يرفض الانخراط مع الآخرين إلّا إذا تبيّن أنّه سيكون مقبولا 100%.

(1) قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 303).

(2) ومُصطلح العجرفة يُعبّر بشكل دقيق عن مُصطلح النرجسية، لما ذكره أهل اللّغة من المعاني التي تشملها العجرفة، ومنها: الاندفاع والنشاط التهورّي من غير رويّة، والتكبر والشدّة في التصرّف. [نُظر: محمد أبو الفيض مرتضى الرّيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (123/24)].

ثانيًا: (Dependent Personality Disorder) اضطراب الشخصية الاعتمادية، يظهر فيه الاعتماد الكلي على الآخرين، في اتخاذ أبسط القرارات اليومية (كنوع ولون الملابس التي يلبسها مثلاً...)، يجد صعوبة في البقاء لوحده، والقيام بالأعمال لوحده، شديد التملق للآخرين، يلبي لهم كل شيء خوفاً من انفصالهم عنه.

ثالثًا: (Obsessive-Compulsive Personality Disorder) اضطراب الشخصية الوسواسي القهري، هو نمط يتصف صاحبه بالمثالية والكمال والانشغال بأدق التفاصيل فيما يوكل إليه من المهام، إلى درجة تضييع الموضوع الرئيسي لعمله، متصلب في علاقته بالآخرين، بحيث لا يفوض أي جزء من عمله إلى الآخرين ما لم يخضعوا لطريقته خضوعاً مطلقاً.

ومن الجدير بالذكر: أنه كثيراً ما يعاني الأفراد من أكثر من نوع لاضطرابات الشخصية في الوقت نفسه، لا سيما إذا كانت هذه الأنواع من نفس المجموعة، بل قد تتداخل بعض الأنواع المتشابهة عند شخص واحد من مجموعات مختلفة.

وعموماً يمتنع أن يتم تشخيص حالة ما باضطراب في الشخصية إلا إذا توفرت على خمس معايير تشخيصية:

**معيار أ:** أن تكون هذه الأوصاف أنماط دائمة وثابتة، ومنحرفة بشكل واضح عن ثقافة الفرد، وتتحلى بشكل واضح على الأقل في اثنين من المجالات التالية: النظرة الإدراكية إلى الذات والآخرين والأحداث؛ العواطف والمشاعر، وتناسب الاستجابات العاطفية والوجدانية للمواقف من جهة شدتها وتلاؤمها؛ الأداء بين الأشخاص؛ التحكم بالنفس في السيطرة على الاندفاع.

**معيار ب:** أن تتسبب للشخص بعدم التكيف، ولا بُدَّ أن تظهر عبر مجموعة واسعة من التصرفات الشخصية والمواقف الاجتماعية.

**معيار ج:** أن يتسبب لصاحبه بضيق وكره نفسي أو ضعفاً اجتماعياً، أو مهيناً، أو في مجالات مهمة أخرى من الأداء. وأن يكون طويل الأمد، بحيث يمكن تتبع بدايته على الأقل بداية من المراهقة أو البلوغ المبكر.

**معيار هـ:** ألا تكون هذه الأوصاف النمطية الدائمة أثراً من آثار اضطراب عقلي آخر.

معيار و: ألا تُعزى هذه الأوصاف إلى التأثيرات الفسيولوجية لمادة ما (مثل: تعاطي المخدرات، أو دواء)، أو حالة طبية أخرى (مثل صدمات الرأس).<sup>(1)</sup>

وتتفاعل كل من الوراثة وتكوين الجهاز العصبي والبيئة في إحداث اضطرابات الشخصية، وقد توصلت أبحاث كثيرة -والتي أجريت على التوائم المتماثلة- إلى أنّ اضطرابات الشخصية تنتقل عن طريق الوراثة بنسبة 60% إلى 69%، ووجدت دراسات بيوكيميائية أنّ أصحاب اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع عندهم معدّل عالي من هرمون الذكورة (التوستوسترون)، في حين تعزو دراسات نفسية أخرى أنّ اضطرابات الشخصية بمختلف أنواعها ترجع إلى طريقة التربية غير المعتدلة سواء كانت صارمة ونقدية خالية من العطف، أو فيها تدليل زائد ورعونة وعدم ضبط. وبدأت البحوث الآن تُسقط هذه الإسنادات الأحادية الجانب، ذلك أنّ الوالدين اللذين يحملان نوع اضطراب شخصية معينة ستنتقل هذه الخصائص الوراثية للابن وتكون كامنة في أجهزته البيولوجية من جهة، و من جهة أخرى سيتصرّفان في تربية هذا الابن بنمط الشخصية الذي يحملانه. وهذا يُبيّن أنّ كلّ طفل يحتاج إلى أسلوب تربية يتقابل مع نوعية شخصيته، حتّى تتوازن شخصيته ويتأهّل للتكيف، فإذا كان الطفل يميل إلى الاندفاع فيحتاج إلى الاهتمام بالضبط أكثر مع الحرص على مُساندته في إدارة الضغوط التي يتعرّض لها وتقديم العطف له، وإذا كان يميل إلى الانطواء والحجل والتحنّب فيجب التركيز على الاهتمام بتشجيعه على الانخراط الاجتماعي مع عدم الغفلة عن تعليمه الانضباط. وتلعب العلاجات النفسية المعرفية والسلوكية التي تُعين الشخص على تحقيق توازن شخصيته معرفيًا وسلوكيًا دورًا أساسيًا في التعافي من اضطرابات الشخصية، وأمّا العلاجات الدوائية فدورها محدود جدًّا، حيث تُستعمل فقط في بعض الأحيان، ولعلاج بعض الأعراض التي يتزامن ظهورها مع وجود نوع من اضطرابات الشخصية.<sup>(2)</sup>

#### القسم الرابع: الاضطرابات النفس-جسمية (السيكوسوماتية).

(1) American Psychiatric Association, diagnostic and statistical manual of mental disorders, fifth edition (dsm-5<sup>th</sup>), (p: 645-682).

(2) يُنظر: علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 490-495)؛ قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 317).

وتُسمى كذلك بالاضطرابات ذات الشَّكل الجسدي، وهي اضطرابات انفعالية نفسية المنشأ، تظهر على شكل اضطرابات حيوية جسمية، ويُعدّ الجهاز العصبي الذاتي بقسميه -الوُدِّي (المِنْشَط) واللاوُدِّي (المُهْبَط)- المفصل الذي تنتقل منه الانفعالات النفسية إلى الاضطرابات الجسمية، حيث يُترجم الانفعالات السيكولوجية النفسية إلى تغيّرات فيسيولوجية عضوية، فعندما يتحسّس الجهاز العصبي وجود انفعال الغضب مثلاً، يعمل على تحفيز الغدّة الكظرية (فوق الكلوية) لإنتاج هرمون الأدرينالين الذي بدوره مسؤول عن تنشيط عضلة القلب لتزيد من ضخّ الدّم إلى العضلات، ويتسارع النّفس لتحميل هذا الدّم بالأوكسجين المسؤول عن عملية حرق الغلوكوز وإنتاج الطّاقة. ويوجد تسع أجهزة يُؤثّر عليها الجهاز العصبي الذاتي بشكل مباشر، ومن خلالها يتمّ إدراك هذه الانفعالات، وهي كالاتي: الجهاز الدّوري -نسبة إلى الدّورة الدموية التي يُسيّرّها القلب في الجسد-، التنفّسي، الهضمي، الغُددي، العضلي -يتعلّق بالعضلات- والهيكلي -يتعلّق بالعظام والمفاصل-، التّناسلي -يتعلّق بوظيفة الأعضاء التّناسلية-، البولي، الجلدي.

وظهور الآثار الوظيفية على هذه الأعضاء عند حدوث الانفعال شيء طبيعي، ولكن الانفعالات التي تُؤدّي إلى الاضطرابات النفس-جسمية هي تلك الانفعالات المستمرة الطويلة أو الشديدة المتكرّرة أو الخفيفة المتراكمة، مثل: التعرّض للاضطهاد الدائم من الوالدين أو المجتمع أو التعرّض للحروب، أو الضّغط الشّامل في البيت والعمل والخارج. وإن كان هذا النوع من الاضطرابات ليس له سبب بدني واضح، إلاّ أنّه ممّا لا يُنكر تضخّم وزيادة في حجم أثر هذه الأعراض المرضية الجسمية لهذه الاضطرابات الانفعالية، إذا وُجد ضعف عضوي على مستوى جهاز من الأجهزة السابقة. ومن أبرز أنواع الاضطرابات النفس-جسمية: الصّداع النّصفي، ارتفاع أو انخفاض ضغط الدّم، الرّبو العصبي -حيث يحدث ضيق شديد في النّفس عند حدوث انفعال مُعيّن قوي-، قرحة المعدة المؤقتة، القولون العصبي، التّعب المزمن، مرض السّكري، التبوّل اللاإرادي، البرود الجنسي، الطّفح الجلدي -الإكزيما-(1).

(1) يُنظر: حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 468-479)؛ علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 311-331)؛ قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياً، أسبابها، طرائق علاجها)، (ص: 367-373).



## ثانياً: التصنيف على أساس نوع الوظيفة النفسية التي يظهر فيها العرض.

ويمكن أن نلاحظ هنا ستَّ جهاتٍ يعترها الاضطراب، وهي كالآتي:

**أولاً: اضطرابات التفكير، والتفكير** هو مجموعة من العمليات العقلية يتم فيها معالجة الأفكار، من خلال التصور والفهم والاستنتاج.

واضطرابات التفكير في مجملتها تتميز بعدم واقعية أفكار المضطرب نفسياً، وعدم الترابط المنطقي بينها، والافتقار إلى الانسجام مع الموقف، وعدم القدرة على التجريد والاستنتاج، ومن أشهرها:

**أ- الأوهام:** هي أفكار ليس لها مُستند ولا مُبرر، وقد تكون هذه الأفكار مُنظمة ومُرتبة منطقيًا (وتظهر في مرضى الهذيان)، وقد تكون مُشوشة تفتقر إلى الترتيب والتناسق (وتظهر عند مرضى الفصام)، والأوهام باعتبار محتواها لها عدّة أشكال، ومنها: توهم العظمة فيتوهم المريض أنه شخص ذو قوى خارقة؛ توهم الاضطهاد وفيه يعتقد المريض أن غيره يكيد له ويُريد قتله أو إلحاق الضرر به؛ توهم الانعدام، حيث يعتقد أنه ميّت أو أن عُضوا من أعضائه معدوم.

**ب- الوسواس:** هي أفكار قهرية لا إرادية، تستقر في ذهن الشخص وتسيطر عليه، ويصعب على الشخص التخلص منها رغم إدراكه لتفاهتها وعدم معقوليتها، والعجيب أنه كلما ركز على الخلوص منها كلما اشتدت أكثر.

**ج- اضطرابات سرعة الأفكار:** ففي حالات الهوس (المزاج الزائد عن الطبيعي، عكس الاكتئاب) يُلاحظ أنه تندفق وتنهل جملة من الأفكار مُتتالية على ذهن الشخص، بحيث تظهر هذه الأفكار غير مكتملة ولا مُنسجمة، ويبرز ذلك في سرعة كلامه، حيث يسيطر عليه سرعة تداعي الأفكار إلى ذهنه، فيترك كلمات أو جمل أو شرح فكرة مُعينة بدون إتمام لينتقل إلى البدء في التعبير عن الجملة المُقترحة الجديدة. وأمّا في حالات الاكتئاب الحادّ وبعض حالات الفصام يُلاحظ عكس ذلك، فتتباطأ الأفكار في ذهن المريض، بحيث يتأخّر كثيراً في الإجابة عن أسهل الأسئلة، أو إبداء فكرة بسيطة مُعينة عن موضوع مُعيّن، ويتقطّع كلامه إلى درجة التشتت ونسيان الفكرة السابقة.

ويُلاحظ أنّ اضطرابات التفكير تنشأ عنها وتُرافقها اضطرابات في الإرادة، كصعوبة اتخاذ القرارات؛ الفعل القسري الموجه؛ ووجود رغبات مُتعارضة تعارضاً حاداً، وغالباً ما تدفع صاحبها إلى

سلوكيات شاذة، فمن أصيب بتوهم أن بطنه مُنعدم مثلاً قد يترك الطعام والشرب جُملة، ومن تملكه نوع من الوسواس يخضع لسلوكيات جبرية، كتكرار غسل اليدين أو غلق الباب مرّات كثيرة.

**ثانياً: اضطرابات الذاكرة، الذاكرة** وظيفتها التذكّر وهو يتضمّن ثلاث عمليّات: تسجيل المعلومات واستيعابها، ثمّ حفظها وتخزينها، ثمّ القدرة على استرجاعها، وعملية التذكّر مهمّة جدّاً بالنسبة لإحداث التوافق النفسي بين الخبرات الجديدة والسابقة.

وقد تكون اضطرابات الذاكرة عُضوية المنشأ، وهذه تُؤدّي إلى خلل في الذاكرة قصيرة الأمد فضلاً عن طويلة الأمد، كوجود تشوّهات دماغية (لا سيما في الفص الصدغي من الدماغ، والذي يقع في الجزء الجانبي لكلّ من نصفي الكرة الدماغية -خلف الأذن-)، وقد تكون نفسية المنشأ، ولوحظت عند المصابين بالاكتئاب والفصام والهستيريا وغيرها من الاضطرابات النفسية، وأظهر المرضى تحسّناً واضحاً في عملية التذكّر بعد المعالجة<sup>(1)</sup>.

وتظهر أعراض اضطراب الذاكرة في جهتين: الأولى، اضطرابات في كمية المعلومات المتذكّرة، إمّا بالضعف الشديد في التذكّر، أو بالتذكّر الزائد للأحداث خاصّة الأليمة أو التي تضمّنت انفعالات قويّاً، ويُشاهد ذلك عند مرضى الهوس الخفيف والهذاء (البارانويا). والثانية، اضطرابات في شكل الذكريات، حيث يدخل عليها التزييف فيتذكّر المريض أشياء لم يخبرها من قبل، أو خبرها من قبل ولكن ليس بالشكل المشوّه الذي يتذكّر به تلك الخبرات حال الاضطراب.

**ثالثاً: اضطرابات الإدراك الحسيّ، والحسّ،** يتلخّص فيما قاله ابن عاصم:

«والحسّ في الرؤية والسمع وفي... ذوقٍ وشمٍّ ثمّ لمسٍ اقتفي» اهـ. فبالرؤية يكون إدراك الميصرات وآلتها العين، وبالسمع يكون إدراك الأصوات وآلته الأذن، وبالذوق يكون إدراك المطعومات وآلته اللسان، وبالشمّ يكون إدراك الروائح وآلته الأنف، وباللمس يكون إدراك الأجسام من جهة خشونتها

(1) يُنظر: د. محمد قاسم عبد الله، سيكولوجية الذاكرة - قضايا وأبحاث حديثة-، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، 1423هـ-2003م. (ص: 75، 277).

وليونتها، أو حرارتها وبرودتها، أو كثافتها وحِدَّتْها، أو صلابتها ومرونتها وآلة اللّمس الجِلد المنتشر على كامل الجسد<sup>(1)</sup>.

فهذه الحواسّ هي بمثابة وسيط يربط العالم الشّعوري الدّاهلي بالخارجي البيئي، وهذه الحواسّ يدخلها الفساد من جهتين: الأولى، فساد في آلتها كفساد شبكيّة العين وطبل الأذن بالنّسبة للبصر والسّمع، وهذه تُعالج على مستوى العضو نفسه بالأدوية أو الجراحة حسب الحالة. والثّانية، فساد في وظيفتها مع سلامة آلتها، وأشهر الاضطرابات في الإدراك الحسّي:

أ- الهلوسات السمعية والبصرية والشميّة والدّوقية واللّمسيّة: بحيث يُدرك المريض ويتحسّس أشياء لا وجود لها في الواقع، وغالبا ما تكون الهلوسات لدى مرضى الفصام (شيزوفرنيا) والهذاء أو الزّور (البارانويا).

ب- الخداع: بحيث يُبدي المريض إدراكا خاطئا حول المثير الحسّي الخارجي، كتفسير جبل على أنّه نُعبان، وكثيرا ما يُلاحظ الخداع في حالات الفصام والخوف المرضي (الرّهاب).

ومن أنواع الاضطرابات الملحقة بالإدراك: اضطرابات الوعي، وهو نوع من اضطرابات الإدراك ولكنّه خاصٌّ بحالة ما إذا فقد المريض إدراك بيئته والزّمان والمكان الذي يتواجد به. وكذلك: اضطرابات الانتباه، وهو يتعلّق بإدراك المعلومات الآتية اللّحظيّة، وهو إمّا أن يضعف إلى درجة الانعدام، كما في حالات الضّعف العقلي والاكتماب الشّديد، أو يزيد عن الحدّ الطّبيعي، حيث يتركّز الانتباه على تفاصيل دقيقة جدّا حول شيء مُعيّن، ويُلاحظ في حالات الهوس، وكذلك: اضطراب البصيرة، حيث يعجز المريض عن تفهّم نفسه، والإقرار بمشكلاته فضلا عن السّعي في حلّها.

رابعا: اضطرابات الكلام، والكلام هو: مجموعة من الأصوات الصّادرة جرّاء مرور الهواء من الرّئة إلى الفم، وهذه الأصوات لا بُدّ أن تتراكب بحيث تُعبّر عن معنى مُستقرّ في الدّهن، وهو أداة لاستعمال اللّغة، والتي هي مجموعة من الرّموز التي يتواصل بها مجموعة من الأفراد فيما بينهم.

(1) يُنظر: فخر الدين الحسّي، شرح نظم مرتقى الوصول إلى علم الأصول للإمام ابن عاصم المالكي، إشراف: د. مشهور حسن (أصل الكتاب دكتوراة)، ط1، الدّار الأثريّة: الأردن، 1428هـ-2007م. (ص:164، 166).

واضطرابات الكلام على نوعين، النوع الأول: يرجع إلى خلل عضوي؛ كوجود عيوب في خَلقة الفم، وعدم تناسق في عضلات الفم في إخراج أصوات وحروف مُعَيَّنة، (الأبريكسيا Apraxia)، أو وجود عيوب وتلف في الأعصاب المسؤولة عن إنتاج الكلام (الديسيرثيريا Dysarthria)، أو وجود جرح أو تجلُّط في الدماغ الذي يُسبب عدم القدرة على التَّواصل الكلامي -الحبسة الكلامية- لتعسُّر فهم الكلام مسموعا كان أو مقروءا (الأفزيا Aphasia).  
والنوع الثاني: يرجع إلى اختلالات نفسية، إمَّا بتكرار حروف مُعَيَّنة، أو صعوبة نُطقها، كالتأتأة والتَّهتهة.

**خامسا: اضطرابات الانفعال:** والانفعال هو استجابة تتركَّب من ثلاث جوانب متعاقبة: جانب وجداني عاطفي، وجانب حسِّي إدراكي، وجانب سلوكي إجرائي. وحتى يتمَّ الانتقال من الجانب الإدراكي للمثيرات الخارجيّة، تحدث تغيُّرات حيويّة جسميّة تعمل على إعانة الجوارح في القيام بالانفعال المناسب، فانفعال الدُّعر والفرع مثلا: هو شعور بالتَّهديد مع تغيُّرات جسميّة ناتجة عن إفراز هرمون الكورتيزول والأدرينالين من الغُدَّة فوق الكلويّة، والذي يعمل على زيادة في ضربات القلب وسُرعة في عمليّة التَّنفس وتدفُّق الدَّم إلى الأطراف، ليتهيأ الشَّخص للقيام بسلوك الهجوم أو الهُروب من مصدر الخوف.

وهناك جدل بين الباحثين هل الانفعال داخلي المنشأ حيث يبدأ من الشُّعور، أو خارجي المنشأ يبدأ من التغيُّرات الجسميّة، وكلاهما يتَّفقان في الأخير على أنَّ كليهما يؤوُل إلى الآخر، بمعنى أنَّه حتَّى لو كان الانفعال مُبتدأ من الشُّعور، فإنَّ الشُّعور يتعزَّز بالاستجابات الجسميّة والسلوكيّة، وهذه الأخيرة تتعزَّز بالجانب الوجداني الشُّعوري. ومن أشهر أنواع الانفعالات: الدُّعر، الخجل، التقرُّز، الفرح، اللدَّة، الألم... إلخ<sup>(1)</sup>.

ودائما ما تتَّم المقابلة بين الحياة العاقلة والحياة الانفعاليّة، لأنَّ وظيفة العقل المعرفة والضَّبَط، والانفعال وظيفته الميل والاهتمام، والانفعالات ذاتيّة أكثر من كونها موضوعيّة على خلاف المعارف والأفكار، ولذلك فما يُثير فرحا عند شخص قد يُثير عند غيره حُزنا أو غضبا. وهناك تداخل بين الانفعالات والدِّوافع من جهة أنَّ كليهما يدفع السُّلوك، حتَّى جعل جميل صليبا الانفعالات على

(1) يُنظر: إدوارد ج موراي، الدَّافعيّة والانفعال، ترجمة: د. أحمد عبد العزيز سلامة، مُراجعة: د. محمد عثمان نجاتي، ط1، دار الشُّروق: القاهرة-مصر، 1408هـ-1988م. (ص: 101-116).

قسمين: انفعالات فاعلة (أي مُتسببة دافعة) وهي الميول والأهواء - وهذه أحقُّ بوصف العواطف من وصف الانفعالات-، وانفعالات مُنفعلة (أي مدفوعة ناتجة) وهي اللذات والآلام والهيجان (الغضب) (1).

وتتسم اضطرابات الانفعال بعدم التناسب مع الموقف المثير للانفعال، إمّا من جهة النوع أو الشدّة، ويمكن إدراج الاضطرابات الانفعاليّة في ثلاث فئات:

### الفئة الأولى: اضطرابات الانفعال المُرتفع أو الزائد عن الحدّ المُعتاد. ويدخل تحته:

أ- القلق: وهو الخوف غير الموضوعي المجهول السبب، أو الموجه نحو موضوع مُعيّن ولكن زائد عن الحدّ الذي يُوجبه عادة، وتُرافقه عدّة تغيّرات جسميّة كالتعرق الشّديد وسُرعة نبضات القلب وصعوبة التنفّس وآلام في الأمعاء، وينتج عنه عدّة اضطرابات أخرى كالأرق وفقدان الشهية، وليس بعيد من الصّواب القول بأنّ القلق هو السّمة المهيمنة على جُلّ الاضطرابات النفسيّة.

ب- المرح: وهي حالة من الزّهو والفرح الزائد الذي ليس له مُبرّر موضوعي، ويتسبّب للشخص في تضييع مهمّته والغفلة عن جوانب النقص في شخصيّته والقيام بواجباته بُجاه غيره، ويُشاهد غالباً في حالات الهوس.

### الفئة الثّانية: اضطرابات الانفعال المُنخفض أو الناقص عن الحدّ الطّبيعي. وأهمُّ أنواعها:

أ- الاكتئاب: وهو حالة من الحزن الشّديد والهَمّ الدائم الذي لا يزول بزوال سببه إن كان له سبب معلوم، وقد يكون السبب مجهولاً، ويُسبّب ركود في الحركة بحيث يعجز المريض عن أداء أبسط الوظائف التي يقوم بها الشّخص العادي، كالقيام من السّرير وتناول الأكل ودخول الحَمّام فضلاً عن الوظائف الحياتيّة الكبرى التي تحتاج هَمّة وعزيمة.

ب- التبلّد: انخفاض أو انعدام الاستجابة الانفعاليّة حتّى في المواقف التي تُثير الانفعال بِشِدّة.

### الفئة الثّالثة: اضطرابات الانفعال المُزدوج، ومن أنواع هذه الفئة:

(1) يُنظر: جميل صليبا، علم النفس، ط2، دار الكتاب اللبناني-مكتبة المدرسة-: بيروت-لبنان، 1404هـ-1984م. (ص: 192، 197).

أ- انحراف الانفعال: إبداء انفعال مُعاكس للموقف المُثير، كالحُزن عند المُثير السارّ (كرزق الله له بمولود أو نجاح في دراسة أو وظيفة) وكالفرح عند الخبر المُحزن عادة (كموت أحد الأُحِبَّة أو خسارة كبيرة في تجارة)، ويُلاحظ عند الفُصاميّين.

ب- فُقدان الثَّبات الانفعالي (أو التقلُّل العاطفي): وهو التغيُّر من حالة انفعاليَّة إلى أخرى مُعاكسة لها بسُرعة في شكل نوبات، وقد يصير المريض في حالة من الثَّبات الانفعالي خارج النُّوبات، كالنَّوَب بين الضَّحك والبُكاء بشكل مُبالغ فيه.

سادسا: اضطرابات في النِّشاطات والعادات الحيويَّة، ويشمل ما يلي:

أ- اضطرابات الحركة: كالنشاط الزائد (Hyperactivity) غير الهادف وغير المنتج، كما في حالات الهوس، أو النِّشاط النَّاقص الرَّاكِد (Hypoactivity) كما في حالات الاكتئاب. النِّشاط غير المُتوافق (Disordered activity)، وهُنا يفقد الشَّخص توجيهه حركاته وَفَّق ما يقصده ويرمي إليه، كما في حالات الوسواس القهري والفُصام والهذاء.

ب- اضطرابات الأكل: كفقدان الشهية، أو النَّهم والشَّراهة في الأكل.

ج- اضطرابات الإخراج: كالتبوُّل والتبرُّز اللاإرادي، أو الإمساك أو الإسهال العصبي.

د- اضطرابات النَّوم: كالأرق، أو كثرة النَّوم أو المشي أثناءه أو كثرة رُؤية الكوابيس المزعجة.

هـ- الاضطرابات الجنسيَّة، ومن أنواعها: البرود والعنة الجنسي، الهياج والشُّبق الجنسي الرَّائد، الجنسيَّة المثليَّة (السَّحاق واللَّواط)، الفيتشيَّة الصنميَّة: وتعني التعلُّق الجنسي بملابس أو أجزاء من الجسم للجنس المُقابل، السَّاديَّة: التلذُّد الجنسي بالتعذيب للجنس المُقابل، المازوخيَّة: التلذُّد الجنسي بالعذاب الصَّادر من الجنس المُقابل.

و- اضطرابات المظهر العام: وهذه ليست مُطرَّدة، ولكنَّها قد تكون ذات دَلالة مع أنواع أُخرى من الاضطراب، وتشمل ثلاث جِهات: الأولى: شكل الجسم من النَّحافة -تكثر في

الاكتئاب- والسّمَن - في الهوس- والرّشاقة العضليّة -الهيستيريا-(1)، والثّانيّة: شكل الهندام من هيئة اللّباس ولونه وقصّة الشّعْر -يميل الفُصاميّون إلى الملابس غير المتناسقة، والاكتئابيّون إلى الملابس السّوداء، والهُذائيّون إلى ملابس غريبة حسب هُذاتهم، وأصحاب الهوس إلى الملابس المتبرّجة والفاقعة اللّون-، والثّالثة: تعبيرات الوجه (كالطّلاقة في الهوس، والعبوسة في الاكتئاب والحُزن).(2)

### ثالثا: التصنيف على أساس زملة الأعراض.

الاضطراب النّفسي يُلاحظ من خلال عرضه لا من سببه، ونادر جدًّا إن لم يكن معدوماً أن يُوجد للمرض النّفسي عامل واحد ثابت (3).

وبالتّالي: فالصّنيف على أساس الأعراض الملاحظة عمليًّا ودقيق أكثر، في عمليّة التّشخيص ومن ثمّ العلاج، ولكن ما دام أنّ التّصنيف على أساس العرض الواحد تعتربه مشكلة التّدخل، بحيث يكون العرض الواحد في أكثر من اضطراب نفسي، فقد صار التّصنيف على أساس زملة الأعراض: وهي مجموعة من الأعراض الجسميّة والسلوكيّة والانفعاليّة والمعرفيّة والإدراكيّة، حيث يُستدلُّ بتراكبها على هيئة مُعيّنة مع بعضها بعضاً على اضطراب نفسي مُعيّن.

يقول حامد زهران: «ليس للأعراض المنفردة قيمة تشخيصية في حد ذاتها، وتتنوع الأعراض وتشترك الأمراض النفسية فيها، وتظهر أعراض المرض النفسي عادة في شكل زملة أو تجمع أو تشكيل معين. وهذه الزملة أو المجموعة المتألّفة من الأعراض هي التي تحدد المرض وتفرق بين مرض وآخر، ويجب الاهتمام بالارتباط المتبادل بين الأعراض بعضها ببعض، ويلاحظ أن العرض الواحد قد يدخل في زميلات مختلفة... كالقلق والهلوس»(4). وهذا ما يُلاحظ على كل اضطراب نفسي -سواء

(1) وتختلف الأجساد في التّأثر بالحالة النّفسيّة، فقد نجد شخصا ينحف ويضعف جسده بسبب الهمّ والغم، ونجد آخر على عاتقه مصائب عظيمة وجسمه صحيح مُعافى، ولذلك قال الوزير ظهير الدّين الأهوازي: وإيّ لأبدي في هواك تجلّدا... وفي القلب مئيّ لوعة وغليل/ فلا تحسن أيّ سلوت فرمّا... ترى صحّة بالمرء وهو عليل. [علي الطنطاوي، من غزل الفقهاء، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة-السعودية، ط1، 1408هـ-1988م، ص(13)].

(2) يُنظر: حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 132-153)؛ علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النّفسية والعقلية، (ص: 56-79).

(3) يُنظر: حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 176-177).

(4) حامد عبد السّلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 130).

كان عُصَبا كالوسواس القهري مثلا، أو كان دُهانا كالفُصام مثلا- أنه عبارة عن مجموعة من الأعراض المختلفة الجهة -المعرفية والإدراكية والسلوكية والانفعالية وغيرها-، وأما يختلف كل اضطراب عن غيره -باعتبار الأعراض- بنوعية وعدد الجهات النفسية التي حدث فيها الاضطراب، وشدة الاختلال الحاصل في كل جهة من هذه الجهات في كل اضطراب.

ويظهر على هذا الاعتبار في التصنيف أنه يجمع بين الاعتبارين السابقين.

مقارنة بين الدليل التشخيصي للاضطرابات النفسية *DSM*، والتصنيف العالمي للأمراض *ICD*:

ويوجد تصنيفان عالميان معتمدان من قبل الأطباء والمعالجين النفسيين، ونجد في هذين التصنيفين الدمج بين الاعتبارات السابقة في التصنيف، إلى جانب تصنيف بعض الاضطرابات على أساس سببها الواضح كالاضطرابات الناتجة عن تناول الكحول والمخدرات، كل ذلك شريطة أن يعود بفائدة تشخيصية يتم بها وصف لأبعاد الاضطراب النفسي، حتى يتم العمل على بحث واختيار العلاجات المناسبة،

وهذان التصنيفان هما:

أولاً: (International Classification of Diseases): التصنيف العالمي للأمراض، والمعروف اختصاراً ب: (ICD)، وهو تصنيف عالمي لجميع الأمراض نفسية كانت أو جسدية، تُصدره منظمة الصحة العالمية: (World Health Organization) WHO، وله عدّة إصدارات، آخرها النسخة الحادية عشر ICD-11، وهي تعتبر تحديث للنسخة العاشرة منه ICD-10، وقد تمّ صياغة ICD-11 بشكل إلكتروني وبلغات مختلفة -منها العربية- تسهيلاً لاستخدامه، وقد تمت الموافقة على النسخة الحادية عشر منه من قبل جمعية الصحة العالمية سنة 2019م، ويتم الآن تدريب الإحصائيين في مجال الصحة على استخدامه، مع فتح الباب بكل شفافية أمام اقتراحات المراجعين العلمية القائمة على الأدلة، وسيتم انطلاق استخدامها رسمياً مع بداية سنة: 2022م.

ثانياً: (Diagnostic and Statistical Manual of mental Disorders):

الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية، والمعروف اختصاراً ب: (DSM)، وهو دليل



يصدر عن جمعية الطب النفسي الأمريكية: APA ( American Psychiatric Association)، وهو الآن بنسخته الخامسة DSM-5، والتي أصدرت سنة 2013م.

ومن هنا يظهر فرقان إجماليان بين التصنيفين، الأول: أن ICD هو تصنيف شامل لجميع الأمراض نفسية كانت أو جسمية، وغير خاص بالاضطرابات النفسية كما هو الشأن في DSM. والثاني: أن النطاق الذي يُركّز عليه ICD في دراسة الاضطرابات النفسية إحصائياً وتشخيصياً وعلاجياً هي جميع مجتمعات العالم، على اختلاف لغاتها وأعراقها وثقافتها، بخلاف DSM الذي يتركز نطاق بحثه على المجتمع الأمريكي. وهذا الاتساع في ICD يُعدُّ ميزة له من جهة شموله لجميع الأمراض والاضطرابات، وعلى مستوى العالم كُله، ممَّا يفتح باباً للتعامل مع الاضطرابات النفسية كقوانين علمية، لها قدرتها على التعميم، وفي المقابل فإن ضيق نطاق DSM من جهة التركيز على الاضطرابات النفسية فقط، وبالأخص عند المجتمع الأمريكي الذي له خصائصه كأيِّ مجتمع، قد يكون أكثر مصداقية بالنسبة للمجتمع الأمريكي، وتحصر كل من منظمة الصحة العالمية وجمعية الطب النفسي الأمريكية على التنسيق بين الأعضاء العاملين في منظمة الصحة العالمية وأعضاء الجمعية الأمريكية للطب النفسي لتقليل الفوارق بين الدليل التشخيصي: (DSM) والتصنيف العالمي: (ICD)، فيما يخص عملية تصنيف الاضطرابات النفسية، ولذلك يُوجد تشابه كبير جداً واتفاق على كثير من الاضطرابات النفسية.

ولكن مع ذلك تُوجد بعض الاختلافات بينهما، سواء من جهة اختلاف المصطلح الذي يُعبّر به عن الاضطراب، أو تعريف بعض المصطلحات، أو من جهة الاختلاف على إدخال حالة معينة وتصنيفها كاضطراب نفسي أو عدم تصنيفها، وقد توصلت دراسة مقارنة حديثة<sup>(1)</sup> أن هناك تسعة عشر فئة من فئات الاضطراب في ICD-11 التي لا تظهر في DSM-5، وسبع فئات اضطراب

---

(1) Michael B. First, Wolfgang Gaebel, Mario Maj, Dan J. Stein, Cary S. Kogan, John B. Saunders, Vladimir B. Poznyak, Oye Gureje, Roberto Lewis-Fernández, Andreas Maercker, Chris R. Brewin, Marylene Cloitre, Angelica Claudino, Kathleen M. Pike, Gillian Baird, David Skuse, Richard B. Krueger, Peer Briken, Jeffrey D. Burke, John E. Lochman, Spencer C. Evans, Douglas W. Woods, Geoffrey M. Reed, An organization- and category-level comparison of diagnostic requirements for mental disorders in ICD-11 and DSM-5, Official Journal of the World Psychiatric Association, Naples, Italy, Issue1, 12 January 2021, Vol: 20, P: 34-51.

في DSM-5 لا تظهر في ICD-11. وقد جاء في تقريرها أنّ ICD-11 و DSM-5 أصبحتا الآن مُتقاربتين ومُتشابهتين أكثر بالنسبة إلى النسخ السَّابقة منهما.

## المبحث الثاني: مرض القلب في نصوص الوحي، والمقارنة بينه وبين الاضطراب النفسي.

جاء في كثير من الآيات والأحاديث وصف القلب بالمرض، ولا يُقصد بذلك المرض الذي يرجع إلى اختلال في عضلة القلب ووظائفها الحيوية، وإنما المقصود الفساد الذي يحصل للنفس التي تتعلّق بالقلب من جهة وظائفها النفسية، وقد وُصف القلب بالمرض عموماً وبأنواع منه خصوصاً كالقسوة والكبر والرُعب وغيرها، كما بيّنت النصوص أسبابه وأعراضه، ويُمكن بناءً على ذلك رصد مواطن الاتفاق والافتراق بين الاضطراب النفسي في علم النفس ومرض القلب في نصوص الوحي.

### المطلب الأول: تعريف مرض القلب، وبيان أنواعه في نصوص الوحي.

#### الفرع الأول: تعريف مرض القلب في نصوص الوحي.

والمرض من جهة اللُّغة هو اضطراب الطَّبِيعَة نفسيّة كانت أو جسميّة، يُقال: «مرض الحيوان يمرض مرضاً ومرّضاً... والمرض فساد المزاج وإظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها، وقيل: هو حالة خارجة عن الطبع ضارّة بالفعل... ويُقابله الصّحة، وقيل المَرَضُ بسكون الراء يختص بالنفس وبفتحها بالجسم، وقيل المرض كلُّ ما خرج بالإنسان عن حدِّ الصّحة من علّة ونفاق وشكٍّ وفتور وظلمة وتقصان وتقصير»<sup>(1)</sup>، وقد سبق أنّ القلب هو مجمع المقاصد والعقائد، وعليه المدار في التكاليف الشرعيّة، وهو آلة العلم النافع والعمل الصّالح، ومن أجمع وأمنع ما وقفت عليه من تعريفات مرض القلب النفسي لا الجسيمي:

**تعريف ابن تيمية،** حيث يقول: «مرض القلب هو نوع فسَاد يحصل له يُفسد به تصوّره وإرادته، فتصوّره (يفسد) بالشُّبُهَاتِ الَّتِي تُعْرَضُ لَهُ حَتَّى لَا يَرَى الْحَقَّ أَوْ يَرَاهُ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وإرادته (تفسد) بِحَيْثُ يُبْغِضُ الْحَقَّ النَّافِعَ وَيُحِبُّ الْبَاطِلَ الضَّارَّ، فَلِهَذَا يُفَسِّرُ الْمَرَضُ تَارَةً بِالشُّكِّ والرَّيْبِ (وهو مرض شبهة)... وتارة بشهوة الرِّئَا... ومرض القلب ألم يحصل في القلب كالغيظ من عدوّ استولى عليك... قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ ۖ وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية [التوبة: ١٤-١٥]،... فَهَذَا شِفَاءٌ مِنَ الْغَمِّ وَالْغَيْظِ وَالْحُزَنِ، وَكُلُّ هَذِهِ آلَامٌ تَحْصُلُ فِي النَّفْسِ، وَكَذَلِكَ

(1) المعلّم بطرس البستاني، محيط المحيط، دائرة المعاجم مكتبة لبنان: بيروت-لبنان، 1987م. (ص: 846).

الشك والجَهل يؤلم القلب، قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «هَلَّا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ»<sup>(1)</sup>. والعِيُّ هو: الجَهل<sup>(2)</sup> والشاكُّ في الشَّيْءِ المرتاب فيه يتألم قلبه حَتَّى يحصل لَهُ العِلْمُ وَالْيَقِينُ»<sup>(3)</sup>. وكلامه تَضَمَّنَ تعريف مرض القلب باعتبارين، تعريف باعتبار الماهية، وهو قوله: «نوع فسَاد يحصل لَهُ يفسد بِهِ تصوُّرُهُ وإرادته»، وتعريف باعتبار الأثر، وهو قوله: «ألمٌ يحصل فِي القلب»، وكلُّ منهما يحتاج إلى بيان، وهو كالآتي:

التعريف الأول: «نوع فسَاد يحصل لَهُ يفسد بِهِ تصوُّرُهُ وإرادته»، فيقال: كلُّ ما ثبت في طبِّ الأَجْسَامِ والأَبْدَانِ له نظيره في طبِّ القلوب والأديان، والمرض هو فسَاد في القُوَّة والحركة الطَّبِيعِيَّة التي خلقها الله تعالى سواء في البدن أو النَّفْسِ، وإذا كان مرض البدن هو فسَاد يلحق الأَعْضَاءَ البدنيَّة فتَقْصُرُ عن أداء وظيفتها -إمَّا من جهة إدراكها أو حركتها- فينتج عن ذلك من الأَلْمِ بحسب الفساد الذي لحق الأَعْضَاءِ، فيتألم الأَعْمَى لعماه والأَصْمُ لصممه ويتألم مبتور اليد لفقد المصالح التي يُستطاع تحصيلها بجراحة اليد وهكذا. فمرض القلب هو فسَاد يلحق القلب فيَقْصُرُ عن أداء وظيفته

(1) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (375/1) برقم: (273) (كتاب الوضوء، باب الرخصة في التيمم للمجدور والمجروح)؛ وابن حبان في "صحيحه" (140/4) برقم: (1314) (كتاب الطهارة، ذكر إباحة التيمم للعليل الواحد الماء إذا خاف التلف على نفسه باستعماله الماء)؛ والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (214/11) برقم: (206) (من اسمه عبد الله، عطاء بن أسلم أبي رباح المكي عن ابن عباس)؛ وأبو داود في "سننه" (132/1) برقم: (336) (كتاب الطهارة، باب المجدور يتيمم)؛ والدارقطني في "سننه" (349/1) برقم: (729) (كتاب الطهارة، باب جواز التيمم لصاحب الجراح مع استعمال الماء وتعصيب الجرح)؛ وغيرهم. حكم الحديث: قال الدَّارِ قُطْنِي: «لم يروه عن عطاء عن جابر غَيْرُ الزبير بن خريق، وليس بالقوي، وخالفه الأوزاعي فرواه عن عطاء عن ابن عباس وهو الصواب..» [سنن الدارقطني: (349/1) برقم: (729)]. وقوله هو الصواب هو الثَّابِتُ ولا تعني الصَّحَّةُ، ولذلك فرواية الأوزاعي مُرسلة، كما قال الضياء المقدسي عقب تخريجه للحديث: «أما رواية الأوزاعي لم يسمعه من عطاء، وأما رواية الوليد بن عبيد الله بن أبي رباح ابن أخي عطاء فذكر سماعه من عمه، فلذلك أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ورواه البستي -يقصد ابن حبان- عنه» اهـ. والحديث صحيح أو حسن. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، برقم: 3055، (173/5)؛ محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ط3، المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1408هـ-1988م. برقم: 4363، (805/2)].

(2) يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (334/3).

(3) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفاؤها ويليها التَّحْفَةُ العِراقِيَّةُ فِي الأَعْمَالِ القَلْبِيَّةِ، (ص: 4).

-إمّا من جهة تصوّره أو حُبّه وبُغضه- وقد خلق الله تعالى في القلب قُوتين كما خلق في البدن قُوتين، وكلُّ قوة من قوتي القلب تُقابل إحدى قوتي البدن. وبيان ذلك فيما يلي<sup>(1)</sup>:

أمّا قُوتَا البدن، فالأولى: هي قُوة الحركة، وهذه القوة بالنسبة لكل عُضو من الأعضاء تُسم بأنّ فيها انقباضا وسحبا من جهة، وانبساطا ودفعا من جهة أخرى، كضمّ الأصابع وبسطها لدى القبض، وكانقباض المعدة وارتخائها عند هضم الطّعام. والقُوة الثّانية: هي قُوة الإدراك الحسّي، والتي تتمثّل في الحواسّ الخمس من السّمع والبصر والدّوق والشّم واللّمس.

وأما قُوتَا القلب، فالأولى: هي قُوة الإرادة وهي تُقابل قوة الحركة في البدن، وتنقسم إلى نوعين: الحب الذي يُقابل قوة السحب في البدن، والبُغض الذي يُقابل قُوة الدّفع. وإذا صلّحتا هاتان القوتان صلح القلب، ولذلك قال النّبي -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»<sup>(2)</sup>. وقال -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْعَ اللَّهُ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ»<sup>(3)</sup>. وأخبر النّبي -صلى الله عليه وسلم- أنّ حلاوة الإيمان وراحته وطمأنينته يشعر بها المسلم إذا كانت محبّة الله ورسوله هي المقدّمة وهي المعيار الأساس الذي يزن به كلّ ما يُقدّم على محبّته، حتّى يكون أبغض شيء إليه هو الكفر بالله تعالى، قال -صلى الله عليه وسلم-: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْذَفَ فِي النَّارِ»<sup>(4)</sup>.

(1) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفائها ويليها التّحفة العراقيّة في الأعمال القلبية، (ص: 30).

(2) أخرجه أحمد في "مسنده" (4219/8) برقم: (18821) (أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث البراء بن عازب رضي الله عنه رضي الله عنهما)؛ وابن أبي شيبة في "مصنفه" (620/15) برقم: (31059) (كتاب الإيمان والرؤيا، باب). حكم الحديث: حديث حسن بشواهده. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (488/30)].

(3) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (164/2) برقم: (2709) (كتاب النكاح، من أعطى الله ومنع الله وأحب الله وأبغض الله وأنكح الله فقد استكمل الإيمان)؛ والترمذي في "جامعه" (288/4) برقم: (2521) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب)؛ وأحمد في "مسنده" (3331/6) برقم: (15878) (مسند المكين رضي الله عنهم، حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه). والحديث إسناده حسن. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (399/24)].

(4) تقدّم تخریجه، (ص: 36).

وفساد هذه القوة هو مرض الشهوة، وذلك بأن تنحرف محبة العبد لمحبة ما يعود بالضرر عليه في دُنياه أو أخره، سواء من الأقوال أو الأعمال أو الأشخاص، فيُحبُّ المعاصي وأهلها، وفي المقابل ينحرف بُغضه لبُغض ما يعود عليه نفعه من نفس الجهات السابقة، فيُبغض الطاعة وأهلها وينقل عليه السعي في سُبُل الخير ومُصاحبة أهله.

والقُوَّة الثَّانِيَّة: هي قُوَّة التَّصَوُّر وهي تُقابل قُوَّة الإدراك الحِسِّي في البدن، وصلاح هذه القُوَّة بمعرفة الحقِّ والعلم به والتَّمييز بينه وبين الباطل، وهذه القُوَّة بمثابة الأساس للقُوَّة الأولى لأنَّ حركة القلب نحو الحقِّ بِمَحَبَّتِهِ -والله تعالى هو الحقُّ كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَكْدُوعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ الآية، [الحج: ٦٢]، و﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ الآية [النحل: ٣]، و﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ الآية، [التوبة: ٣٣]. - وحركته عن الباطل يُبغضه تفتقر إلى معرفة الحقِّ والتَّمييز بينه وبين الباطل، وقد تعرَّف الله إلينا في كتابه وسُنَّة نبيِّه بأسمائه وصفاته، لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>. كما تعرَّف إلينا سبحانه بآياته الكونيَّة والشَّرعيَّة، لقوله تعالى: ﴿ سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقوله سبحانه: ﴿ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [الطلاق: ١١] الآية.

وفساد هذه القُوَّة هو: مرض الشُّبهة، وإذا دخل الفساد على القلب من جهتها، أصبح حال القلب في عدم تمييزه بين الحقِّ والباطل كما وصفه النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مَنْكِرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاةٍ» الحديث<sup>(٢)</sup>. وكما أنَّ للبدن سمعًا وبصرًا فكذلك القلب له سمع وبصر، والسمع والبصر البدنيَّان إذا لم يكونا سبيلين لسمع وبصر القلب فوجودهما كعدمهما، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]. وقال

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (198/3) برقم: (2736) (كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار)؛ ومسلم في "صحيحه" (63/8) برقم: (2677) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها).

(٢) تقدَّم تخرجه، (ص: 92).

تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢١]، وإذا كان الإنسان في الدنيا يتألم ويُعاني عند فقد السمع والبصر البدني، فإن الألم في الآخرة يكون على فقد السمع والبصر القلبي في الدنيا، واللذان هما سبب النجاة يوم القيامة، وقد حكى الله تعالى عن الكفار قولهم -وهم في العذاب- ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠]. ومن جملة ما يُعاقب الله به في الآخرة من عمي قلبه وصمّ عن إدراك آيات الله تعالى بقلبه، أن يُعمي الله عينه ويُكم لسانه ويُصمّ أذنه جزاء وفاقا، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١١٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَانَا فَسَيِّئْنَا بِكَ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْشِئُ ﴿١١٦﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكُمَا وَصَمًا ﴾ [الإسراء: ٩٧].

وهذا يعني أنّ الأمراض تتنوع في جهة وشدة التأثير على القلب فمنها ما يُعيقه من جهة قوة العلم والتمييز وهي أمراض الشبهات، ومنها ما يُعيقه من جهة قوّة الإرادة والمحبة وهي أمراض الشبهات، ومنها ما يُميته ويقتل فيه القوتين وهو مرض الكفر والنفاق وهو مرض مُرْكَب من الإصغاء للشبهات والاتّباع للشبهات.

وبيان تركب مرض الكفر والنفاق من فساد قوّة القلب؛ أنّ الله تعالى ضرب للكفار المثل بالظلمة التي لا يهتدي فيها الإنسان إلى طريق الحقّ، على خلاف من نور الله بصيرته فلم يفسد تصوّره فأبصر الأمور على ما هي عليه في الواقع، قال تعالى: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]<sup>(1)</sup>، وإذا فسد التصوّر ترتب عليه فساد حركة القلب ولائد، ولكن سلامة التصوّر لا تضمن دائما صلاح الحركة وإن كانت شرطا لها، لأنّ الهوى قد يكون مانعا من اتّباع الحقّ ولو أدرك في البداية أنّه حقّ، ولذلك غالبا ما يأتي التّهي عن اتّباع الهوى بعد حصول العلم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِئِي وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠] الآية، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨] الآية، ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ

(1) يُنظر: محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (4/484).

أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿المائدة: ٤٩﴾ الآية، وهذا يدلُّ على أنَّ اتِّباع الحقِّ والتَّجرُّد من الهوى لا يكفي فيه مجرد حصول العلم.

وهذا الاتِّباع للهوى والاستنكار للحقِّ والاستكبار على أن تكون حركة القلب في حُبِّه وبُغضه قائمة عليه، يعود عليهم فيما بعد ليحدث خللاً في تصوُّرهم، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]<sup>(1)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥]، وفي المقابل من جعل حركة قلبه تابعة للحقِّ بعدما وضح له، فإنَّ الله يزيده بصيرة ونقاءً في تصوُّره للحقِّ، وكلِّما ازداد علماً ازداد عملاً، وكلِّما ازداد عملاً ازداد علماً قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْمَهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧]<sup>(2)</sup>.

وأما التعريف الثاني: وهو قوله: «لم يحصل في القلب»، وهذا الثاني هو تعريف لمرض القلب باعتبار الأثر، وهذا الألم هو الكآبة والكرب والقلق، وإن كان ذلك ما تشترك فيه الاضطرابات النفسية، فإنَّ مرض القلب الذي يُوجب العقاب بعد الموت - كالتشكُّ والجهل والنفاق وغيرها - فإنَّ الألم قد يشعر به صاحبه في الحين، وأحياناً يكون كامناً لا يشعر به صاحبه، وذلك في حالة ما إذا اشتغل عنه صاحبه بأضداده، وقد وصف الله تعالى الاشتغال بالأهواء والشهوات المحرمة بالسكرة، وذلك في ارتكاب قوم لوط - عليه السلام - لفاحشة اللواط<sup>(3)</sup>، في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: ٧٢]، وذلك يدلُّ على أنَّ الغفلة والتلهي بالشهوات المحرمة له أثر السكر في حجب القلب عن الشعور بأمراضه<sup>(4)</sup>. قال ابن القيم مُقسِّماً مرض القلب باعتبار الشعور بالألم: «مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال،... كمرض الجهل، ومرض الشبهات

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (441/7).

(2) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفائها ويليها التُّحفة العراقية في الأعمال القلبية، (ص: 38).

(3) من لَوَطٌ وَايَطٌ، وأصل الكلمة تُطلق عموماً على اللصوق، وتُطلق خصوصاً على من فعل قوم لوط - عليه السلام -، وهو المراد هنا. يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (221/5)؛ محمد أبو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (84/20).

(4) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (538/2)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (68/14).



والشكوك، ومرض الشهوات. وهذا النوع هو أعظم النوعين ألماً، ولكن لفساد القلب لا يُحسُّ بالألم، ولأنَّ سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو مُتوارٍ عنه (أي خفيٌّ عنه) باشتغاله بضده... والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال، كألهم والغم والحزن والغيظ، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية، كإزالة أسبابه، أو بالمداواة بما يضادُّ تلك الأسباب، ويدفع موجبها مع قيامها، وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن ويشقى بما يشقى به البدن فكذلك البدن يتألم كثيراً بما يتألم به القلب، ويشقى ما يشقى به<sup>(1)</sup>. وهذه الجملة الأخيرة في كلام ابن القيم تُبيِّنُ بياناً جلياً أنَّ كُلاً من النَّفس والجسد يُؤثِّرُ في الآخر، ويتأثر به.

### الفرع الثاني: أنواع مرض القلب في ضوء الكتاب والسنة.

من خلال تتبُّع نصوص الكتاب والسنة نجد أنَّه وردت عدَّة ألفاظ تصف حالة الاضطراب النَّفسي، وقد مرَّ بيان أنَّ ألفاظ القلب و الفؤاد والرُّوح والعقل ترجع إلى شيء واحد وهي النَّفس الإنسانيَّة، وإن كانت تختلف من جهة ما اختصَّت به كلُّ مفردة - من هذه المفردات الخمس - من الصِّفات التي ضمَّتها النُّصوص إيَّاهَا، وعليه: فسيتركِّز العمل هنا على تتبُّع سياقات هذه الألفاظ، واستخراج ما يدلُّ منها على الاضطراب النَّفسي، إلى جانب نصوص أخرى ورد فيها وصف الاضطراب النَّفسي من غير أن تقترن بهذه المفردات الخمس، وتلك الأوصاف هي كالآتي:

#### أولاً: المرض المطلق.

وهو أوسع هذه الألفاظ، وأجمعها، وقد جاء إطلاقه على ثلاثة أوجه<sup>(2)</sup>:

الوجه الأوَّل: المرض عموماً، جسمياً كان أو نفسياً، في ثلاثة مواضع في البقرة، مرَّتان في سياق مشروعية الصِّيَام وإيجابه، في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴿البقرة: ١٨٣-١٨٤﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ

(1) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان، (18/1).

(2) يُنظر: مقاتل بن سليمان البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، (ص: 28)؛ أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، (ص: 448)؛ حسين بن محمد الدَّمَغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، (ص: 432)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، (ص: 546).

مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴿ [البقرة: 185] الآية، ولئن كان من المشهور أن بعض الأمراض الجسميّة يتضرّر أصحابها بالصيام، كبعض حالات السُّكري وضغط الدّم وإصابات الكبد وغسيل الكلى، فإنّ بعض الاضطرابات النفسيّة كاضطراب ثنائي القطب والفصام، تُستخدم فيها أدوية مثل: الليثيوم، ويُعتبر مُدراً قوياً للبول، وإذا صام المريض ولم يشرب الماء كامل اليوم قد يُؤدّي به إلى الجفاف الذي يتسبّب في الفشل الكلوي، وإلى نقص المعادن الذي يُعرضه للسكتات القلبية<sup>(1)</sup>. وكثير من الاضطرابات النفسيّة كاضطراب الملح أو الخوف المرضي، تُضعف صاحبها وتُنهكه بدنيّاً، وعلى كُلِّ فمتى ما قرّر الأخصائي أو الطّبيب النفسي أنّ اضطراباً نفسيّاً معيّناً يُمكن أن يتضاعف ضرره مع الصيام، أو أنّه يتسبّب في عرقلة العلاج فيُشرع للمريض والحالة هذه الفطر وعليه القضاء إن كان مرضه طارئاً مؤقتاً، أمّا إن كان مُزمناً فإنّما عليه الفدية للآية الكريمة السّابقة، ويحرم عليه الصّيام لقول النّبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»<sup>(2)</sup>.

(1) يُنظر: د. علي إسماعيل عبد الرحمن، مقدمة في علم الأدوية النفسيّة، (ص: 183-186).

(2) أخرجه مالك في "الموطأ" (1078/1) برقم: (600/2758) (كتاب الأفضية، القضاء في المرفق)؛ والحاكم في "مستدرکه" (57/2) برقم: (2358) (كتاب البيوع، النهي عن المحاقلة والمخاضرة والمنازدة)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (69/6) برقم: (11502) (كتاب الصلح، باب لا ضرر ولا ضرار)؛ والدارقطني في "سننه" (51/4) برقم: (3079) (كتاب البيوع، باب الجعالة)، (408/5) برقم: (4541) (كتاب الأفضية والأحكام وغير ذلك، باب الشفعة). حكم الحديث: والطُّرق التي رُوِي بها هذا الحديث على كثرتها لا تخلو من ضعف، إمّا من جهة الكلام في رواها أو اتّصال أسانيدها، ولكن بعضها يُقوي بعضها، وقد ذهب إلى هذا جماعة من أهل العلم المتأخّرين كالنّووي وابن رجب وابن الصّلاح، واحتجّ به جماعة من الأئمّة المتقدّمين كمالك وأحمد وغيرهم، بل هو من الأحاديث التي تُعتبر من القواعد الفقهيّة التي عليها مدار أحكام الشريعة. [يُنظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، ط7، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1422هـ-2001م. (ص: 207-212)].

والموضع الثالث في سياق الأمر بإتمام الحج والعمرة، في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: 196] الآية، وقد نصَّ الطبري على أنَّ المرض والأذى من الرأس المقصود هنا والذي يُبيح الحلِّق، هو كلُّ مرض انتفع به صاحبه وتحسَّنت حاله بالحلق، ومثَّل للمرض الجسدي بالجراح، وللمرض الذهني العضوي بالبرسام<sup>(1)</sup>، وللأذى من الرأس بالصُّداع والشَّقِيقة<sup>(2)</sup>، والبرسام اضطراب عضوي في الدماغ يُصاحبه اضطرابات نفسية، أمَّا الصُّداع والشَّقِيقة فكثيرا ما يظهران كأعراض لكثير من الاضطرابات النفسية<sup>(3)</sup>.

وكذلك قوله تعالى في سياق الأمر بجهاد المشركين: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: 91] الآية، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: 17]، وجمهور المفسرين هنا على أنَّ المقصود بالمرض كل ما يصدق عليه اسم المرض لغة أو شرعا، والذي يمنع صاحبه من القتال والتمكُّن من المحاربة، ومن جُملة ما ذكروه من الأعذار المبيحة للتخلُّف عن الجهاد: الجنون (الاضطرابات العقلية)، على اختلاف بينهم هل يدخل أصحابه في الضُّعفاء أو المرضى، والأقرب أنَّه يدخل في المرضى لأنَّ الضُّعفاء هم الشيوخ ومن خلق في أصل الفطرة ضعيفا نحيفا لا يقوى على حمل السِّلاح<sup>(4)</sup>. وقد يلحق بالضُّعف الفطري الاضطرابات النفسية ذات المنشأ الوراثي.

(1) ويقصد البرسام ويُسمَّى كذلك فرانطيس، وقد ذكر ابن سينا أنَّها كلمة فارسية مُعرَّبة، وتعني ورم في غشاء الدماغ، ناتج عن احتقان للدَّم في أوردة الدماغ، يتصاحب معه هذيانات واضطرابات حادَّة في المزاج والكلام والنُّوم. وهو المقصود هنا، والعوام يخلطون بينهما، والبرسام غير البرسام، وهذا الأخير يعني ورم في الرَّتتين، لأنَّه في الفارسية السَّام يعني الورم، والبر يعني الصدر، والسر يعني الرأس. [يُنظر: الرَّئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1420هـ-1999م. (78-76/2)].

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (58/3).

(3) يُنظر: علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 323).

(4) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (121/16)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (288/2)؛ أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، التُّكت والعيون أو تفسير الماوردي، تحقيق: ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان. (391/2)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فئِّي الرواية والدراية من علم التفسير، ط2، دار الكلم الطيب: بيروت-لبنان، 1419هـ-1998م، (446/2).

وهذا فيه رعاية للمرضى سواء كان مرضهم نفسياً أو بدنياً أو مزدوجاً (سيكوسوماتياً) برفع التكليف عنهم إذا كان مرضهم يُعيقهم حقيقة عن أداء التكليف الشرعية من صيام وحجّ وجهاد أو أيّاً كان نوعها، وفضلاً عن الاضطرابات النفسية الشديدة كالفصام والاكتئاب الحاد، فإنّ بعض اضطرابات القلق كاضطراب الهلع ونوبات الذعر الخارجة عن إرادة الشخص، والذي لا يستطيع صاحبها التحكّم بها، تُشكّل ضعفاً وعقبة في وجهه أمام مهمّة الجهاد، فإنّه لا بدّ أن يُعفى من ذلك حتّى يُشفى منه، وأصحاب اضطراب الهلع عند التعرّض للمواجهات العادية فضلاً عن الشّرسة والحروب، تُصيبهم عادة حالة من الإحساس بالاختناق وعدم القدرة على التنفّس وارتعاش الأطراف وغيرها من الأعراض التي لا يقوى معها على القتال.

وفي سياق مشروعية مؤاكلة المريض، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١] الآية، وقد اختلف المفسّرون هل نفي الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض مُلحق بحكم الاستئذان، المذكور في الآيات قبله، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩] الآية، أو أنّه مُتّصل بما بعده في نفي الحرج عن الأكل<sup>(١)</sup>، وعلى القول بهذا الأخير، فقد ذُكر عن السلف عدّة علل وحكم تدخل تحت مؤاكلة الأصناف الثلاثة المذكورة في الآية، ومن ذلك ما قاله الضحّاك: «كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبيّ -صلى الله عليه وسلم- لا يحالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض، فقال بعضهم: إنّما كان بهم التقدّر والتقزّز. وقال بعضهم: المريض لا يستوفي الطعام، كما يستوفي الصحيح والأعرج المنحبس، لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والأعمى لا يبصر طيب الطعام، فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾»<sup>(٢)</sup>، وعلى كلٍّ سواء جعلنا الحرج المنفي عن المريض في الاستئذان أو الأكل، فالأمر كما قال ابن العربي: «إن الله رفع الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر، وعن الأعرج فيما يشترط في التكليف به

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (18/299-300).

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (19/223).

المشي، وما يتعذر من الأفعال مع وجود الحرج، وعن المريض فيما يتعلق بالتكليف الذي يؤثر المرض في إسقاطه كالصوم، وشروط الصلاة، وأركانها، والجهاد، ونحو ذلك»<sup>(1)</sup>.

والآية فيها دلالة واضحة على أنّ الله تعالى يأمر عباده أفراداً ومجمعات بعدم التحرّج من مخالطة المريض ومؤاكلته سواء كان مرضه نفسياً كان أو جسمياً، ولعلّ من الحكمة الداخلة في ذلك أنّ التحرّج من المريض يُفضي به إلى الخجل والتكتّم على مرضه، لا سيّما إذا كان من الأمراض النفسية التي غالباً ما يُنظر إلى صاحبها - لا سيّما مع الجهل بحقيقة الاضطرابات النفسية - على أنّه مُتصنّع يُمثّل أنّه مريض وليس بمريض، وبالتالي: يُؤدّي إلى تفاقم سوء حالته المرضية، التي يترتب عليها فوات كثير من مصالح الشّخص في نفسه أو في من يتولّى أمرهم، بل قد يترتب عليه لا سيّما في الحالات المتقدّمة إلحاق الضّرر بنفسه أو الإضرار بغيره، والآية فيها خطاب واضح بمشاركة المرضى أكّلمهم ما لم يكن مرضهم ينتقل عن طريق العدوى ويتأدّى به الأصحاء، لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «لَا يُورِدُ مُمْرَضٌ عَلَى مُصِحِّ»<sup>(2)</sup>. والاضطرابات النفسية في عمومها - بعد استبعاد بعض حالات الذهان كنوبات الهوس الشديدة مثلاً، والتي يصير عندها المريض عدائياً - لا يتأذى بها الأسوياء، بل يحتاجون إلى الدّعم منهم حتى يعودوا إلى سوائهم ولياقاتهم النفسية، وقد تبين أنّ كثيراً من الاضطرابات النفسية تتحسن بشكل كبير عند تقديم الدّعم النفسي من أفراد العائلة والأصدقاء والأقارب للمضطرب نفسياً، وظهرت أنواع جديدة من العلاج التي تتركز على الدّعم الاجتماعي، كالعلاج النفسي الجماعي والاجتماعي<sup>(3)</sup>، وهذا قد لاحظته قديماً ابن سينا عندما ذكر ما يعتري الشّخص من الهداءات واضطرابات المزاج والكلام والنّوم الناتجة عن تورّم في الدّماغ فأوصى قائلاً: «وأصحبه أصدقاءه الطّرفاء المحبوبين إليّه المشفقين عليّه، ومن يستحي منه، فيكفّ بسببه عن تخليطه واضطرابه الضارّين»<sup>(4)</sup>.

(1) القاضي محمد أبو بكر بن العربي المالكي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، 1424هـ-2003م. (423/3).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (128/7) برقم: (5717) (كتاب الطب، باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن)؛ ومسلم في "صحيحه" (30/7) برقم: (2220) (كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء).

(3) يُنظر: حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ص: 284، 310).

(4) الرّئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا، القانون في الطب، (81/2).

الوجه الثاني: إطلاقه على المرض الجسمي، وهو الجراحات والكسور والأمراض الجلدية كالجُدري، مما يمنع من الاغتسال والوضوء في حالة ما إذا كان المسلم مُحدثاً حدثاً أكبر -الجنابة- أو أصغر - كخروج البول والغائط-، ولذلك شرع سبحانه التيمم في هذه الحالة حفاظاً على صحّة وحياة الجريح، وتخليصاً له من الألم النفسي الذي يجده عند استعمال الماء، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَأَن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: ٤٣]، وقوله تعالى:

﴿وَأَن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦] الآية، وعبارات السلف على تنوعها كلّها دائرة على معنى المرض الجسمي هنا الذي يمنع صاحبه من استعمال الماء في الطهارة، سواء كان مرضاً جلدياً كالجُدري، أو جراحات أو كسور أو تقرّحات، أو حتّى الإعاقات التي لا يقدر بها صاحبها على السعي إلى الماء وليس عنده من يأتيه به<sup>(1)</sup>. وهذا وإن كان مرضاً جسدياً بديناً، ولكن قد يكون ناتجاً عن انفعالات نفسية، كما مرّ في الأمراض النفسية ذات الشكل الجسدي (السيكوسوماتية)، كالإكزيما العصبية والتهاب الجلد العصبي والحكة الشديدة الناتجة عن التوتر النفسي (الهرش)<sup>(2)</sup>.

والوجه الثالث: المرض النفسي المعنوي، وجاءت إضافته إلى القلب خصوصاً، لأنّ القلب هو الذي عليه المدار في التكاليف الشرعية كما مرّ، وهذا النوع من الأمراض ما دام أنّه مؤاخذ عليه، فمن مرض به يكون متوفراً على شروط التكليف والتي من ضمنها العقل، وبتتبع السياقات التي ذكر فيها مرض القلب في نصوص الوحي يتحصّل ما يلي:

يُطلق كثيراً على مرض النفاق والكفر، كقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] الآية، وقوله: ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: ٣١] الآية، وحمله العسكري في الآية الأولى على الغمّ الذي يعترى المنافقين من الغيظ الذي يُكثّونه للمسلمين، وهو نتيجة من نتائج شخصية المنافق التمثيلية المزيفة، والنفاق -الذي هو إبطان الكُفر وإظهار الإسلام- مرض يتشوّه به إدراك المرء للحقائق، إلى درجة أنّ سماعه لآيات القرآن الذي فيه الهدى

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (8/385-388).

(2) يُنظر: علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، (ص: 324).

والشفاء يزيده رجسا<sup>(1)</sup>. لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥].

ويطلق في بعضها على مرض الشهوة والفجور، في قوله تعالى: ﴿فِيَطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. وقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٦٠]. قال ابن الجوزي: «وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَي: فجور وهم الزناة»<sup>(2)</sup>.

ويطلق في بعضها الآخر على مرض الشبهة والشك، في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩]. حيث شك هؤلاء في نصر الله لما رأوه من قلة عدد المسلمين وفي ثوابه لمن مات في سبيله، وقالوا تهكماً: إن هؤلاء يسعون في قتل أنفسهم، رجاء أن يجعلوا أحياء بعد الموت ويثابون على هذا القتل<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، والقائلون هم أبي بن سلول المنافق ونحو سبعين رجلاً من أصحابه المنافقين، حيث شكوا في نصر الله لهم لما رأوا عظم عدد وعدة المشركين، وأعقبهم ذلك التولي عن القتال والتخلف عن الغزو مع النبي -صلى الله عليه وسلم-<sup>(4)</sup>، وهذا على خلاف حال أهل الإيمان حيث ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

(1) وأصل مادة الرَّجْسُ، تدلُّ على الاختلاط، والمراد به هنا: الشيء القذر. والشيء قد يكون مُستقذراً من جهة الشَّرْع أو العقل أو الطَّبْع، وجعل الكُفْر رجساً لأنَّه يُفْجِح بالعقل إذ الواجب أن يُشكَّر المحسن لا أن يُكفَّر به، وهو مخالف لطبيعة الفطرة في الإنسان التي تتضمَّن العبوديَّة لله تعالى، وكذلك هو مخالف للشَّرْع. [يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (2/490)؛ الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 342)].

(2) أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (3/484).

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (13/12)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (15/493).

(4) يُنظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (4/306).

## ثانياً: قسوة القلب وغلظته.

أ) القسوة: أمّا قسوة القلب فقد ذكر الله عزّ وجلّ على أنّها تنتج عن الإصرار على المعاصي ومخالفة أوامر الله عزّ وجلّ عموماً، ومن ذلك: عدم الإذعان للحقّ لما يتبيّن بدلائله، كما قال سبحانه في شأن اليهود: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] الآية، وذلك أنّهم لما وقعوا في معصية القتل لرجل منهم، وذكر أنّ القتل هم ورثته، عاندوا أمر الله لهم بذبح البقرة، لأنّ بذبحها سيحيى القتيل عند ضربه ببعض أجزائها ويُخبر بالقاتل، وعندها ينكشف أمرهم، ثمّ لما أحيا الله القتيل وانكشف أمرهم رفضوا الاعتراف بالحق<sup>(1)</sup>، يُضاف إلى ذلك سائر ما ذكره الله تعالى قبل هذا، من لبسهم للحقّ بالباطل، وعبادتهم للعجل، واشتراطهم على موسى رؤية الله تعالى جهرة، وكفرهم نعمة الله وعدم شكرها، وتوليّهم عن الأخذ بميثاق الله تعالى والذي فيه الأمر بتوحيد الله تعالى وبر الوالدين<sup>(2)</sup>، وهي كما تكون ناتجة عن المعاصي، فإنّها تعود لتكون سبباً للمبالغة والتّمادي في معاصي أشدّ من السّابق، حيث ذكر الله عنهم بعده مباشرة معصية تحريف كلام الله ووحيه إليهم، قال سبحانه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

وبنفس الترتيب ولكن بشكل مُركّز مُختصر في قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣] الآية، فنقضهم للميثاق معصية ترتّب عليها ونتج عنها قسوة قلوبهم، ثمّ إنّ قسوة قلوبهم أدّت بهم إلى تحريف الكلم عن مواضعه، والله تعالى لم يُخبرنا بقصصهم هذه من باب التّرف الفكري -تعالى وتقدّس عن ذلك-،

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (2/218، 235)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (1/75-76).

(2) والذي جاء وصفه فيما بعد، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣] الآية.



ولكن حتى نعتبر بها ونُنزّلها على أحوالنا نحن، وهذا المعنى قد لحظه بعض السلف فقال: «إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها»<sup>(1)</sup>.

وجاء في موضعين التّصريح بأنّ الغفلة والإعراض عن ذكر الله عزّ وجلّ من أعظم الأسباب لقسوة القلب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتُونَكَ بِاللَّيْلِ وَمِنَ النَّهَارِ وَمَوَاقِفِ كَثِيرٍ قُلُوبُهُمْ غَافِلَةٌ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُّسْتَضِعُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، يُعاتب الله عباده من أهل الإيمان على عدم خشوع قلوبهم لتذكير الله لهم - من باب إضافة المصدر إلى فاعله - بمواعظه الكونيّة التي يُريهم إيّاها في أنفسهم وفي الآفاق، وكذا المواظ الشرعيّة التي نزل بها القرآن، وأن يجتهدوا على أنفسهم بذكرهم لله تعالى باللّسان والقلب والفعل - من باب إضافة المصدر إلى مفعوله -، ويُجذّهم من أن يكون حالهم كحال من سبقهم من أمم أهل الكتاب الذين بُعد بهم الزّمن عن أنبيائهم، وتركوا ذكر الله تعالى والعمل بشرائعه، فقست قلوبهم، ولذلك جاء بعدها قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]، فضرب لهم مثلا حسيّا بقدرته تعالى على إحياء قلوبهم بعد قسوتها، بإحيائه للأرض بعد موتها وصلابتها، فيمكن أن تزول عن القلب قسوته ويعود إلى طبيعته إذا اجتهد عليه صاحبه بذكر الله، كما يُمكن أن تعود الأرض الجذباء القاحلة إلى الإنبات إذا سُقيت المطر واعثني بها، أو أنّ الله وعظهم بهذا المثال ليبيّن لهم قدرته على إحيائهم وبعثهم للحساب والجزاء، والانتباه لهذا والاستعداد له بالعمل الصّالح من أعظم ما يُذهب قسوة القلب<sup>(2)</sup>.

وعلى رأس الأعمال الصّالحة التي تُذهب قسوة القلب عن المؤمن تأمّل معاني القرآن، وبذلك يزداد انشراحا وسعادة وتبصّرا بالحقائق، وأمّا قلوب أهل الكفر والجحود فيزيدهم قسوة وشقاوة وضلالا عن الحقّ علما وعملا، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ قَوْلٌ لِّلَّذِينَ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لَيِّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٢٣] الله نزل أحسن الحديث كنبأ متشبهها متّاني نقشعُر

(1) ولم أجد من أسنده، وقد ذكره غير واحد من أهل العلم. [يُنظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ، تفسير القرآن العظيم، (204/7)؛ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، (297/2)].

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (461-460/29)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التّفسير، (207-206/5).

مَنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿ [الزمر: ٢٢-٢٣] الآية، (من) في قوله (للقاسية من ذكر الله) تحتل أهما في محل (عن) الدالة على المجاوزة والمفارقة، فيكون المعنى: أن قلوبهم قست جزاء الإعراض عن ذكر الله، أو أهما تعليلية، وإنما ضمّن وصف القاسية معنى النفور والاشتمزاز فعُدّي بحرفه، أي فويل للنّافرة المشمّزة قلوبهم من ذكر الله، وفي الوقت نفسه فسماعها لذكر الله هو سبب قسوتها، والقرآن كما أنه سبب لأن تقشعرّ منه جلود الذين آمنوا، ثمّ تلين قلوبهم وجلودهم لذكر الله، فكذلك هو نفسه سبب لقسوة قلوب الكافرين، لأنّ السبب الواحد يختلف تأثيره باختلاف قابلية المحلّ، كما جاء في الآية الأخرى: ﴿ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ [الزمر: ٤٥] (1).

وكما أنّ ليونة قلب المؤمن تُوهله للانتفاع بمواعظ الله تعالى وتصرفاته في الكون، كما حكي أنس -رضي الله عنه-: «كانت الريح الشديدة إذا هبت، عُرفَ ذلك في وجه النبي -صلى الله عليه وسلم-» (2)، فإنّ قسوة القلب في المقابل مانع يمنع من الانتفاع بمواعظ الله عزّ وجلّ الكونية من البأس الذي يُنزله بعباده رحمة بهم لينبّههم من رقدتهم، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأنعام: ٤٣].

وهذه القسوة لا تجعل القلب قويا كما قد يتوهم، بل إنّها تُضعف قوّته وإرادته، وتجعل صاحبه مُتصلبا لا يملك مرونة يتكيف بها مع الظروف فيقع في الشقاق والنزاع مع ما ينفعه، قال ابن تيمية: «وقوة القلب المحموده غير قسوته المدمومة فإنه ينبغي أن يكون قويا من غير عنف وليّنا من غير ضعف. وفي الأثر: «القلوب آنية الله في أرضه فأحبّها إلى الله أصلبها وأرقها وأصفاها» (3)، وهذا كاليد فإنها قويّة ليّنة بخلاف ما يقسو من العقب فإنه يابس لا لين فيه وإن كان فيه قوة» (4)، كما أنّها تجعل القلب فريسة سهلة لتزيين وفتنة الشيطان، قال تعالى: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (381/23-382).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (32/2) برقم: (1034) (كتاب الاستسقاء، باب إذا هبت الريح).

(3) والأثر بهذا اللفظ لم أجده في كتب الحديث، ولكن أخرجه الخرائطي في "اعتلال القلوب" (18/1) برقم: (9)، (باب الرغبة إلى الله عز وجل بإصلاح ما فسد من القلوب)، عن ثور بن يزيد بلفظ: «إن الله تبارك وتعالى في الأرض آنية، فأحبّها إليه ما صفا منها ورق، وإنّ آنية الله عزّ وجل في الأرض قلوب عباده الصالحين».

(4) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (30/7).

لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ [الحج: ٥٣]، ومع ثبوت ضعف كيد الشيطان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٧٦﴾ [النساء: ٧٦]، فإنه بذلك يتضح حجم الضعف الذي يصير إليه القلب القاسي، الذي لا يستطيع به مواجهة الضعفاء، فكيف بمواجهة الأقوياء.

(ب) الغلظة: ونظير القسوة الغلظة في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فجعل الله عزَّ وجلَّ قلب نبيه -صلى الله عليه وسلم- ليِّناً، وأخبر أنه بسبب هذه الرحمة منه سبحانه التي ألان بها قلبه أقبل الناس على أتباع دعوة الحق التي جاء بها، ونفى عنه ضد ذلك، وهو غلظة القلب، ويبيِّن أنَّ غلظة القلب يترتب عليها نفور النَّاس من حول من هذا حاله، ثمَّ أمره بما يحفظ به هذا الاجتماع على الحق، وهو أن يعفو عنهم ويستغفر لهم ويُشاورهم في الأمر، وهذا يُبيِّن أنَّ المسلم -لا سيَّما الداعية، وإن كان كلُّ مسلم هو داعية بفعاله- من أعظم الوسائل التي يحتاجها لأن يكون صاحب روابط اجتماعية قوية، لا بُدَّ أن يحرص على لين قلبه بذكر الله، والذي سيترجم فيما بعد في لين تعامله بالعفو والمشاورة والتروِّي في الأمور، وذلك أدعى لاجتماع كلمة المسلمين على الحق.

وهذا يُبيِّن من جهة أخرى أنَّ من الأدوية لداء قسوة القلب في الوحي الكريم وغلظته هو العفو عن الناس، سواء من جهة مداواة الشخص لقسوة قلبه كما الآية الأخيرة، والتي فيها أمر الله لنبيه بالعفو عن الناس، ومن جهة مداواة الشخص الآخر قاسي القلب ولذلك حُتِمت آية المائة المتقدمة ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] بقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [المائدة: ١٣] وكذلك آية آل عمران جاء الأمر بالعفو بعد ذكر لين القلب وغلظته، قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهذا قد ثبت عملياً من هديه -صلى الله عليه وسلم- غير مرَّة، ومن الأمثلة على ذلك ما حصل مع ثمامة -رضي الله عنه-، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ما عندك يا ثمامة، فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال، فسئل منه ما شئت حتى كان الغد،...فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة، فقال: عندي ما قلت لك، فقال:

أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نجل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي،...» الحديث<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: غلاف القلب.

وجاء بيان ذلك في ثمانية ألفاظ، وهي الرّان والغلف والأكنة والختم والطّبع والأقفال والشّد والغمرة.

والنصوص الواردة في هذه الأوصاف يُصدّق بعضها بعضاً، ويُفسّر بعضها بعضاً، ولذلك نجد غير واحد من المفسّرين يُفسّر الختم بالطّبع والأكنة والرّين<sup>(2)</sup>، والذي يظهر أنّها كلّها ترجع إلى معنى واحد، وهو: حجب القلب عن الفهم لآيات الله الكونية والشّرعيّة، بما يُفضي إلى عدم امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولكن مع ذلك فهي مُتفاوتة في الدلالة على شدّة هذا الحجاب وقوّته، فالرّان الذي على قلب المنافق ليس كالذي على قلب الكافر، وهذا الأخير ليس كالذي على قلب الفاسق من أهل الإسلام، كما أنّ كلاً من الكُفر والفسق ليسا على درجة واحدة، وإتّما هُما دركات بعضها تحت بعض، ولذلك جاءت هذه الألفاظ على مراتب، فعن مجاهد قال: «الرّان أيسر من الطّبع، والطّبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشدّ ذلك كُله»<sup>(3)</sup>. والذي يظهر أنّ الختم أخو الطّبع وفي مرتبته لأنّ كليهما - في الحسّ - يُوضعان على الرّسائل والكتب بعد وجود الظرف والغلاف، والأكنة والأغلفة مرحلة سابقة على وجود الختم والطّبع لاحقة على وجود الرّان، والشّد كالأقفال وإتّما كانت الأقفال هي أشدّ من الختم لأنّ الختم في الحسّ يكون على الكتب والرّسائل ويُمكن فضّه بسهولة من غير صاحب الرّسالة، على خلاف القفل الذي يكون عادة في الحسّ على الأبواب، ويصعب فضّه من غير صاحب البيت أو المخزن.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (99/1) برقم: (462) (كتاب الصلاة، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد)؛ ومسلم في "صحيحه" (158/5) برقم: (1764) (كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه).  
(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (258/1)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (294/2)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (254/2).  
(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (259/1).

أ) الرّان: وأمّا طريقة تشكّل الرّان على القلوب، فإنّما يكون بتوالي أثر الدُّنوب على القلب، ولا يُمكن أن يُدرك ذلك بالحواسّ، وقد مثل النّبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك التشكّل الرُّوحي المعنوي لآثار الدُّنوب على قلب الفاجر وآثار الطّاعات على قلب المؤمن، بمثال حِسِّي من باب التّفريب، قال -صلى الله عليه وسلم-: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأبى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأبى قلب أنكرها نُكيت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصّفاء، فلا تضُرّه فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرَبّادًا كالكوز، مُجْحِيًّا لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه»<sup>(1)</sup>.

وقد جاء ذكر الرّان في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، ومادّة الرّين تدلُّ على غطاء وستر<sup>(2)</sup>، ومنه: الصدأ الذي يعلو حديد السيف والمرآة، فأخبر الله أنّ ما كسبوه من الدُّنوب أحاط بقلوبهم وارتفع عليها حتّى غطّأها وحجبها عن الانتفاع بالقرآن، وأثر ذلك عليهم حتّى لم يقووا على أن يفتحوا آذانهم لتدبّر القرآن ووصفوه بأنّه أساطير الأوّلين<sup>(3)</sup>، وكما أنّ قلوبهم حُجبت في الدُّنيا عن الله وتوحيده وتصديق رسله واتباع شرعه، سُحِبَ أبصارهم في الآخرة عن رؤيته، ولذلك أردفها سبحانه بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]<sup>(4)</sup>.

ب) الغُلف: وجاء وصف الأغلف، في موضعين: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]؛ [النساء: ١٥٥]، وفيها قراءتان؛ الأولى (وهي قراءة الجمهور): غُلف -على وزن حُمُر- جمع أغلف، بمعنى: قلوبهم موضوعة في غلاف، وعلى هذا المعنى قال ابن عبّاس -رضي الله عنها- تارة: أي في أكنة، وقال تارة: هي المطبوع عليها، وقال ابن زيد: أي لا يخلص -بمعنى لا ينفذ- إليها شيء ممّا تقول -أيّها النبي-. والثّانية (قراءة الحسن): غُلف -على وزن كُتِب- جمع غِلاف، بمعنى أنّها أوعية

(1) تقدّم تحريجه، (ص: 92).

(2) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (470/2).

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (287/24)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (199/30).

(4) يُنظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: قسم التّصحیح بدائرة المعارف العثمانية، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة-مصر، 1404هـ-1984م. (324/21).

للعلم، وهي قراءة وصفها الطبري بالشذوذ<sup>(1)</sup>. فالقراءة الأولى هي الصحيحة الثابتة، ولكن لا شك أن اليهود معروفون بالمكابرة، وهم ليسوا حمقى حتى يذموا أنفسهم، ولذلك لا بُدَّ أن يكون مقصودهم مدح أنفسهم، وأقرب معنى يُمكن أن نحمل عليه مقصودهم بقولهم: (قلوبنا غُلف)، أمَّا محفوظة عن الضَّلالات والخُرافات، وهذا على حسب أوهامهم الكاسدة، وذلك من شأنه التهكم بالنبي -صلى الله عليه وسلم- كما هو دأبهم، كما أن السياق يُؤيِّده، لأنَّ الجملة التي بعدها فيها ردُّ عليهم ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨]، فأبعدهم الله عن رحمته لطويبتهم الخبيثة، وحرَمهم من التبصُّر بدلائل الحقِّ، أو أنهم أرادوا في الوقت نفسه من جهة أخرى إقالة أنفسهم من المؤاخذة بإيهام غيرهم أنَّ قلوبهم غير مؤهَّلة للفهم عن الله، وإلَّا فالواقع أنَّ قلوبهم محجوبة عن الحقيقة والحكمة، وهم مؤاخذون بذلك مسئولون أمام الله تعالى عن ذلك، لأنَّ الله أعطاهم عقولا كسائر المكلِّفين، ثمَّ كنهم من إدراك الحقِّ لولا مكابرتهم وعنادهم<sup>(2)</sup>.

(ج) الأَكِنَّة: وأمَّا الأَكِنَّة فهي جمع كِنان، وهو الغطاء، وارتبط ذكرها دائما بوجود الوقر في الأسماع، ودائما يترتب عليها المنع من فقه القرآن، وذلك راجع لشدَّة عنادهم للحقِّ ومجادلتهم بالباطل، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقد جاء عن ابن عباس أنَّ جماعة من المشركين وهم: أبو سفيان بن حرب، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأمّية وأبيُّ ابنا خلف، اجتمعوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يستمعون القرآن فلما سمعوه قالوا للنضر: ما يقول محمد فقال: والذي جعلها بيته (يعني الكعبة) ما أدري ما يقول إلا أنِّي أرى تحرك شفثيه فما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية. وكان النضر كثير القصص عن القرون الأولى. ورُوي أن أبا سفيان قال لهم: إني لأراه حقا. فقال له أبو جهل: كلا. فأنزل الله هذه الآية. وقد نفع الله أبا سفيان بن حرب بكلمته هذه، فأسلم هو دونهم وقد مات المسمون كلهم على الشرك ما عدا أبا سفيان فإنه شهد حينئذ بأن ما سمعه حق، ولذلك لم يُجعل الكِنان على قلبه كما جعل على قلوبهم،

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (2/324-328)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (1/86).

(2) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (1/599-600).

لأنه أقرَّ بأنَّ ما جاء به النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- حقٌّ. والوَقْر هو الصَّمَم، وليس المراد نفي إدراكهم للأصوات، ولكن المراد نفي انتفاعهم بأسماعهم، فنزلَ عدم انتفاعهم بها منزلة انعدامها، ولشدة عنادهم وتمردهم أتهم إذا جاءوك مجادلين لم يكتفوا بعدم الإيمان، بل يتهمونك أنك تقصُّ عليهم الخرافات والأباطيل التي سطرَّتها الأمم السابقة في كتبهم<sup>(1)</sup>.

ومن نتائج الأكنة ومؤشراتها، النفور عن توحيد الله تعالى وتعظيمه وذمِّ الشُّرك به، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ آذَانِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦] (2).

ومن أسباب الأكنة: التَّهاون بآيات القرآن، والإعراض عن النَّظر والتدبُّر في آيات الله الكونيَّة والشَّرعيَّة، وترك مُحاسبة النَّفس على ما اقترفته من الآثام، وما فرطت فيه من شكر النِّعم بِنكرانها ونسبتها لغير المتفضِّل بها سبحانه وتعالى، فكان الجزاء أن حُرِّموا الانتفاع من أعظم النِّعم وهي نعمة العقل والفهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُنَا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧] (3)، والعجيب في أمر هؤلاء الذين ضُربت على قلوبهم الأكنة من المشركين الذين بُعث فيهم النَّبي -صلى الله عليه وسلم-، أتهم لما وقفوا على هذه الآيات التي تُشخِّص حالهم، رغم ادِّعائهم للعقل والحكمة، لم يذُهم ذلك على التَّفطيش في حالهم ومراجعة أنفسهم، بل أعرضوا استخفافاً وعداوة. فحكى الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِي آذَانِنَا وَقَرٌّ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلًا﴾ [فصلت: ٥] (4).

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (306-305/11)؛ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، (ص: 214)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (124-123/2)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (180-179/7).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (459/17)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (351/20).

(3) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (93/3)؛ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (45/7).

(4) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (429-428/21)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (233/24).

(د) الختم: وأمّا الختم، فقد ورد كوصف لقلب الكافر، وعلة لعدم انتفاعه بالإندار ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ختم الله على قلوبهم ﴿البقرة: ٦-٧﴾ الآية، والكفر أصله التغطية والستر، فالكافر قد وصل الرآن المتراكم على قلبه -جرأ كبره وعناده- إلى مراحل متقدمة حتى غطى على قلبه، فعاقبه الله بأن أحكم غلقه فحتم على هذا الغطاء المعنوي، فلن ينفذ إليه الإيمان ولن يصل إلى الحق رغم دلائله البيّنة الكثيرة، إلا أن يشاء الله تعالى بفضله وكرمه فض ذلك الخاتم بأن يهديه للإسلام وهو مع ذلك مخاطب مكلف بأحكام الشريعة<sup>(1)</sup>.

وكما جاء جعل الختم -في الآية السابقة- على وظيفة القلب المعنوية الرّوحيّة والتي بها يصل الإنسان إلى الإيمان عن طريق الانتفاع بالتأمل في آيات الله الكونيّة والشّرعيّة، ومن ختم على قلبه بهذا المعنى لا يزول عقله الطّبعي الغرزي الذي به يُكون مكلفاً، وأمّا يزول عقله الاختياري الكسبي. ففي المقابل قد جاء أنّ الختم قد يكون على الجانب الفكري الإدراكي من القلب، والختم على هذا الجانب يعني الجنون وتعطيل ملكة الفكر والإدراك، كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٢٤)</sup> [الشورى: ٢٤]، والسياق يقتضي أنّ ما بعد الجملة الأولى فيه إبطال لدعواهم بافترائه -صلى الله عليه وسلم وحاشاه- على الله الكذب، ووجهه: أنّ الله لو شاء -وهو القادر الذي لا يعز عليه شيء- لأطبق على قلبك وسلبك وظيفته -وهي العقل-، فتتعطل ملكة الفكر عندك فلا تستطيع أن تُفكر في الكذب عليه فضلاً على أن تكذب عليه فعلاً، وبعدها يمّح ما افتريته عليه ويثبت الحق، وهذا هو الأنسب للسياق، ويؤيد هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ﴾<sup>(٤٤)</sup> لأخذنا منه باليمين<sup>(٤٥)</sup> ثم لقطعنا منه الوتين<sup>(٤٦)</sup> [الحاقة: ٤٤ - ٤٦]<sup>(2)</sup>، وحمل الرّازي الختم هنا على معنى الختم على قلوب الكفار بأن يجعله الله بمشيئته من المختوم على قلوبهم حتى يفترى عليه الكذب، لأنّه لا يفترى الكذب إلا من ختم على قلبه، وهذا فيه تذكير منه سبحانه بنعمته عليه بأن شرح صدره للحق ولم يختم على قلبه

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (1/258-262)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (2/292)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (1/30)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (1/254)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (1/45).

(2) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (25/86).



كالكفار، وردُّ على من اتَّهمه بالافتراء على الله، ونظر مجاهد ومقاتل والرَّجاج إلى أنَّ تفسير الختم على قلبه -صلى الله عليه وسلم- لا بُدَّ أن يُراعى فيه معنى يتناسب مع النبوة، ففسَّروه بالرَّبط على قلبه حتَّى يصير فلا يلتفت إلى اتِّهاماتهم الباطلة، ولكنَّه لا يتناسب مع السِّياق<sup>(1)</sup>.

وجاء إطلاقه بهذا المعنى الثَّاني -هو سلب ملكة العقل الغرزي الذي به الإدراك- في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمَنْ يَصِدْقُونَ ﴿٤٦﴾ [الأنعام: ٤٦]، والخطاب هنا للكفار، وقد تقدَّم أنَّه ختم على قلوبهم، والختم لا يكون على شيء محتوم من نفس الجهة، لأنَّه يكون تحصيلاً لحاصل، وهذا مما يدل على أن الختم هنا ليس نازلاً على البعد المعنوي، وإنما على البعد الوظيفي، وهو التعقُّل والإدراك والفهم<sup>(2)</sup>.

**هـ) الطَّبَعُ:** وأقرب الأوصاف من وصف الختم الطَّبَعُ<sup>(3)</sup>، ولكنَّه يدلُّ أكثر على الثَّبات، والختم يدلُّ على الانتهاء، فالإنسان إذا تَمَادى في المعاصي واستكبر عن الإذعان للحقِّ فإنَّه يصل إلى درجة بحيث يختم الله على قلبه، فيصير ذلك سجيَّة وطبعاً له، بعد ما كان تطبُّعاً، وعلى نسق النصوص الواردة في وصف القسوة حيث بيَّنت أسباب ونتائج القسوة، جاءت النصوص التي ذكرت وصف الطَّبَعِ.

وأَسباب الطَّبَعِ في مجملها هي الإصرار على المعاصي والاستكبار عن الحقِّ، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ [الأعراف: ١٠٠]، ولكن جاء التَّنصيص على بعض المعاصي بعينها، وما ذلك إلا لأنَّ خصوص هذه المعاصي له تأثير أعظم من غيره في الطَّبَعِ على القلب.

(1) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (596/27)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (65/4)؛ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (367/8).

(2) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (233/7)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (134/2).

(3) يقول ابن فارس: «الطاء والباء والعين أصل صحيح، وهو مثل على نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها، يقال: طبعت على الشيء طابعاً. ثم يقال على هذا: طبع الإنسان وسجيته. ومن ذلك طبع الله على قلب الكافر، كأنه ختم عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور، فلا يوفق لخير». [أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (438/3)].



والسلام-، واستفصال المؤمنين عمّا فهموه حيطة وحذرا من انكشاف أمرهم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ ﴾ [محمد: ١٦]، واتفق المفسرون على أنّ هذه الآية نزلت في جماعة من المنافقين كابي بن سلول والحارث بن عمرو وزيد بن الصلت، حيث كانوا يحضرون مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم- ويظهرون الاهتمام لما يقوله النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإذا خرجوا من ذلك بدأوا في تشكيكهم لأهل العلم من الصحابة كابن عباس وابن مسعود وغيرهم -رضي الله عنهم-، وهذا الطبع على القلب، حرموا به عن اتباع الحق، فلجأوا إلى اتباع الأهواء المتفرقة المختلفة<sup>(1)</sup>.

ومن أسباب الطبع على القلب: التّكذيب بالدلائل البيّنات من المعجزات والحقائق التي يأتي بها الرّسل الدالة على صدق نبوتهم، قال تعالى في حقّ الرّسل -عليهم السّلام- عموماً: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ ۚ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكِ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ۗ ﴾ [يونس: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكِ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ۗ ﴾ [الأعراف: ١٠١]، وقال سبحانه في حقّ خاتمهم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَٰئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۗ ﴾ [الروم: ٥٨-٥٩].

ومن أسبابه: التّكبر على الله بترك توحيده واتباع رسله، والتجبر وهو التعاضم على الحقّ، والجِدال بغير علم، وقد جمعت كلّها في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكِ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۗ ﴾ [غافر: ٣٥]، وهذه قراءة الجمهور بإضافة قلب إلى متكبر، والمعنى: أنّ الله يطبع على قلب كلّ شخص فيه هاتان الصّفتان المذمومتان في المخلوق، الممدوحتان في حقّ الخالق الخاصّتان به، فعن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يحكي عن الله جل وعلا، قال: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (169/22-170)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (118/4)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (98/26-100).

واحدة منهما، قذفته في النار»<sup>(1)</sup>، وقراءة أبي عمرو وابن مُحَيِّص: (على كُلِّ قلبٍ مُتَكَبِّرٍ...) بتنوين قلب وقطعه عن الإضافة إلى مُتَكَبِّرٍ، فيصير (متكَبِّرٌ جَبَّارٌ) صفتين للقلب، فيكون المعنى: أَنَّ الله يطبع على كُلِّ قلب فيه هاتان الصِّفَتان، باعتبار أَنَّ حقيقة الإنسان هي قلبه، إذ هو ملك الجوارح وهي رعاياه<sup>(2)</sup>.

(و) الأقفال: وأقصى تلك الأوصاف الدالَّة على حجب القلب: الأقفال، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِّاتِ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، وهذا صريح أَنَّ هذه الأقفال قد أحكمت الإغلاق على قلوبهم، تنزيلاً للقلوب منزلة البيوت أو الصناديق، حتَّى لم يُمكنها تفهيم معاني القرآن، والآية نزلت في المنافقين الذين كانوا ينشغلون بالترُّص بأهل الإيمان، فهلَّ شغلوا بِالْهَم بنفهم وتبَّع ما تُؤدِّيه آي القرآن من البراهين والحجج، حتَّى يذهب ما في قلوبهم من الرِّيب، ويتأمَّلوا ما فيها من المواعظ فيرجعوا عمَّا هم فيه من الضَّلَال، ويتَّبِعوا ما جاء به الوحي من الهدى فيسعدوا في الدَّارين، والاستفهام في الآية للإنكار عليهم والتعجُّب من حالهم، و(أم) للإضراب الانتقالي عمَّا قبله من صفتهم ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٣]، وهذا يُفيد أَنَّ الأقفال أشدُّ من العمى والصَّمم، كما أَنَّ تقديم الخبر (على قلوب) على المبتدأ (أقفالها) المؤخَّر وُجوباً<sup>(3)</sup>، يُفيد اختصاص الأقفال بقلوب من هذه أحواله<sup>(1)</sup>، والتي ذُكرت في السِّياق الكريم، وهي

(1) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (35/2) برقم: (328) (كتاب البر والإحسان، ذكر الإخبار بأن من تقرب إلى الله قدر شبر أو ذراع بالطاعة كانت الوسائل والمغفرة أقرب منه بباع)؛ والحاكم في "مستدرکه" (61/1) برقم: (203) (كتاب الإيمان، أهل الجنة المغلوبون الضعفاء وأهل النار كل جعظري جواظ مستكبر)؛ وأبو داود في "سننه" (102/4) برقم: (4090) (كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر)؛ وابن ماجه في "سننه" (272/5) برقم: (4174) (أبواب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع). وهذا الحديث يرويه عطاء بن السائب، واختلف عنه الثَّوابة، فمنهم من رواه عنه عن الأغر عن أبي هريرة، وهذا هو الصَّحيح الثابت، ومنهم من رواه عنه عن الأغر عن أبي سعيد، ومنهم من رواه عنه عن أبيه، عن أبي هريرة. [يُنظر: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، (291/8)؛ محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: 541، (79/2)].

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (384/21)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (513-514/27)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرِّواية والدِّراية من علم التفسير، (564/4).

(3) وعِلَّة وجوب تأخير المبتدأ عن الخبر في الآية الكريمة، هي: اشتماله على ضمير يعود على الخبر، لقول ابن مالك: كذا إذا عاد عليه مُضمَّرٌ بِمَّا به عنه مُبيناً يُخبر. [ابن مالك أبو عبد الله جمال الدِّين الأندلسي، متن ألفيَّة ابن مالك في النَّحو والصِّرف، (ص:28)].

كالتالي: الشك في الدين وهو الباعث على الخوف من قتال المشركين، والإفساد في الأرض، وتقطيع الأرحام، والارتداد عن الهدى بعدما تبين لهم، وطاعة من يكره ما نزله الله على نبيه -عليه الصلاة والسلام- من الوحي<sup>(2)</sup>.

(ز) الشد: وأمّا وصف الشد، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]، وهذا دُعاء من موسى -عليه السلام- على فرعون وقومه، بعد ما أعطاهم الله تعالى ما أعطاهم من النعم ليبتليهم بها، فكفر فرعون نعمة الله وادّعى الرُبوبية، وأذاق من آمن مع موسى ألوانا من العذاب فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، وذبح أبناءهم، فدعا موسى -عليه السلام- عليه وعلى من تبعه بأن يُحكّم الله ويشدّ على قلوبهم، حتّى لا يخلص إليها إيمان، فيموتوا على الكُفر ويذوقوا من عذاب الله الأليم، مثلما عدّبو عباده، وفي هذا دليل على أنّ كُفران النعمة قولاً وعملاً من أعظم أسباب الإقفال على القلب<sup>(3)</sup>.

(ك) الغمرة: وأمّا وصف الغمرة، فالمعنى الذي ترجع إليه استعمالات هذا اللفظ في اللغة كما في القرآن، هو: التغطية بشدة<sup>(4)</sup>، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٣]، أي أنّ وظيفة قلوبهم الحقيقية وهي التدبّر والتعمّل قد غمرها وسترها شركهم واستكبارهم عن الحقّ وما دون ذلك ممّا يرتكبونه من المعاصي، حيث غطّى كل ذلك قلوبهم ومنعها من النفع الذي جعله الله تعالى في آيات القرآن لتنوير العقل وترشيده بما

=

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (179/22)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (120/4)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (113/26-114)؛ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 788)؛ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، (220/9).

(2) يُنظر: سورة مُحَمَّد، من الآية: 21، إلى الآية: 27.

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (179/15، 181).

(4) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (392/4-393)؛ الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 614)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (160/2).

تضمّنته آياته من الحُجج والمواعظ، والتي انتفع بها أهل الإيمان، والذين مدحهم الله قبل ذلك ببضع آيات بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المؤمنون: ٥٨] (1).

#### رابعاً: ميل القلب.

الفاظ ترجع إلى وصف القلب بمفردات ترجع إلى معنى الميل، وهي ثلاثة: الزبغ والصغو، واللّهو.

أ) الزبغ: والزبغ هو الميل (2)، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧] الآية، فبعدما أخبر الله تعالى أنّ آيات القرآن العظيم على نوعين: محكم ومتشابه، وإن كان كُله محكم باعتبار إتقانه كما وصفه سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١]، وكُله متشابه باعتبار أنّ بعضه يُشبهه ويُصدّق بعضه الآخر كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، والمراد هنا بالمحكم: الواضح البيّن الذي لا يفتقر في بيانه إلى غيره، وضد ذلك المتشابه، وهو: الذي خفي معناه، ويحتاج في بيان معناه إلى ردّه للمحكم، ولذلك جعل المحكمات هي الأمّ، والأُم هي الأصل الذي يكون منه الشّيء، وسمّيت المحكمات بذلك لأنّ منها يكون فهم المتشابهات، وفي هذا الوصف تنصيص على الطّريقة الصّحيحة للتّعامل مع المتشابه، وذلك برّد المتشابه إلى المحكم، حتّى يُصدّق بعضه بعضاً، ولا يحصل التّعارض بين آياته، ثمّ ذكّر عن الذين يتركون هذا السبيل ويلجئون إلى تتبّع المتشابه ويتركون المحكم، ويبيّن أنّ الذي حملهم على ذلك هو وجود الزبغ في قلوبهم، وفي المراد بالزبغ قولان: الأوّل: الميل عن الهدى (محمد بن جعفر). والثاني: الشكّ (ابن مسعود وابن عبّاس ومجاهد). والشكّ في أنّ القرآن حقّ هو المفضي إلى تفحص مواضع الاشتباه بحثاً عن أخطاء وتناقضات، وهذا التتبّع للمتشابه هو في الوقت نفسه ميل عن الطّريق الحقّ في التّعامل مع المتشابه، إذ إنّ فيه تركاً لردّه إلى المحكم. وما هذا الزبغ الذي في قلوبهم إلّا لفساد

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (48/19)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (579/3).

(2) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (40/3)؛ الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 387).

قصدهم وسوء نيتهم، حيث إنهم يتتبعون هذا المتشابه ابتغاء إحداث الفتن بإلقاء المقالات والشبه الفاسدة للتفرقة بين المسلمين وإضعاف قوتهم، وزعزعة يقينهم حتى يؤول منهم من يؤول إلى الكفر والإلحاد، ولهم مقصد آخر هو كالوسيلة والآلة للمقصد الأول، وهو: ابتغاء تأويله بتفسير هذا المتشابه غير الواضح، والذي بعضه يحتمل أكثر من معنى ووجه، فيؤججهونه ويشرحونه بعيدا عن المحكمات على وفق أهوائهم وأوهامهم حتى يضلوا ضِعاف العلم وعوام المسلمين<sup>(1)</sup>، ولذلك حذر منهم نبينا -صلى الله عليه وسلم-، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية -وذكرتها- ثم قال: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم»<sup>(2)</sup>.

وبذلك يظهر أن هذا الرُكام من الشك وسوء النيّة والقصد هو السبب في إحداث الزيغ في قلوبهم فمالت إلى الباطل، وأن خطر هذا الزيغ لا يتوقف على الشخص نفسه، بل إنه سيمتد في جذور المجتمع الإسلامي ويعيث في عقائد أبنائه خرابا، وإذا مال أبناء الأمة الإسلامية عن الطريق الذي رسمه لهم الوحي، صاروا أحزبا وفرقا متنازعة، فحينها يفشلوا وتذهب ريجهم في شتى المجالات. وخطر هذا الزيغ القلبي على دين المرء، فإن الله تعالى علم عباده أن يدعونه دائما بأن يخلص قلوبهم من الزيغ ويثبتها على سلوك سبيل الهدى، ولذلك قال تعالى في الآية بعدها: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨].

وهذا الزيغ يشتد إذا أصرَّ صاحبه على معاداة أهل الحق من أنبياء الله وأتباعهم، والعمل على إلحاق الأذى بهم، لا سيما إذا وقف على دلائل نبوتهم وشاهدها، كما حصل من اليهود مع موسى -عليه السلام-، وكما حصل من المنافقين مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: ﴿وَأِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (183/6-186)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (138/7-143)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (258/1-260)؛ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 122).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (33/6) برقم: (4547) (كتاب تفسير القرآن، باب: منه آيات محكمات)؛ ومسلم في "صحيحه" (56/8) برقم: (2665) (كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن).

﴿ [الصف: ٥ الآية] <sup>(1)</sup>، والعجيب أنَّ الرُّسُلَ إِنَّمَا جَاءُوا لَهْدَايَةِ النَّاسِ وَنَفَعَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْمَسْتَوِيَّاتِ، فعلى المستوى المعرفي يُخرجون النَّاسَ مِنَ الْأَوْهَامِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، ويعملون على تنقية فِطْرِ النَّاسِ مِمَّا دَاخَلَهَا مِنَ الْأَنْحِرَافَاتِ، والإجابة عن قضايا الوجود، ما هو أصل الموجودات؟ ومتى وكيف وُجِدَتْ؟ وما هي الغاية منها؟ وإلى ما يصير كلُّ واحد بعد الموت؟ وكذلك يُصَحِّحُونَ الْعُقَائِدَ وَالْمَفَاهِيمَ وَيُثَبِّتُونَهَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْجَانِبِ الْغَيْبِيِّ، وعلى المستوى السلوكي العملي فَإِنَّهُمْ يُجَلِّونَ لِلنَّاسِ الطَّيِّبَاتِ وَيُجَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ كُلَّ خَبِيثٍ، ويأمرون بكلِّ فيه مصلحة وينهون عن كُلِّ ما فيه مضرة، فمعاداتهم وإذابتهم والاستكبار على الدلائل الواضحة النَّاطِقَةُ بِصَدَقَتِهِمْ وَمُخَالَفَةُ هَدْيِهِمْ مَعَ الْعِلْمِ أَتَمُّ إِتْمَانًا جَاءُوا لِنَفْعِ النَّاسِ، ميل عمَّا يجب أن يُقابِلُوا بِهِ مِنَ الْإِتِّبَاعِ، وهذه المِكَابِرَةُ عَلَى الْحَقِّ مِمَّا تَزِيدُ قَلْبَ فَاعِلِهَا زَيْغًا وَابْتِعَادًا عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِمْ.

وهذا فيه أنَّ الجَانِبَ السُّلُوكِيَّ يُؤَثِّرُ عَلَى الْجَانِبِ الْمَعْرِفِيِّ سَلْبًا وَإِجَابًا، فَلَمَّا آذَوْا أَهْلَ الْحَقِّ وَتَكَبَّرُوا عَلَيْهِمْ (هذا جانب سلوكي)، نتج عن ذلك إزاحة قلوبهم بِإِمَالَتِهَا وَإِبْعَادَهَا عَنِ إِدْرَاكِ الْحَقِّ وَالْإِذْعَانَ لَهُ (وهذا جانب معرفي). ولذلك يعصم الله تعالى قلوب من آمن بالأنبياء وَنَصَرَهُمْ عَنِ هَذَا الزَّيْغِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧ ﴾ [التوبة: ١١٧]، فلأجل ما بذله الصَّحَابَةُ مِنَ الْجِهَادِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمِنْ شِدَّةِ مَا وَجَدُوهُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، حَتَّى ذُكِرَ مِنْ شِدَّةِ جَوْعِهِمْ أَنَّ التَّمْرَةَ كَانَتْ تُشَقُّ نِصْفَيْنِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، وَمِنْ شِدَّةِ عَطَشِهِمْ آلَ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى ذَبْحِ أَبْعَرْتِهِمْ وَجِهَالِهِمْ مِنْ أَجْلِ اسْتِخْرَاجِ فَرْتِهَا وَعَصْرِهِ لِاسْتِخْرَاجِ الْمَاءِ لِلشُّرْبِ مِنْهُ، فَكَادَتْ لَذَلِكَ أَنْ تَمِيلَ قُلُوبُهُمْ عَنِ نُصْرَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَتَرْتَابَ فِي صَدَقٍ وَأَحْقِيَّةٍ دَعْوَتِهِ، فَيَنْتَكِسُوا وَيَرْتَدُّوا عَنِ دِينِهِمْ، حَتَّى اسْتَسْقَى لَهُمُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَبَّهُ فَسَقَاهُمْ، وَانْدَثَرَتْ كُلُّ تِلْكَ الْمَشَاقِّ، وَرَجَعَ الصَّحَابَةُ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَتَثْبِيتِ قُلُوبِهِمْ وَحَفْظِهَا عَنِ الزَّيْغِ <sup>(2)</sup>.

(1) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (278/4)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (177/28).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (539-541/14)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (470/2).



(ب) الصَّغْوُ: وأصله في اللُّغة هو الميل<sup>(1)</sup>، وكذا في الاستعمال القرآني<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ [التحریم: ٤]، والآية فيها خطاب وتأديب لعائشة وحفصة -رضي الله عنهما- لما تعاونوا على النبي -صلى الله عليه وسلم-، في تحريمه على نفسه إتيان جاريته مارية -رضي الله عنها- أو تحريمه على نفسه شرب العسل عند سودة -رضي الله عنها-<sup>(3)</sup>. والآية ليس فيها تصريح بالشيء الذي مالت قلوبهما إليه، ولكن سياقها فيه مقابلة بين حالين؛ إحداهما: أن يتظاهرا عليه ويقفا ضده -صلى الله عليه وسلم-، وهذه حال مذمومة. والثانية: أن يتوبا إلى الله، وهذه حال محمودة. ورغم أن عبارة (صغت قلوبكما) قد جاءت في ضمن الحال الثانية، إلا أنه يحتمل هل ميل قلوبهما هو نتيجة أم سبب للتوبة، إذا كان سببا فالذي يُوجب التوبة في هذا السياق هو سوء المعاشرة بمنع النبي -صلى الله عليه وسلم- على نفسه بعض حقه الذي أباحه الله له، أو هو محبتهما لما كرهه الرسول -صلى الله عليه وسلم- من اجتنابه جاريته أو شرب العسل، وإن كان نتيجة فالنتيجة عن التوبة هي ميل القلب إلى فعل الخير ومحبة الله ورسوله. ولكن الذي يترجح هو أن ميل قلوبهما هو سبب للتوبة لأمرين: الأول: قراءة ابن مسعود، جاء عن مجاهد، قال: «كنا نرى أن قوله: (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) شيء هين، حتى سمعت قراءة ابن مسعود (إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ زَاغَتْ قُلُوبُكُمَا)»، وكذا نقل غير واحد عن ابن عباس تفسير الصغو هنا بالزيف، والثاني: كون فعل التوبة مُضارعا، وفعل صغت ماضيا مقرونا ب(قد) الدالة على التحقيق، مما يدل أن صغو قلوبهما كان سابقا على التوبة، و ذلك أليق بالسبب<sup>(4)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلِصَغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣]، قال ابن عباس: «لتميل إليه وتزيغ»، وعن ابن زيد: «ليهووا ذلك وليرضوه»، والهاء في إليه راجعة على زحرف القول في الآية قبلها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

(1) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (289/3).

(2) يُنظر: الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 485).

(3) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (306-304/4).

(4) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (484/23)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (570/30)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (356/28)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (299-298/5)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (306/4).

عَدُوَّ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام: ١١٢]، واللّام لام كي الدالّة على التعليل، وليست لام الأمر إذ لو كانت كذلك لجُزم الفعل (تصغى) بحذف حرف العلة، وحملها على ذلك الجبائي وهو من المعتزلة، حيث ذهب إلى أنّ هذا الكلام خرج مخرج الأمر ومعناه الزجر كقوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ﴾ الآية [الحج: ١٥]، ومتعلّق اللّام هو إيجاء الشياطين، والمقصود أنّ الله تعالى ابتلى وامتحان عباده من أصلح صالحهم وهم الأنبياء والرسل إلى أشدّهم كفراً بتزيين الشياطين للباطل، حتّى يتمييز المؤمن من غير المؤمن، وحتّى يستبين ما يكمن في قلب كلّ واحد بما يجنح إليه في تصرفاته وأفعاله، فتقوم عليه الحجّة بذلك، وخصّ الله تعالى هنا - من أوصاف الذين يميلون إلى تزيين الشياطين - وصف عدم الإيمان بالآخرة، إيماء إلى أنّ عدم إيمانهم بالآخرة الآجل ثوابها من أعظم الأسباب التي جعلت قلوبهم تميل إلى تزيين الشياطين للأهواء والملذّات العاجلة، مُعرضين عمّا تضمّنته هذه الزخارف العاجلة من المفساد، وما تؤول إليه من العواقب السيّئة<sup>(1)</sup>. وفي المقابل فإنّ المؤمن لإيقانه بوعد الله ووعيدة يتّقي هذه الزخارف الشيطانية وينتبه لها أشدّ الانتباه حتّى لا تفتنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

**ج) اللّهُو:** ونظير هذا الإيماء - والتمثّل في كون عدم الإيمان بالآخرة وما فيها من الحساب والجزاء سببا لصغو الفؤاد إلى هذه الزخارف - ما ذكرته آيات أخرى من أنّ لهو القلوب - وهو ميلها إلى الاشتغال بالأشياء التي لا تهّمها ولا قيمة لها عمّا يعينها ويهّمها من الأشياء ولا أهمّ من قضية الغاية من الوجود، والمسؤوليّة أمام الله تعالى بعد الموت عمّا يختاره الإنسان ويسلكه في حياته الدنّيا - يعود ليكون طبعا (سمة ثابتة في الشخصية) يمنع الإنسان عن تفهّم معاني آيات القرآن، وبالأخصّ والحال هذه تلك الآيات التي تتكلّم عن قضية البعث والحساب، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾<sup>(١)</sup> ما يأتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (58/12)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (122/13-123)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (69/2)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (175/2)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (12-11/8).

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ الأنبياء: [١-٣]، وذلك يدلُّ على أنَّ الإيمان بالبعث والحساب النَّاتج عن تدبُّر آيات القرآن وتفهُم دلائله هو الذي يكون به الإنسان منتبها ورقيا على نفسه، وبذلك يعمل على إصلاح نفسه واستقامة سلوكه<sup>(1)</sup>.

### خامسا: غيظ القلب.

وذلك في أربعة أفاظ: الغيظ، والحسرة، والضغن والغل.

(أ) **الغيظ**: وهو كرب وقلق يجده الإنسان في نفسه من إذاية غيره له<sup>(2)</sup>، وقد أمر الله عزَّ وجلَّ عباده المؤمنين بقتال من يؤذونهم من المشركين، وبين لهم أنَّ ذلك من وسائل شفاء الصِّدر وإذهاب غيظ القلب، قال تعالى: ﴿فَتَلَوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٤)</sup> وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾<sup>(3)</sup> [التوبة: ١٤-١٥].

(ب) **الحسرة**: وهي الندم والحُزن على ما فات، وأصل الحسر الكشف عن الشيء بعد ما كان مُعْطًى، كأنَّ الشَّخص انحسرت قوَّته فانكشف جزعه وقلة تحمُّله، أو انحسرت عنه غفلته فعان ما كان، وقد جاء إسناد الحسرة إلى القلب في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقَتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦] الآية، فنهى الله تعالى أهل الإيمان أن يكون شأنهم كشأن الكفار، الذين يتعلَّقون بالأسباب، وينسون مُسبِّبها سبحانه، وهذا التعلُّق بغيره سبحانه من أعظم أسباب امتلاء القلب بالحُزن والغم، حيث إنَّ هؤلاء الذين تُهي عن التشبُّه بهم أسندوا موت إخوانهم الذين خرجوا مُسافرين في الأرض للتجارة أو الغزو إلى عدم وجودهم عندهم في حياتهم وحزهم؛ فكان

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (10/17-12)؛ الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 748).

(2) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (405/4)؛ الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 619).

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (161/14)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (241/2).

هذا لوما لأنفسهم، وجلدا لذواتهم على ما ليس من شأنهم -وهو الإحياء والإماتة-، وتجرداً من التسليم بالقدر، واعتماداً على السبب، ونسياناً للمسبب جلّ وعلا، وذلك ما أوجب ندامتهم وحزهم<sup>(1)</sup>.

ولو أنهم آمنوا بالله وأنه هو الذي يُحيي ويميت، لاحتسبواهم شهداء عند الله، ولو رضوا بقدره، لاطمأنّ بهم، وفضلوا ذلك على ما يجمعونه في تجارتهم وغزوهم من متاع الدنيا الفاني، ولذلك دُيِّلت الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝١٥٧﴾ [آل عمران: ١٥٦-١٥٧].

ج) الصَّغْنُ: وهو الحقد الشديد المستور، والذي لا يُفصح صاحبه عنه، ويتمُّ التعبير عنه بطرق ملتوية عوجاء غير واضحة<sup>(2)</sup>، ولذلك تحدّى الله المنافقين بقوله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرْضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ۝٢٩﴾ [محمد: ٢٩]، يعني: أظنّ هؤلاء المنافقون الذين عندهم شكٌّ في دينهم، وضعف في يقينهم، أن لن يُبدي الله للمؤمنين ما يُضمرونه من الحقد والعداوة للمؤمنين، وقد أظهر الله أحقادهم على فلتات ألسنتهم وردود أفعالهم<sup>(3)</sup>، فمنها: المبالغة في تزيين الكلام وتنميق حججهم الباهتة حتى يُقنعوا المؤمنين بحُسن مقصدهم، فلا يظهر حقدهم ونفاقهم، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۝٣٠﴾ [محمد: ٣٠]، وكذلك فإن أقوالهم مخالفة للواقع ولأفعالهم، حيث قالوا ﴿إِنَّ بِيُوتَنَا عَوْرَةً وَمَاهِي بَعْوَرَةٍ ۝١٣﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبِرَ ۝١٥﴾ [الأحزاب: ١٥]، ثم بعدها تخلفوا يترئصون بأهل الإيمان الدوائر، يشتمون بهزيمتهم ويحزنون على عدم أخذهم للغنائم عند انتصار المسلمين لتخلفهم عنهم في الجهاد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۝٧٢﴾ وَلَئِن أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (331/7-335).

(2) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (364/3)؛ الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 509).

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (183/22)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (58/28)؛ الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 739).

اللَّهُ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ [النساء: ٧٣-٧٢].

(د) الغلُّ: وهو العداة المتخلل في القلب والثابت فيه<sup>(1)</sup>، وقد يكون دافعا على الحسد، وإلحاق الضرر بغيره، ولما كان الغلُّ مُتعبا لصاحبه، والجنة ليس فيها تعب فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقتلع من قلوب المؤمنين لدى دخولهم الجنة ما كان لبعضهم على بعض من الحقد والحسد والعداوة، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، والسِّياق واضح أنَّ هذا النزَع يكون عند دخولهم الجنة في الآخرة، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، وقيل: إنَّ هذا النزَع يكون في الدنيا، وروى عن عليٍّ -رضي الله عنه- أنَّها في أهل بدر، وعن أبي جعفر أنَّها في أبي بكر وعمر وعليٍّ -رضي الله عنهم- لما أسلموا أذهب الله ما في قلوبهم على بعض من الحقد، وذكر أبو صالح أنَّها نزلت في بعض الصحابة، والصَّحيح أنَّ هذا النزَع سيكون في الآخرة، لأنَّ السِّياق في وصف أهل الجنة وأهل النار، وحتى الصحابة وقعت بينهم خصومات بعد إسلامهم، وإمَّا جاء الفعل (نزعنا) على صيغة الماضي لأنَّ هذا النزَع يكون قبل دخولهم الجنة، حيث جاء عن ابن عبَّاس أنَّهم يشربون من عين على باب الجنة تتطهر بها قلوبهم من الغلِّ، وكذلك للتأكيد على تحقُّق وقوع هذا النزَع<sup>(2)</sup>.

ومن العلاجات الشرعيَّة ما أمر الله تعالى المسلمين به، من الدُّعاء بأن يغفر لإخوانهم جميعا من أهل الإسلام، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ويدخل في ذلك دخولا أوليًّا الصحابة لأنَّ السِّياق فيهم، ولأنَّ لهم من الفضل على من بعدهم من حفظ الشريعة والدِّفاع عن نبيِّها -صلى الله عليه وسلم- ما ليس لغيرهم.

(1) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (4/375)؛ الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 610).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (12/437-438)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (14/242-243)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (2/120-121)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (8/131).

## سادسا: كبر القلب.

ألفاظ وصفت إنكار القلب وكبره وإبائه وحميته.

أ) الإنكار: وأمّا وصف القلب بالإنكار، فقد جاء في وصف الكُفَّار الذين انتكسوا عن سواء فطرتهم، في قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٢) [النحل: ٢٢]، فبعدما بيّن الله تعالى الدلائل على تفرّده بالخلق والإنعام، بيّن أنّه هو المتفرد بالإلهية الذي لا يستحقُّ أن يُعبد سواه، فاحتجَّ الله على هؤلاء المشركين بما أقرّوا به من النعم التي أسداها إليهم وبأنّه هو الخالق المالك المدبّر ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، احتجَّ بذلك على أنّه هو المتفرد بالعبادة التي لا ينبغي أن يُحمد عليها سواه، كما لا ينبغي أن تُشرك وتتساوى طاعة غيره مع طاعته، إذ الكلُّ خلقه ونعمته. ثمَّ بيّن أنّ حقيقة عدم إيمانهم بالآخرة هو استنكار وجحود قلوبهم لقدرة الله على إحياء الموتى وبعثهم، ولحكمته في محاسبة ومجازاة عباده على أفعالهم في الدنيا فيما استخلفهم فيه من النعم. وجاء التعبير عن استنكار قلوبهم واستكبارهم عن قبول الحقِّ بجملتين اسميتين، للدلالة على أنّ ذلك قد تمكّن من نفوسهم وصار سمة ثابتة في شخصياتهم (1).

ب) الكبر: ولتهافت الكفر والإنكار أمام الدلائل السمعية والمشهودة على وحدانية الله وقدرته وحكمته، إنّما يلجئون إلى الجدال في آيات الله بغير حُجّة ولا بُرهان، وسبب ذلك هو العناد والكبر الذي يحملونه في قلوبهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيءِ آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ لِيَنفِرُوا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] الآية، وليس عندهم إلّا التشكيك والتّخمين، وذلك الكبر الذي يُكثونه في صدورهم لا يليق بقلّة علمهم ولا يتناسب وضعف بصائرهم، إذ إنّ علمهم يقتصر على ما هو مشهود، ولا علم لهم بالغيب وما يكون في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، ومن السّفه أن يتناول شخص على

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (188/17)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (555/2)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (128/14).

نفي ما لا يصل إليه علمه، فلو تواضعوا للحقّ وتخلّصوا من الكبر لأبصروا دلائل الحقّ المشهودة والمسموعة وانصاعوا لها<sup>(1)</sup>.

**ج) الحميّة:** وأمّا وصف الحميّة، وهي: ثوران القوّة الغضبيّة، وجاءت إضافتها إلى الجاهليّة تحقيرا وتشنيعا في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦]، فامتنع سهيل بن عمرو ومن معه من المشركين واستكبروا انخيازا لانتمائهم القومي، أن يُقرُّوا لله بالإلهيّة ولنبيّه بالرّسالة، حيث أبوا أن يكتبوا صفتي (الرحمن الرحيم) وصفة (رسول الله) في وثيقة صلح الحديبية، ومنعوا المؤمنين من دخول مكّة، والسبب في كلّ ذلك الحميّة التي في قلوبهم، والتي تعني الكبر والأنفة من قبول الحقّ تحيُّزا لانتماء الشّخص القومي، فدلّ ذلك أنّ جعل الأساس الذي يُعادي ويُوالي عليه الإنسان هي القوميّة، حيث يُقدّمها على الحقائق هو من السّفه ومن شأن الجاهليّة، والجهل يُطلق بمعنى غياب العلم في مقابل المعرفة، ويُطلق بمعنى فعل الشيء بخلاف ما حقّه أن يفعل به، أي في مقابل الخلق الحسن والجري على مقتضى العلم<sup>(2)</sup>، والمقصود هنا الثاني لأنهم كانوا يعلمون صدق النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وحسن شريعته، وهذا التحيُّز القومي والفخر بالحسب قد نصّ -صلى الله عليه وسلم- على أنّه من أمر الجاهليّة، في حديث: «أربع في أمّتي من أمر الجاهلية لا يتركونها: -وذكر منها- الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب»<sup>(3)</sup>، ثمّ قابل هذه الحميّة في قلوب المشركين بإنزال السكينة، وذلك دليل على أنّ المسلمين ودّوا دخول مكّة غنوة، ولكنّ الله جعل في قلوبهم أناة وثباتا، فعصمهم من مقابلة الحميّة بالغضب والانتقام، ووفّقهم لمقابلتها بالتعقّل والتثبّت، وكلّ من الحميّة والسكينة انفعال قلبي باطني، أثر فيهم بحسب كلّ منهما تأثيرا سلوكيًّا في الظاهر<sup>(4)</sup>.

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (404/21)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (173-172/24).

(2) يُنظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (23-22/2)؛ الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 209).

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (45/3) برقم: (934) (كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة).

(4) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (253-252/22)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (54/28)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (136/4)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (195-194/26).

(د) إباء القلب: وهذا الإباء ينبو بصاحبه عن صدق العشرة وصفاء المودّة، فإن ضَعْف الطَّرْف المقابل لا يُرَاعِي فيه لا عهداً ولا أمناً، وإن قوي الطرف المقابل فإنَّ صاحب الإباء يتدرَّع بوجهين أحدهما: حقيقي يُضمر البُغْض والهَمَّ بالإساءة متى ما وابت الظروف، ووجه مُزَيَّف يُظهر الشَّاء الحسن، وقد وُصف المنافقون من اليهود بذلك في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَاذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٨] الآية، يقولون ما فيه ثناء عليكم مجاملة، وما يفعلون ذلك إلا لترضوا عنهم، وإلا فقلوبهم تُخالف ذلك وتبذ محبةً الخير لكم والثقة بكم فلا تطمعوا أن يُعاهدوكم عهداً صادقاً، وقد تذرَّعوا بهذا النِّفاق إلى أن: ﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]، أي: استبدلوا بدلائل الحقِّ وحُججه وبراهينه التي تضمَّنتها آيات القرآن وشرائعه - التي من جملتها ما فيه الأمر بالوفاء بالعهود وصدق الصُّحبة والتُّبات على المواقف النبيلة الشَّرِيفة - ثمناً حقيراً، وهو ما آثروه من متاع الدنيا القليل الزَّائل بالخيانة والتلُّون، فلمَّا ابتعدوا عن سبيل الله القائم على الصِّدق وتوافق الظَّاهر مع الباطن آل بهم ذلك إلى إبعاد النَّاس وصدِّهم عنه، استبقاء لحظوظ أنفسهم وشهواتها، ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ [التوبة: ٩]، وفي المقابل فإنَّه أمر المؤمنين قبلها بالاستقامة في المعاملة والوفاء بالعهود حتَّى مع من هذا حاله، ما دام هو لم ينقض عهده وينكث يمينه، قال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]<sup>(1)</sup>، وبهذا يظهر أنَّ شخصيَّة المؤمن شخصيَّة مُتَزنة يتوافق فيها ظاهره مع باطنه، ويتعامل مع غيره بصدق من غير غشٍّ ولا مكيدة، وأنَّ المنافق يُعاني من تفكُّك في شخصيَّته فلا ظاهره وفق باطنه في نفسه، ويضطر أن يضرب حساباً في كُلِّ معاملاته ليُخفي ما يُضمره من العداوة للآخرين.

### سابعاً: رعب القلب.

وهي ثلاثة ألفاظ: الرُّعب والفرع والارتياب.

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (151/14)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (239/2)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (388-387/2)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (125/10).



أ) **الرُّعْب**: وهو امتلاء القلب من الخوف، حتَّى ينقطع القلب عن مقصده<sup>(1)</sup>، فالرُّعْب هو مرحلة مُتقدِّمة من الخوف، حيث ينقطع بصاحبه عن الإقدام نحو الشيء الذي أخافه، وقد جاءت إضافته إلى القلب بأنَّه يُقذف ويُلقى من لدن الله تعالى في القلب، لأنَّ القلوب بيد الله عزَّ وجل يُصَرِّفها كيف شاء سُبحانه، وغالبا ما يُخبر الله تعالى بقذفه الرعب في قلوب الكفار والخوف من أهل الإيمان ما تمسَّكوا بدينهم، وينتج عنه ضعف أهل الكفر وهزيمتهم أمام المؤمنين، وعليه: فهذا الرُّعْب الذي يقذفه الله في قلوب الكُفَّار ممَّا ينصر الله به أوليائه ويُرغِّبهم في الجهاد<sup>(2)</sup>، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «نصرت بالرُّعْب مسيرة شهر» الحديث<sup>(3)</sup>.

ولهذا القذف أسبابه، والتي منها: الشُّرك بالله عزَّ وجل قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١]، وكان الشرك سببا للرعب، لأنَّ حقيقة الشرك هو توجُّه القلب لغير الله محبةً وتعظيمًا، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنِدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، و «قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»<sup>(4)</sup>، والقلوب إنَّما تسكن وتأمّن وتطمئن ويذهب عنها فزعها بتوحيد الله تعالى واللُّجوء إليه وذكره وتعظيمه، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ولما نزلت هذه الآية شقَّ ذلك على أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنَّه ليس بذاك، ألا تسمعون إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» [١٣]

(1) يُنظر: الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 356).

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (385-384/9)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (123/4)؛ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (427/2).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (74/1) برقم: (335) (كتاب التيمم، باب التيمم وقول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا)؛ ومسلم في "صحيحه" (63/2) برقم: (521) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة).

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (51/8) برقم: (2654) (كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء).

[لقمان: ١٣] «(1). (2)، فلمَّا كان الله تعالى غيبي متنزّه عن الشركاء(3)، وكانت القلوب بيده يصرفها كيف شاء، وهي إنّما تأمن بتوحيده وتطمئن بذكره، لزم أنّ من جعل له شريكا في العبادة أو الخلق والتصرف، أن يحلّ بقلبه الرعب والفرع والدعر بدل الأمن والسكون والطمأنينة.

والشرك أعظم الذنوب فُبحا وظلما لأنّ فيه هضما لحقّ الربّ -عزّ وجلّ-، وكلُّ أمر فيه مخالفة لأمر الله ورسوله أيّا كان مقدار فُبحه، فإنّه سبب لحصول الرعب في القلب، ولذلك علل ربُّنا سبحانه إلقاء الرعب في قلوب الكفّار بأنهم شاقوا الله ورسوله، قال تعالى: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَكَارِبُ اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ [الأنفال: ١٢-١٣]، والإشارة بقوله: (ذلك) إلى ما دخل في قلوبهم من الرعب، ووقع عليهم من القتل(4)، فهؤلاء لما فارقوا أمر الله ورسوله، وعارضوا شريعة الله بأهوائهم وأوهامهم، واتخذوا ذلك دينا لهم حتّى صاروا مجانبين ومُحادّين لأمر الله ورسوله، وكفروا بالله تعالى وأنكروا أنّ قلوبهم التي بها زمام أمورهم هي بيد الله تعالى، ألقى في قلوبهم الرعب فضعفت قوّتهم وانهزموا أمام أهل الإيمان الذين ثبتت الله قلوبهم(5).

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (15/1) برقم: (32) (كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم)؛ ومسلم في "صحيحه" (80/1) برقم: (124) (كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه).

(2) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (49/2).

(3) للحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». [أخرجه مسلم في "صحيحه" (223/8) برقم: (2985) (كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله)].

(4) يُنظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (333/2). وكثير من المفسرين أرجعوا الإشارة في الآية إلى ضرب الأعناق فقط. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (433/13)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (194/2)؛ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (265/5)]. ولعلّ السبب في ذلك ظهور المناسبة بين الجزء وهو ضرب العنق الذي ينشقُّ به الرأس عن الجسد، وبين شقاقهم وعصيانهم لأمر الله ورسوله، وأمّا المناسبة بين الرعب ومخالفة أمر الله ورسوله فخفيّة، وهو ما ذكرته قبل قليل من أنّ القلب إنّما يأمن بتوحيد الله تعالى وطاعته عموما، ويطمئن بذكره، فتركه لذلك ومخالفته لأمر الله، سبب لحصول ضدّ ذلك من الخوف الشديد الذي ينقطع به عمّا يقصد إليه من الأمور.

(5) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (464/15)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (284/9).

والرُعب إذا داخل القلب فإنَّ صاحبه يدخل في حالة من الدُّهول وعدم الوعي، فلا يقوى على المواجهة، ولذلك نصر الله به النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته، لما قذفه في قلوب الكُفَّار المعتدين حتى قتلوا فريقاً منهم، وأسروا فريقاً آخر، قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦]، وأعجب من هذا أنَّ حالة فقدان الوعي المسببة عن الرعب تصل إلى درجة أن يخرب الإنسان ويفسد ممتلكاته وأغراضه بيده ويد عدوّه، ولذلك لما نقض يهود بني النضير عهدهم للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهُموا بالغدر به، واغترُّوا بقوة حصونهم، أخبر الله نبيّه بذلك وأمره بقتالهم، وقذف في قلوبهم الرُّعب حتى صاروا يُخربون بيوتهم بدواعٍ قهريّة، قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] (1).

(ب) الفرع: وجاء توصيف حالة الدُّهول الشديدة وعدم الانتباه بلفظ الفرع، وأنها تُفقد الشَّخص إدراكه ووعيه للكلام، وأنه لا يعود إلى وعيه إلا إذا أزيل عنه فرعه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، والآية في سياق إبطال الطُّرق التي دخل بها الشُّرك على النَّاس، والطريقة المذكورة في الآية هو تذرع المشركين بأنَّ هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله تشفع لهم عند الله، فقطع الله ذلك بأنَّه لا تنفع الشَّفاعة عنده إلا إذا أذن للشَّافع والمشفوع فيه، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كلما تحقَّق العبد بكلمة (لا إله إلا الله) المتضمِّنة لنبذ الشُّرك وتحقيق التَّوحيد،

(1) وفي طريقة تخريبهم لبيوتهم عن المفسرين أربعة أقوال، أحدها: أنه كان المسلمون كلما ظهروا على دارٍ من دُورهم هدمها اليهود أنفسهم ليتسع لهم مكان القتال، (قاله ابن عباس). والثاني: أن المسلمين كانوا كلما هدموا شيئاً من حصونهم نقضوا هم ما بينون به الذي خربه المسلمون، (قاله الضحاك). والثالث: أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة في منازلهم، يستحسنونه، فيهدمون البيوت، وينزعون ذلك منها، ويحملونه معهم هرباً، ويخرب المؤمنون باقيها، (قاله الزهري). والرابع: أنهم كانوا يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون، حسداً منهم، وبغياً، (قاله ابن زيد). وعلى كلِّ فاللَّتخريب منهم مباشر ومن المؤمنين فبسببهم هم، ومرجع ذلك إلى نقضهم للعهد وغدرهم للنبي -صلى الله عليه وسلم-. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (265/23) - (266)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (254/4-255)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (71/28)].

كان أرحى لأن تُقبل فيه شفاعته -صلى الله عليه وسلم-: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»<sup>(1)</sup>.

والذي يتناسب مع سياق الآية في المراد بالذين أُزيل الفرع عن قلوبهم قولان:

الأول (قاله ابن مسعود وقتادة): أنهم الملائكة، وعلى هذا تقوم عليهم الحجّة بأنّ هذه الأصنام والهياكل التي بينونها في الأرض ويزعمون أنّها صور للأفلاك السماوية التي تسكنها الملائكة، أنّ الملائكة أنفسهم يعترهم فرع عند سماع قضاء الله بالوحي، وإذا كان الأمر كذلك فإنّه لا يصحّ أن يُتوجّه بالعبادة إليهم ولا بطلب الشفاعة منهم، كما جاء في حديث: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ<sup>(2)</sup>»<sup>(3)</sup>. وذلك إمّا لظنهم أنّ إنزال جبريل -عليه السلام- للوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم- إيدان بقيام الساعة، أو لعلمهم بأنّ ظهور النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- من أشرط الساعة، وكلّ ذلك تعظيماً من الملائكة وإجلالاً لله تعالى وخشية من قضاءه يوم القيامة، وعند إزالة الفرع عنهم يسألون بعضهم بعضاً: (ما ذا قال ربكم)، فتكون الإجابة: (قال الحقّ) أي الكلام الصّدق العدل الذي لا ظلّم فيه ولا تحريف فيه، كما قالت الآية الأخرى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: 115] الآية، فإذا كانت هذه حال الملائكة الذين تعظّمونهم يخشون من الله ويخافونه، فما لكم أنتم لا تفزعون منه، ولا تنتهون عن الإشراف به.

والثاني (قاله ابن زيد ومجاهد): أنّهم المشركون أنفسهم، يفزعون يوم القيامة في المحشر، وقد وصفت آيات كثيرة فرعهم وذهولهم وغياب وعيهم لشدة الهول من انتظار فصل الله عزّ وجلّ وقضائه بين عباده، وحكمه فيهم وإذنه لمن يشاء من خلقه بالشفاعة -إن شاء- فيهم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(1)</sup> يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (31/1) برقم: (99) (كتاب العلم، باب الحرص على الحديث).

(2) والصفوان هو: الحجر الأملس. [يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (41/3)].

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (80/6) برقم: (4701) (كتاب تفسير القرآن، باب قوله إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبین).

شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ [الحج: ١-٢]، ولما يُكشَف عنهم هذا الفزع يعودون لوعيتهم، ويسألون الملائكة عن قضاء الله عز وجل، فيخبرونهم أنه قضى سبحانه بالحق، فإذا كانوا في هذه الدنيا في غفلة فإن الله يتوعدّهم بهذا بأن هذه الغفلة ستزول، وسيعترِبهم من الفزع - عند مُعَاينة العرض على الله والحساب والجزاء - ما يقطع إدراكهم ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ [طه: ١٠٨-١٠٩]، وستُخبرهم الملائكة عن الذي كذَّبوا به - مما قاله الله سواء ممَّا بعث به رسله إليهم في الدنيا، أو ما قضى به عليهم في الآخرة - أنه الحقُّ (1).

وفي انفعال الخوف الشديد، وهو ما سمَّاه القرآن بالرُّعب والفزع، يترافق معه تغيُّرات وظيفية (فيزيولوجية)، أهمُّها: شدَّة دقات القلب وتسارعها، وتقلُّص في الأوعية الدموية في الأحشاء لدفع الدَّم المحمَّل إلى الأطراف لمواجهة الخطر المداهم، وتسارع في التنفُّس، وشخوص في حركة العين حيث تميل إلى النظر للشَّيء المخوف منه، حتَّى يشعر أنَّ قلبه قد بلغ حُنجرته، وقد ذكر القرآن ذلك في حال أهل الإيمان عند المعركة والحرب ابتلاء وامتحانا، قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنَ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، كما وصف حال النَّاس جميعا يوم القيامة، وأنَّ هذا الرُّعب يترافق معه العجز عن الكلام (الكظم)، قال سبحانه: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ ﴿١٨﴾ [غافر: ١٨] الآية (2).

ج) الارتياح: وأخرها وصف ارتياح القلب، والرَّيب هو الشكُّ المقرون بخوف، وقد أُسند إلى القلب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَعِزُّنَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (395/20-399)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (204/25)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (497/3-498)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (188/22-190).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (220/20-221)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (503/27)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (33/4)؛ محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النَّفس، (ص: 108).

فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ [التوبة: ٤٥]، والآية في المنافقين، وفيها إيماء إلى أن سبب ريب القلب هو عدم الإيمان بالله واليوم الآخر إيمانا حقيقياً يتواطأ فيه الظاهر مع الباطن، وليس المدعى بالألسن مع عدم قراره في القلب كحال المنافقين. ونتج عنه هنا الاستئذان في التخلف عن الجهاد، بل والتخلف عن سائر الطاعات، ومنها: منعهم للصدقة في قوله تعالى: ﴿وَيَقْضُونَ أَيَّدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي عن التفقة وإخراج الزكاة الواجبة فضلا عن المستحبة<sup>(1)</sup>، وتضييعهم للصلاة وقلة الذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الذين هم عن صلاتهم ساهون] [الماعون: ٤-٥]، بتأخيرها عن وقتها، وتركها في السر وأدائها في العلانية، والاحتقار من شأنها<sup>(2)</sup>، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر»<sup>(3)</sup>. فهؤلاء اهتز إيمانهم وضعف إلى أن عدم ثم تسبب عنه ارتياب قلوبهم وهو شكها وخوفها، ثم تسبب عنه الإعراض عن الخير بالتخلف عن الجهاد وسائر الواجبات فضلا عن المستحبات، وإنما يفعلون منها ما يفعلون رياء ونفاقا<sup>(4)</sup>.

وفي المقابل -وبضدّها تتميز الأشياء- فإن القلب الموقن بالله وبما وعد به عباده المؤمنين في اليوم الآخر من الجزاء الحسن، دائما في مسارعة إلى الخير، وربما تألم وحزن إذا فاته الخير حتى ولو مع العذر، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (338/14).

(2) يُنظر: المصدر السابق، (630-632).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (131/1) برقم: (644) (كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة)؛ ومسلم في "صحيحه" (123/2) برقم: (651) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها).

(4) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (275/14)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (214-213/10).

وصاحب القلب المرتاب حتى الأعمال الصالحة التي يعملها لا سيما التي يتعدى نفعها كالإنفاق في وجوه الخير، تُوجب له مزيدا من الشك والخوف والغيب والحسرة، حيث يندم على ما قدّمه مخالفا بذلك عدم قناعة قلبه بنفعية ما فعل، وغيبه على أهل الإيمان، وخوفه من أن يستعملوا ذلك ضده، ولشكه وعدم إيمانه باليوم الآخر فإنه يميل إلى انتظار الثواب المادي العاجل، ولما لا يرى شيئا من ذلك يزيد شكّه ولا بُدّ، قال تعالى عن المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار: ﴿لَا يَزَالُ بُنِيَ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١١٠] الآية<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: أسباب مرض القلب وأعراضه في نصوص الوحي.

#### الفرع الأول: أسباب مرض القلب في ضوء الكتاب والسنة.

ومن خلال التأمل في النصوص السابقة، تتبدى جملة من الأسباب لحصول مرض القلب، وهي كالآتي:

(1) الإصرار على المعاصي، ومخالفة أوامر الله تعالى ونواهيه. كما قال سبحانه في شأن اليهود، بعدما وقعوا في كثير من المعاصي: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] الآية، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ شَاءَ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطَّبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠].

(2) التكبر على الحق إذا تبين بدلائله، ورذده على قائله عنادا ومكابرة، ولزوم سبل الباطل وإن ظهر عيبها. لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

(3) الاستخفاف بالقرآن الكريم، ووصفه بأنه أساطير الأولين، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا

(1) يُنظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (2/460).

﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿إِذَا نُنِيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٣-١٤].

4) التّكذيب بالبيّنات والدلائل المشهودة مرثية كانت أو سمعية، والتي وهبها الله للرّسل - عليهم السّلام- الدّالة على صدق نبوتهم، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونس: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف: ١٠١].

5) الغفلة عن ذكر الله -عزّ وجلّ- بالقلب واللّسان والفعل، وترك العمل بهدي الأنبياء والمرسلين -عليهم السّلام-، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] الآية.

6) كفران النعم التي تفضّل بها الرّبّ -جلّ وعلا- على عباده، وترك شكرها قولاً أو عملاً، إمّا بنسبتها إلى غيره، أو استعمالها في معصيته. لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨].

7) الإعراض عن تدبّر آيات الله المتلوّة التي نزل بها القرآن، والمجلوّة التي نصبها الله سبحانه في الكون، شاهدة بوحدانيّته وقدرته وحكمته. لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

8) الانقياد لتزيين شياطين الإنس والجنّ للقبائح لما فيها من الملدّات العاجلة، وغضّ الطّرف عمّا يترتّب عليها من المفسد، وما تؤول إليه من العواقب السيّئة. لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِنُصِغَنَّ إِلَيْهِ أَفْعَادَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣].



9) ترك محاسبة النفس على ما اكتسبته من الآثام، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ [الكهف: ٥٧] الآية.

10) سوء النية والقصد، وخبث الطوية، لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران: ٧] الآية، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٩].

11) التعلق بالأسباب شرعية كانت أو حسيّة، ونسيان المسبّب - سبحانه وتعالى-، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فعند انخراط الأسباب وتخلّف أثرها المعتاد فإنّ المتعلّق بها يقع في قلبه حسرة وخيبة وإحباط، ويفقد الأمل ولائد، وهذا بخلاف التعلّق بالله تعالى والتوكّل عليه مع اتّخاذ الأسباب الثابتة المشروعة.

12) التعرّض للأذى من الغير بالكلام أو بالفعال، لقوله تعالى: ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ [١٤] وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٤-١٥] الآية، وإنّما يكون ذلك سببا لألم القلب إذا لم يتمّ التّفنيس عنه، إمّا بأخذ الثّار على حسب الأذى المتعرّض له، أو بالصّبر والعفو رجاء عفو الله، وكلاهما مشروع لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّابِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦]، ولعلّ من الحِكم التي جعلها الله - عزّ وجلّ- في القصاص، إذهاب الغيظ الذي يتسبّب فيه الجاني للمجني عليه، قال ابن تيمية: «ويُقَالُ فلان شُفِيَ غيظُهُ، وفي القود<sup>(1)</sup> استشفاء أولياء

(1) والقود القصاص، وقتل القاتل بدل القتيل، وسمّي القود قودا، لأنّ الجاني يُقاد إلى أولياء المقتول فيقتلونه به إن شاءوا. [محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، دار الفضيلة للنشر والتّوزيع والتّصدير: القاهرة-مصر، (122/3)].

المقتول»<sup>(1)</sup>، ولأنه إذا لم يُعاقب هذا الجاني أو يعفو عنه المجني عليه، فسيتم خلق سلسلة من الانتقامات والعداوات التي لن تتوقف إلا أن يشاء الله، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

13) وسوسة الشيطان، وهي تؤثر بإذن الله في القلب المشتمل على القسوة والانحراف، لقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: 53]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلِّطْنَاهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 100]، وبلغة علم النفس يظهر أن وسوسة الشيطان هو سبب مساعد ثانوي لا يعمل إلا عند وجود أسباب أصلية مهيئة هي من كسب العبد واختياره، ولذلك فوظيفة الشيطان في مرض القلب هي: التزيين وإلقاء الوسوس وزخرفة الباطل، ولما سأل الصحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - عما يجدونه في صدورهم من الوسوس، قال -عليه الصلاة والسلام-: «الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة»<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: أعراض ومؤشرات مرض القلب في ضوء الكتاب والسنة.

من خلال التأمل في الأوصاف التي ذكرتها النصوص السابقة، يمكن تعيين الأعراض والمؤشرات الدالة على مرض القلب، وهي كالآتي:

- (1) أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفائها ويليها التُّحفة العراقيَّة في الأعمال القلبية، (ص: 4).
- (2) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (360/1) برقم: (147) (كتاب الإيمان، ذكر الإباحة للمرء أن يعرض بقلبه شيء من وسوس الشيطان بعد أن يردها من غير اعتقاد القلب على ما وسوس إليه الشيطان)؛ والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (157/10) برقم: (156) (من اسمه عبد الله، حماد أراه ابن سلمة عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس)؛ والنسائي في "الكبرى" (248/9) برقم: (10434) (كتاب عمل اليوم والليلة، الوسوسة وذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي هريرة في ذلك)؛ وأبو داود في "سننه" (490/4) برقم: (5112) (كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة)؛ وأحمد في "مسنده" (521/2) برقم: (2128) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم -). حكم الحديث: إسناده صحيح. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، برقم: 2097، (10/4)].

1) ضعف قوة التمييز وقوة الإرادة، وأمّا علامة المرض والفساد من جهة قُوّة العلم والتمييز أنّه يصير إلى حالة لا يُفرّق فيها بين الحقّ والباطل، ولذلك وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- من هذا حاله بأنّه: «لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا»<sup>(1)</sup>، وحال أهله بين أهل الحقّ البين وأهل الباطل البين ما قاله الله تعالى: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣]. وأمّا علامة المرض والفساد من جهة قُوّة الإرادة والمحبة، ففيه علامتان: الأولى: أنّه لا يتألم من اقرار الذنوب والوقوع في السيئات، تماما مثل الجسد الميت الذي لا يتألم بالجراح كما قيل: وما لجرح يميت إبلاّم<sup>(2)</sup>، وقد جاء تبين هذه العلامة في النصوص التي مرّت في وصف القلب الأغلف، وكذلك في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن»<sup>(3)</sup>، فدلّ بمفهوم المخالفة أنّ من لم تسوّه نفسه عند فعل السيئات أنّه ناقص الإيمان. والثانية: أنّه لا يجد في نفسه محبة للخير ولا بغضا للشر، ولذلك جعل النبي كراهة القلب للمنكر إذا لم يقدر على تغييره أدنى ما يدلّ على إيمان العبد: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»<sup>(4)</sup>، وهذا فيه أن عدم كراهة القلب للمنكر منبئ بجُلُوّ القلب من الإيمان، كما جاء في الرواية الأخرى: «...وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»<sup>(5)</sup>. بل قد يصل حاله إلى ضدّ ذلك وهو الصدّ والنهي عن سبيل الخير، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [المنافقون: ٥]. ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ [المنافقون: ٧] الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: ٩٩].

(1) تقدّم تخرجه، (ص: 92).

(2) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان، (68/1).

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (122/15) برقم: (6728) (كتاب التاريخ، ذكر الإخبار عما يظهر في الناس من المسابقة في الشهادات والأيمان الكاذبة)؛ والترمذي في "جامعه" (38/4) برقم: (2165) (أبواب الفتن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في لزوم الجماعة)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم-».

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (50/1) برقم: (49) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص).

(5) أخرجه مسلم في "صحيحه" (50/1) برقم: (50) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص).

(2) الكآبة والكره، والمعيشة الضنك ليست راجعة إلى خلل في الجانب الحيوي (البيولوجي)، فالشخص هنا قد يكون في كامل صحته الحيوية، ومع ذلك صدره ضيق حرج، ويتفاوت هذا الضيق الصدري حسب وقوع الشخص في الذنوب نوعياً وكمياً، وتكون للمؤمن طهارة من ذنبه أو رفعة في درجته حسب حاله، كما في حديث: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، أو حط عنه بها خطيئة»<sup>(1)</sup>. وعن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، أنه قال: «يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: 123]، وكل شيء عملنا جزينا به؟ فقال: غفر الله لك يا أبا بكر، ألسنت تمرض؟ ألسنت تحزن؟ ألسنت تصيبك اللأواء»<sup>(2)</sup>؟ قال: قلت: بلى، قال: هو ما تجزون به»<sup>(3)</sup>. وتكون عقوبة للفاجر الذي ضلَّ عن سبيل الله -عزَّ وجلَّ-، وأعرض عن ذكره، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: 125] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124]، والمعيشة الضنك: هي المعيشة الضيقة الشقية، كما أن ضنكا نكرة في سياق الشرط فتعمُّ الدنيا والبرزخ والآخرة.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (114/7) برقم: (5640) (كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض)؛ ومسلم في "صحيحه" (14/8) برقم: (2572) (كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن).

(2) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. [يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (221/4)].

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (170/7) برقم: (2910) (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدما أو مؤخرا، ذكر البيان بأن الله قد يجازي من شاء من عباده على سيئاته في الدنيا ليكون ذلك تطهيرا عنها)؛ والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (159/1) برقم: (69) (أحاديث خليفة رسول الله أبي بكر عبد الله بن عثمان الصديق، أبو بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما)؛ والحاكم في "مستدركه" (74/3) برقم: (4476) (كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، توضيح معنى من يعمل سوءا يجز به)؛ والترمذي في "جامعه" (133/5) برقم: (3039) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ومن سورة النساء)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (373/3) برقم: (6632) (كتاب الجنائز، باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من الصبر على جميع ما يصيبه من الأمراض)؛ وأحمد في "مسنده" (27/1) برقم: (69) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه). والحديث صحيح بطرقه وشواهده. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (230/1)].

وقد اختلف المفسرون في المحل الذي يكون فيه هذا الضنك والشقاء، على ثلاثة أقوال: **القول الأول** (ذهب إليه ابن زيد والحسن وقتادة): أنه يكون في الآخرة، وعلموا ذلك بأن المعيشة الحقيقية إنما تكون في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٦٤] العنكبوت: [٦٤]، أي الحياة الحقيقية الباقية التي لا موت فيها<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى حكاية عن الإنسان يوم القيامة: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، قدمت في الدنيا الفانية من الأعمال الصالحة، حتى أحيا حياة النعيم في الآخرة الدائمة<sup>(2)</sup>، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشَ الْآخِرَةِ»<sup>(3)</sup>، **القول الثاني** (ذهب إليه ابن عباس وعكرمة وابن أبي حازم والضحاك): أن معيشة الضنك تكون في الدنيا، بالكسب الخيث، واستدراج الله للعبد العاصي بالنعيم، ووجه كونها ضيقة، وإن كانت واسعة في الظاهر - كما ذكر ابن عباس - أنهم ينفقون ما ينفقون في الدنيا ويتنعمون، على تكذيب منهم بالخلف من الله، وإياس من فضله، وسوء ظن به، ولهذا تضيق صدورهم ويعتريهم حرج وقلق قبل الحصول على الأموال مخافة ألا يُحصّلوها، وحين امتلاكها مخافة فقدها، وحين إنفاقها مخافة الإفلاس وعدم الخلف. **القول الثالث** (ذهب إليه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة -رضي الله عنهما-): أنها تكون في البرزخ، وهي كل ما يلاقه الفاجر في قبره من العذاب، وقد رجّح هذا القول الطبري عن طريق السبر والتقسيم، فذكر أنه لو كانت المعيشة الضنك في الآخرة لما كان للمعطوف - في تمام الآية الموالية ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٧] فائدة، وهذا فيه نظر من جهة أنه إذا حُمِلت المعيشة الضنك على الدور الثلاث يكون هذا من باب عطف الخاص على العام، كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨] الآية، وعطف الخاص على العام له فائدته المتمثلة في مزيد الاهتمام والعناية بهذا الخاص لخطره<sup>(4)</sup>، إمّا لشرفه أو دناءته، ثم لما أبطل كون هذه المعيشة الضنك في الآخرة، فيلزم منه أن تكون قبل الآخرة، ويبقى الاحتمال بين كونها في الدنيا أو في البرزخ. وأمّا كونها في الدنيا فأبطله بأن كثيرا

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (60/20).

(2) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (444/4).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (25/4) برقم: (2834) (كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على القتال)؛ ومسلم في "صحيحه" (188/5) برقم: (1805) (كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق).

(4) قال الزبيدي: «الخطر: قدر الرجل ومنزله. ويقال: إنه لعظيم الخطر وصغير الخطر، في حسن فعاله وشرفه، وسوء فعاله».

[محمد أبو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (198/11)].

من المعرضين عن ذكر الله أوسع معيشة من كثير من المقبلين على الذكر، فلزم أن تكون في البرزخ<sup>(1)</sup>. وهذا الإبطال كذلك فيه نظر، لأنَّ هذا فيه حمل سعة المعيشة على الظاهر فقط، ونصوص الوحي والواقع شاهدان بأنَّه لا تطرد سعة المعيشة وضيقها بين الظاهر والباطن، فالسعادة والشقاوة يوجدان عند الأغنياء وعند الفقراء، فكم من غني مترف، يُعاني الشقاوة وانعدام الشعور بلذَّة الحياة، وكم من فقير مُعدم، يجد من سعة الصَّدر وراحة البال ما يضيُّ به عن كلِّ مال، وإن كانت سعة العيش الظاهري وسيلة لتحقيق السعادة، كما جاء في حديث: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة: الجار الشؤم، والمرأة الشؤم، والمسكن الضيق، والمركب الشؤم»<sup>(2)</sup>. فهذه جزء وبعض من أجزاء السعادة، وليست هي كلَّ السعادة، ولا تلازم بينها وبين الحياة الطيبة التي علَّقها القرآن بالإيمان والعمل الصالح، في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، وقد امتنَّ الله على نبيِّه -صلى الله عليه وسلم- بانسراح صدره ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: ١]، ومع ذلك فقد لاقى -عليه الصلاة والسلام- من الشدائد والمسكنة والجوع والأذى من قومه ما هو معلوم مسطرَّ في كتب السيرة.

وقد شهد بهذا كثير من علماء وصالحى هذه الأمة، فهذا ابن تيمية قد لاقى من السَّجن والضَّرب وغيرها من ألوان الأذى وضيق المعيشة الظاهرة ما لاقى<sup>(3)</sup>، ومع ذلك كان يقول: «ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحمت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (390/18-394).

(2) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (340/9) برقم: (4032) (كتاب النكاح، ذكر الإخبار عن الأشياء التي هي من سعادة المرء في الدنيا)؛ والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (240/3) برقم: (1048) (مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، محمد بن سعد عن أبيه رضي الله عنه)؛ والحاكم في "مستدركه" (144/2) برقم: (2655) (كتاب قسم الفيء، بيان سعادة المرء وشقاوته)؛ وأحمد في "مسنده" (363/1) برقم: (1462) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه). والحديث صحَّحه الألباني. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم: 282، (571/1)].

(3) يُنظر: محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي، العقود الدرزية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الخلواني، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر: القاهرة-مصر، 1422هـ-2002م. (ص: 162، 164، 169).

القاعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة»<sup>(1)</sup>. وهذا أبو حامد الغزالي حين كان يُدرّس بالمدرسة النظامية على ما كان فيه من سعة العلم وقوة المناظرة، ورفاهية العيش وعلو الجاه والشهرة، حتى ذكر عنه عبد الغافر الفارسي أنّ مكانته كانت تغلب مكانة الأمراء والملوك<sup>(2)</sup>، ولما تبصّر بحاله ضاقت به الأرض بما رحبت، حيث يحكي عن نفسه في مؤلفه (المنقذ من الضلال) قائلاً: «... ثم لاحظت أحوالي؛ فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أهدت بي من الجوانب؛ ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة، ثم تفكرت في نيتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى... فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا، ودواعي الآخرة... وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار، إذ أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس... حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزناً في القلب، بطلت معه قوة الهضم... حتى قطع الأطباء طمعهم من العلاج وقالوا: هذا أمر نزل بالقلب، ومنه سرى إلى المزاج... ثم لما أحسست بعجزتي، وسقط بالكلية اختياري، التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له، فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وسهّل على قلبي الإعراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحاب، وأظهرت عزم الخروج إلى مكة... ولمّا أحسن من نفسه اعتدال مزاجه، قال:- فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب، فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة... فاستحکم الرجاء، وغلب حسن الظن... وبلغت مدة العزلة إحدى عشرة سنة... وأنا أعلم أنني، وإن رجعت إلى نشر العلم، فما رجعت! -يقصد إلى طريقته الأولى- فإن الرجوع عوداً إلى ما كان، وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكتسب الجاه، وأدعو إليه بقولي وعملي، وكان ذلك قصدي ونيتي. وأما الآن فأدعو إلى العلم الذي به يُترك الجاه، ويعرف به سقوط رتبة الجاه...»<sup>(3)</sup>. والأقوال عن العبّاد والرّهّاد فيما يصفونه من نعيم القلب وسعادته بذكر الله باللّسان والقلب والجوارح وصدق الالتجاء إليه -سُبْحانه- مع ضيق معيشتهم الظّاهرة كثير جدّاً، ولا يعرف حقيقته إلّا من جرّبه وعائشه.

(1) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: سيد إبراهيم، ط3، دار الحديث: القاهرة-مصر، 1999م. (ص: 48).

(2) يُنظر: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، 1413هـ-1992م. (6/196-211).

(3) أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1409هـ-1988م. (ص: 59-61، 76-77).

3) نفور الأشخاص ذوو الطباع السليمة والمقاصد الطيبة من الشخص، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأُنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية.

4) عدم الانتفاع بآيات القرآن الكريم علما وعملا، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

5) الاشتمزاز من ذكر الله تعالى، والتفور من مجالسة أهل طاعته، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥] الآية. وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، قال ابن أبي العزِّ الحنفي: «وعلامه مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة الموافقة، إلى الأغذية الضارة... فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي، على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك... وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء»<sup>(1)</sup>.

وهذا التفور والعدول عن ذكر الله تعالى، يتخذ صوراً شتى، ومن أخطرهما: العشق والحسد، فهما قطبان لفساد قوة القلب محبة وبغضا، وقد ذكر الحسد بلفظه في كثير من الآيات والأحاديث النبوية، وإن كان العشق لم يذكر فيها بلفظه ومبناه فقد ذكر غير مرة بشخصه ومعناه<sup>(2)</sup>، فالحسد كما في قوله تعالى: ﴿وَدَكَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] الآية، وهو: كراهة وبغض ما يرى من حُسن حال الغير، وحقيقته: الاعتراض على الله في تصريفه وتقسيمه للنعم على عباده، والعشق كما في قوله تعالى:

(1) محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (362/2-363).

(2) ما عدا حديث ابن عباس يرفعه: «من عشق وعف وكنم فمات، فهو شهيد»، ولا يصح رفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإنما الثابت عند أئمة الحديث أنه موقوف على ابن عباس -رضي الله عنهما-، والحديث لم يُخرجه أحد من أصحاب كتب الحديث المشهورة سواء الصحاح أو السنن أو المسانيد و المعاجم والمصنّفات، وإنما أخرجه الخرائطي في "اعتلال القلوب" (59/1) برقم: (106) (باب من عف في عشقه عن مواقعة الحرام وراقب الله تعالى التماس جزيل الثواب). [ينظر: محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: 242)؛ محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، برقم: 409، (587/1)].



﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنْهَى عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٠]، وهو: محبة غير الله محبة مفترطة مجاوزة للحد الطبيعي<sup>(1)</sup>، وكلاهما إذا قويا أثرا على الدماغ والبدن، فأورثا كثيرا من الأمراض النفسية والجسدية، قال ابن تيمية: «فالبخل والحسد مرض يُوجب بغض النفس لما ينفعها، بل وحبها لما يضرها... وأما مرض الشهوة والعشق، فهو: حب النفس لما يضرها، وقد يقترن به بغضها لما ينفعها، والعشق مرض نفساني، وإذا قوي أثر في البدن، فصار مرضا في الجسم، إما من أمراض الدماغ كالماليخوليا<sup>(2)</sup>، ولذلك قيل فيه -أي العشق- هو مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا، وإما من أمراض البدن كالضعف والنحول ونحو ذلك، والمقصود هنا مرض القلب، فإنه أصل محبة النفس لما يضرها، كمريض البدن الذي يشتهي ما يضره، وإذا لم يطعم ذلك تأم، وإن أطمع قوي به المرض وزاد، كذلك العاشق يضره اتصاله بالمعشوق مُشاهدة وملامسة وسماعا، بل ويضره التفكير فيه والتخيل له، وهو يشتهي ذلك، فإن منع من مشتهاه تأم وتعذب، وإن أعطي مشتهاه قوي مرضه وكان سببا لزيادة الألم»<sup>(3)</sup>.

6) ترك الآيات المحكمات الواضحة المعنى، واتباع الآيات المتشابهات غير واضحة المعنى، لتشكيك أهل الإيمان وزعزعة يقينهم، وإيقاع الفتن بينهم، لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران: ٧] الآية.

(1) قال ابن فارس: «عشق العين والشين والقاف أصل صحيح يدل على تجاوز حد المحبة». [أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (321/4)].

(2) أو المَلْنَحُولِيَا أو المَالِيخُولِيَا، وهو الاكتئاب الحاد، كان يُسمى في القدم بالسوداوي، نسبة إلى غلبة السوداء -المادة التي تُفرزها الطحال- بناء على نظرية الأخلاط للطبيب هيبوقراط اليوناني، جاء في المعجم الوسيط: «الملنحوليا: (في رأي القدماء) مرض عقلي، من مظاهره: فساد التفكير، ينشأ من تغلب أحد الأخلاط الأربعة، وهي السوداء في الدم، وذلك لعجز الطحال عن امتصاصها منه، و(في رأي المُحدثين) مرض عقلي، من مظاهره: اضطراب الوجدان، وتغلب الغم والحزن والقلق، وضيق الصدر، والميل إلى التشاؤم، وسببه: اضطرابات جثمانية، أهمها: عدم الاعتدال في نشاط الغدد الصم». [مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، المعجم الوسيط، (887/2)].

(3) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفاؤها ويليها التَّحفة العراقيَّة في الأعمال القلبِيَّة، (ص: 23-24).

7) الجدل في آيات الله بالباطل، وبغير حجة ولا برهان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعْرِضُونَ سُلْطَانًا لَهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] الآية.

8) مخالفة الظاهر للباطن، وكون الشخص ذي وجهين، يُرضي من عنده مصلحته بعبارة منمقة، ويأبى قلبه -لما فيه من الغش والخيانة- عن محبة الخير للناس وصدق العشرة وصفاء المودة، وذلك لا بُدَّ أن يظهر في فلتات لسانه وأفعاله، ثمَّ يتعدَّر لنفسه بأعذار واهية، حتى يُخفي حقيقته، لقوله تعالى عن المنافقين: ﴿يُرْضَوْنَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٨] الآية.

9) الانهزامية وضعف الشخصية، وعدم القدرة على المواجهة، وذلك للأدلة التي مرَّت في وصف رعب القلب بأنه يصير صاحبه إلى حالة من الجبن والضعف، وذلك يُفضي إلى تمكُّن شياطين الجن والإنس منه، وانهزامه أمام أسلحتهم من الشبهات والشبهوات، يقول ابن القيم: «ومن عقوباتها: -أي المعاصي- أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه، فإن كل أحد يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاذه، وأعلم الناس أعرفهم بذلك على التفصيل، وأقواهم وأكيسهم من قوي على نفسه وإرادته، فاستعملها فيما ينفعه وكفها عما يضره... والمعاصي تخون العبد أحوج ما كان إلى نفسه في تحصيل هذا العلم، وإيثار الحظِّ الأشرف العالي الدائم على الحظِّ الخسيس الأدنى المنقطع... فإذا وقع مكروه واحتاج إلى التخلص منه، خانه قلبه ونفسه وجوارحه، وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الصَّدأ ولزم قِرابه<sup>(1)</sup>، بحيث لا ينجذب مع صاحبه إذا جذبته، فعرض له عدوُّ يريد قتله، فوضع يده على قائم سيفه واجتهد ليُخرجه، فلم يخرج معه، فدَهَمه العدوُّ وظفر به. كذلك القلب يصدأ بالذنوب ويصير مُتَّخِناً بالمرض، فإذا احتاج إلى محاربة العدوِّ لم يجد معه منه شيئاً»<sup>(2)</sup>.

10) انحراف الإدراك وفساد الوعي، وعدم الانتفاع بوظيفتي السَّمع والبصر في فهم الحقائق، وتلك هي حالة القلب المعرض المتكبر عن الإذعان للحقائق، الحاقد على أهل الإيمان.

(1) والقراب هو: غمد السيف، أو مدخل السيف من الغمد على وجه الخصوص. [يُنظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ص: 123)].

(2) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: 89-90).

### المطلب الثالث: المرض النفسي بين نصوص الوحي وعلم نفس الشواذ.

من خلال المطالبين السابقين، يظهر أنّ هناك مواطن يختلف فيها مفهوم المرض النفسي بين نصوص الوحي من جهة وعلم نفس الشواذ من جهة أخرى، ومواطن يتفقان فيها؛ وبيان ذلك كما يلي:

#### الفرع الأول: المواطن التي يتداخل فيها مفهوم المرض النفسي بين نصوص الوحي وعلم النفس.

انطلاقاً من المقارنة بين تعريف الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذ، وتعريف مرض القلب في نصوص الوحي، يظهر للباحث عدد من أوجه التطابق بينهما، وهي كالتالي:

**أولاً (من جهة التعريف):** كما أنّ الاضطراب النفسي هو اختلال في الوظائف والجوانب النفسية، بما في ذلك: الجانب المعرفي، الإدراكي، السلوكي، الانفعالي، وقد يترافق معه اضطرابات في الجوانب الجسميّة البيولوجيّة (عصبية كانت أو هرمونيّة)، في المقابل فإنّ مرض القلب هو فساد يدخل على النفس، من جهتين: من جهة قوّة التصوّر؛ وتضمّ الجوانب المعرفيّة والعمليّات العقلية (ويتمثّل ذلك في النصوص التي تصف تحلّف التفكير والتعلّل والتدبّر عمّن مرض قلبه بمرض الكفر أو النفاق أو الكبر أو غيرها، ومثال ذلك جميع الآيات التي تضمّنت عبارة (أفلا تعقلون)، (أفلا يتدبّرون)، (أفلا ينظرون)، (لعلّهم يتفكّرون)، (أفلا تتفكّرون)، وما يجري مجراها)، والجوانب الحسيّة (وذلك في النصوص التي تنفي انتفاع القلب المريض بحاستي السمع والبصر، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [٢١-٢٢]، وكذا الجوانب الإدراكيّة الشعوريّة (والتي تتمثّل في الأحاسيس الداخليّة<sup>(١)</sup>، كالحزن والهم<sup>(١)</sup>). والجهة الثانیة: هي قوّة الإرادة، وتتمثّل في الجانب

(1) يُنظر: د. طلعت منصور ود. عادل عزّ الدّین ود. أنور شرقاوي ود. فاروق أبو عوف، أسس علم النفس العام، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة-مصر. (ص: 159-160).

السُّلوكي: والتي تأتي في نصوص الوحي وكلام العلماء بلفظ النيّة، وهي: «اعتقاد القلب فعل شيء وعزمه عليه، من غير تردد، والنية وإرادة الفعل مترادفان»<sup>(2)</sup>، وهذا العزم سيتمُّ الترجمة عنه في سلوكيات أخلاقية، و«الحُلُق - بضمّ اللام وسكونها -: الدّين والطَّبَع والسَّجِيّة، وحقيقته أنّه لِصُورَة الإنسان الباطنة وَهِيَ نَفْسُهُ وَأوصافُها وَمَعَانِيها الْمُخْتَصَّة بِهَا بِمَنْزِلَةِ الحُلُق لِصُورته الظَّاهِرَة وَأوصافِها وَمَعَانِيها، وَهَلُمَّا أوصافٌ حَسَنَة وَقَبِيحَة»<sup>(3)</sup>، وإذا ساءت هذه الأخلاق صارت أمراضاً في القلب، قال العزّالي: «والأخلاق الخبيثة: أمراض القلوب وأسقام النفوس»<sup>(4)</sup>، وقال الطيّبي: «العقائد الفاسدة والميل إلى الشهوات، فإنها مرض القلب، وصحته العلم والأخلاق الفاضلة»<sup>(5)</sup>، وقد يكون التحلّي بهذه الأخلاق أمراً عابراً، وقد يكون طبعاً وسمة ثابتة في الشخصية مُهيمنة على سلوك الشَّخص، كما في قوله -صلى الله عليه وسلم- لأشجَّ عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خصلتين يَحِبُّهُما اللهُ: الحلم والأناة، وعند أبي داود: أنا أتحلَّق بهما، أم الله جبلي»<sup>(6)</sup> عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما»<sup>(7)</sup>، وإذا جمعت بين كونها سيئة وثابتة ومهيمنة على سلوك الشَّخص، فتصير عندئذ مُطابِقة لمفهوم اضطرابات الشَّخصية في علم النفس المرضي.

**ثانياً (من جهة الأثر):** كما أنّ الاضطراب النفسي يتسبب بضائقة للفرد، ويُعرقل توافقه النفسي تُجاه تعامله مع الآخرين، ونوع جنسه، فمرض القلب في المقابل ينتج عنه المعيشة الضنك التي

(1) وهي مُقابلة للأحاسيس الخارجيّة التي تكون بالحواس الخمس، وقد سمّاها العزّالي بالمشاهدات الباطنة، ثمَّ وضَّح المراد بها فقال: «وذلك كعلم الإنسان بجوع نفسه وعطشه وخوفه وفرحه، وجميع الأحوال الباطنة التي يدركها من ليس له الحواس الخمس، فهذه ليست من الحواس الخمس ولا هي عقلية». [يُنظر: أبو حامد محمد العزّالي الطُّوسي، المستصفي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1413هـ-1993م. (ص:36)].

(2) أ. د. وهبة بن مصطفى الزُّحيلي، الفقه الإسلامي وأدلّته، ط4، دار الفكر: دمشق-سوريّة، 1418هـ-1997م. (151/1).

(3) المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (70/2).

(4) أبو حامد محمد العزّالي الطُّوسي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة: بيروت-لبنان، 1402هـ-1982م. (49/3).

(5) علي بن محمد الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (758/2).

(6) قال الزُّبيدي: «جبله الله تعالى على الشيء: طبعه، إشارة إلى ما رُكِّب فيه من الطبع الذي يأبي على الناقل نقله». [محمد أبو الفيض مرتضى الزُّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (178/28)].

(7) أخرجه مسلم في "صحيحه" (35/1) برقم: (17) (كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه).

معناها الشعور بالضيق، وآلام نفسية كالغيب والحزن، على اختلاف مراتب هذا الحزن وشِدته، وأما في قضية التوافق فقد مرَّ كيف تمنع قسوة القلب وغلظته توافق الفرد مع الآخرين، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية، وكيف يحول كبر القلب صاحبه عن الإذعان للحقائق كما هي في الواقع، وأما الانحراف الجنسي (المثلية) فقد حكى الله تعالى ذلك عن قوم لوط -عليه السلام- في غير ما آية من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿آتَاوْنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٥] وتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦].

ثالثاً (من جهة تبادل التأثير): مرَّ عند تعريف الصحة النفسية، وكذا عند الكلام على تصنيفات الاضطراب النفسي أنَّ الجوانب النفسية المعرفية والإدراكية والسلوكية وغيرها، تتبادل التأثير فيما بينها، وفيما بينها وبين الجوانب الجسمية (البيولوجية) والبيئية، لأنَّ هذه الجوانب وإن كانت أوجهها متعددة للكيان الإنساني، إلاَّ أنَّها لا توجد في الواقع مُنفصلة، فكذلك مرض القلب وفساد قواه، إذا دخله الفساد من جهة التصوُّر ففسدت الجوانب المعرفية، فصار لا يُميِّز بين ما هو حق وما هو باطل، لا بُدَّ أن تتأثر قُوَّة إرادته ومن ثمَّ سلوكه بذلك، لأنَّ الإرادة لا تعمل مُنْفَكَّة عن التصوُّر، والعكس صحيح ففساد الجانب السلوكي يُؤثر على الجانب المعرفي، وقد مرَّ بيان أنَّ السلوك إذا انخرق إلى ارتكاب المعاصي وتعمُّم القبائح على اختلاف دركاتها، يصير القلب قاسياً، فيتشوّه وعي الفرد وقواه المعرفية، فلا يستطيع تفهُم معاني القرآن، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ولا يقتدر على التعامل مع الحقائق كما هي، بل يلجأ إلى تحريفها حتَّى تتناسب مع جوانبه المعرفية التي تشوّهت بالمعاصي، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضُوا صِمْتَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يَحِرُّونَ الْكَلِمَ عَنِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣] الآية، وكذلك فإنَّ فساد هذه القوى النفسية يعود بالتأثير على الجوانب الجسمية.

ومن أجمع الأمثلة على ذلك: مرض العشق، وهو مرض فضلاً على أنَّه معروف عنه تسبُّبه في الاكتئاب الحادّ منذ القديم، فهو يُنهك البدن ويضعفه، وربما أدى به إلى الموت، يقول ابن حزم عن العشق: «وربما تزايد الأمر ورقَّ الطبع وعظم الإشفاق فكان سبباً للموت ومفارقة الدنيا»<sup>(1)</sup>، وقد

(1) أبو محمد ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: د. إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت-لبنان، 1987م. (ص: 257).

سَطَّر العلماء قصصا كثيرة، بعضها عايشوها بأنفسهم، وبعضها رووها بالأسانيد<sup>(1)</sup>. ومن ذلك ما ذكره الخرائطي وغيره، أنه زُفِعَ إلى ابن عباس وهو بعرفة شابٌ قد انتحل، حتى عاد جُلدا على عظم، فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به العشق، فجعل ابن عباس يستعيد بالله من العشق عامَّة يومه<sup>(2)</sup>.

وإنما وصفت هذا المثل بأنه جامع، لأنَّ النَّاسَ قد اختلفوا في الجهة التي يُفسدها العشق من قَوَى القلب، «فقيل: إنه من باب الإرادات، وهذا هو المشهور، وقيل: من باب التصورات، وإنه فساد في التَّخْيِيل، حيث يتصوَّر المعشوق على غير ما هو به»<sup>(3)</sup>، والواقع: أنه مُرَكَّب من الفساد في الجهتين، لأنَّ العاشق يرتكب كُلَّ شيء يُوصله إلى معشوقه ويُرضيه عنه، بغضِّ النَّظَر عن حُكْم الشَّارِع في فعله وما يترتَّب عليه من النَّفْع أو الضَّرر، وفي الوقت نفسه: فإنَّ العاشق عينه كليله عن عيوب المعشوق، مهما كانت بارزة ظاهرة حيث لا يتخاصم فيها اثنان ولا ينتطح فيها عنزان. ففرط محبَّته يُعميه عن تصوُّر معاييه، والغفلة عن معاييه ورؤية المحاسن فقط تزيده محبَّة وتعلُّقا به.

ولا غرابة أن يكون هذا التَّدَاخُل الجُملي بين مفهوم الاضطراب النفسي في علم الصحة النفسية ومفهومه في الوحي، وذلك راجع لأحد الموضوع، والمتمثِّل في السُّلوك الإنساني بمفهومه الواسع خارجيًّا كان أو داخليًّا، بغرض تخليصه من الاضطرابات ووقايتها منها ثمَّ تعزيزه وتنميته، لتحقيق أقصى قدر ممكن من السَّعادة، وتوجد تفاصيل أخرى جاءت النُّصوص مبينة فيها واصفة -وبدقَّة- لحالة بعض الاضطرابات الشَّخصيَّة، منها:

وصف جنون الهداء أو الزُّور، والذي مرَّ أنَّه يتميز بالهلوس، حيث يُجَيَّل للشخص أنه يرى ويسمع أشياء لا وجود لها في الواقع، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۗ وَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ ۗ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۗ﴾ [التكوير: ٢٢ - ٢٤]، فنفى الربُّ سبحانه عن نبيِّه -صلى الله عليه وسلم- الجنون، ثمَّ أكَّد رؤيته -عليه الصلاة والسلام- لجبريل -عليه السلام- حقيقة على هيئته، وأنه ليس بظنين -على قراءة- أي متَّهم على تبليغ الوحي لأمانته، ولا بظنين -على قراءة-

(1) يُنظر: المصدر السابق، (ص: 257-261).

(2) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: 215).

(3) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفائها ويليها التُّحفة العرائية في الأعمال القلبية، (ص: 24).

أي بخيل بتبليغ ما يتضمنه الوحي من المنافع للناس لكرمه، قال البقاعي: «ولما كان المجنون لا يثبت ما يسمعه ولا ما يبصره حق الإثبات، فكان التقدير بعد هذا النفي: فلقد سمع من رسولنا إليه ما أرسل به حقَّ السمع، ما التبس عليه فيه حق باطل، عطف عليه الإخبار برفعه شأنه في رؤية ما لم يره غيره وأمانته وجوده»<sup>(1)</sup>. والمقصود من الآية: الرُّدُّ على مطاعن المشركين في الوحي الذي كان ينزل به جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وتوسَّلوا إلى ذلك بأتهامهم للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالجئون وزوال العقل، فنزَّهه ربه -عزَّ وجلَّ- عن الجنون، «فقال: (وما صاحبكم بمجنون) أي ليس ممن يتكلم عن جنَّة ويهذي هذيان المجانين»<sup>(2)</sup>، ونعته بصاحبهم لما يعرفونه عنه من راحة العقل وسداد الرأْي والأمانة والكرم، وكلُّ ذلك يقتضي صدق ما جاء به، وحماقة من اتَّهمه بالجئون<sup>(3)</sup>. ووجه هذا الأخير -ما قاله ابن حزم- أنه «ليس شيء من الفضائل كلما كان المرء منه أعرى، قويُّ ظنُّه في أنه قد استولى عليه واستمرَّ يقينه في أنه قد كمل فيه إلَّا العقل والتمييز، حتَّى إنَّك تجد المجنون المطَّبَق والسَّكران الطَّافِح يَسْخَران بالصَّحيح، والجاهل النَّاقِص يهزأ بالحكماء وأفاضل العلماء... وبالجملة فكلما نقص العقل توهم صاحبه أنه أوفر النَّاس عقلاً»<sup>(4)</sup>.

وصف اضطراب الرُّهاب (الرُّعب أو الخوف الشَّدِيد)، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾<sup>(١٠)</sup> هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، فوصف الانزعاج والقلق النَّفسي الشَّدِيد الذي يحدث عند الرُّهاب بالزَّلزال، قال الرَّاغِب: «أي: زُعزعوا من الرَّعب»<sup>(5)</sup>. وقال ابن الجوزي: «أزعجوا وحركوا بالخوف»<sup>(6)</sup>. كما وُصفت التغيرات البدنية المترافقة معه، من شحوص البصر، والشُّعور بالاختناق

(1) إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (292/21).

(2) محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (419/9).

(3) يُنظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (474/5)؛ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (420-419/9)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (157/30).

(4) أبو محمد ابن حزم الأندلسي، الأخلاق والسير أو مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والرُّهد في الرذائل، تحقيق: إيفار رياض، تقديم ومراجعة: عبد الحق التركماني، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت-لبنان، 1421هـ-2000م. (ص: 171).

(5) الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 382).

(6) أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (451/3).

النَّاتِج عن سرعة دَقَّات القلب وتسارع حركة الرِّئتين بالنَّفْس، ولا يمنع أن تكون تلك الزَّلْزلة التي حملها في الجانب النَّفْسِي، مراداً بها كذلك ارتجاف وارتعاش بدن الشَّخص الذي عنده زُهَاب، لا سيَّما الأطراف.

**الفرع الثاني: المواطن التي يختلف فيها مفهوم المرض النفسي بين نصوص الوحي وعلم نفس الشواذ.**

ومع غمرة هذا التَّطابق الجُملي والتَّفصيلي في مفهوم المرض النفسي بين نصوص الكتاب والسُّنة وعلم نفس الشواذ تبقى تلوح للنَّاطر بعض الفروق التي انمازت بها نصوص الكتاب والسُّنة عن علم نفس الشواذ في هذا الشَّأن، وهي كالاتي:

**أولاً (باعتبار التَّكليف والمُؤاخِذة):** جاء الكلام في نصوص الوحي على نوعين من الأمراض النفسية، الأولى: الأمراض النفسية التي ليست من كسب<sup>(1)</sup> الإنسان في نفسها، وذلك: كالْحُزْن والغَمِّ والهَمِّ والكآبة الكرب<sup>(2)</sup> (وسائر الأمراض النفسية)، وكذا الجنون (سائر الأمراض العقلية)، ومعنى كونها ليست من كسب الإنسان، أمَّا: ليست في نطاق إرادة الإنسان وقدرته.

وتحدَّث عنها النُّصوص كابتلاء من الله يُطهِّر به المؤمن من ذنوبه، ويُعلي به مقامه، لحديث: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، أو حطَّ عنه بها خطيئة»<sup>(3)</sup>.

(1) ويُطلق الكسب على فعل الصَّالحات كما يُطلق على فعل السيِّئات، قال الرَّاعِب: «الكسبُ: ما يتحرَّاه الإنسان مما فيه احتلاب نفع، وتحصيل حظٍّ، ككسبِ المال، وقد يستعمل فيما يظنُّ الإنسان أنه يجلب منفعة، ثم استجلب به مضرة... وقد ورد في القرآن في فعل الصَّالحات والسيِّئات، فمما استعمل في الصَّالحات قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ومما استعمل في السيِّئات... ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]... وقوله: ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]، فمتناول لهما». [الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: 709-710].

(2) والفرق بين هذه الألفاظ من حيث المعنى اللُّغوي، ما قاله العسكريُّ: «وَالْغَمُّ معنى ينقبض القلب معه، ويكون لُؤْفُوع ضَرَرٍ قد كان، أو تَوْفُّع ضَرَرٍ يكون، أو يتوهَّمه. وقد سُمِّي الحُزْن الَّذِي تطول مدَّته، حتَّى يذيب البدن همًّا، واشتقاقه من قَوْلِكَ انْهَمَّ الشَّخْم إذا ذاب، وهمه إذا ذابه... والحُزْن تكاثف الغمِّ وغلظه مأخوذة من الأرض الحُزْن، وهو: الغليظ الصلب، والكرب تكاثف الغمِّ مع ضيق الصَّدْر... والكآبة أثر الحُزْن البادي على الوُجْهِ». [يُنظر: الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، (ص: 266)].

(3) تقدَّم تخرجه، (ص: 247).



وحديث: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ إِيَّاهَا»<sup>(1)</sup>. وعلى رأس ما يكرهه الإنسان: ضيق الصدر والتعاسة والحزن. ويرد كذلك كعقاب للفاجر حتى يرتدع عن ذنبه، لقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١]، أو كاستدراج له فعن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيَةِ مَا يَجِبُ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]»<sup>(2)</sup>، كما تعتبرها -إن كانت سببا في الحرج والمشقة- عُذرا مُعتبراً لإسقاط الأحكام التكليفية المتعلقة بها، لحديث: «رَفَعَ الْقَلَمَ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»<sup>(3)</sup>، كما تتكلم عنها كونها عرضاً مرضياً يحتاج إلى علاج، بل وفتحت الأمر أمام الإنسان ليجد في البحث عن هذه الأدوية وأدويتها، لحديث: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(4)</sup>. وحديث: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ»<sup>(5)</sup>. قال ابن القيم: «وهذا يعمُّ

(1) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (169/7) برقم: (2908) (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدماً أو مؤخراً، ذكر البيان بأن العبد قد يكون له عند الله المنازل في الجنان فلا يبلغها إلا بالحن والبلايا في الدنيا)؛ والحاكم في "مستدرکه" (344/1) برقم: (1278) (كتاب الجنائز، نيل المنزلة بابتلاء المكاره)؛ وأبو داود في "سننه" (150/3) برقم: (3090) (كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب)؛ وأحمد في "مسنده" (5255/10) برقم: (22769) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رجل رضي الله عنه). والحديث صحَّحه الألباني. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، برقم: 2599 (189/6)].

(2) أخرجه أحمد في "مسنده" (3856/7) برقم: (17584) (مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي -صلى الله عليه وسلم-)؛ والطبراني في "الكبير" (330/17) برقم: (913) (باب العين، عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر). والحديث حسن بمجموع طرقه. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، برقم: 413، (773/1)؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، برقم: 17311، (547/28)].

(3) تقدّم تخریجه، (ص: 78).

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (21/7) برقم: (2204) (كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي).

(5) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (427/13) برقم: (6062) (كتاب الطب، ذكر الإخبار عن إنزال الله لكل داء دواء يتداوى به)؛ والحاكم في "مستدرکه" (196/4) برقم: (7516) (كتاب الطب، إن الله لم ينزل داء إلا وأنزل له شفاء)؛ والنسائي في "الكبرى" (298/6) برقم: (6834) (كتاب الأشربة المحظورة، لبن البقر)؛ وابن ماجه في "سننه" (498/4) برقم:

أدواء القلب والروح والبدن وأدويتها، وقد جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- الجهل داء، وجعل دواءه سؤال العلماء، -واستدلَّ بحديث الرجل الذي جُرح في رأسه، فأفتاه بعضهم بوجوب الاغتسال، فاغتسل فمات- فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا؟ **فإنما شفاء العِيِّ السؤال**»<sup>(1)</sup>. وقد سأل الأعراب أهل البدو النبي -صلى الله عليه وسلم- عن التداوي، -وكانوا أصحاب غلظة وجفاء، ولذلك قال الله عنهم: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة: ٩٧] الآية، قال ابن عباس: «لأنهم أقسى وأجفى من أهل الحضرة»<sup>(2)</sup> - فقالوا: «فهل علينا جناح أن نتداوى؟ فقال: **تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، قالوا: يا رسول الله، فما خير ما أعطي العبد؟ قال: خُلُقٌ حسن**»<sup>(3)</sup>.

وهذا نصٌّ في مشروعية التداوي<sup>(4)</sup>، كما أنَّ فيه إرشاداً إلى التداوي الجسماني، وكذا النفساني بالتحلِّي بالأخلاق الحسنة.

=

(3438) (أبواب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)؛ وأحمد في "مسنده" (833/2) برقم: (3648) (مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه). قال الدارقطني: «ورفعه صحيح». [أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، (334/5)].

(1) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: 8). والحديث تقدّم تخريجه.

(2) أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (290/2).

(3) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (525/4) برقم: (2955) (كتاب المناسك، باب ذكر الناسي بعض نسكه يوم النحر ثم يذكره)؛ وابن حبان في "صحيحه" (226/2) برقم: (478) (كتاب البر والإحسان، ذكر البيان بأن حسن الخلق من أفضل ما أعطي المرء في الدنيا)؛ والنسائي في "الكبرى" (377/5) برقم: (5844) (كتاب العلم، كيف الجلوس عند العالم)؛ وأبو داود في "سننه" (1/4) برقم: (3855) (كتاب الطب، باب الرجل يتداوى)؛ والترمذي في "جامعه" (561/3) برقم: (2038) (أبواب الطب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الدواء والحث عليه). وقال الترمذي عقبه: «حديث حسن صحيح».

(4) وقد اتفق الفقهاء على مشروعية التداوي من الأمراض عامة، واختلفوا بعد ذلك في أيِّ أقسام المشروع يندرج، هل هو واجب أو مستحبٌّ أو مباح، وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أنَّ التداوي تعترية الأحكام الفقهية الخمسة، ومن ذلك ما لحَّصه ابن تيمية قائلاً [مجموع الفتاوى (12/18)]: «والتحقيق: أن منه ما هو مُحَرَّمٌ ومنه ما هو مكروه ومنه ما هو مباح؛ ومنه ما هو مستحب وقد يكون منه ما هو واجب وهو: ما يُعلم أنه يحصل به بقاء النفس لا بغيره كما يجب أكل الميتة عند الضرورة، فإنه واجب عند الأئمة الأربعة وجمهور العلماء وقد قال مسروق: (من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار). فقد يحصل أحياناً للإنسان إذا استَحَرَّ المرض -يعني اشتدَّ وقوي- ما إن لم يتعالج معه مات، والعلاج المعتاد تحصل معه الحياة كالنغذية للضعيف

=

=

وكاستخراج الدم أحياناً». وقد توصلَ المجمع الفقهي إلى الجمع بين تلك الأقوال، وقد جاء في دورة مؤتمر السابع بجدة في المملكة العربية السعودية من 7 إلى 12 ذو القعدة 1412هـ الموافق 9 - 14 مايو 1992م، أنّ أحكام التداوي تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص: فيكون واجباً على الشخص إذا كان تركه يُفضي إلى تلف نفسه أو أحد أعضائه أو عجزه، أو كان المرض ينتقل ضرره إلى غيره، كالأضرار المعدية. ويكون مندوباً إذا كان تركه يؤدي إلى ضعف البدن ولا يترتب عليه ما سبق في الحالة الأولى. ويكون مباحاً إذا لم يندرج في الحالتين السابقتين. ويكون مكروهاً إذا كان بفعل يخاف منه حدوث مضاعفات أشد من العلة المراد إزالتها. [يُنظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، (563/3)، قرار رقم: 67 (7/5)، نسخة إلكترونية على التت: [https://iifa-aifi.org/ar/1858.html#\\_ftn1](https://iifa-aifi.org/ar/1858.html#_ftn1)].

وبالنظر إلى طبيعة الاضطرابات النفسية فإنها تختلف عن الأمراض الجسمية، ذلك أنّها -زيادةً على تفاوتها في الشدة- متداخلة في نفسها والحدود بينها مسامية، ولا تكون في جهة واحدة كما يحدث مع أكثر الأمراض الجسمية، بل تُؤثر على جميع الوظائف الحياتية للإنسان، وقد ينتقل أثرها إلى الجسم كما في حالات الاضطرابات النفسجسمية (السيكوسوماتية)، ومنها اضطرابات ينجم عنها -إن لم يُسارع المريض إلى العلاج- الوفاة إتماً بتدهور الحالة الصحية أو القيام بالانتحار جرّاء الألم النفسي القوي الذي لا يُحتمل كالضيق الناتج عن اضطراب الكتابة الكبرى أو اضطراب ثنائي القطب، وبعضها يُشكّل الشخص فيه خطراً على نفسه أو غيره وهو ما تتّصف به بعض حالات الاضطرابات الذهانية وكذا اضطراب الشخصية العُدواني، وفي كثير من الأحوال ينتقل الأثر النفسي إلى الدماغ والجهاز العصبي، ففي هذه يكون العلاج واجباً. وحتى اضطرابات القلق (الغصاب) كثيراً ما تتطوّر إلى حالات متقدّمة، والضيق الذي ينجم عن الاضطراب النفسي قد يمنع الشخص من كثير من واجباته الدينية والاجتماعية، مثل ما يفعل اضطراب الوسواس القهري (OCD) بابتعاد الشخص عن الأشياء التي تسبب له القلق فيترك الصلاة والوضوء وربما يُطلق زوجته ويضيع أسرته هرباً من وساوسه، وهذا الجانب من الاضطرابات النفسية يجعل العلاج النفسي -من جهة الحكم الفقهي- متأكّداً أكثر من العلاج الجسماني.

وأما إذا تُكلّم عن المرض النفسي الذي يرجع إلى إرادة الشخص، وهو سائر الأخلاق السيئة كالكبر وقسوة القلب وغيرها ممّا ربّنت الشريعة عليها العقاب والمؤاخظة، والتي تنجم عن تصرف الشخص الإرادي، فهذه لا يختلف أثنان في وجوب اجتهاد الشخص في التنبّه عنها، ذلك أنّ الله تعالى لم يُكلّفنا شرعاً بما هو خارج عن طاقتنا، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

والعلاج النفسي على نوعين: دوائي ولا دوائي، وأحسن العلاجات اللادوائية هو العلاج المعرفي السلوكي، والدوائي يلزم فيه أن يكون من طبيب مختص خبير بالأدوية ولا ينبغي المسارعة إلى العلاج الدوائي مع إمكانية العلاج اللادوائي وغلبة الظنّ بقدرته على انتشال المريض النفسي من اضطرابه، ولا بدّ أن يُراعى طريقة إعطاء هذه الأدوية للمريض بالنظر في شدة مرضه وما يُناسب حالته المرضية، وقد يعتمد إلى الجمع بين العلاجين الدوائي واللاادوائي في بعض الحالات، وقد جيكت كثير من الحُرّافات والأوهام حول الأدوية النفسية، وقد ذكر منها أ.د. طارق الحبيب طرفاً لا بأس به من ذلك، لا يتّسع المقام لسردها. [يُنظر: خلود بنت عبد الرحمن المهيزع، أحكام المريض النفسي في الفقه الإسلامي (رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراة في الفقه)، إشراف: د. إبراهيم بن ناصر الحمود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، 1431هـ-1432هـ. (ص: 392-399، 441)؛ كمال الدين جُمعة بكرو، أحكام التداوي والدواء في الفقه الإسلامي، تقديم وتقرير: أ.د. أحمد الحُجّي الكُردي، ط1، دار الضيياء للنشر

=

وعليه فالشريعة فتحت باب البحث لاكتشاف الأدواء جسميّة كانت أو نفسيّة، وما يُناسبها من الأدوية، ولكنّ الوحي لم يأت ليقرّر نظريّات وتجارب نفسية تحتمل الخطأ والصواب، وتتغيّر مُتطوّرة باستمرار، ولكنه أتى بالحقائق والسُنن الكونيّة الثّابتة، كما أتى بالشرائع التي يهتدي بها الإنسان في جميع مناحي الحياة، رغم اختلاف الأمكنة والأزمنة.

الثّانيّة: الأمراض النفسية التي هي من كسب الإنسان، وهي المقصودة بجُلّ النصوص التي أضافت المرض إلى القلب؛ مثل: الكبر، والنفاق، والشكّ وأتباع الشُّبهات، والزَّيغ، والميل إلى الشّهوات المحرّمة العاجلة، والتعلّق بغير الله عزّ وجل، وسائر الأخلاق السيّئة والمعاصي، إذ إنّ مبدأ كلّ المعاصي نيّة القلب، فإنّ القلب لما كان هو محلّ الإرادة والعزم، ومنه مبدأ الفعل، رجعت عليه أفعال الجوارح المنحرفة بالتأثير القبيح، ولذلك قست قلوب العُصاة، وضربت عليها الأكنة والأقفال، فذهب وعيها وضعفت قوّتها؛ وهذا النوع من الأمراض لما كان الإنسان مُخيّراً في مباشرة أو مجانبه أسبابه، لقوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، -مع أنّ الإنسان وأعماله مخلوقة لله تعالى، لقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٦١)﴾ [الصافات: ٩٦]<sup>(١)</sup> - فإنّه مسؤول عنه وعن نتائجه، مُتوعّد بالعقاب من الربّ - عزّ وجلّ - إن لم يتدارك نفسه بالإصلاح.

وأما الاضطراب النفسي في علم نفس الشّواذ وعلم الصحة النفسيّة، فيتكلّم عنه من جهة تشخيص أعراضه، والبحث عن أسبابه، وذلك: لتحديد أنسب الطُّرق للتوصّل إلى علاجه، بغضّ النظر عن قضيّة المسؤوليّة أمام الله تعالى في تقبُّم أسباب هذه الأمراض النفسيّة، وبغضّ النظر عن قضيّة النظر إلى الجزء الأخرى المترتّب على ما هو من كسب الإنسان.

والتوزيع: الكويت، 1434هـ - 2013م. (ص: 27-34)؛ أ.د. وهبة بن مصطفى الرُّحَيْلِي، الفقه الإسلامي وأدلّته، (5204/7)؛ طارق بن علي الحبيب، العلاج النفسي والعلاج بالقرآن (رؤية طبيّة نفسيّة شرعيّة)، (ص: 357).

(1) ذكر ابن جرير الطّبري أنّ (ما) في قوله تعالى: (وما تعملون) تحتمل وجهين، الأوّل: أن تكون مصدرية، فيكون المعنى: خلقكم وعملكم. والثّاني: أن تكون موصولة بمعنى الذي، وتأويله: خلقكم والذي تعملونه. [ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (70/21)].

ثانياً (باعتبار الغيب والشهادة): الاضطراب النفسي في علم النفس يُبحث على المستوى الشهودي، ويُقصد بالمستوى الشهودي: ما تصل إليه الحواس الخمس<sup>(1)</sup>، وكلُّ الأسباب والأعراض المتعلقة بالاضطراب النفسي، والتي تُحاول إبرازها النظريات والتجارب النفسية لا تخرج عن الجوانب الإنسانية المشهودة معرفية كانت أو سلوكية، أو شعورية انفعالية، أو جسمانية بيولوجية (عصبية كانت أو هرمونية)، بيئية أو وراثية.

أمَّا المرض النفسي في الوحي الرباني، فيشمل الكلام على هذا المستوى الشهودي، ويرتقي إلى مستوى أسمى وهو المستوى الغيبي، وهو: كلُّ ما أخبرنا الله به في كتابه أو على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- ممَّا غاب عنَّا، وهو الذي ابتلى الله الخلق بالإيمان به، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّهُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤] الآية، وأثنى سبحانه على من يخشاه بالغيبي: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [٤٩] [الأنبياء: ٤٩]، كما أنه ذمَّ من يُكذِّب بالغيبي ويخوض فيه جُزافاً بالأوهام والتَّحمينات، قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٣]<sup>(2)</sup>، ولم يحصل الابتلاء بالشَّهادة من جهة الإيمان بها، لأنَّ كلَّ النَّاس تتساوى في الإيمان بها، على اختلاف مداركهم لها عمقا ونوعا، وذلك لأنَّ المستوى الغيبي لا يصل إليه الحسّ، وإنما يُشاهد آثاره فقط، وزمام الإيمان بالغيبي هو الإيمان بالله عزَّ وجلَّ، إذ إنَّه سبحانه هو: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [٦] الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة: ٦-٧]، ولا صلاح للنفس الإنسانية إلا بمعرفة الله عزَّ وجلَّ وتصديق أخباره وامتهال أوامره، يقول ابن القيم: «وسعادته -أي الإنسان- التَّامة مَوْقُوفَةٌ على استكمال قُوَّتَيْهِ العِلْمِيَّةِ والإِرَادِيَّةِ، واستكمال القُوَّةِ العِلْمِيَّةِ: إمَّا يكون

(1) قال الرَّاغِب في قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [السجدة: ٦]: «أي ما يغيب عن حواسِّ الناس وبصائرهم، وما يشهدونه بهما». [الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 466)، (2) وفي المراد بقذفهم بالغيبي أربعة أقوال، هي كالاتي: أوَّلًا (قاله أبو صالح عن ابن عبَّاس): ادَّعَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ سَيُرَدُّونَ إِلَى الدُّنْيَا بَعْدَ المَوْتِ، ثانيًا (قاله الحسن وقتادة): تكذيبهم بالبعث والحساب والجزاء، وقولهم: لا جنة ولا نار، ثالثًا (قاله مجاهد): أنَّهمهم للنبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- بالسَّحَر والكِهانة والشَّعر، رابعًا (قاله ابن زيد): وصفهم للقرآن بأنه أساطير الأولين، وأنَّه سحر مبين. وكلُّ هذه الأقوال هي من اختلاف التَّنوع، وكلُّ واحد منها فيه شواهد من الآيات على قولهم لهذه الأقوال. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (429/20)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (504/3)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (385/4)].

بمعرفة فطره وبارئه ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق التي توصل إليه، ومعرفة آفاتها، ومعرفة نفسه، ومعرفة عيوبها، فهذه المعارف الخمسة يُحَصِّلُ كمال قُوَّته العلميَّة... واستكمال القُوَّة العمليَّة الإراديَّة: لا تحصل إلا بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد، والقيام بها إخلاصاً وصدقاً ونصحاً وإحساناً ومتابعة وشهوداً لمنته عليه وتقصيره هو في أداء حقِّه...»<sup>(1)</sup>.

ومن هذا المستوى تأثير عالمي الملائكة والجن على السلوك الإنساني، ومن الشواهد على ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فإِعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فإِعَادُ بِالحَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلِيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى، فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ قَرَأْ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨] الآية»<sup>(2)</sup>. وهذه الخطرات التي تُلقَى في رُوع الإنسان من الملائكة والشياطين، تتحوَّل فيما بعد إلى سلوك، وذلك أتمها -أي الخطرات- «مبدأ الخير والشرِّ، ومنها تتولَّد الإرادات والهمم والعزائم. فمن راعى خطراته ملكَ زمامَ نفسه، وقهر هواه. ومن غلبته خطراته فهو له نفسه له أغلب، ومن استهان بالخطرات قاده قسرًا إلى الهلكات»<sup>(3)</sup>. وتفاصيل هذا الجانب الغيبي لا سبيل إلى العلم به إلا من جهة الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام-.

أمَّا على المستوى الشُّهودي فإنَّ الوحي قد تضمَّن توجيهات وهدايات، حيث أمر بالنظر في النَّفس وما فيها من الجوانب جسميَّة كانت أو وظيفيَّة، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٢١)</sup> [الذاريات: ٢١]، قال ابن زيد في هذه الآية: «وفينا آيات كثيرة، هذا السمع والبصر واللسان

(1) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، ط2، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1393هـ-1973م. (ص: 18-19).

(2) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (278/3) برقم: (997) (كتاب الرقائق، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن المرء إذا كان في حالة ليس له سؤال الرب جل وعلا الحلول من تلك الحالة لأن هذا كلام محال)؛ والنسائي في "الكبرى" (37/10) برقم: (10985) (كتاب التفسير، قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر)؛ والترمذي في "جامعه" (94/5) برقم: (2988) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ومن سورة البقرة). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». [ويُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، برقم: 993، (2/314)]. واللمَّة قال ابن الأثير: «الهمَّة والخطرة تقع في القلب، أرادَ إمام الملك أو الشَّيْطَانِ بِهِ وَالثَّرْبُ مِنْهُ، فَمَا كَانَ مِنْ خَطَرَاتِ الحَيْرِ، فَهُوَ مِنَ الْمَلِكِ، وَمَا كَانَ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّرِّ، فَهُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ». [المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (273/4)].

(3) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: 353).

والقلب، لا يدري أحد ما هو أسود أو أحمر - يقصد الألوان-، وهذا الكلام الذي يتلجلج به، وهذا القلب أي شيء هو، إنما هو مضغة في جوفه، يجعل الله فيه العقل، أفيدري أحد ما ذاك العقل، وما صفته، وكيف هو»<sup>(1)</sup>، وقال الطاهر بن عاشور: «وهذا التكوين العجيب كما يدل على إمكان الإيجاد بعد الموت، يدل على تفرد مكوّنه تعالى بالإلهية، إذ لا يقدر على إيجاد مثل الإنسان غير الله تعالى، فإنَّ بواطن أحوال الإنسان وظواهرها عجائب من الانتظام والتناسب، وأعجبها: خلق العقل وحركاته، واستخراج المعاني، وخلق النطق، والإلهام إلى اللغة، وخلق الحواس، وحركة الدورة الدموية، وانتساق الأعضاء الرئيسة وتفاعلها، وتسوية المفاصل والعضلات والأعصاب والشرابين، وحالها بين الارتحاء واليبس...»<sup>(2)</sup>.

وكما أن من حكم هذا الأمر- وهو النظر في أحوال النفس ظاهرة وباطنة-: الاستدلال بها على عظمة الخالق، وأن ما أنزله على أنبيائه هو الحق، لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] الآية، فكذلك من الحكم والأبعاد التي يمسها هذا النظر والتبصر في الأنفس، هو: تسخير الله عز وجل لبني آدم هذا الخلق المزدوج المكوّن من البدن والروح، وما يتعلّق بهما من الوظائف، وما ركّب فيه من قوى الحواسّ والعقل ما يفضل به جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [السجدة: ٧ - ٩]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤] <sup>(3)</sup>.

(1) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (419/22-420).

(2) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (353/26-354).

(3) قال الزّاعب: «وذلك إشارة إلى ما حُصّ به الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم». [المفردات في غريب القرآن، ص: 693]؛ وقال الطاهر بن عاشور: «وليس تقويم صورة الإنسان الظاهرة هو المعتر عند الله تعالى ولا جديراً بأن يقسم عليه، إذ لا أثر له في إصلاح النفس، وإصلاح الغير، والإصلاح في الأرض، ولأنه لو كان هو المراد لذهبت المناسبة التي في القسم بالتين والزيتون وطور سينين والبلد الأمين. وإنما هو متم لتقويم النفس، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله لا ينظر إلى أحسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم». [تقدّم تحريجه، ص: 88]، فإن العقل أشرف ما حُصّ به نوع الإنسان من بين الأنواع. فالمرضي عند الله هو تقويم إدراك الإنسان ونظرة العقلي الصحيح، لأن ذلك هو الذي تصدر عنه أعمال الجسد، إذ الجسم آلة خادمة للعقل، فلذلك كان هو المقصود من قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤]. وأما خلق جسد الإنسان في أحسن تقويم فلا ارتباط له بمقصد السورة، ويظهر هذا كمال الظهور في قوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾

وإن كان هذا التسخير عامًّا في جميع المخلوقات، لقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجمانية: ١٣]، وفي ذلك مشروعية ممارسة كل العلوم المباحة التي تتعلق بها، ولكن في الوقت نفسه لم يأت الوحي ليعالج دقائق العلوم التجريبية، فالقرآن ليس كتاب نظريات وتجارب، بل هو كتاب هداية وحقائق قال تعالى: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦]، فالوحي لم يأت ليفصّل لنا بالشرح المستفيض كيف تحدث المعرفة والانفعال، وكيف يتحرّك السلوك ويعود على البدن بالتأثير، وإن كان أشار إلى ذلك إشارات هنا وهناك، ولكن الوحي جاء بما يدعم ويوجّه الجوانب والوظائف النفسية، ولذلك تضمّن تفاصيل السلوك فيما يتعلق بعلاقة العبد مع ربه، (وهي ما يُطلق عليه عبادات)، وفيما يتعلق بعلاقة العبد مع غيره من المخلوقين (وهي المقصودة بالمعاملات)، كما أنّه وجه المعرفة فأمر بالتفكير وإعمال العقل، وأتى بتفاصيل تدعم الجانب المعرفي فأمر بالإيمان بالله وبيّن أسمائه وصفاته وكل ما يجب الإيمان به، وبين مصدر الخلق والغاية منه والمآل الذي يصير إليه، وأحكامه مُشمّلة على إشباع للدوافع وتوجيه للعواطف وضبط للانفعالات، بما يُحقّق السعادة للإنسان من غير إفراط ولا تفريط.

ولذلك يغلط من يغلط في تحميل بعض النصوص من الكتاب والسنة ما لا تحتمله من جهة الاستدلال حتّى تتناسب مع النظريات والتجارب العلمية، لغرض بيان صلاحية الشريعة الإسلامية للحياة، ولم ينتبه هذا الفاعل إلى خروجه عن المواضيع التي جاء الوحي ليعالجها، إضافة إلى جعله الوحي تابعا لا متبوعا، كما أنّه يُعرّض هذه النصوص الكريمة للنقض عندما يتمّ تجاوز تلك النظريات والتجارب. ولكن العلوم المتعلقة بجوهر الإنسان، وهو عقله وأحاسيسه وسلوكياته، فإنّها تمسّ الموضوع الذي جاءت الشريعة لتعالجه، وهل الشريعة إلّا الأحكام المتعلقة بأفعال المكلفين (عبادات

=

[التين: ٥] فإنه لو حمل الرُّدُّ أسفل سافلين على مصير الإنسان في أرذل العمر إلى نقائص قوته، كما فسره به كثير من المفسرين، لكان بُبُوهُ -يعني خروجه- عن غرض السورة أشد، وليس ذلك مما يقع فيه تردّد السامعين حتى يحتاج إلى تأكيده بالقسم، ويدل لذلك قوله بعده: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [التين: ٦] الآية، لأنّ الإيمان أثر التقويم لعقل الإنسان الذي يلهمه السير في أعماله على الطريق الأقوم». [التحرير والتنوير، (30/424-425)].



ومعاملات) وعقائدهم؟ وهل بُعث النبي -صلى الله عليه وسلم- لغاية سوى تقويم أخلاق الناس وتتميمها<sup>(1)</sup>؟

ومن هنا خطورة قبول كُـلِّ ما تُلقِيه لنا النَّظَرِيَّات والتَّجَارِب الغرِيبَة، إذ إنَّ بعضها يتعارض ويتصادم مع العقيدة الإسلامية، وذلك مثل ما فسَّر به أبو التَّحْلِيل النَّفْسِي سيجموند فرويد الإيمان بالله -سبحانه وتعالى عمَّا يصفه الظَّالِمون عُلُوًّا كبيرًا- بأنَّه ليس إلَّا إعلاء لعقدة أوديب، حيث يقول: «لكن يتَّضح لنا من الفحص التَّحليلي النَّفْسِي للفرد بمنتهى الجلاء أنَّ إله كلِّ إنسان هو صورة أبيه، وأنَّ الموقف الشخصي لكل فرد تجاه الإله منوط بموقفه إزاء أبيه المادي...»<sup>(2)</sup>، ويخلص بعدما خاض في إعطاء تفسيرات لا مُستند لها إلَّا تحيُّره الشَّدِيد إلى الرَّجوع إلى المراحل الجنسيَّة في الطُّفولة، إلى أنَّ التَّدْبِير هو نظير للمرض النَّفْسِي، حيث يقول: «وقد كان التَّحليل النَّفْسِي آخِر من تصدى بالنقد للنظرة الدينية إلى الكون، إذ رَدَّ أصل الدِّين إلى عجز الطُّفولة وقلة حيلتها، كما رَدَّ مضمونه إلى بقاء رغبات الطُّفولة وحاجاتها حتَّى سنِّ النَّضج...إننا إن حاولنا أن نحدد للدين مكانه في تاريخ تطور الإنسانيَّة لم يبد أنَّه كسب خالد، بقدر ما يبدو أنَّه نظير للمرض النَّفْسِي الذي لا بُدَّ أن يجتازه الإنسان المتحصِّر وهو يتطوَّر من الطُّفولة إلى سنِّ النَّضج»<sup>(3)</sup>.

وبعد سلسلة من التَّشغيبات التي شَعَّب بها على الدِّين، وخاصَّة في العقيدة التي يُعطيها الدِّين للإنسان حول نظريته إلى الكون بأنَّ له خالقًا حكيمًا يجب أن يُطاع، كان من المنتظر أن يُعطي نظرة التَّحليل النَّفْسِي إلى الكون، بدلا عن نظرة الدِّين التي زعم أنَّها تُضادُّ العلم وتُضيِّق عليه الحِنَاق، فإذا به يعتذر عن ذلك، تاركا الأمر في حيرة حول أصل الخلق، قائلا: «الرأي عندي أنَّ التَّحليل النَّفْسِي

(1) لحديث: «إنَّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وفي رواية: صالح الأخلاق. [أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (613/2) برقم: (4244) (كتاب آيات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي في دلائل النبوة)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (191/10) برقم: (20839) (كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها)؛ وأحمد في "مسنده" (1879/2) برقم: (9074) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه). وأخرجه مالك في "الموطأ" بلاغا، بلفظ: (حُسن الأخلاق) (1329/1) برقم: (686/3357) (حسن الخلق، ما جاء في حسن الخلق). قال ابن عبد البر: «وهذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي -صلى الله عليه وسلم-... إلى أن قال في رواية: (صالح الأخلاق): وهذا حديث مدني صحيح ويدخل في هذا المعنى الصَّلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه -صلى الله عليه وسلم-». [أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (333-334)].

(2) سيجموند فرويد، الطُّوْطَم والحرام، (ص: 192).

(3) سيجموند فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة في التَّحليل النَّفْسِي، (ص: 153).

لا يستطيع أن يخلق لنفسه نظرة إلى الكون خاصّة به، فهو ليس في حاجة إلى ذلك، لأنّه فرع من فروع العلم»<sup>(1)</sup>. ثمّ اعتذر بأنّ العلم لا زال في بداياته، مستندا في أصل الخلق إلى نظريّة التطوّر التي تتناقض مع العقيدة الإسلاميّة في النّظر إلى الإنسان، حيث قال: «إنّ العلم لا يزال طفلا يَجِبُ، ووجه حديث من أوجه النشاط الإنساني، فلم يكن لديه من الوقت ما يتيح له القيام بمثل هذا العمل الجسيم... كنت على قيد الحياة عندما نشر تشارلز دارون كتابه عن أصل الأنواع... فلا شك أنّ تطوّر الإنسان من يوم أن كان على هيئة القرد، قد استغرق أكثر من مائة ألف عام...»<sup>(2)</sup>.

وفي حين قام أتجاه فرويد في التّحليل النفسي باستبعاد تدخّل الدّين في الصّحة النفسيّة، قامت الأبحاث أخرى تعتمد المنهج التجريبي باستبعاد كلّ ما ينتمي إلى الدّين عقيدة وفقها وسلوكا على الحياة النفسيّة للإنسان، لأنّها لا تخضع للقوانين العلميّة التي تُمكننا من التّحكّم في الحياة النفسيّة، في الوقت نفسه جعلوا الإنسان محكوما بغرائزه الحيوانيّة وظروفه البيئيّة، وبنفس ذلك المنطق الذي عبّر به عالم النّفس السّلوكي آيزنك لما ذكر أن النظرية الفرويدية في عقدة أوديب (الطمع الجنسي للابن في أمّه) وعقدة إكتر (الطمع الجنسي للأنتى في أبيها) واستخراج المكبوتات من تفسير الأحلام ما هي إلّا وجه آخر للشّياطين والعماريات التي كان يتمّ تعذيب المرضى النفسيين بسببها في القرون الوسطى، حيث قال: «لا يُعبر العلاج السلوكي انتباها للكينونات التأمليّة، مثل عقدة أوديب، أو حسد القضيب، أو الأنا الأعلى، كما لا يُحاول تفسير الأحلام... لقد شهّر المنحى السلوكي بالمحلّلين النفسيين الذين كانوا أكثر اهتماما بالصّراعات النفسيّة الداخليّة الافتراضيّة بين كينونات افتراضية بشكل مساو، والشّبيه بشياطين القرون الوسطى التي تُحارب روح المريض»<sup>(3)</sup>. وبالمنطق الذي تكلم به هذا السّلوكي، فإنّ الإشراف الاستجابي والإجرائي، ما هي إلّا أوجه أخرى لشياطين القرون الوسطى، فبعد ما كانت الحياة النفسيّة الإنسانيّة ألعوبة في يد شياطين القرون الوسطى المدعّاة من طرف الرّهبان، انتقلت عند التّحليليين إلى أن تكون رهينة لغريزي الجنس والعدوان المكبوتين في اللاشعور، ثمّ انتقلت إلى سجن السّلوكية لتكون رهينة الطّروف البيئيّة المتمثّلة في المثيرات والمكافآت التي تُوجّه وتسيطر على السّلوك الإنساني.

(1) المصدر السّابق، (ص: 166).

(2) المصدر السّابق، (ص: 158).

(3) ه. ج. آيزنك، علم النّفس الحديث ونتائجه الاجتماعيّة، ترجمة: عبد المجيد نشواتي، منشورات وزارة الثّقافة: دمشق - الجمهورية العربيّة السوريّة، 1996م. (ص: 108).

وإن حاول الاتجاه الإنساني والوجودي إعادة الإنسان إلى إنسانيته وخيريته المفقودة التي سلبتها منه التماذج التي درست الإنسان - كما وصفوه - باعتباره فأر تجارب أو آلة ميكانيكية، بالتأكيد على خيرية الإنسان ودور إرادته في التعالي على ظروفه الحيوانية والنفسية والبيئية، وعدم خضوعه الحتمي لها - مع إثبات تأثير كل هذه العوامل في الحالة النفسية -، فإن هذا الاتجاه بقي يُعاني من مجهولية المعنى، الذي كان يُنادي بأهميته في إحداث الاضطراب أو الصحة النفسية. وعلى كل واحد أن يكتشف هذا المعنى بنفسه، حتى في صميم المعاناة والظروف المساوية التي تمرُّ به، يقول فرانكل مُبتكر العلاج النفسي بالمعنى: «وما يحتاجه مرضانا هو إيمان غير مشروط بمعنى غير مشروط»<sup>(1)</sup>. ووظيفة المعالج النفسي بالمعنى الوجودي «لا أن يجعل المريض يرى ما هو هذا المعنى، ولكن يُمكنه أن يجعل المريض يعرف أن هناك معنى، وأن الحياة تحتفظ دائماً بهذا المعنى»<sup>(2)</sup>. هذه المجهولية للمعنى أدت بالاتجاه الوجودي إلى الغموض.

ولئن كان التحليل النفسي ينظر إلى الدين أنه عُصَاب، فإن من اعترف من تلك الاتجاهات النفسية بجدارة التدوين في تحقيق الصحة النفسية، فإنه ينظر إلى الدين نظراً نفعياً (براجماتياً) مجرداً، بوصفه أداة قابلة للاستخدام وقابلة للرفض، كما يغض الطرف عن وصف هذا الدين، هل هو دين سماوي أو وثني، صحيح أو غير صحيح؟ وفي ذلك من الإغراق في الذاتية ما لا يخفى، يقول فرانكل: «والعلاج بالمعنى لا يعبر الحدود بين العلاج النفسي والدين، ولكنه يترك الباب مفتوحاً للدين، ويترك الأمر للمرضى إن أرادوا المرور من هذا الباب أو لم يُريدوا، إنه المريض الذي عليه أن يُقرّر ما هو تفسيره لمعنى المسؤولية سواء كانت مسئولية بُحاه الإنسانية، أو المجتمع، أو الضمير، أو الله. فهو الذي يُقرّر أنه مسئول عن ماذا، وعن من، وأمام من... والعلاج بالمعنى يتسق مع الدين ولكنه ليس بروتستانياً أو كاثوليكياً أو يهودياً...»<sup>(3)</sup>. وإن كانت حقيقته أنه يُحاول أن يستبدل الدين بما يُسمى بالعلاج بالمعنى، إلا أنه بديل مُشوّه للمفاهيم الدينية اليهودية المتمثلة في الوصايا العشر<sup>(4)</sup>، والتي لم

(1) فيكتور إيميل فرانكل، إرادة المعنى - أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى -، (ص: 190).

(2) المصدر السابق، المقدمة (ص: د).

(3) المصدر السابق، (ص: 174).

(4) وقد احتوت هذه الوصايا - ما عدا تحريم العمل يوم السبت - على التوحيد وأصول الأخلاق، وهي كالاتي: توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وتعظيمه وعدم الإشراك به، وعدم تمثيله بخلقه، تحريم الحلف بالله على الباطل الكذب (اليمين الغموس)، تحريم العمل في يوم السبت، بر الوالدين وحرمة عقوقهما، تحريم الزنا، القتل، والسرقه، وشهادة الزور، وقربان الفواحش، وهي شبيهة

يعد الاعتراف بها في الأوساط العلمية، فسيقت مُجرّدة عن جوهرها وحقيقتها، بأسلوب يُناسب الأسلوب العلماني المهيمن على العصر الحالي، قال فرانكل: «ففي عصر فقدت فيه الوصايا العشر ما كان لها من مصداقية غير مشروطة بالنسبة لكثير من الناس، يجب أن يتعلّم الإنسان الإصغاء إلى آلاف الوصايا المتضمّنة في آلاف المواقف التي تتكوّن منها حياته. وفي هذا الصّدّد أتمتّى أن يجد القارئ في العلاج بالمعنى ما يُجيب على مُتطلّبات الوقت الحاضر»<sup>(1)</sup>. بل ويؤكّد فرانكل على تجنّب عبارة روجي لمجرّد أنّها توحى بمعان دينية، فقال عن البعد المعنوي: «هذا البعد يُمكن تعريفه أيضا على أنّه البعد الرُّوحي، ولكن نظرا لأنّ كلمة روجي في الإنجليزية تتضمّن تلميحات دينية، فيجب تجنّب هذا المصطلح بقدر الإمكان. وذلك لأنّ ما نفهمه من مصطلح البعد المعنوي على أنه بعد أنثروبولوجي ( إنساني) لا ديني. ويسري هذا أيضا على كلمة المعنى (logos) المستخدمة في مصطلح العلاج بالمعنى...ولكن أيضا بلا أي تلميحات دينية»<sup>(2)</sup>.

والمعالج أو المرشد النفسي المسلم يعترف بكل ما هو مفيد في هذه المناهج النفسية وله أثر في تحقيق حياة نفسية أفضل ما لم ينطو على محاذير شرعية، ويرفض الوقوف عند كلّ النظريات التي تختصر الإنسان في أنّه ليس إلّا حيوان مُتطوّر أو آلة ميكانيكية، ويتجاوزها إلى بعد أسمى إنه البعد الروحي الإيماني الذي تمّ تشويه صورته بتصرّفات رجال الكنيسة في العصور الوسطى، وأحدث لدى أصحاب العلم التجريبي زهابا من التدنّين، وللأسف أن ينتقل هذا الزهاب إلى المسلم حول دينه الثابت المحفوظ، عندما يقيسه بالأديان التي تسرّب إليها التحريف والتبديل.

وليس في هذا دعوة للتحرّر من التخصص، ولكنّها دعوة إلى نبذ النظرة الاختزالية للإنسان، وتبديده هذه الاختزالية في القول: إنّ الإنسان ليس إلّا آلة معرفية كالكومبيوتر، أو ليس إلّا كتلة من الأنسجة العصبية والعضلية التي تتواجد نظائرها عند الحيوان، «فما يجب أن نرثي له في الواقع ليس

=

جدًا بالوصايا العشر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كُمِ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ الآيات، [الأنعام: ١٥١-١٥٣]. [نظر: د. رشاد عبد الله الشامي، الوصايا العشر في اليهودية - دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام-، دار الزهراء للنشر، 1414هـ-1993م. (ص: 47-50، 127)].

(1) فيكتور إيمانيل فرانكل، إرادة المعنى - أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى-، المقدمة (ص:د).

(2) المصدر السابق، (ص: 23-24).

هو أن العلماء يتخصصون، ولكن بالأحرى أن المتخصصين يُعمِّمون<sup>(1)</sup>، ولا بأس أن يُقال: إنَّ الجانب المعرفي في الإنسان كالكومبيوتر، والجانب البيولوجي الحيوي في الإنسان كفأر التجارب، لغرض دراسة وتعميق الفهم في كلِّ جانب من الجوانب الإنسانيَّة، ولكن يجب الحذر أيضا هنا وعدم التعدي، لأنَّه وإن لم يكن في هذا اختزالا للحياة النَّفسية، ففيه نظرة تجزأ الإنسان إلى أجزاء منفكَّة مشتتة، إذ إنَّ هذه الجوانب النَّفسية لا توجد منفصلة في الكيان الإنساني، بل هي وحدة متكاملة متعدِّدة الأبعاد، يُؤثِّر بعضها على بعض سلبا وإيجابا.

وقد سبق كيف أن علم النفس ترقى من النماذج التي تدرس الصحة النفسية والاضطراب النفسي من مستوى حيوي بيولوجي، إلى مستوى نفسي دينامي، ثمَّ إلى مستوى سلوكي، ثمَّ إلى مستوى إنساني وجودي، ثمَّ إلى مستوى سلوكي معرفي، والتأمل في هذه الانتقالات لعلم النَّفس يُلاحظ عليها أنَّ هذه النَّظريات النَّفسية ضاقت ذرعا باختزاليَّتها للإنسان ونظرتها التَّجزئية له، وإن حاول الاتجاه الوجودي الإنساني تكشُّف مستويات معنوية أعلى، تجتمع فيها الجوانب الإنسانيَّة وتتكامل، ولكنها هي الأخرى، بقيت مُبهمة من جهة تحديد هذا المعنى -ولو إجمالياً-، والذي تجعله أساسا للصحة النَّفسية، وبعدها تلتم فيه جميع الأبعاد الإنسانيَّة الأخرى. وهذا المعنى لا يُمكن الوصول إليه إلا بالرجوع إلى العقيدة الإسلاميَّة الصَّحيحة المستقاة من كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة نبيِّه -صلى الله عليه وسلم-، ونبد النَّظرة السلبية للدين الإسلامي، ودحض كلِّ الشُّبهات التي تُثار حوله ببيان المنهج الذي شرعه بُجاه التَّعامل مع المرض النَّفسي، والوسائل التي احتوى عليها لتحقيق الصحة النفسية بالرجوع إلى مصادره الصَّحيحة، وضرورة التَّفريق بين الإسلام كونه دينا ثابتا محفوظا، يأمر بالعلم ويفتح آفاق التَّفكير ويهديه ويعصمه عن المتهاتات العقيمة، وبين غيره من الأديان الوثنيَّة المخرَّفة والمناهج الأخرى المنحرفة.

ولقد أرجع محروس الشناوي الاختلاف الجوهرى -بين أنواع العلاج النَّفسي، وبين الهدى الإسلامي المستقى من الكتاب والسُنَّة في رعاية النَّفس الإنسانيَّة وقاية وعلاجاً وتعزيزاً- إلى ثلاث مناح أساسية، وهي<sup>(2)</sup>:

(1) المصدر السابق، (ص: 28).

(2) يُنظر: محمد محروس الشناوي، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع: القاهرة-مصر، 2001م. (ص: 132-149).

**أولاً:** اختلاف المنطلقات النظرية المعتمدة، وخاصة في مفهوم الإنسان. فالإسلام فيه حقائق عن الإنسان، وطبيعة خلقه من جسد وروح، والنظريات النفسية لها مفاهيمها الخاصة حول الإنسان، فأصحاب نظرية التحليل النفسي يعطون لجانب الشعور والأشعور حصّة الأسد في دراسة الجانب النفسي، والسلوكيون بعكس ذلك لا يرون للشعور والأشعور أهمية في دراسة النفس الإنسانيّة، لأنّه لا يمكن إخضاعه للمنهج العلمي، ويُرَكِّزون على السلوك الظاهري والمؤثرات البيئية، وأمّا الإنسانيون والوجوديون فقد جعلوا الإنسان مركز ذاته، ثمّ جاء المعرفيون السلوكيون حيث رفعوا من شأن العمليّات المعرفيّة، وركّزوا عليها في الدّراسة لما لها من أهميّة في توجيه السلوك وضبطه، حيث إنّها تعمل كحلقة وصل بين المؤثرات البيئية من جهة وبين السلوكيات الإجرائيّة والرّدود الانفعاليّة من جهة أخرى.

**ثانياً:** اختلاف الأصول التي تُشتقُّ منها القيم، والمعايير التي على ضوئها يتمُّ تحديد الحُسن والقبح، والخير والشر. فالإسلام عنده أصوله الثابتة الممتثلة في الكتاب والسنة، وما بُني على هذين الأصلين من باقي الأدلّة، وعليهما العمدة في تحديد القيم الجيدة والرديئة. وعلم الصحة النفسية له أصوله التجريبيّة والنظرية التي يُعتمد عليها في ذلك.

**ثالثاً:** اختلاف الأساليب العلاجيّة. مهما بدا التشابه بين بعض الطرق والوسائل التي استحدثها علماء النفس المحدثين في العلاج النفسي من جهة، والهدى الإسلامي في رعاية الصحة النفسية من جهة أخرى، فإنّه عند التمعّن في ما قامت عليه من الخلفيات النظرية والأهداف التي تسمو إليها نجدها متباينة.

فمثلاً الاسترخاء والرّاحة التي تعود على المسلم عند الصلّاة والتضرّع إلى الله، والتي يقصد بها التقرب إلى الله وإعداد العُدّة للقائه سبحانه يوم القيامة، هي غير الرّاحة التي يجدها المسترشد عندما يسترخي على كرسي المحلّل النفسي ليبيّن ما في نفسه من شكاوى وهموم، بغرض كشف المكبوتات التي تختبأ في لا شعوره، وتقوم بتوجيه سلوكه من طرف خفيّ توجيهها منحرفاً، ليتّمّ التّعامل الواقعي معه (أسلوب التّداعي الحُر)، وهي غير الرّاحة التي يكتسبها المعالج عندما يُساعده المعالج السلوكي على

الاسترخاء، ثم يُقرّبه من مُواجهة ما يُقلقه تدريجيًا، حتّى ينمحي قلقه كُليًا (أسلوب الكفّ المتبادل)<sup>(1)</sup>.

ولذلك حدّد محروس الشناوي معالم للأهداف التي يعمل المرشد على تحقيقها، في ضوء المنهج الإسلامي، يمكن إجمالها في نقطتين<sup>(2)</sup>:

1- تصحيح الأفكار والتصورات والعقائد الخاطئة، وتقوية الجوانب الإيمانيّة والعقديّة والتعبديّة والأخلاقيّة لدى المسترشد.

2- مساعدة المسترشدين على تقويم أخلاقهم وتقوية إرادتهم، وتنمية جانب المسؤولية والواقعيّة في تصرّفاتهم، وتحفيزهم على التفاعل الإيجابي مع البيئة المحيطة.

(1) يُنظر: محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، (ص: 285-290).

(2) يُنظر: محمد محروس الشناوي، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، (ص: 150-151).

الباب الثاني: الدعائم النفسية في ضوء الكتاب والسنة، ودورها في رعاية  
الصحة النفسية.

الفصل الأول: الدعائم المعرفية، والوجودية الإنسانية في ضوء الكتاب والسنة.

الفصل الثاني: الدعائم السلوكية والانفعالية والعاطفية في ضوء الكتاب والسنة.



**تمهيد:**

قد يلوح للدارس بادي الرأي، أن يجد في الوحي الإلهي، علاجاتٍ ناجزةً واضحةً المعالم، مندرجة تحت زاوية من الزوايا التي انطلقت منها النظريات والمدارس الكبرى في دراسة الصحة النفسية، أو قد يطمع أن يحصل على وسائل وطرق وقائية، وأخرى علاجية، وأخرى تنموية تعزيرية. ولكن سرعان ما يذوب هذا الوهم عند الدراسة المعمّقة لطبيعة النفس الإنسانية، وحقيقة ما يعترها من الاضطراب، وما تكون عليه من الصحة، حيث إنّ علم الاضطرابات النفسية توصل إلى أنّ الفروق بين أنواعها مسامية جدًا، إلى درجة أنّها تكاد تكون منعدمة، ولمّا يقف على التفاعل الحاصل بين جوانب النفس الإنسانية، إلى درجة تترك الناظر فيها مُحْتارًا، كيف أنّ ما يكون نتيجة وعرضًا لاضطراب نفسي ما، يعود هو نفسه ليكون سببًا في نفس الاضطراب النفسي الذي انبثق عنه، وكيف أنّ تلك المناهج الثلاثة -الوقائي والعلاجي والتعزيري- لم تعد تعمل متفرقة كما كانت.

وعندما يتجرّد الباحث مرّة أخرى -بالقدر الذي يُمكن أن يتجرّد به- مُنقِبًا، دارسًا لما احتوى عليه الوحي من الهدايات التي يُمكن أن يُركّز عليها، حتّى يتّخذها دعائم في رعاية الصحة النفسية، يلحظ الحقيقة ذاتها، وهي: أنّ الدّعامَة الواحدة من الوحي الإلهي، سواء كانت من الحقائق المعرفية، أو من الشرائع السلوكية، لا تعمل عملاً أحاديًا في جانب من الجوانب النفسية -معرفيًا كان أو سلوكيًا أو عاطفيًا أو انفعاليًا-، ولا تقتصر فقط على العلاج أو الوقاية أو التعزيز، بل نجد عملها متعدّدًا، بتعدّد تلك الجوانب النفسية، ومتشعبًا بتشعب تلك المناهج، ولذلك كان من الأنسب الكلام هذه الدّعائم، وشرح تأثيرها على تلك الجوانب، من غير أن نحيد بها عن طبيعة النفس الإنسانية، المشتتة على تلك الجوانب مجتمعة مترابطة، من غير أن نُحاول التماس أثر تلك الدعائم، بفكّها والنظر إليها مفردة، مجردة عن وسط لا تعمل خارجه بحال من الأحوال.

## الفصل الأول: الدعائم المعرفية، والوجودية الإنسانية في ضوء الكتاب والسنة.

### المبحث الأول: الدعائم المعرفية في ضوء الكتاب والسنة.

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالله تعالى، ودوره في تحقيق الصحة النفسية.

المطلب الثاني: ضبط الخواطر، ودوره في تحقيق الصحة النفسية.

### المبحث الثاني: الدعائم الإنسانية و الوجودية في ضوء الكتاب والسنة.

المطلب الأول: منزلة الإنسان ومكانته.

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان التي فطره الله عليها.

## تمهيد:

المقصود في هذا الفصل والذي يليه توضيح وبيان الأسس والمقومات الإسلامية التي تُشكّل أسسا تقوم عليها الصحة النفسية، وكيف تتكامل وينبني بعضها على بعض، وقد بدا من المناسب تقسيمها على جوانب الحياة النفسية، وذلك لأنه رغم تنوع الوظائف والقوى النفسية، فإنها لا تخرج عن أربعة جوانب: جانب معرفي عقلي، وجانب وجودي إنساني - وهذا جانب معرفي كذلك، ولكنه يتعلّق بالقضايا الكبرى للوجود الإنساني، من حيث أصله وطبيعته وما يُلحق بذلك-، وجانب سلوكي حركي، وجانب عاطفي-انفعالي، وهو يُعتبر الوصلة بين الجانب المعرفي والجانب السلوكي، والمنفذ الذي منه تُؤثّر الجوانب النفسية على الوظائف الجسميّة، فعنده تظهر تغييرات البدن وتأثير الجوانب الداخليّة (المعرفة والشعور) على الخارجيّة (السلوكية والجسميّة).

قال أبو زيد البلخي: «إن الأشياء التي تُنسب إلى النفس كثيرة، - ثم قسمها إلى ثلاثة جوانب- منها: قوى فاضلة كالعقل والفهم والحفظ. والأخرى مستزلة هي أضداد لها. - كالجهل والحماقة، وهذا الجانب: هو الجانب المعرفي<sup>(1)</sup> - ومنها أخلاق محمودة كالعفة والسخاء والكرم. والأخرى مذمومة مضادة لها - من الأخلاق القبيحة كالبداء والشحّ والبخل، وهذا هو الجانب السلوكي الأخلاقي العملي-، ومنها أشياء عارضة تقع وترتفع سريعا كالغضب والفرح وما أشبههم...- وهذا هو الجانب الانفعالي، ثم بيّن أن هذا القسم هو الذي يتعدى تأثيره إلى التأثير على الأعضاء الجسميّة، فقال:- نعني الأعراض التي تحدث وتزول لأنها هي التي تتصل أسبابها بأسباب البدن فتُثقله وتغيّره، أو تؤثر فيه آثارا كثيرا ما ترجع بالضرر عليه، فقد عُلم أنّ لكلّ واحد من هذه الأعراض النفسانيّة تأثيرا في البدن تُغيّره تغييرا ظاهريّا قويا؛ وذلك مثل ما يفعله الغضب الشّديد في الأحيان من الاختلاط والارتعاش للبدن واصفرار اللّون، وشبيهه بذلك ما يفعله الفرع والخوف حتّى يسخن البدن عن ذلك أو يبرد، وتحدث فيه أحداث موحشة المناظر»<sup>(2)</sup>.

(1) يُنظر: مالك بابكر بدري، من قضايا التأصيل الإسلامي لمناهج علم النفس في الجامعات الإسلامية ووقفات مع أبي زيد البلخي، التحديد بحوث ودراسات، ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية، عدد: 39، 1438هـ-2016م، المجلد: 20، ص: 39.

(2) أبو زيد البلخي، مصالح الأبدان والأنفس، تقديم ودراسة: د. مالك بدري ود. مصطفى عشوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة: الرياض-المملكة العربيّة السّعوديّة، 1424هـ. (ص: 125).

وكذلك جعل جماعة من أساتذة علم النفس المعاصرين - وهم: عبد المجيد سيد أحمد منصور وسيد أحمد الشربيني وإسماعيل محمد الفقي - السلوك الإنساني مُركَّباً من ثلاثة جوانب، وهي:

أولاً: الجانب الإدراكي المعرفي، ويتضمَّن العمليَّات العقليَّة من الإدراك والتَّمييز والتَّفكير والتَّصوُّر والتَّخيُّل وغيرها.

ثانياً: الجانب الانفعالي الوجداني: ويتضمَّن الانفعالات والميول التي تُصاحب السلوك، والتي تعمل على تدعيم السلوك وتثبيتته إذا كان فيها ارتياح، أو على انطفاء السلوك وإخماده إذا كان فيها انزعاج.

ثالثاً: الجانب الحركي الإجرائي، وهو يُمثِّل التصرُّفات الحركيَّة التي يقوم بها الفرد. على أنَّ هذه الجوانب ليست منفكَّة عن بعضها بعضاً، بل تعمل في وحدة كليَّة متكاملة<sup>(1)</sup>.

وبين هذه الجوانب من التشابك وتبادل الأثر والتأثير ما يعزُّ تقصِّي الصُّور والأمثلة التي تنتج عن هذا التفاعل، فالجوانب السلوكية ترتكز على الجوانب المعرفية والوجدانية، فلن يسخو بماله أحد تعلق بهذا المال قلبه، واعتقد أنَّ سعادته رهن بتحصيله وجمعه، ولن يعفو أحد عمَّن ظلمه، وهو قادر على الانتقام وإنفاذ ثأره فيه والقوَّة الغضبيَّة قاضية بذلك، إلا إذا عقد قلبه على معنى أوجب له ذلك. والجوانب المعرفية تتكامل مع الجوانب السلوكية، فالبخيل الذي ألف البخل، لا يكفيه لأن يصير كريماً أن تُغيَّر نظرته إلى المال، وأن يتمَّ تقوية إيمانه بالخلف من الله في ذلك، حتَّى يُكابد الكرم ويُمارسه عملياً ليألفه ويصير بدلاً عن بُخله. كما أنَّ الجوانب الوجدانية والانفعالية تتأثر بالجوانب المعرفية والسلوكية، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، وهذا فيه تعليق انتفاء الخوف والحزن على تحصيل الإيمان والعمل الصالح بشئى صورهما وأصنافهما. وهذه الجوانب النفسية تُؤثر على الجوانب الجسميَّة وتتأثر بها صحَّة ومرضا<sup>(2)</sup>، ولذلك

(1) يُنظر: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا أحمد الشربيني، د. إسماعيل محمد الفقي، السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة-مصر، 1422هـ-2002م. (ص:29).

(2) يُنظر: محمد عثمان نجاتي، الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين، ط1، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1414هـ-1993م. (ص:87).

ذكر ابن مسكويه وغيره من مُفكّري الإسلام أنّ النَّفس لما كانت مع البدن «مربوطة به رباطا طبيعيا إلهيا<sup>(1)</sup>، لا يفارق أحدهما صاحبه إلا بمشيئة الخالق عزّ وجلّ، وجب أن نعلم أنّ أحدهما متعلّق بصاحبه متغيّر بتغيّره، فيصحُّ بصحّته ويمرض بمرضه، ونحن نرى ذلك مشاهدة وعيانا، بما يظهر لنا من أفعالها- ثمّ بعد ذلك يصف ابن مسكويه تفاعل الجوانب الجسميّة والنفسية، فيبيّن تأثير البدن على النفس بقوله:- وذلك أنّا كما نرى المريض من جهة بدنه؛ لا سيّما إن كان سبب مرضه أحدَ الجزئين الشّريفيين، أعني الدماغ والقلب، يتغيّر عقله ويمرض، حتّى يُنكر ذهنه وفكره وتخيّله وسائر قوى نفسه الشّريفة، ويجس هو من نفسه بذلك. - ثمّ يبيّن تأثير النفس على البدن قائلا:- كذلك أيضا، نرى المريض من جهة نفسه، إمّا بالغضب وإمّا بالحزن وإمّا بالعشق وإمّا بالشهوات الهائجة به، تتغيّر صورته بدنه حتّى يضطرب ويرتعد ويصفّر ويحمّر ويهزل ويسمن، ويلحقه ضروبُ التغيّر المشاهدة بالحس<sup>(2)</sup>.

فيجب أولا -سواء في علاج الاضطراب النفسي، الذي يُمثّل ردّ الصّحة إلى النفس، أو في تعزيز وتنمية الصّحة النفسيّة أو في وقايتها إن كانت حاصلة- أن يُتفكّد مبدأ المرض إذا كان من الجوانب النفسيّة، كالفكر في الأشياء الرديئة وإجالة الرأي فيها، أو كاستشعار الخوف من الأمور العارضة والمتربّبة، أو كالدوافع والانفعالات الهائجة أو كالعشق الذي مبدأه النظر مع الفراغ والبطالة، فُصد إلى علاج كلّ منها بما يخصّه، وإن كان مبدأ المرض من اضطراب أمرجة البدن لا سيّما ما يعتري الجهاز العصبي والنواقل العصبيّة والهرمونات، فُصد أيضا إلى علاجه بما يخصّه<sup>(3)</sup>.

وبناء على أنّ هذه الجوانب متفاعلة فيما بينها وبين البدن، فإنّ علاج جانب منها وتعزيزه وتقويته، يعمل بشكل ما على وقاية الجوانب الأخرى وعلاجها وتقويتها، وذلك يُرشدنا إلى أنّ الوصول إلى الصّحة النفسيّة لا يتمُّ إلاّ بمراعاة هذه الجوانب معا.

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] الآية.

(2) أبو علي أحمد ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة- مصر. (ص: 185).

(3) يُنظر: المصدر السابق، (ص: 185-186).

## المبحث الأول: الدعائم المعرفية في ضوء الكتاب والسنة.

وستكون العناية في هذا المبحث بشرح الدور الذي تؤديه الدعائم المعرفية من الإيمان بالله تعالى وطريقة التعامل مع الخواطر والنيات في رعاية الصحة النفسية وقاية وعلاجاً وتعزيزاً، كل ذلك في ظل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

**المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالله تعالى، ودوره في تحقيق الصحة النفسية.**

### الفرع الأول: المقصود بالإيمان في ضوء الكتاب والسنة.

قد شهد علماء النفس الغربيون الذين أسسوا النظريات النفسية الكبرى أنّ الإيمان له عظيم الأثر في تحقيق الصحة النفسية، ومنهم: هنري لنك، وليام جيمس، كارل يونج، أبراهام ماسلو وغيرهم، وذلك ليس راجعاً لمجرد بضع نظريات أو صُدف من حالات استثنائية، بل لما لمسوه وشاهدوه في الواقع من التجارب المتكررة والدراسات الكثيرة الناطقة بالأثر الواضح للتدين والإيمان بالله تعالى في العلاج النفسي والصحة النفسية، ومن الشهادات التي سجّلها عالم النفس التحليلي كارل غوستاف يونج -صديق سيغوند فرويد والذي انشق عنه بعد ذلك- بقوله: «أود أن ألفت الانتباه إلى الحقائق التالية، فإنّه خلال الثلاثين سنة الماضية، جاء إلى أفراد من كلّ البلدان المتقدمة من أجل استشارتي، ومئات من المرضى مرّوا عليّ في العلاج... وهم في النصف الثاني من أعمارهم، أي أنّهم فوق سنّ الخامسة والثلاثين، ليس واحد منهم لم تكن مُحصّلة مُشكلته افتقاده لنظرة دينية في الحياة... ولم يُشف منهم الذي لم يتمكن من استعادة نظرتَه الدّينية للحياة»<sup>(1)</sup>، وقد حكى عالم النفس السلوكي هنري لينك عن نفسه، وكيف أنّه اهتدى إلى العودة لحظيرة الإيمان بمساعدة الدراسات التجريبية العلمية الكثيرة، وما سجّلها من الحالات الكثيرة في عيادته، وما نقله إليه أطباء نفس آخرون<sup>(2)</sup>،

(1) كارل غوستاف يونج، الإنسان يبحث عن نفسه، ترجمة: سامي علّام وديميتري أفيريونوس، ط1، دار الغرغال: دمشق-سوريا، 1993م. (ص: 29-30).

(2) يُنظر: هنري لينك، العودة إلى الإيمان، ترجمة: ثروت عكاشة، ط5، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة-مصر، 2010م. (ص: 13-27).

والأمثلة على ذلك كثيرة<sup>(1)</sup>، ولكن المقصود بالإيمان في نصوص الكتاب والسنة ليس مجرد معارف وسليّة، يُتوصّل بها إلى عمارة الجوانب المعرفية، ولا هو إيمان موكول إلى إرادة كلّ شخص في الالتزام بمبادئ ومنظورات مُعيّنة في الحياة، وسأحاول توضيح المقصود بالإيمان في نصوص الكتاب والسنة من خلال النقاط الموالية، ولأنّ الخلاف والنزاع اشتدّ بين الفرق الإسلامية في المفهوم الشرعي للإيمان، فقد توسّلت بين يدي الكلام عن دور الإيمان في الصحة النفسية بثلاث نقاط يتبيّن من خلالها المقصود بالإيمان في الكتاب والسنة:

### أولاً: الفرق بين الإيمان والتصديق.

نقل غير واحد من أصحاب المعاجم اتّفاق أئمة اللغة وغيرهم على أنّ لفظ الإيمان لغة، يعني: التصديق<sup>(2)</sup>، ولكن هذا من باب تقريب المعاني، «فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإمّا نادر وإمّا معدوم»<sup>(3)</sup>.

ودعوى الترادف بين الإيمان والتصديق لغة، منقوضة بالاختلاف الحاصل بين آمن وصدّق من ثلاثة أوجه<sup>(4)</sup>:

الوجه الأوّل، من جهة التّعدّي: فصدّق يتعدّى بنفسه، فيقال عند الإخبار بخبر معيّن: صدّقه، وأمّا فعل آمن إذا كان متعدّيًا بنفسه: آمنه، فإنّه يكون من الأمان وهو ضدّ الإخافة، وليس بمعنى التصديق. وإمّا قد يُحمل على معنى التصديق إذا تعدّى فعل آمن بالباء أو اللّام، آمن به وآمن له، لا إن تعدّى بنفسه، وتفسيره في هاتين الحالتين بالإقرار أقرب من تفسيره بالتصديق، لأنّه لا يُقال صدّق

(1) يُنظر: يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ط4، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1399هـ-1979م. (ص: 352-363)؛ صالح بن إبراهيم الصنيع، التدبّر والصحة النفسية، ط1، جامعة الإمام محمّد بن سعود: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1421هـ-2000م. (ص: 27-35).

(2) يُنظر: محمد جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (23/13)؛ محمد أبو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (186/34).

(3) أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (13/341-342). ومن أمثلة ذلك: تفسير المور في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۗ﴾ [الطور: 9] بالحركة تقريبًا، وإلا فالمرور يتضمن معنى السرعة مع الحركة، وكذلك تفسير الوحي بالإعلام، وتفسير الريب بالشكّ تقريبًا، لأنّ الريب فيه معنى زائد وهو الاضطراب والحركة، وهكذا. [يُنظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة].

(4) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (7/288-293)؛ (7/529-536).

له، وإنما يُقال أقرَّ له، كما يُقال: آمن له، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمِّنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦] الآية.

الوجه الثاني، من جهة الاشتقاق والمعنى: فأمن مشتقة من أمن، وأصلها أأمن فأبدلت الثانية منهما حرف مدٍّ من جنس حركة الأولى<sup>(1)</sup>، فأمن تتضمن معنى الأمن، وهي تُستعمل في خبر غيبي يأتمن المخبر عليه عليه المخبر، بخلاف صدق فإنه يُستعمل في قبول الأخبار المشهودة والمغيبية، وذلك أن قبول الخبر المشهود، كقول القائل: السماء فوقنا، لا يحتاج فيه إلى حصول الأمن، ولذلك لا يُقال في من أخبر بذلك آمن به، بخلاف الخبر الغائب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] الآية، أي لا تطمئن إلينا ولا تثق بخبرنا ولا تُقرَّ به، ولو كنا صادقين، لأنهم لم يكونوا عنده ممن يُؤمن على ذلك، فدل ذلك على أن الإيمان شيء زائد على مجرد التصديق.

الوجه الثالث، من جهة الضدَّ المقابل: فالتصديق يُقابل بالتكذيب، بخلاف الإيمان فلا يُقابل بالتكذيب وإنما يُقابل بالكفر. والكفر لا يكون نابعا عن تكذيب خبر دائما، بل قد يكون الكفر نابعا عن جحود ومعاودة واستكبار، كما قال تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] الآية، وإبليس لم يكن سبب كفره أن أحدا أخبره بخبر فكذب به، بل شهد أن الله خلق آدم -عليه السلام- ﴿قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] الآية، ولكنه كفر لأنه استكبر ولم يُدعن ولم ينقاد لأمر الله بالسجود لآدم. وفرعون وقومه عاينوا الآيات التي جاءهم بها موسى -عليه السلام- وأيقنت بها قلوبهم ثم كفروا بها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مَبْصُرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [١٣] وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٣-١٤]، وعليه: فإن الكفر لما كان يحصل مع وجود التصديق، علم أن الإيمان لا يكفي فيه مجرد التصديق، حتى تقترن معه الموافقة والموالاتة والانقياد.

(1) يُنظر: إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ص: 22).



## ثانياً: تفرّيع الإيمان على القلب واللسان والجوارح.

ولو سلّمنا تنزُّلاً بأنَّ معنى الإيمان في اللغة التصديق، فإنَّ دعوى اقتصار التصديق على القلب واللسان فقط، لا يستقيم لوجهين<sup>(1)</sup>:

الأوّل: ورود تسمية أعمال الجوارح في نصوص الوحيين وكلام أئمة اللّغة وعلماء الملّة تصديقا، فمن النُّصوص ما ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله كتب على ابن آدم حظّه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمّنى وتشتهي، والفرج يصدّق ذلك كلّهُ ويكذّبهُ»<sup>(2)</sup>. ومن أقوال علماء اللغة قول الجوهري: «وَالصِّدِّيقُ بِوَزْنِ السَّكِّيتِ الدَّائِمُ التَّصَدِّيقِ. وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِالْعَمَلِ»<sup>(3)</sup>. ومن أقوال أئمة الدين قول الحسن البصري: «إن الإيمان ليس بالتحلّي ولا بالتمنّي، إنّما الإيمان ما قر في القلب وصدّقه العمل»<sup>(4)</sup>.

الثاني: أنّه وإن كان تصديقا فهو تصديق مخصوص، كما أن الصلاة دعاء مخصوص، والحج قصد مخصوص، والصيام إمساك مخصوص، ومعلوم عند أهل الأصول أنّ الحقيقة الشرعية مُقدّمة وقاضية على الحقيقة اللغوية.<sup>(5)</sup>

والإيمان عليه مدار الدّين، فممتنع أن يُترك تحديد المراد به إلى الظنون والاحتمالات، ولذلك جاء بيانه في الكتاب والسنة أتمّ بيان، والذي ثبت في نصوص الكتاب والسنة إطلاق الإيمان على اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، ومنها ما يلي:

(1) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (293/7-298).

(2) تقدّم تخريجه، (ص: 82).

(3) إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ص: 174).

(4) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنّفه" (598/15) برقم: (30988) (كتاب الإيمان والرؤيا، باب)، (372/19) برقم: (36359) (كتاب الزهد، كلام الحسن البصري رضي الله عنه). والأثر لا يصح رفعه للنبي -صلى الله عليه وسلم- وإنّما هو ثابت من كلام الحسن. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (218/3)].

(5) يُنظر: بدر الدين محمد الزركشي، تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، تحقيق: د. سيد عبد العزيز، د. عبد الله ربيع، ط1، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث: توزيع المكتبة المكيّة، 1418هـ-1998م. (480/1).

فمن إطلاقه على اعتقاد القلب، قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا بِأَمَانَا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] الآية، وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] الآية، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين»<sup>(1)</sup>. وهذا بيان أن الإيمان ليس مجرد دعوى يدعيها المرء بلسانه، ثم يخالفها بفعاله، فيقع في كبيرة الغيبة، لأنه لو أفضى الإيمان إلى قلبه لظهر على جوارحه بالعمل الصالح، كما جاء في الحديث المشهور: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(2)</sup>. وهذا يدل على أن فساد العمل دال على فساد العلم. وعن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»<sup>(3)</sup>.

ومن إطلاقه على قول اللسان: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه أبو داود في "سننه" (421/4) برقم: (4880) (كتاب الأدب، باب في الغيبة)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (247/10) برقم: (21226) (كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بجد أو نفي نسب ردت شهادته وكذلك من أكثر النميمة أو الغيبة)؛ وأحمد في "مسنده" (4556/8) برقم: (20090) (مسند البصريين رضي الله عنهم، حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه). حكم الحديث: صحيح لغيره. [ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، برقم: 19776، (20/33)].

(2) تقدم تخريجه، (ص: 86).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (13/1) برقم: (22) (كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال)؛ ومسلم في "صحيحه" (117/1) برقم: (184) (كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار).

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (46/1) برقم: (35) (كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان). وأخرجه البخاري بدون محل الشاهد (فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق)، بلفظ: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)، في "صحيحه" (11/1) برقم: (9) (كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان). والحديث وقع فيه اختلاف في تعداد شعب الإيمان، كما اختلف أهل العلم بالحديث في كون أي الروايات هي الأرجح، قال المباركفوري: «اعلم أنه وقع في هذه الرواية بضع وسبعون، ووقع في رواية البخاري في كتاب الإيمان بضع وستون، وفي رواية لمسلم بضع وسبعون، وفي أخرى له بضع وسبعون أو بضع وستون بالشك ووقع في الرواية الآتية أربعة وستون». [أبو العلاء محمد المباركفوري، تحفة الأحوذبي بشرح جامع الترمذي، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1410هـ-1990م. (301/7)], وأخرجه الترمذي في "جامعه" بصيغة الجزم، بلفظ:

ومن إطلاقه على عمل الجوارح: ما مرَّ في هذا الحديث السابق: «إمطة الأذى عن الطريق». وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية، وسبب نزولها: أن الله تعالى لما أمر المسلمين بالتحول عن قبلتهم الأولى وهي بيت المقدس، إلى القبلة الجديدة وهي البيت الحرام، فسألوا عن صلاتهم التي كانوا يصلونها إلى القبلة الأولى<sup>(1)</sup>، وعن إخوانهم الذين ماتوا قبل أن يتمَّ تغيير القبلة، فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم)، قال ابن الجوزي: «والإيمان المذكور هاهنا أريد به: الصلاة في قول الجماعة»<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢-٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا حَقًّا﴾

(بضع وسبعون)، (360/4) برقم: (2614) (أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه) ثم قال: «هذا حديث حسن صحيح وهكذا روى سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وروى عمارة بن غزية هذا الحديث عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال الإيمان أربعة وستون باباً». وقد يفهم من هذا ترجيح الترمذي لرواية (بضع وسبعون) وتعليل رواية: (أربعة وستون)، قال ابن حجر: «وأما رواية الترمذي بلفظ أربع وستون فمعلولة وعلى صحتها لا تخالف رواية البخاري، وترجيح رواية بضع وسبعون لكونها زيادة ثقة - كما ذكره الحلبي ثم عياض - لا يستقيم إذ الذي زادها لم يستمر على الجزم بها لا سيما مع اتحاد المخرج». [أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (52/1)]. وكلٌّ من ألف في شعب الإيمان، حاول استقصاء وتفصيل شعب الإيمان كالبیهقي والحلي وغيرهما، وكثيرا ما يقع في ذلك التداخل والتفرع، قال القاضي عياض: «ولكن القطع أن تعيين ما نفَّحه الاجتهاد وترتيبه على تلك الأبواب هو مراد النبي -عليه السلام- يصعب، ولن يعدم من يرتب ترتيباً آخر، ويداخل بعض الأبواب في بعض، ويفصل بعض الأقسام من بعض، والله - عز وجل - أعلم... ولا يلزم معرفة تعيينها، ولا يقدر جهل ذلك في الإيمان، إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة». [عياض بن موسى السبتي أبو الفضل، إكمال المعلم بقوائد مسلم، (272/1)]. وكثيرا ما يرد العدد في نصوص الكتاب والسنة مرادا به الكثير، لا خصوص العدد المذكور، فيغلط من يخص الحكم بالعدد المذكور، مثاله قوله تعالى ينهى النبي عن الاستغفار للمنافقين: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] الآية، ولما استغفر لهم -صلى الله عليه وسلم- أكثر من السبعين، نزل عليه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] الآية. يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (394/14-396)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (284/2)].

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (157/3).

(2) أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (120/1).

وَجَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ [الحجرات: ١٥]، والآيتان صُدِّرتا بأداة الحصر إنَّما، فدلَّ ذلك أنَّ دعوى تصديق القلب وحركته حبًّا وبغضا، دون حركة الجوارح بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والجهاد في سبيل الله بالمال والأنفس وغيرها من الطاعات لا يُسمَّى إيمانا.

وفي حديث وفد عبد القيس، الذين وفدوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فاستنصحوه عن أمر يدخلون به الجنة، فكان في ضمن ما أمرهم به، أن أمرهم: «بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»<sup>(1)</sup>. وكلُّ هذه الأركان تتضمن أقوالا وأعمالا.

ولا يتعارض مع هذا تفريق النبي -صلى الله عليه وسلم- بين الإسلام والإيمان، في حديث جبريل المشهور، لما عرّف الإسلام قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، وعرّف الإيمان بأن: «تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره»<sup>(2)</sup>.

وذلك لأنَّ الإيمان والإسلام من الألفاظ التي إذا اجتمعت افتترقت، وإذا افتترقت اجتمعت، فإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام، وإذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، وإذا ذكرا معا انصرف الإيمان إلى أعمال القلب، وانصرف الإسلام إلى أعمال الجوارح<sup>(3)</sup>.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (28/1) برقم: (87) (كتاب العلم، باب تحريض النبي -صلى الله عليه وسلم- وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم)؛ ومسلم في "صحيحه" (35/1) برقم: (17) (كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه).

(2) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنهما في "صحيحه" (19/1) برقم: (50) (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان والإسلام) بلفظ: أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسوله، وتؤمن بالبعث؛ وأخرجه مسلم بهذا اللفظ عن ابن عمر عن أبيه -رضي الله عنهما- في "صحيحه" (28/1) برقم: (8) (كتاب الإيمان).

(3) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط5، المكتب الإسلامي: عمان - الأردن، 1416هـ-1996م. (ص: 7-15)؛ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (106/1-107).

### ثالثاً: حد الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

ولذلك فعبارات السلف في تعريف الإيمان متفقة على أنه اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالحوارج، قال ابن تيمية: «ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالحوارج، وكل هذا صحيح. فإذا قالوا: قول وعمل؛ فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً... وعمل القلب والحوارج، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة»<sup>(1)</sup>.

وحثي من عرف من أهل السنة الإيمان بتصديق القلب وإقرار اللسان كأبي حنيفة<sup>(2)</sup> ومن تبعه على ذلك، وهو يقول بأن العمل الصالح مطلوب، وأن صاحب الذنب مذموم مستحق للعقاب، وإن كان ذنبه دون الكفر الذي لا يُخرج صاحبه من الإيمان، فإنه لا يخلد في النار إن دخلها، وإنما قال بهذا من قال، لأنه ذهب إلى أن دلالة الإيمان على العمل دلالة لزوم، وهي دلالة خارجية، وكذا من عرف الإيمان بأنه: قول وعمل. لم يذهب إلى تكفير أصحاب الذنوب من أهل القبلة، وهذا ذهب إلى أن دلالة الإيمان على العمل دلالة تضمن. والنزاع بين أهل السنة -الذين اتفقوا على ترتيب المدح على تحقق العمل الصالح والذم على فقدته- هل دلالة الإيمان على العمل دلالة تضمن أو لزوم نزاع لفظي في الأصل. ولكن لما كان القول -بأن الإيمان هو تصديق بالقلب واللسان، وأن الأعمال خارجة عن مسمى الإيمان، وإنما يدل عليها بالزوم كما تقوله مرجئة الفقهاء- مصادماً للنصوص التي مر فيها التصريح بأن الأعمال من الإيمان، وكان ذلك وسيلة إلى اشتباه قول أهل السنة بقول غلاة المرجئة، وذريعة إلى تبجح العصاة ومجاهرتهم، وجب اجتناب ذلك سداً لما ترتب عليه من المفاسد<sup>(3)</sup>.

(1) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني، الإيمان، (ص: 137-138).

(2) يُنظر: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، ط1، مكتبة الفرقان: الإمارات العربية، 1419هـ-1999م. (ص: 55).

(3) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني، الإيمان، (ص: 308-309).

وقول أهل السنة في باب الإيمان هو قول مبني على الأدلة من الكتاب والسنة، وهو قول وسط بين من فرط من الطوائف كالجهمية الذين قالوا إنَّ «الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط»<sup>(1)</sup>، وبين من أفرط كالخوارج فوقعوا في تكفير مرتكب الكبيرة من أهل الإيمان<sup>(2)</sup>.

وعليه: فالإيمان يقع من هذه الدعائم موقع الأساس، فالإيمان ليس معرفة ذهنية مجردة، وإنما هي عقيدة جازمة في قلب المؤمن، واستقامة في سلوكه قولاً وعملاً، وانضباط في انفعالاته.

والأصل الذي ترجع إليه أصول الإيمان، وشرائع الإسلام، هو الإيمان بالله عزَّ وجلَّ وتوحيده، وذلك لأنَّ جميع ما أخبر به الوحي وأمر به، ناطق بكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحِدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۗ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحِدٌ ۗ فَهَلْ أَدَّبُكُمْ أَنَا ۗ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحِدٌ ۗ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۗ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، والآيتان الكريمتان فيهما حصر للوحي في الإيمان بالله الواحد وإخلاص العبادة له، يقول ابن القيم مبيناً هذا المعنى - بعدما قسّم التوحيد الذي دعت إليه الرسل إلى قسمين، توحيد علمي خبري، وتوحيد عملي طلبي-: «إنَّ كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيد وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيد، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يجلب بهم في العقبي من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»<sup>(3)</sup>.

(1) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتز، ط3، دار فرانز شتاينز: فيسبادن - ألمانيا، 1400هـ-1980م. (ص: 279).

(2) يُنظر: المصدر السابق، (ص: 86).

(3) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (3/417-418).

## الفرع الثاني: دور الإيمان في تحقيق الصحة النفسية.

ويتمثل الدور الذي من خلاله تقوم عقيدة الإيمان بالله في تحقيق الصحة النفسية في عدة نقاط، هي كالاتي:

**أولاً: توجيه القصد وجمع الهم وتركيز الفكر في شيء واحد، وهو الله عز وجل خالق هذه النفس البشرية، وهو الذي أودعها هذا الجسد، وقد أمر الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- بأن يجعل حياته كلها له، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٦) [الأنعام: ١٦٢]، وتوحيد القصد لله عز وجل أساس متين للوقاية من التفكك، فهو يمثل السلك الذي تنتظم وتتكامل فيه جميع الجوانب المعرفية والسلوكية والانفعالية، فعن مجاهد قال: قال لي ابن عمر -رضي الله عنهما-: «أَحَبُّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضُ فِي اللَّهِ وَوَالٍ فِي اللَّهِ، وَعَادٍ فِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا تُنَالُ وَلَايَهُ اللَّهُ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعَمَ الْإِيمَانَ -وإن كثرت صلاته وصيامه- حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَصَارَتْ مُؤَاخَاةُ النَّاسِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْزِي عَنْ أَهْلِهِ شَيْئًا»<sup>(1)</sup>. وثبت عنه -عليه الصلاة والسلام- قوله: «ثلاث من كن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»<sup>(2)</sup>، وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «من كانت الآخرة همَّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له»<sup>(3)</sup>.**

(1) أخرجه الطبراني موقوفاً على ابن عمر في "الكبير" (417/12) برقم: (13537) (باب العين، مجاهد عن ابن عمر)؛ وابن أبي شيبه موقوفاً على ابن عباس في "مصنفه" (240/19) برقم: (35915) (كتاب الزهد، زهد الصحابة رضي الله عنهم - كلام ابن عباس رضي الله عنهما). والأثر في سننه لث ابن أبي سليم وهو ضعيف، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «سمعت أبي يقول: لث بن أبي سليم مضطرب الحديث، ولكن حدثت عنه الناس». [يوسف بن عبد الرحمن أبو الحجاج المؤدب، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (282/24)].

(2) تقدّم تخرجه، (ص: 36).

(3) أخرجه الترمذي بهذا اللفظ في "جامعه" (252/4) برقم: (2465) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، باب)؛ وأخرجه ابن حبان بلفظ: (من كانت الآخرة يئته) في "صحيحه" (454/2) برقم: (680) (كتاب الرقائق، ذكر وصف الغنى الذي وصفناه قبل)؛ وابن ماجه في "سننه" (227/5) برقم: (4105) (أبواب الزهد، باب الهم بالدنيا). حكم الحديث: حسن لغيره. [ينظر: أبو العلا محمد المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (140/7)؛ محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: 949، (633/2)].

وحاجة الإنسان في العصر الحاضر إلى ما يجمع عليه همه أعظم منها في أي زمن مضى، لما تُدلي به الحضارة والمدنيّة الحديثة بكثرة تشعباتها وتنوع اهتماماتها ممّا ألقى الإنسان في حالة من التشتت والقلق والاعتراب عن نفسه، وهذا الإيمان دافع بالعبد إلى أن يُوحّد الله تعالى ويلجأ إليه ويتوكّل عليه في جميع أموره كبيرها وصغيرها، كما ورد عن سيد ولد آدم -عليه الصلاة والسلام- أنه كان يوصي ابنته فاطمة -رضي الله عنها- أن تقول في الصباح والمساء: «يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»<sup>(1)</sup>.

وهذا التوجه لله عز وجل والتعلُّق به في الأمور كلّها وحده دون ما سواه، يقتضي من العبد مع اتّخاذه للأسباب أن يبتعد عن التعلُّق بغير الله عز وجل، وألا يخلط إيمانه وصدق توجُّهه إلى الله بشيء من التوجُّه لغيره، ولو فعل، فذلك هو الشرك الذي وصفه الله تعالى بالظلم، وذلك مؤذن بتجزؤ همه وتبعثره، وأمّا توحيد هذا القصد لله -عز وجل- فهو كفيّل بأن يُحقّق للعبد السكينة والشُّعور بالأمن النفسي، لأنّه يجعله متوجّهاً إلى الله ربّ العالمين الذي كلُّ شيء تحت تصرّفه وتدبيره، حنيفاً معرضاً عن التعلُّق بغيره، وقد وعد سبحانه من تحقّق بالإيمان وأخلص له العبادة بوعود عظيمة، من ضمنها أن يُبدّل خوفه أمناً، في قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥] الآية، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

والمقصود من الظلم في الآية الكريمة هو الشُّرك، وذلك لثلاثة أمور، الأوّل: تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم-، حيث ثبت عن عبد الله ابن مسعود -رضي الله عنه- أنّه قال: «لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقالوا: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ليس هو كما تظنون، إنما هو كما

(1) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (300/6) برقم: (2319) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، عثمان بن عبد الله بن موهب الهاشمي عن أنس)؛ والحاكم في "مستدرکه" (545/1) برقم: (2007) (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، ما يقال إذا أصبح وأمسى)؛ والنسائي في "الكبرى" (211/9) برقم: (10330) (كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر)؛ والطبراني في "الصغير" (270/1) برقم: (444) (باب الخاء، من اسمه خالد). حكم الحديث: حسن. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: 227، (449/1)].



قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>. الثاني: سياق الآية، حيث جاءت في ختام جدال إبراهيم - عليه السلام - لقومه حول إشراكهم في عبادة الله عز وجل الكواكب والقمر والشمس، ثم جاء بعدها أن الله تعالى جعل هذا الأمن - الذي ثبت للموحدين وأهم أحق بالأمن ممن فرّق عبادته من المشركين بين أرباب مختلفة - حجة لإبراهيم على قومه، ولذلك قال مجاهد: «وتلك حجتنا آتيها إبراهيم على قومه هي: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن»<sup>(2)</sup>، وإن كان كل ما تقدّم من أول المناظرة بين إبراهيم - عليه السلام - وقومه داخل تحت الحجة التي أيده الله بها<sup>(3)</sup>، الثالث: اتفاق السلف على تفسير الظلم في الآية بالشرك، ومنهم: أبو بكر وابن مسعود وابن عباس وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي، ومحمد ابن إسحاق وابن زيد وعلقمة وإبراهيم النخعي، وغيرهم<sup>(4)</sup>. ولما سأل ابن مسعود - رضي الله عنه - النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أيُّ الذنوب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خالقك»<sup>(5)</sup>، وإنما نُعت الشرك بالظلم العظيم لأنّ الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه<sup>(6)</sup>، وصرف العبادة التي هي من خصائص الخالق - سبحانه - للمخلوقين، وهم دون الربّ عز وجلّ الخالق المنعم المدبّر، هو وضعٌ للغاية التي من أجلها خلق الله العباد في غير موضعها الصحيح.

و(بظلم): نكرة في سياق النفي فتعم جميع أنواع الشرك، أكبر كان أو أصغر، جلياً كان أو خفياً. والشرك الأكبر، وإن كان أنواعاً عديدة إلا أنّ الجامع له هو: تسوية غير الله من المخلوقين بالله في شيء من خصائصه، كاعتقاد أنّ فرداً من المخلوقين - كائناً من كان - يستحق أن تُصرف له شيء من العبادة، أو ادّعاء أنّه يعلم الغيب، أو يتصرّف في الكون بغير إذن الربّ عز وجلّ، وأمّا الشرك الأصغر فكذلك ثبت في النصوص أنّ له صوراً متعدّدة، وهو دون الأكبر، فعن محمود بن لبيد

(1) تقدّم تخرجه، (ص: 316).

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (505/11).

(3) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (334/7).

(4) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (493-498/11).

(5) أخرجه البخاري في "صحيحه" (18/6) برقم: (4477) (كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)، ومسلم في "صحيحه" (63/1) برقم: (86) (كتاب الإيمان، باب كون الشرك أفتح الذنوب وبيان أعظمها بعده).

(6) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (468/3).

-رضي الله عنه- أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء»<sup>(1)</sup>، ومن صورته أيضاً: تعلق القلب بالأسباب الثابتة من جهة الشرع أو الحس، وقد عدّ السلف من مظاهر التعلق بالأسباب قول الرجل: (لولا فلان ما كان كذا وكذا)، وجعلوه وجهاً من وجوه إنكار النعمة في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]<sup>(2)</sup>، ومنه: أن يتخذ سبباً لم تثبت سببته لا من جهة الشرع ولا من جهة الحس -العلم التجريبي-، وذلك مثل التطير والتعلق بالقلائد والودائع في جلب النفع أو دفع الضر، ومنه كذلك التعلق بالمال، وقد سمى النبي -صلى الله عليه وسلم- من تعلق قلبه بالمال عبداً له، في حديث: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»<sup>(3)</sup>.

والمؤمن بالله تعالى إيماناً حقيقياً يتوكل على الربّ الأحد المالك الذي بيده قدرة التصرف في كلّ شيء، أمّا المشرك فتتعدد عنده نقاط الارتكاز والاعتماد، تارة على مخلوق مثله يعتقد فيه جلب النفع والضرر، وتارة على المال، وتارة على التّمائم، «وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون

(1) أخرجه الحاكم من طريق شدّاد ابن أوس -رضي الله عنه- في "مستدرکه" (329/4) برقم: (8032) (كتاب الرقاق، من تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك)؛ والطبراني في "الكبير" (289/7) برقم: (7160) (باب الشين، يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه)؛ وأخرجه من طريق محمود ابن لبيد -رضي الله عنه- أحمد في "مسنده" (5626/10) برقم: (24120) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه). والحديث حسن. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: 951، (634/2)؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (39/39)].

(2) ولكن هذا القول لا يُحمل من قائله دائماً على أنّه متعلّق بالسبب، وإنّما يُحمل على ذلك إذا نسي هذا القائل المسبّب سبحانه وتعالى، ذلك لأنّه ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أنّه قال في شفاعته لعمّه أبي طالب: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار». [أخرجه البخاري في "صحيحه" (52/5) برقم: (3883) (كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب)، ومسلم في "صحيحه" (134/1) برقم: (209) (كتاب الإيمان، باب شفاعته النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه)]. ومعلوم أنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- مبرّأ من الشرك كبيره وصغيره. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (273/17)؛ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (204/2)].

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (34/4) برقم: (2886) (كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله). القطيفة والخميلة نوعان من الثياب، فأما القطيفة: هي كساء لهُ حَمَل. [المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (84/4)]. وأما الخميصه: هي ثوب خزٌّ أو صوف مُعَلَّم -أي على أطرافه أعلام- وقيل لا تُسَمَّى حَمِيصَةً إِلَّا أَنْ تَكُونَ سَوْدَاءَ مُعَلَّمَةٍ. [المصدر السابق، (81/2)].

بها العين في زعمهم»<sup>(1)</sup>، وقد نصَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- على أنَّها من الشُّرك: «إِنَّ الرُّقْيَ وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ»<sup>(2)</sup>، وتارة يُعلق آماله على أشياء لا علاقة لها لا من قريب ولا بعيد بفلاحه أو خسارته، فيرُدُّه عن المضيِّ في عمله رؤية قط أو كلب أسود، ويعتريه الفزع والرُّعب عند سماع نائم<sup>(3)</sup> البوم، وهذا كُلُّه من الطَّيِّرة التي هي: التَّشَاوُمُ بمعيَّن، حيوانا كان أو إنسانا أو زمانا أو مكانا، وإِنَّمَا سُمِّيَتْ بالطَّيِّرة لِأَنَّ العَرَبَ كَانَتْ تَتَشَاءَمُ بِالطَّيْرِ<sup>(4)</sup>، وقد عدَّها النبي -صلى الله عليه وسلم- من الشُّرك كما مرَّ، وأيُّ شيء يتعلَّق به العبد غير الله -عزَّ وجل- فَإِنَّهُ لَا مَحَالَةَ خَاذِلُهُ، لِأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ زَائِلَةٌ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

هذه الجمعية للقلب على الله وحده تجعل العبد متوجِّهاً في إرضاءه الله وحده الذي بيده تصريف كل شيء، وفي ضمن ذلك تصريف قلوب العباد إرضاء وسُخْطاً، وقد ثبت عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّها قالت: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط رضي الله عنه، وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضا الله بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط

(1) المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (197/1).

(2) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (456/13) برقم: (6090) (كتاب الرقي والتمايم، ذكر التعليل على من قال بالرقي والتمايم متكلاً عليها)؛ والحاكم في "مستدرکه" (216/4) برقم: (7599) (كتاب الطب، نهي عن الرقي والتمايم والتوليه)؛ وأبو داود في "سننه" (11/4) برقم: (3883) (كتاب الطب، باب في تعليق التمايم)؛ وابن ماجه في "سننه" (554/4) برقم: (3530) (أبواب الطب، باب تعليق التمايم)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (350/9) برقم: (19662) (كتاب الضحايا، باب التمايم)؛ وأحمد في "مسنده" (840/2) برقم: (3685) (مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه). حكم الحديث: حسن لغيره. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (648/1)].

والمقصود بالرقي هنا الشُّرْكَية لا المشروعة، ولذلك فالإطلاق في هذا الحديث مقيد بالأدلة الأخرى الدالة على مشروعية الرقية بضوابطها الشرعية، قال ابن الملقن: «المراد بذلك رقي الجاهلية وما يضاهاه السحر من الرقي المكروهة». [عمر بن علي سراج الدين ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (492/27)]. وأما التَّوَلَةُ فقد عرَّفها ابن مسعود -رضي الله عنه- في آخر رواية ابن جِبَّان، بقوله: «شيء يصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن».

(3) قال ابن دريد: «والنَّيِّم: صَوْتُ البوم وَصَوْتُ الأَسَد». [محمد بن الحسن أبو بكر بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، (905/2)].

(4) يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (152/3).

عليه الناس»<sup>(1)</sup>، وبهذا يتبين أن هذا الإيمان الذي يجمع قلب صاحبه على الله تعالى، هو السبيل الوحيد إلى أن يجمع العبد بين التكيف الاجتماعي، واثقاء حالة التفكك والضياح التي وصفها الله بالفُرط في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (٣٨) [الكهف: ٢٨]<sup>(2)</sup>، ومن الأمثال التي ضربها الله تبارك وتعالى لبيان حالة التشُّت التي يُعاني منها المشرك، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٣١) [الحج: ٣١]. وهذا تشبيه حسي لحالة المشرك، حيث تتجاذب الأهواء المختلفة أفكاره، فلا يهنا له بال ولا يقرُّ له حال، كما تتقاسم الطيور قوتها فيتفرَّق مزعا في حواصلها<sup>(3)</sup>.

**ثانيا: الإيمان بالله تعالى هو الدعامة الأساسية التي تنتظم فيها جميع الدعائم المعرفية والسلوكية والانفعالية، ولذلك بدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- أول ما بدأ دعوته بوضع أسس الإيمان، بل ومكث أكثر من نصف الزمن الذي قضاه في الدعوة في إرساء عقيدة الإيمان في قلوب أصحابه، ولذلك تميّزت الآيات المكيّة بذلك، وكان النداء في الآيات المدنيّة التي أتت بتفاصيل**

(1) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (510/1) برقم: (276) (كتاب البر والإحسان، ذكر رضاء الله جل وعلا عمن التمس رضاءه بسخط الناس)؛ والنسائي في "الكبرى" (405/10) برقم: (11853) (كتاب المواعظ)؛ والترمذي في "جامعه" (213/4) برقم: (2414) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب منه). والحديث زوي عن عائشة مرفوعا وموقوفا، والصحيح وقفه. قال الدارقطني: «ورفعه لا يثبت». [أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، (182/14)]. وقال ابن أبي حاتم: «وسألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه البخاري، عن عثمان بن واقد، عن أبيه، عن محمد بن المنكدر، عن عروة، عن عائشة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكرت لهما الحديث؟ فقالا: هذا خطأ؛ رواه شعبة، عن واقد بن محمد، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة، موقوفا؛ وهو الصحيح». [أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم، كتاب العلل، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/سعد بن عبد الله الحميد و د/خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ط1، مطابع الحميضي: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1427هـ-2006م. (59/5)].

(2) وقد اختلفت عبارات المفسرين في معنى الفُرط، هل هو من التفريط وهو العجز والكسل عن العمل الصالح الذي امتدح الله به في أول الآية الذين يدعون رهم بالعداة والعشي على قول الرّجّاج، أو من الإفراط وهو تجاوز الحد في الاشتغال بالدنيا الفانية على قول ابن عباس، أو بمعنى الندم الذي هو من لوازم التفريط على قول أبي عبيدة، أو هو بمعنى الضياح والتشُّت والسرف الذي هو من لوازم الإفراط على قول مجاهد. [ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (9-5/18)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (80/3)]. وكلُّ هذه الأقوال من باب اختلاف التنوع لا التضاد، وبيان ذلك أن هؤلاء الذين هُي عن طاعتهم من جهة أفرطوا في الاشتغال بالدنيا فتشُّتوا وضاعوا، ومن جهة أخرى فرطوا في طاعة الله تعالى وذكره، وسيندمون في الآخرة على ذلك لا محالة.

(3) يُنظر: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (155/3).

العبادات والمعاملات (السلوك) مُفتتحاً ب: (يا أيها الذين آمنوا)<sup>(1)</sup>، ولذلك نجد أن الإيمان النافع هو المصحوب بالعمل الصالح والتقوى، وورد إقرانه بالعمل الصالح في صيغة: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) في خمسين موضعاً، وإقرانه بالتقوى ورد في ثلاثة مواضع، كلها تبين أن ما رَبَّه الله على الإيمان من الكرامة والنعمة الدنيوية والأخروية مشروط بأن يدفع هذا الإيمان صاحبه إلى اتقاء محارم الله وحدوده، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: 103] الآية، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ [المائدة: 65]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بِرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: 96].

كما نجد أن الله تعالى غالباً ما يُوجِّه الأمر بالتقوى في نصوص القرآن إلى أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [البقرة: 278] الآية، في سبعة مواضع، بل ويجعل الله سبحانه الإيمان مبدءاً للتقوى وركناً فيها، والتقوى نتيجة عنه قال تعالى حكاية عن عيسى ابن مريم في خطابه للحواريين: ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 112] الآية.

والتقوى كما عرّفها طلق ابن حبيب: «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله». وأعقبها ابن القيم قائلاً: «وهذا أحسن ما قيل في حدّ التقوى، فإنّ كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمّدة والجاه وغير ذلك، بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان، وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب»<sup>(2)</sup>. وقال الذهبي: «أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترؤ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي

(1) يُنظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (1/68)؛ عبد الله الجديع العنزي، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ط1، مركز البحوث الإسلامية: ليدز-بريطانيا، 1422هـ-2001م. (ص: 58-61).

(2) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الرسالة التبوكية أو زاد المهاجر إلى ربه، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني: القاهرة-مصر. (ص: 10).

يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفاً من الله، لا ليُمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية، فقد فاز»<sup>(1)</sup>.

وإذا أعدنا قراءة هذا التعريف قراءة نفسية، فالذي يظهر فيه أن التقوى هي: تلك الحالة التي تتناسق وتتكامل فيها شخصية المؤمن بجميع جوانبها النفسية الثلاث؛ الجانب السلوكي الأخلاقي: وهو المعبر عنه بجملة (أن تعمل بطاعة الله... وأن تترك معصية الله)، والجانب المعرفي العلمي: وهو المعبر عنه بجملة (على نور من الله)، والجانب الشعوري الانفعالي: وهو قوله: (ترجو ثواب الله... تخاف عقاب الله).

**ثالثاً: الإيمان بالله تبارك وتعالى وبفضائه وقدره، يفتح باب الأمل والتفاؤل أمام العبد ويحميه من الوقوع في أسر القنوط الذي هو من أبرز أسباب الكآبة، لأنه هو الركن الثابت الذي يلجأ إليه المؤمن في كل الظروف والأحوال مهما اختلفت وتنوعت، لأنه على يقين أن الله هو الحي القيوم، وأنه ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] الآية، معية عامّة بسمعه وبصره وعلمه، ومعية خاصة بمعونته وتأييده وهدايته، وأنه سبحانه هو الحكيم الذي لا يقع شيء في ملكه إلا بحكمة، وهذا التسليم للقضاء والقدر وحسن الظن بالله يُكسب المرء مناعة نفسية، تنتشله في الأزمات والمآسي من الوقوع في الكرب والحزن، لأنه يعلم أن الله ما ابتلاه إلا لأنه أراد به خيراً، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من يُرد الله به خيراً يُصب منه»<sup>(2)</sup>. وهذا الخير يكون إما بأن يحطُّ الله به عنه من خطاياها، أو يرفع به من درجاته في الجنة، ولذلك قال -صلى الله عليه وسلم-: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، أو حطَّ عنه بها خطيئة»<sup>(3)</sup>. وقال: «إنَّ الرجل لتكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يُبلِّغه إيَّاه»<sup>(4)</sup>، ولذلك يعتني كلُّ العناية برعاية أوامر الله ونواهيه، لأنه يُوقن أن برعايته لحدود الله فإنَّ الله يرفعها ويحفظه، كما أوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو غلام:**

(1) محمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1405هـ-1985م. (601/4).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (115/7) برقم: (5645) (كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض).

(3) تقدّم تخرجه، (ص: 247).

(4) تقدّم تخرجه، (ص: 260).

«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»<sup>(1)</sup>.

وهذا التفاؤل له أثر عظيم في الوقاية من الإحباط واليأس والقنوط، وفتح باب الأمل لمواجهة الحياة والتغلب على صعابها، عند التعرض لنكبات الحياة، وقد وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- حال المؤمن، فقال: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، فجعل سبحانه علم العبد بأن ما يُصيبه من المصائب والنعم في نفسه وغيره هو من عند الله وبتقدير منه، سببا يقيه من أن يحزن حُزنا يهلك معه عند المصيبة، أو أن يفرح فرحا يُخرجه إلى الخيلاء والفخر، قال ابن عباس في هذه الآية: «ليس أحد إلا يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبورا، ومن أصابه خير فجعله شكرا»<sup>(3)</sup>.

بل إن المؤمن يحمله إيمانه عند البلاء على مراجعة نفسه، بتقويم سلوكه وتصحيح مقصوده، لأن الله تعالى قال: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(1) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (22/10) برقم: (12) (من اسمه عبد الله، حنش بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس)؛ والحاكم في "مستدرکه" (541/3) برقم: (6359) (كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، تعليم النبي ابن عباس رضي الله عنهما)؛ والترمذي في "جامعه" (284/4) برقم: (2516) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب)؛ وأحمد في "مسنده" (648/2) برقم: (2713) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي -صلى الله عليه وسلم-). قال الترمذي: «حسن صحيح»، وقال ابن رجب: «وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وعبيد الله بن عبد الله، وعمر مولى غفرة، وابن أبي مليكة وغيرهم. وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرَّجها الترمذي، كذا قال ابن منده وغيره». [جامع العلوم والحكم، (460/1-461)].

(2) تقدّم تحريجه، (ص: 108).

(3) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (198/23).

﴿٤١﴾ [الروم: ٤١]، ولذلك قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفِعَ إلا بتوبة»<sup>(1)</sup>.

رابعاً: الإيمان يجعل سعادة المؤمن منوطة بشعوره بالمجتمع المسلم، ويجعل في الوقت نفسه سعادة المجتمع المسلم مرتبطة بصلاح نفوس أفرادها، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً. وشبَّك أصابعه»<sup>(2)</sup>، وثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»<sup>(3)</sup> -فجعل حصول الإيمان شرطاً في دخول الجنة، «وفي الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة»<sup>(4)</sup>، ولذلك وصف -صلى الله عليه وسلم- حلق الذكر رياض الجنة، في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «...فارتعوا في رياض الجنة، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر...»<sup>(5)</sup>، وهذه الجنة هي انشراح الصدر وسعادة القلب، وهي الحياة الطيبة التي وعدها الربُّ تعالى عبده المؤمن: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٧)</sup> [النحل: ٩٧]<sup>(6)</sup> - ثمَّ جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- التَّحَابُّ بين المؤمنين شرطاً في التحقُّق بالإيمان الذي لا سعادة

(1) الأثر ذكره ابن القيم في الداء والدواء، (ص: 74).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (103/1) برقم: (481) (كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره)؛ ومسلم في "صحيحه" (20/8) برقم: (2585) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم).

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (53/1) برقم: (54) (كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون).

(4) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، (ص: 48).

(5) أخرجه الترمذي في "جامعه" (488/5) برقم: (3510) (أبواب الدعوات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب)؛ وأحمد في "مسنده" (2646/5) برقم: (12718) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه). حكم الحديث: حسن لغيره. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: 2562، (6/130-134)].

(6) والآية فيها مقابلة بين الحملتين، وذلك يدلُّ على أنَّ محلَّ الحياة الطيبة غير محلِّ الجزاء الحسن، ولذلك كانت عامَّة أقوال السلف تذهب إلى أنَّ هذه الحياة الطيبة تكون في الدنيا، وقد اختلفوا في المراد بها على أربعة أقوال: فذهب ابن عبَّاس إلى أنَّها الرِّزْق الطَّيِّب الحلال الحَسَن، وذهب عليٌّ والحسن البصري إلى أنَّها القناعة، وذهب الضَّحَّاك إلى أنَّها ذِكر الله، وذهب ابن عبَّاس في قول آخر إلى أنَّها السَّعادة، وهذه الأقوال كُلُّها متكاملة، يُصدِّق بعضها بعضاً. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (17/289-292)].



حقيقية بدونه، ثمَّ أرشد إلى ما يحصل به التَّحاب، وهو: إفشاء السَّلام، وفي ذلك نفي الضغائن والأحقاد وما ينجم عنها من البغي والعُدوان<sup>(1)</sup>.

ولما كان الإيمان هو ما يحمل المؤمنين على تحبُّب بعضهم إلى بعض، ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- نفي الإيمان عمَّن يعتدي على أموال وأعراض النَّاس عموماً فضلاً على أن يكونوا مؤمنين، فقال -صلى الله عليه وسلم- «والله لا يؤمن ثلاثاً. قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوايقه»<sup>(2)</sup>، وقال أيضاً: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن،... ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهباً، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم، حين ينتهبها وهو مؤمن»<sup>(3)</sup>. وعرَّف النبي -صلى الله عليه وسلم- المؤمن بقوله: «المؤمن من آمنه النَّاس على أموالهم وأنفسهم»<sup>(4)</sup>.

ولم يُقصر -صلى الله عليه وسلم- تحصيل الإيمان الكامل على مُجرَّد كبح المؤمن لنزواته، حتَّى لا يعتدي على حرَمات غيره، بل جعل ذلك متوقِّفاً على أن يدفعه إيمانه إلى أن يتجرَّد من شُحِّه وأنانيَّته، فيُحبَّ أن يكون لإخوانه من حصول النَّفع واتِّقاء الضَّرِّ مثل ما يُريد أن يكون له، قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا يؤمن أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»<sup>(5)</sup>. وهذا يحمله إلى أن يُواسيهم في ابتلاءاتهم ويتقاسم معهم ما حباه الله به من النِّعمة، لأنَّه يُوقن أنَّ الذي أعطاه إيَّاه

(1) يُنظر: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (36/2).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (10/8) برقم: (6016) (كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه يوبقهن يهلكهن موبقاً مهلكاً)؛ ومسلم في "صحيحه" (49/1) برقم: (46) (كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار). وبوايقه: أي غوائله وشروبه، واحدها بايقة، وهي الداھية. [النهاية في غريب الحديث والأثر، (162/1)].

(3) تقدَّم تخريجُه، (ص: 108).

(4) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (86/5) برقم: (3934) (أبواب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله). حكم الحديث: صحيح. [يُنظر: محمد نور الدين السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ط2، دار الجيل: بيروت-لبنان. برقم: 3934، (460/2)؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: 549، (89/2-90)].

(5) أخرجه البخاري في "صحيحه" (12/1) برقم: (13) (كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)؛ ومسلم في "صحيحه" (49/1) برقم: (45) (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير).

إِنَّمَا هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ الْخَلْقَ هُمْ عِبَادُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارَهُ جَائِعٌ»<sup>(1)</sup>.

بل ويحمله ذلك على تحرك وجدانه وشعوره بما يمسُّ إخوانه المؤمنين من الشدائد، فلا يهنا له بال ولا يقرُّ له قرار حتى يزول عنهم ما هم فيه، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ مِثْلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»<sup>(2)</sup>.

ولا يقف الأمر في هذا الوُدِّ الإيماني على الشعور بالآخر ومواساته في تدبير معيشته من حيث مأكله ومشربه وملبسه، بل إنَّه يتعدى ذلك إلى الصّدق في النصح والحرص على تقويم السُّلوك، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الْمُؤْمِنُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ»<sup>(3)</sup>. فشبهه بالمرآة لأنَّ المرآة تعكس حقيقة الشَّخص كما هو، فيرى فيها محاسنه بما يدعوه إلى شكرها والحفاظ عليها وتعزيزها، كما تُوقفه في الوقت نفسه على معاييه بما يدعوه إلى إصلاحها وتقويمها، حتى تكتمل محاسنه. وكذلك المؤمن للمؤمن، فلا هو بالذي يتتبع المثالب ويُعيّر أخاه بما فيه من العيوب والنقائص، بل يُنبّهه عليها بما يدعوه إلى إصلاحها حسب المقام، ولا هو بالذي يُثني عليه ثناء يُخرجه إلى العجب والرّهو بالنفس، بل يُصارحه بما جمّله الله به من طيب الأخلاق<sup>(4)</sup>، ومواقفه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع أصحابه مليئة

(1) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (128/11) برقم: (121) (من اسمه عبد الله، عبد الله بن مساور عن ابن عباس)؛ والحاكم في "مستدرکه" (167/4) برقم: (7400) (كتاب البر والصلة، ليس المؤمن الذي يبيت وجاره إلى جنبه جائع)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (3/10) برقم: (19730) (كتاب الضحايا، باب صاحب المال لا يمنع المضطر فضلا إن كان عنده). حكم الحديث: حسن بشواهد. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: 149، (278/1)].

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (20/8) برقم: (2586) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم).

(3) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (178/6) برقم: (2184) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس). قال المناوي: «إسناده حسن». [أبو العلا محمد المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (48/6)].

(4) يُنظر: عمر بن علي سراج الدين ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (363/28)؛ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، ط1، مكتبة دار السلام: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1432هـ-2011م. (448/10).

بذلك، ومنها: قوله لأشجَّ عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة»<sup>(1)</sup>، وهو - صلى الله عليه وسلم- من نصح ابن عمر -رضي الله عنهما- فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل». قال سالم مولى ابن عمر: «فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً»<sup>(2)</sup>.

وهذه الرابطة الإيمانية تتعالى على الوطنيّات والقوميّات والحزبيّات، وهي رابطة منزّهة عن جميع الأغراض الخسيسة ومبرّكة عن كلّ ما يُفضي إلى تهيئة المجتمع لشيوع الاضطرابات النفسية، وهذا التكامل الشعوري والسلوكي بين المؤمنين يعتمد في الأصل على صلاح نفوسهم بالإيمان، فلا يتصور صدور النصح من شخص مُلاً قلبه بالحسد والحقد، كما لا يُتصوّر الكرم من نفس مُلأت شُحاً ومُخلاً، وكلّما ترقّى أفراد المجتمع في مدارج الإيمان كلّما صفت نفوسهم، وانعكست الحقائق فيهم أكثر جلاءً ووضوحاً. قال القاري: «فإن المؤمن مرآة المؤمن، فبمقدار صفاء المرآة وصقلتها وتخلّيتها وتجليتها تنعكس وتتجلى فيها صورة المحبوب المطلوب»<sup>(3)</sup>.

**خامساً: الإيمان هو السبب الوحيد الأوحّد لتنزيل السكينة من الله على المؤمن، وجميع الآيات -وهي أربعة- التي ذكرت إنزال السكينة من الله على عباده علّققتها بوصف الإيمان، هذه السكينة هي حالة من اطمئنان القلب وهدوء النفس ثقةً بمعونة الله ونصره<sup>(4)</sup>، وهذه السكينة ترد إلى قلب المؤمن وسائر جوارحه زويداً زويداً، ولذلك وُصف إيقاعها على قلب المؤمن بالإنزال، وهو مُشعر بالرفق واللطف، على خلاف الرعب الذي يُلقيه الله في قلوب الكافرين دُفعة واحدة، فقد جاء وصف إيقاعه عليهم بالقذف، في قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٦] الآية<sup>(5)</sup>.**

(1) تقدّم تخريجه، (ص: 255).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (96/1) برقم: (440) (كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد)؛ ومسلم في "صحيحه" (158/7) برقم: (2478) (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما).

(3) علي بن محمد الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (9/3581).

(4) والسكينة على وزن فعيلة من السكون، وكلام المفسرين دائر على أنّ معناها: طمأنينة القلب وثباته وهدوء النفس وشعورها بالأمن. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (14/189)، (5/330)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (16/19)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (2/247)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (10/158)].

(5) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (28/68).

وهي إن كان تنزيلها على القلب أصالة، وهو محلُّ العقائد والمعارف والنيّات والخواطر، فإنَّ أثرها يتعدّى ذلك إلى التحكُّم في المشاعر، وتثبيت الانفعالات، وضبط الدوافع، ويبيّن هذا أنّ تنزيل السكينة تارة يُخصَّص بالقلب، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] الآية، والأكثر أن يعمَّ إطلاقه المؤمن جميعاً، بما فيه من الوظائف النفسية والبدنية، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦] الآية، وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠] الآية، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. والذي علمه الله في قلوبهم فيه وجهان؛ الأوّل: الصّدق والوفاء والإخلاص<sup>(١)</sup>، وذلك طيب للنفس وطهارة لها من الأخلاق السيئة التي تمنع تنزيل الله للسكينة عليهم، لأنّ: «الله طيبٌ لا يقبلُ إلاّ طيباً»<sup>(٢)</sup>. والثاني: فعلم ما في قلوبهم من الكآبة التي حصلت لهم عند حدوث الصلح وعدم الجهاد في سبيل الله، وقد تهيّئوا له، فكأنّهم قد تحسّروا على تفويتهم لبذل أنفسهم في سبيل الله، لا سيّما وقد بايع كثير منهم النبيّ - صلى الله عليه وسلم - على الموت<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] الآية، دليل على أنّ هذه السكينة تبدأ من الإيمان إذ إنّهُ هو سببها وموجبها، ثمّ تعود إليه بالتعزيز والتّقوية، فكُلّما عَظُمَ حَظُّ العبد من الإيمان عَظُمَ حَظُّهُ من السَّكِينَةِ، ثمّ هذا الحَظُّ العَظِيم من السَّكِينَةِ يُخَلِّفُ إيماناً جديداً قوياً وهكذا.

وقد ذكر المفسّرون أوجهاً لزيادة الإيمان بهذه السكينة، فذكر ابن عبّاس أنّ الإيمان الباطن - وهو تصديق القلب بأصل التّوحيد - باعث على الإيمان الظاهر - وهو التزام الجوارح بحقوق التّوحيد من الشّرائع الظّاهرة -، حيث روى الطبريُّ بسنده إلى ابن عبّاس -رضي الله عنهما-، قال: «إن الله جلّ ثناؤه بعث نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّقوا بها زادهم

(1) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (133/4).

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (85/3) برقم: (1015) (كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها).

(3) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (175/26).

الصلاة، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة، فلما صدّقوا بها زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم»<sup>(1)</sup>. وذكر الرازي وجهين آخرين<sup>(2)</sup>؛ أولهما: أنهم ازدادوا يقينا بما حدث لهم من نصر الله لهم، وذلك أنهم أيقنوا بالنصر قبل وقوعه، فلما وقع قوي يقينهم بذلك. ثانيهما: ليزدادوا إيمانا مكتسبا بالطاعة والنظر في آيات الله الشرعية والكونية، ويدخل فيها نصر الله لأوليائه، ازدادوا بذلك إيمانا مكتسبا مع إيمانهم الفطري الذي وُلدوا عليه. ويشهد له أنه ليس ثمة وجود لكفر فطري، قال تعالى عن الكفار: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] الآية، ولم يقل مع إثمهم<sup>(3)</sup>.

هذه السكينة إنما يتوصّل إليها بالإيمان بالله، واليقين بمعينته العامّة باستشعار أنه مع عبده بسمعه وبصره وقدرته، ومعينته الخاصّة بالتوفيق والنصر والتأييد والإعانة، وذلك ينفي الحزن من القلب كما ينفي الكير خبث الحديد، ولذلك جاءت فاء التعقيب الدالّة على المباشرة، في إنزال السكينة بعد اليقين بمعينة الله، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠] الآية، ولا يمكن أن يتوصّل إلى هذه السكينة بالمال، ولا بالجمال، ولا بالشهرة والجاه، بل إن هذه الأشياء وما يتفرّع عنها من أصناف النعم، إن لم تكن قائمة على ساق الإيمان فإنها تكون وبالا وجحيما على صاحبها، وكثيرة هي النماذج التي قصّها علينا الوحي كفرعون وقارون وغيرهما، ونشاهد منها دائما نسخا في كلّ عصر، عن أناس بلغوا من تحصيل المال والشهرة والجمال وغيرها مبلغا عظيما، ومع ذلك كانوا أشقياء تُعساء، وتسببت شقاوتهم في إلحاق الضرر بأنفسهم ومجتمعاتهم، فكم من سلطان دعاه سلطانه إلى ظلم الأبرياء وتدمير البلدان وإثارة الحروب، وكم من غنيّ أدّاه غناه إلى منع الحقوق، وسدّها عن وصولها إلى أصحابها بالرشاوى وغيرها، وكم من عالم مُتهنّك سخّر ذكائه وفهمه وحفظه في التشكيك في الثوابت بدعوى حرّية الفكر وتنويره، أو بثّ علوم مُحرّمة مُضرة كعلم التنجيم والسحر والشعوذة، أو ربّما استخدم علما مشروعاً في طريق غير مشروع. والأعجب من هذا أن يصير العلم الذي يُتربّب إلى الله من علوم الشريعة إذا لم يكن قائما على الإيمان سببا للابتعاد

(1) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (203/22).

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (68/28).

(3) وأما قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أُنْفُسَهُمْ وَأُنْفُسًا مَعَهُمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] الآية، فهي باعتبار إضلالهم لأنفسهم وتسببهم في إضلال غيرهم، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «... وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». [أخرجه مسلم في "صحيحه" (62/8) برقم: (2674) (كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة)].

عن هذه السكينة، والوقوع في بطن الحيرة والرَّيب، قال ابن تيمية: «وقد أوعبت<sup>(1)</sup> الأمة في كل فن من فنون العلم إيعاباً، فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالاً؛ كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي لبيد الأنصاري: «أو ليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى؟ فماذا تغني عنهم؟»<sup>(2)</sup>»<sup>(3)</sup>.

ولذلك ورد عن السلف أنهم تعلّموا معاني الإيمان ومقاصده قبل أن يتحفّظوا ألفاظ القرآن ومبانيه، قال ابن عمر: «لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أهدنا يوتى الإيمان قبل القرآن، وينزل السورة على محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- فيتعلّم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلّمون أنتم القرآن، ثم قال: لقد رأيت رجلاً يوتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثره نثر الدقل<sup>(4)</sup>»<sup>(5)</sup>.

وهذا كله يدلُّ على أنه لا سكينة للقلب إلا بالإيمان بالله، ذلك لأنَّ «في القلب فاقة لا يسُدُّها شيء سوى الله تعالى أبداً، وفيه شعث لا يلثمُه غير الإقبال عليه، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له، وعبادته وحده، فهو دائماً يضرب على صاحبه حتى يسكن ويطمئن إلى إلهه ومعبوده، فحينئذ يُباشِر روح الحياة، ويدوق طعمها، وبصير له حياة أخرى غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا

(1) قال الفيروزآبادي: «وأوعب: جمَع». [القاموس المحيط، (ص: 142)].

(2) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (99/1) برقم: (337) (كتاب العلم، هذا أوان يختلس العلم من الناس أول علم يرفع من الناس الخشوع)؛ والترمذي في "جامعه" (391/4) برقم: (2653) (أبواب العلم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في ذهاب العلم). قال الترمذي عقبه: «حديث حسن غريب». [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (2/1173)].

(3) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (665/10).

(4) قال ابن الأثير: «هو رديء التمر ويابس، وما ليس له اسم خاصُّ فتراه لئيسه وردائه لا يجتمع ويكون منشوراً». [المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (2/127)]. والمقصود أنهم يُفرِّقون بين حفظ حروفه فيقيمونها، وبين فهم مقاصده وإقامة حدوده فيصَبِّعونها.

(5) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (35/1) برقم: (102) (كتاب الإيمان، كيف يتعلم القرآن)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (120/3) برقم: (5373) (كتاب الصلاة، باب البيان أنه إنما قيل يؤمهم أقرؤهم). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علّة ولم يخرّجاه».

الأمر الذي له خلق الخلق، ولأجله خلقت الجنة والنار، وله أرسلت الرسل ونزلت الكتب، ولو لم يكن جزاء إلا نفس وجوده لكفى به جزاء وكفى بفوته حسرة وعقوبة»<sup>(1)</sup>.

والذي يدل على قوة هذه السكينة في قلوب أهل الإيمان وعظيم أثرها عليهم، قدرتها على ضبط سلوكهم وثبات انفعالاتهم، في أحلك الظروف، وذلك عند القتال الذي هو مظنة الموت والهلاك، ولذلك في غزوة حنين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعَجَبْتَكُمْ كَتَرْتَكُمْ فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَابَتْ لَكُمُ الْيَمِينُ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٦]، وإذا كانت هذه السكينة قادرة بإذن الله على تثبيت المؤمن بما يؤدي إلى نجاحه ونصرته عند المواقف التي تتحمل أقصى قدر ممكن من القلق، ألا وهو خطر الموت والهلاك، فقدرتها على تثبيت المؤمن فيما هو أقل من ذلك شدة أولى وأحرى.

**سادسا: المؤمن منعم القلب سعيده، لأنه راض بالله وراض عن أحكامه الكونية والشرعية،** ويدخل في الكونية جميع ما يصيبه من الابتلاءات والمحن، وفي الشرعية جميع الشرائع التي جاء بها النبي -صلى الله عليه وسلم-، حيث قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا»<sup>(2)</sup>. فهذا فيه أن الإيمان له طعم، لا يصل إلى تذوقه إلا من رضي بالله رباً، خالقاً مُدبراً كاملاً من جميع الوجوه متنزهاً عن جميع النقائص والعيوب، فتوكل عليه، وأنزل جميع حوائجه به، وأفرده بالدعاء والعبادة، ورضي بمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبياً مبعوثاً من الله خاتماً للرسل، بدين الإسلام الذي يتضمن أوامر الله حتى يمثلها بالفعل، ونواهيه حتى يمثلها بالتترك، كما يتضمن أخباره حتى يمثلها بالتصديق<sup>(3)</sup>. ورؤي عنه -عليه الصلاة والسلام-: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له»<sup>(4)</sup>.

(1) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصادد الشيطان، (71/1).

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (46/1) برقم: (34) (كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا).

(3) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (182/2)

(4) أخرجه الترمذي في "جامعه" (27/4) برقم: (2151) (أبواب القدر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في الرضا بالقضاء)؛ وأحمد في "مسنده" (363/1) برقم: (1461) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند أبي إسحاق

وأما الرضا عن الله فهو ثمرة عن الرضا بالله، ذلك لأن الرضا بالله يشمل الرضا بأسمائه وصفاته، وكذلك الرضا بقضائه للحديثين السابقين، وأما الرضا عن الله، فهو الرضا عن قضائه في الدنيا وعن ثوابه في الآخرة، ولذلك لم يأت الرضا في الآيات القرآنية معدى بحرف الجرّ (عن) إلا في سياق ذكر الثواب الآخروي<sup>(1)</sup>، وذلك في أربعة مواضع، في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَيَدْخُلُوهَا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨] الآية.

والسبب الذي يجعل المؤمن مطمئن النفس مستريح البال أنه راض عن ربه وعمّا أسداه إليه من النعم، وعن جميع ما قدره وقضاه، فهو موقن بأن الله عليم بما يُقدّره، وأنه سبحانه عدل حكيم يضع الأشياء مواضعها، قد كُمل عدله فتنزه عن الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] الآية، كما قد كُملت حكمته فتنزه عن العبث واللعب، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] الآية، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ﴾ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آيَاتٍ تَخَذُوهَا آيَاتِنَا لَنَخَذَنَّهَا لَعِبِينَ ﴿١٧﴾ [الأنبياء: ١٦-١٧].

فالمؤمن راض عن نفسه مهما تدهورت أحواله وتنكبت أموره، لأنه يُرضيه ما يُرضي الله، وهو يُرضيه الإيمان الذي يستوجب الشكر الذي هو ضد الكفر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] الآية، فالمؤمن لو تجرّد من جميع الملذّات فهو يُوقن أنّ الإيمان هو أعظم منّة امتنّ الله بها عليه، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ ﴿٧﴾ فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ [الحجرات: ٨].

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه). قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد، ويقال له أيضا حماد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم المدني، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث».

(1) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (181/2).



٧-٨]، وكثيرة هي النصوص التي تُنَوِّه بشأن حُرمة وعظمة المؤمن، ومنها: قوله -عليه الصلاة والسلام-: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»<sup>(1)</sup>، ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت فقال: «ما أعظَمَك، وأعظَمَ حُرْمَتَك، وللمؤمن أعظم عند الله حرمةً منك»<sup>(2)</sup>. وذلك يُسهم إسهاماً مباشراً في تعزيز النظرة الإيجابية للمؤمن بُحاه نفسه، بما يُترجم فيما بعد في الشعور الإيجابي ثم السلوك السوي البناء، وأمَّا الشعور بالدونية والحقارة، والوقوع في أسر عقدة النقص، فمن شأنه: أن يُوقع الإنسان في التسخط على حاله، والغفلة عن النعم التي تُحيط به، واجترار المآسي التي تحول دون سعيه إلى التعامل مع ظروفه، فضلاً عن الترقّي والازدياد من الخير.

ومحلُّ الرضا بالقضاء يكون بعد وقوع المقدور لا قبله، لأنَّه كان من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وأسألك الرضا بعد القضاء»<sup>(3)</sup>، قال ابن تيمية: «وأما ما يكون قبل القضاء فهو عزم

(1) انفرد ابن ماجه بإخراجه عن البراء بن عازب في "سننه" (639/3) برقم: (2619) (أبواب الديّات، باب التّغليظ في قتل مسلم ظلماً)؛ وأخرجه -بلفظ: «مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مُسْلِمًا»، من طريق عبد الله بن عمرو -النسائي في "المجتبى، (789/1) برقم: (2/3998) (كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم)؛ والنسائي في "الكبرى" (417/3) برقم: (3435) (كتاب المحاربة، تعظيم الدم)؛ والترمذي في "جامعه" (69/3) برقم: (1395) (أبواب الديّات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن). وقد مرَّ أنَّ الإيمان والإسلام من الألفاظ التي إذا اجتمعت افتترقت، وإذا افتترقت اجتمعت؛ وأخرجه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً عن عبد الله بن عمرو، ثُمَّ رَجَّح الرواية الموقوفة، فقال: «وهذا أصحُّ من حديث ابن أبي عدي. وفي الباب عن سعد، وابن عباس، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وعقبة بن عامر، وُريدَة. حديث عبد الله بن عمرو هكذا رواه ابن أبي عدي، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. وروى محمد بن جعفر وغير واحد، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء فلم يرفعه، وهكذا روى سفيان الثوري، عن يعلى بن عطاء موقوفاً، وهذا أصحُّ من الحديث المرفوع».

(2) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (75/13) برقم: (5763) (كتاب الحظر والإباحة، ذكر الزجر عن طلب عثرات المسلمين وتغييرهم)؛ والترمذي في "جامعه" (554/3) برقم: (2032) (أبواب البر والصلة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في تعظيم المؤمن). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد». [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان برقم: 5733، (250/8)].

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (304/5) برقم: (1971) (كتاب الصلاة، ذكر جواز دعاء المرء في الصلاة بما ليس في كتاب الله)؛ والحاكم في "مستدرکه" (524/1) برقم: (1929) (كتاب الدعاء والتكبير والتلهيل والتسبيح والذكر، دعاء عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي كان يدعو به في الصلاة)؛ والنسائي في "المجتبى" (278/1) برقم: (1/1304) (كتاب السهو، باب نوع آخر)؛ وأحمد في "مسنده" (4166/8) برقم: (18614) (أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما). حكم الحديث: صحيح. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان برقم: 1968، (401/3)].

على الرضا لا حقيقة للرضا، ولهذا كان طائفة من المشايخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء، فإذا وقع انفسخت عزائمهم»<sup>(1)</sup>. والشواهد على ذلك من القرآن كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣] قال الطبري: «لأن قوماً من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ممن لم يشهد بدرًا، كانوا يتمنون قبل أحد يومًا مثل يوم بدر، فيبُلُّوا الله من أنفسهم خيرًا، وينالوا من الأجر مثل ما نال أهل بدر. فلمَّا كان يوم أحد فرَّ بعضهم، وصبرَ بعضهم حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك، فعاتب الله من فرَّ منهم»<sup>(2)</sup>.

ولهذا الرضا قدر لا ينبغي أن يُتجاوز، فلا يعني الرضا أن يركن الإنسان إلى القعود والكسل، بل إن الله تعالى عاتب أهل الإيمان على ثقلهم عن الجهاد في سبيل الله، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، فالمؤمن همته عالية لا يليق به أن يرضى بتقديم الملذات الفانية المحدودة التي حُفَّت بالآفات من جميع جوانبها على النعيم الأبدي الخالص<sup>(3)</sup>.

بل الرضا يكون بعد أن يجتهد المؤمن -وقلبه مُعلق بالله متوكِّل عليه- في تحصيل الأسباب التي تُوصله إلى ما يعود عليه بالنعف، فإذا فاته شيء سلَّم أمره للقضاء والقدر، ولذلك قال -صلى الله عليه وسلم-: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل» الحديث<sup>(4)</sup>. ورؤي عنه -عليه الصلاة والسلام- قوله: «الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، وإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله

(1) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفائها ويليها التُّحفة العراقيَّة في الأعمال القلبية، (ص: 53).

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (7/248).

(3) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (16/47).

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (56/8) برقم: (2664) (كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله).

ونعم الوكيل»<sup>(1)</sup>. و«لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، وأن تعطيلها يقدر في نفس التوكل، كما يقدر في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإنَّ تَرْكَهَا عَجْزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عاجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا»<sup>(2)</sup>.

ولهذا الرضا مظاهر عديدة، وأعظم ثمرة يجنيها المؤمن من تحمُّقه بالرِّضا بالله وعن الله أن يرضى الله عنه، لقوله النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ عِظَمَ الْجِزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنْ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ»<sup>(3)</sup>. وإذا رضي الله عن العبد، انشرح صدره وتيسرت أموره، قال ابن القيم: «ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرّة عيون المشتاقين»<sup>(4)</sup>، وقد وعد الله تعالى نبيّه بأنّه سيُعطيهِ نعيمًا في الآخرة الآجلة ويأذن له في الشفاعة لأُمَّته حتى يرضى، قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]<sup>(5)</sup>، كما جعل له نصيبًا من هذا الرضا في الدنيا بما أعطاه

(1) أخرجه النسائي في "الكبرى" (232/9) برقم: (10387) (كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا غلبه أمر)؛ وأبو داود في "سننه" (348/3) برقم: (3627) (كتاب القضاء، باب الرجل يخلف على حقه)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (181/10) برقم: (20783) (كتاب الشهادات، باب ما جاء في قول الله عز وجل وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)؛ وأحمد في "مسنده" (5797/11) برقم: (24616) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري رضي الله عنه). والحديث إسناده ضعيف. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، برقم: 23983، (408/39)].

(2) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، (14/4).

(3) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (328/6) برقم: (2350) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، عيسى الإسكندراني عن أنس)؛ والحاكم في "مستدرکه" (608/4) برقم: (8897) (كتاب الأهوال، ذكر مبلغ العرق من ابن آدم يوم القيامة)؛ والترمذي في "جامعه" (202/4) برقم: (2396) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في الصبر على البلاء)؛ وابن ماجه في "سننه" (159/5) برقم: (4031) (أبواب الفتن، باب الصبر على البلاء). قال الترمذي عقبه: «حديث حسن غريب».

(4) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (172/2).

(5) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (487/24)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (457/4).

في العاجل من النعم الباطنة من غنى النفس بالله وقلة الاكتراث بالدنيا، والهداية للحق، والنعم الظاهرة حيث ألهم عمه إيوائه لما تُوفي عنه والداه وتركاه يتيما، وألهم خديجة -رضي الله عنها- مقارضته في تجارتها وقد كان فقيرا فأغناه الله بها، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۗ ﴾ [الضحى: ٦-٨] (1).

وهذا الرضا في القلب المؤمن، يُهيئ له شكر النعم التي هي في يده والقناعة بها، والتي لا يلتفت إليها كثير من الناس، واستشعار إحسان الله إليه فيها، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها» (2). وقد علم النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته أن تستشعر هذه النعم وتشكرها، فكان يحمد الله بعد أكله وشربه، وبعد قيامه من النوم، وبعد لبسه الثوب، وبعد تمام أموره كلها. وهذا مع زهده -صلى الله عليه وسلم-، وكان مع ذلك يدعو إلى الله، ويُجاهد بلسانه وسيفه في سبيل الله، ويقوم الليل ويصوم النهار ويذكر الله على كل أحيانه، رضا بالله واعترافا بنعمته وشكرا عليها.

هذه القناعة التي هي من أبرز مظاهر الرضا، تُكثّر القليل وتُجمل حياة المؤمن وتُطيبها، ولذلك فسّر طائفة من السلف كعلي بن أبي طالب والحسن البصري وغيرهم الحياة الطيبة في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ ﴾ [النحل: ٩٧] الآية، بالقناعة (3). ويتجلى دور هذا الرضا إذا صُرفت الأبصار لتقاء المترفين الذين فقدوا إيمانهم أو ضعف واضمحلا، كيف أنهم يتأففون ويتضحرون، وعندهم من المساكن والأموال والمراكب وغيرها من صنوف النعم الظاهرة ما يكون مصدر شقائهم.

وهذه القناعة تحمي المؤمن من الشره والطمع الموجود في طبيعة الآدمي، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب،

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (400/30).

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (87/8) برقم: (2734) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب).

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (290/17).

ويتوب الله على من تاب» (1). كما تحميه من مخالفة أوامر الله تعالى، ولذلك نهى الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم- والنهي شامل لغيره من أهل الإيمان عن التأسف على ما مَنَّ الله به المشركين من النعم الظاهرة، حتى لا يستحسنوا ما هم عليه من الكُفر والطُغيان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]، وسبب نزول الآية: أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- ضاق به الحال، فاستسلف طعاما من يهوديٍّ، فلم يأتمنه وطلب منه رهنا، فرهن درعه عنده، وحزن -عليه الصلاة والسلام- لذلك (2)، فبيَّن الله تعالى حقيقة الحال، وهو أَنَّ هذه النعم التي عليهم زينة في الظاهر كالزهرة، ولكنها تنطوي على افتتان قلوبهم، «والفتنة: اضطراب النفس وتبليبل البال من خوف أو توقُّع أو التواء الأمور، وكانوا لا يخلون من ذلك، فلشركهم يقذف الله في قلوبهم الغم والتوقع... ما يبدو للناظر من حسن شارتهم مشوب ومبطن بفتنة في النفس وشقاء في العيش وعقاب عليه في الآخرة» (3)، ثم بيَّن أَنَّ الرزق الطيب من الله تعالى لعبده المؤمن في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح والكسب الحلال ولو قلَّ، مع سكون القلب وانسراح الصدر، وفي الآخرة بالنعيم المقيم أفضل وأحسن ممَّا مَنَّ الله به المشركين من المتع القليلة التي ما مثلها إِلَّا ﴿كَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

كما أَنَّ الرِّضَا بما قدَّره الله على العبد لا سيِّما فيما لا مجال له للاختيار فيه ولا قُدرة له عليه يحميه من تمِّي ما عند غيره، ولذلك لما تمَّتِ النساء أن يكون لهم ما للرجال أنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]، «فنهى الله عباده عن الأماني الباطلة، وأمرهم أن يسألوه من فضله، إذ كانت الأماني تورث أهلها الحسد والبغي بغير

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (92/8) برقم: (6436) (كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال)؛ ومسلم في "صحيحه" (100/3) برقم: (1049) (كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لا يتغنى ثالثا).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (403/18)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (114/22).

(3) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (341/16).

الحق»<sup>(1)</sup>، وفي ذلك وقاية للمؤمن من أن يصرف تفكيره وجهده في ما لا فائدة فيه، كما أن فيه ادّخارا لطاقاته وتوجيهها الوجهة المنتجة النافعة في الدنيا والآخرة.

## المطلب الثاني: ضبط الخواطر، ودوره في تحقيق الصحة النفسية.

### الفرع الأول: مفهوم الخواطر، وبيان أهميتها في تحريك السلوك.

والخواطر النفسية: هي الآراء والمعاني التي تمرّ مُسرعة على القلب، مُحدثة حركة واضطرابا فيه. ويصبح هذا المعنى أكثر وضوحا، إذا لاحظنا أنّ مادّة (خطر) تُستعمل في الحسيّات على تحريك الأطراف، يقال: خطرت النّاقة بدنّبها، أي: حرّكته ضاربة به يمينا وشمالا، وخطر الرّجل في مشيته، أي: رفع يديه ووضعهما وهو يتمايل<sup>(2)</sup>.

والخاطر وإن كان فكرة ومعنى يعبر بالدّهن ويطراً عليه، إلّا أنّه لا ينطفئ دائما، بل كثيرا ما تشمّ ترجمته إلى إرادات ومن ثمّ إلى انفعالات وسلوكيّات، ويختلف ذلك من شخص لآخر حسب ظروف الحالة النفسية للفرد. ولذلك ذكر غير واحد من أهل العلم أنّ الخاطر مرتبة من مراتب القصد الذي هو مبدأ السلوك والفعل، قال الغزالي: «وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر، وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار، وأعني به إدراكاته علوماً، إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر، فإنّها تسمى خواطر من حيث إنّها تخطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها، والخواطر هي المحركات للإرادات، فإن النية والعزم والإرادة إنّما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة، فمبدأ الأفعال الخواطر، ثم الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء»<sup>(3)</sup>. وقال ابن القيم: «مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو: الخواطر والأفكار، فإنّها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار، وفسادها بفسادها»<sup>(4)</sup>.

(1) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (8/260).

(2) يُنظر: محمد بن أحمد أبو منصور الأزهرى، تهذيب اللغة، (7/104)؛ أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (2/199)؛ محمد أبو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (11/194).

(3) أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، (3/26-27).

(4) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص: 173).

وتنقسم مراتب القصد إلى خمسة أقسام متتالية<sup>(1)</sup>: الهاجس، ثم الخاطر، ثم حديث النفس، ثم الهمُّ، ثمَّ العزم<sup>(2)</sup>، وبين الهاجس والخطر تداخل، حتَّى حكى الزَّبيدي أنَّهما مترادفين<sup>(3)</sup>، ويفترق عنهما حديث النَّفس بأنَّه جولان الأفكار داخل الدَّهن، وأمَّا الهمُّ فهو مبدأ العزم، وأمَّا الهمُّ - وإن لم يكن هناك فعل - يُتاب عليه بالحسنة الحسنة، وبالسيِّئة - إن تركها لوجه الله - الحسنة الكاملة، وإن تركها لغير ذلك فلا ثواب له ولا وزر عليه، لقوله - صلى الله عليه وسلم - : «يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فكتبوها له حسنة، فإن عملها فكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة»<sup>(4)</sup>، وأمَّا العزم فيؤاخذ عليه بالحسنة الحسنة وبالسيِّئة السيِّئة، للحديث المتقدِّم: «إنما الدنيا لأربعة نفر... الحديث»<sup>(5)</sup>، ولما ثبت عن أبي بكره - رضي الله عنه - عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - أنَّه قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار. فقلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه، وفي رواية مسلم: إنَّه قد أراد قتل صاحبه»<sup>(6)</sup>. قال النووي: «فيه دلالة للمذهب الصحيح الذي عليه الجمهور، أنَّ من نوى المعصية وأصرَّ على النية، يكون آثماً وإن لم يفعلها ولا تكلم»<sup>(7)</sup>.

(1) يُنظر: عبد الكريم الخضير، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (دروس صوتية من موقع الشيخ عبد الكريم الخضير <https://shkhudheir.com>). (الحلقة الثانية).

(2) وذكر الألويسي عن بعضهم، أنَّه نظمها بقوله:

«مراتب القصد خمس هاجس ذكروا... فخاطر فحديث النفس فاستمعا

يليه هم فعزم كلها رفعت... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا». [شهاب الدين محمود الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1415هـ. (62/2)].

(3) يُنظر: محمد أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (194/11).

(4) أخرجه البخاري في "صحيحه" (17/1) برقم: (42) (كتاب الإيمان، باب حسن إسلام المرء)؛ ومسلم في "صحيحه" (82/1) برقم: (128) (كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب).

(5) تقدَّم تحريجه، (ص: 89).

(6) أخرجه البخاري في "صحيحه" (15/1) برقم: (31) (كتاب الإيمان، باب وإن طافتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)؛ ومسلم في "صحيحه" (169/8) برقم: (2888) (كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما).

(7) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (12/18).

## الفرع الثاني: طرق ضبط الخواطر.

لا يمكن للإنسان مهما كان أن يُخلي نفسه من الخواطر وقطعها كلياً، ذلك أنها تتوارد إلى ذهنه رُغماً عنه، ولكن الذي يمكنه من جهة التعامل معها هو: التحكم فيها من جهة قبولها بالاعتناع بها والجري على مقتضاها في الأقوال والأعمال، أو دفعها ومخالفتها قولاً وعملاً<sup>(1)</sup>، بل ويمكنه أن يُحدّد نوع الخواطر التي يُريد أن تخطر على باله، بتحديد ما يلج إلى فؤاده من المدركات الحسية، وإشغال فكره بما يعنيه وينفعه، وتهذيب ما اعتاد عليه من سلوكياته.

والذي يظهر أنّ هناك ثلاث طرق رئيسة، يتم من خلالها تحكّم الشّخص في خواطره، وهي كالآتي:

**الأولى: إشغال الفكر بتدبر القرآن والتأمل في ملكوت السماء والأرض، والنصوص من الكتاب والسنة التي تحثُّ على التفكير والنظر والتدبر لآيات الله المسطورة والمنظورة، كثيرة قد مرّ تناولها في الكلام على مفردة العقل، ومن الآيات التي تحضُّ على التفكير في آيات الله المنظورة قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١٩)</sup> الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٢٠)</sup> [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، ومن الآيات التي تحضُّ على التفكير في آيات الله المسطورة قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٢٤)</sup> [محمد: ٢٤].**

وتوارد خواطر الخير والشر أشبه بالماء والهواء الدّاخلين إلى الوعاء، إن لم يُملأ بالماء ملاً هواء، ولذلك شبّه النبي -صلى الله عليه وسلم- القلب بالكأس حين توارد الفتن عليه، في حديث: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً... حتى تصير على قلبين: على أبيض... والآخر أسود مُرباداً كالْكُوز، مُحِخِيّاً لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»<sup>(2)</sup>. فالقلب لا يخلو من الخواطر، فإمّا أن يُملأ بخواطر الخير وذلك يحتاج إلى مجاهدة ورعاية للنفس، وإمّا أن يُترك لخواطر الشّوء، وكلّما امتلأ القلب بخواطر الخير كلّما ضاق الحجم المتاح لخواطر الشّوء، وهذه الخواطر

(1) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص: 174).

(2) تقدّم تخرجه، (ص: 92).



حسنة كانت أو قبيحة لا تبقى ساكنة بل إنَّها تعتمل في النفس، ومن هذه الجهة فالنفس «شبيهة بالرحا الدائرة التي لا تسكن، ولا بد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصا طحنته، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحا، ولا تبقى تلك الرحا معطلة قطُّ، بل لا بد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس من تطحن رحاه حبًّا يُخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملا وحصا وتبنا ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والحبز تبين له حقيقة طحينه»<sup>(1)</sup>.

ولذلك قد وصف كثير من الأطباء والحكماء العشق بأنه حركة قلب فارغ، وهو مرض من أمراض النفس، وأعراضه متطابقة إلى حدٍّ بعيد مع اضطراب الكآبة الكبرى، إضافة إلى أعراض أخرى، قال ابن سينا: «...العشق: هذا مرض وسواسي شبيه بالمالنحوليا -الاكتئاب السوداوي- يكون الإنسان قد جلبه إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل...» ثم ذكر من أعراضه - وعلامته غرور العين وبيسها وعدم الدمع إلا عند البكاء... ويكون نفسه كثير الانقطاع والاسترداد فيكون كثير الصعداء، ويتغير حاله إلى فرح وضحك أو إلى غم وبكاء... وتكون جميع أعضائه ذابلة... إلخ»<sup>(2)</sup>. وإذا تمكَّن العشق «من القلب واستحكم وقوي سلطانه، أفسد الذهن، وأحدث الوسواس، وربما ألحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها...» -ومن أضرَّ آثاره-... أنه يمرض البدن وينهكه، وربما أدَّى إلى تلفه، كما هو المعروف في أخبار من قتلهم العشق»<sup>(3)</sup>. وفي ذلك يقول ابن حزم: «وربما تزايد الأمر ورقَّ الطبع وعظم الإشفاق فكان سبباً للموت ومفارقة الدنيا»<sup>(4)</sup>. والشاهد أنَّ العشق اضطراب نفسي جسمي، ومنشؤه: تسليط الخواطر والأفكار على استحسان بعض الصور والأفكار.

(1) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص: 174).

(2) الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا، القانون في الطب، (112/2).

(3) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، (ص: 214-215).

(4) يُنظر: أبو محمد ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، (ص: 257).

ويقصدون بقولهم: حركة قلب فارغ، أنه فارغ من الأفكار والإرادات والمحاب<sup>(1)</sup>، فإذا استحسن القلب شيئاً مما يرد عليه من الخواطر والمدرجات الحسية مع خلوه من الخواطر والمدرجات النافعة تمكّنت فيه تلك الواردات،<sup>(2)</sup>.

وعليه فإشغال الذهن بتفهّم معاني القرآن، والنظر في السمّوات والأرض مع التفكّر فيما أودع الله فيهما من الآيات الدالة على عظمته وكماله وجماله، كلُّ هذا يُعتبر سداً وقائياً منيعاً لخواطر الشوء، ومحفلاً جالبا لخواطر الصّلاح والإصلاح.

**الطريقة الثانية: حفظ الحواس عن مطالعة ما لا يعني، وأهمُّها الحواسُّ الثلاث، اللسان والبصر والسَّمع، وذلك لأنَّها منافذ إلى القلب ورُسل إليه، بها تتحرك الخواطر وتتقدُّ الإرادات وتنعقد العزائم، ولذلك جعل أئمة الإسلام من مباني الدِّين التي عليها مدار الأخلاق الإسلامية<sup>(3)</sup> قوله - صلى الله عليه وسلم -: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»<sup>(4)</sup>. وهذا ينصرف على جميع ما يُياشره المرء بجوارحه من أقوال وأعمال.**

وقد جاء النهي عن إتيان الحواسِّ للظنون والأوهام، في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]، فقدم النهي عن اتباع أكثر الظنون،

(1) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، (ص: 201).

(2) كما قال مجنون ليلي: «أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى... فصادف قلبا خاليا فتمكّنا». [عبد الستار أحمد فرج (جمع وتحقيق وشرح)، ديوان مجنون ليلي، ط1، مكتبة مصر سعيد جوده وشركائه: مصر، 2010م. (ص: 219)].

(3) يُنظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، (62/1).

(4) أخرجه مالك في "الموطأ" (1328/1) برقم: (684/3352) (حسن الخلق، ما جاء في حسن الخلق)؛ والترمذي في "جامعه" (148/4) برقم: (2318) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب)؛ وأحمد في "مسنده" (437/1) برقم: (1756) (مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما). حكم الحديث: والحديث روي من طرق لا يخلو أحدها من ضعف كما قال ابن رجب الحنبلي، ولكنه قد يترقى إلى درجة الحسن بشواهد كما ذكر الأرنؤوط. [يُنظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، (288-287/1)؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، برقم: 1737، (259/3)].

والمقصود هو النهي عن إساءة الظنّ بمن ظاهره الصّلاح، بمجرّد الأوهام بلا دليل ولا بُرهان، ثمّ نهي عن التّحقّق من هذا الظنّ بالتجسّس، وهو تتبّع عورات الآخرين والبحث عن زلّاتهم وهفواتهم، إمّا عن طريق استخبار من يمثّ إليهم بصلة عن عيوبهم بلا حاجة معتبرة شرعا، أو عن طريق إطلاق البصر داخل بيوتهم أو عن طريق إلقاء السمع إلى الكلام الذي يكون بينهم سرّاً ولم يأذنوا فيه لتنصّت الآخرين، ثمّ نهي عن الغيبة وهي «ذكرك أخاك بما يكره»<sup>(1)</sup> في ظهره، وهي ناشئة من إساءة الشّخص الظنّ بالآخرين واطّلاعه على عيوبهم بأيّ طريقة من الطرق السّابقة<sup>(2)</sup>.

فمنشأ هذه المعاصي والمخالفات هي الظنون السيئة، ولا يقف الأمر بالظنون السيئة عند هذا الحدّ من الضّرر، بل قد تنشأ عنها عقائد باطلة، وحروب وعداوات، وانشقاق في الأسر والمجتمعات، يقول الطّاهر ابن عاشور: «ففي قوله تعالى: (اجتنبوا كثيرا من الظن) تأديب عظيم يُبطل ما كان فاشيا في الجاهلية من الظنون السيئة والتهم الباطلة، وأنّ الظنون السيئة تنشأ عنها الغيرة المفرطة والمكائد والاعتيالات، والطعن في الأنساب، والمبادأة بالقتال حذرا من اعتداء مظنون ظنا باطلا، كما قالوا: (خذ اللص قبل أن يأخذك). وما نجمت العقائد الضالة والمذاهب الباطلة إلا من الظنون الكاذبة قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]، وقال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ثم قال: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقال النبيّ -صلى الله عليه وسلم-: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»<sup>(3)</sup>»<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (21/8) برقم: (2589) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (304/22)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (151/4).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (19/7) برقم: (5143) (كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع)؛ ومسلم في "صحيحه" (10/8) برقم: (2563) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها).

(4) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (251/26).

وأما حفظ البصر، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، فأمر بغض البصر وجعله مقدا على حفظ الفرج، وما ذلك إلا لأن البصر وسيلة إلى تحريك شهوة القلب، وإرادته بما يقوده إلى الفعل، وفي ذلك «مباعدة النفس عن التطلع إلى ما عسى أن يوقعها في الحرام، أو ما عسى أن يكلفها صبرا شديدا»<sup>(1)</sup>، ولذلك كان من الآثار الضارة لإطلاق البصر: «أنه يورث الحسرات والزفريات والحرقات، فيرى العبد ما ليس قادرا عليه ولا صابرا عنه، وهذا من أعظم العذاب، أن ترى ما لا صبر لك عن بعضه، ولا قدرة على بعضه. قال الشاعر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر... عليه ولا عن بعضه أنت صابر»<sup>(2)</sup>.

والمقصود أن حفظ البصر عن المحرمات من أعظم الوسائل التي بها يملك الإنسان خواطره ويتحكم في إرادته، ويحفظ بها نفسه عن التحسر على ما ليس له وما لا يعنيه، وحفظ البصر لا يكون فقط عن النساء، بل كذلك عما متع الله به المشركين والعصاة من النعم الظاهرة استحسانا لها وتأسفا على نيلهم منها، لقوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وأما حفظ اللسان، فلا استقامة في الخواطر وسائر مراتب القصد التي يعرج القلب في مدارجها، ولا صلاح في السلوك إلا بصلاح اللسان واستقامته، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه... الحديث»<sup>(3)</sup>، وذلك أن الجوارح كلها تخضع وتذل للسان، الذي هو بدوره خاضع للقلب، فعن أبي سعيد الخدري مرفوعا

(1) المصدر السابق، (204/18).

(2) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: 153).

(3) أخرجه أحمد في "مسنده" (2762/5) برقم: (13248) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه). قال الهيثمي: «وفي إسناده عليُّ بنُ مسعدة وثقة جماعة، وضعفه آخرون». [أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (53/1)]. قال الألباني: «ورجاله ثقات رجال مسلم غير الباهلي هذا، وهو مختلف فيه... فهو حسن الحديث إن شاء الله تعالى». [محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: 2841، (822/6)].

قال: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»<sup>(1)</sup>. بل إنّه -صلى الله عليه وسلم- لما سأله معاذ -رضي الله عنه- عن العمل الذي به يدخل الجنة وينجو من النار، أرشده إلى تحقيق أصول الإسلام وآدابه، ثم بيّن له أنّ حفظ اللسان تقوم عليه وتنتظم فيه كلُّ هذه الأصول والشرائع: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبيّ الله. فأخذ بلسانه. قال: كُفَّ عليك هذا»<sup>(2)</sup>، و«الملاك بالكسر والفتح: قوام الشيء ونظامه، وما يعتمد عليه فيه»<sup>(3)</sup>.

والنصوص في الأمر بالصمت عن فضول القول كثيرة جداً، منها حديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»<sup>(4)</sup>، وحديث: «من صمت نجاً»<sup>(5)</sup>، نجا من المصائب التي تترتب على الكلام الباطل، سواء كانت في الدنيا كالولوج في الأعراض وقذف المحصنات المؤمنات وما يترتب على ذلك من الخصومات والحدود والتعزيرات، أو كانت هذه المصائب في الآخرة وهي أعظم، ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»<sup>(6)</sup>، وفي كل ذلك سلامة من تبعات اللسان،

(1) تقدّم تحريجه، (ص: 91).

(2) أخرجه النسائي في "الكبرى" (214/10) برقم: (11330) (كتاب التفسير، قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)؛ والترمذي في "جامعه" (362/4) برقم: (2616) (أبواب الإيمان عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في حرمة الصلاة)، وأحمد في "مسنده" (5164/10) برقم: (22439) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه). قال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن صحيح».

(3) المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (358/4).

(4) أخرجه البخاري في "صحيحه" (11/8) برقم: (6019) (كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)؛ ومسلم في "صحيحه" (50/1) برقم: (48) (كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان).

(5) أخرجه الترمذي في "جامعه" (274/4) برقم: (2501) (أبواب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب)؛ وأحمد في "مسنده" (1363/3) برقم: (6592) (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما)؛ والطبراني في "الكبير" (86/14) برقم: (14697) (باب العين، أبو عبد الرحمن الحلبلي). حكم الحديث: حسن. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: 536، (72/2)؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (19/11)].

(6) أخرجه البخاري في "صحيحه" (100/8) برقم: (6477) (كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان)؛ ومسلم في "صحيحه" (223/8) برقم: (2988) (كتاب الزهد والرفائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار).

وفي هذه السّلامة راحة للضمير وتخلّص من كلّ ما من شأنه أن يُكدّر سعادة المؤمن، ومن كلّ ما يُفسد عليه سلوكه.

**الطريقة الثالثة: الاشتغال بما يعني من أمور الدين والدنيا، حسب ما يفرضه واجب الوقت من أولويات.**

وخواطر السّوء إنّما ترد على النفس الفارغة البطّالة، وهي أثقل شيء على النفس المؤمنة المشتغلة بما ينفعها، وإن كانت عمارة القلب بالخواطر الطيبة تفتقر إلى إخلائها من الخواطر السيئة، إلّا أنّه لا يُحمد المرء بخلوّ ذهنه من الخواطر كليّة، وإنّما الممدوح أن يخلو من خواطر السّوء، وذلك غير مرادٍ لنفسه، وإنّما هو وسيلة وتمهيد لملاّ القلب بخواطر الخير.

وقد لبّس الشيطان على كثير من الزّهّاد والعُبّاد في هذا الجانب، حيث أوقفهم عند العناية بتطهير القلب من خواطر السّوء، وأشغلمهم بالوسيلة عن المقصد، وهو الحرص على عمارة القلب بالخواطر والنيّات والعقائد الموافقة لمراضي الرّبّ - سبحانه -، ومن هنا استيلاء الوسوس والخيالات الفاسدة والأمانى الباطلة على القلب.<sup>(1)</sup>

وبناء على حديث: «أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»<sup>(2)</sup>، حيث أطلق النبيّ - صلى الله عليه وسلم - الوصيّة بالحرص على ما يُحقّق النّفع والمصلحة سواء في الدنيا والآخرة.

ويُمكن تقسيم الخطرات إلى أربعة أقسام: خطرات تُستجلب بها منافع الآخرة، وخطرات تُستجلب بها منافع الدنيا، وخطرات تُدفع بها مضارّ الآخرة، وخطرات تُدفع بها مضارّ الدنيا، فالحرص والهَمُّ يكون على حصر الخواطر في هذه الأقسام الأربعة، وأمّا غير المهمّ والذي لا يعني المرء فيجب ألاّ يدخل فيه ولا يشغل به باله. وإذا تزامت عليه هذه الخطرات التي تعنيه وهَمُّه<sup>(3)</sup>، فإن

(1) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: 157-158)؛ طريق المهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: محبّ الدّين الخطيب، ط: 2، المطبعة السلفية ومكاتبها: القاهرة-مصر، 1394هـ. (ص: 176).

(2) تقدّم نخرجه، (ص: 308).

(3) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: 155).

أمكنه أن يجمع بينها بلا تفریط في بعضها جمع، وخواطر المسلم يجب أن تكون دائرة حول تأدية الحقوق والجمع بينها، لحديث: «إنَّ لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه»<sup>(1)</sup>، وأمّا إذا تعارضت عنده، فهنا يُقدّم منها الأهم الذي يخشى فوته، على المهم الذي لا يخشى فوته. وقد يتعارض عنده الأهم الذي لا يخشى فوته مع المهم الذي يخشى فوته، بحيث يتعدّر عليه الجمع بينهما، وكلُّ واحد من القسمين فيه مزية تدعو إلى تقديمه والاشتغال به في الحال، ولو قدّم أحدهما لفاتته المزية التي في الآخر، فالتحكيم هنا يكون للقاعدة الكبرى، بتقديم أعلى المصلحتين ولو ترتّب عليه تفويت أدناهما، وارتكاب أدنى المفسدتين اجتناباً لأعلاهما، وبالجملة فأحكام الشريعة الإسلامية دائرة على جلب المصالح ودرء المفاسد، والموازنة بينها عند التعارض حيث تُقدّم أعلى المصلحتين وتُجتنب أشدّ المفسدتين، وتفاصيل هذه القاعدة وأمثلتها لا يسعه المقام<sup>(2)</sup>.

(1) تقدّم نخرجه، (ص: 35).

(2) يُنظر: محمد صدقي آل بورنو أبو الحارث الغزي، مُوسوعة القواعد الفقهية، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م. (219/1)، (230/1)، (361/2)، (315/4).

## المبحث الثاني: الدعائم الإنسانية و الوجودية في ضوء الكتاب والسنة.

تناسبا في الموضوع مع الاتجاهين الإنساني والوجودي وما أدليا به من النظريات والمفاهيم النفسية، كمفاهيم: تحقيق الذات لكارل روجرز، وهم الحاجات لمازلو، وتحقيق المعنى لفرانكل وغيرها. فإنَّ المعنى بالدعائم الوجودية الإنسانية هنا هو: الخطوط الكبرى في العقيدة الإسلامية المستقاة من الكتاب والسنة حول قضايا الوجود الإنساني، وتمثَّل في: بيان حقيقة الإنسان من حيث مكانته ومنزلته في الوجود، والطبيعة الفطرية التي خلقه الله عليها، والمكونات التي تشتمل عليها خلقته.

وروم تحقيق الصحة النفسية وعلاج الاضطرابات النفسية، يفتقر إلى مفهوم صادق وحقيقي عن الإنسان، لأنَّ هذين العلمين المتكاملين هما علمان يدرسان أخصَّ الأشياء بالإنسان، ألا وهو طاقاته النفسية: المعرفية والسلوكية والانفعالية، وكلَّما استطيع التوصل إلى مفهوم مطابق للواقع عن الإنسان كلَّما اتَّضحت الجوانب النفسية أكثر دقَّة، وكلَّما ابتعد عن مفهوم الإنسان كما هو في الواقع، كلَّما حصل الخلل في فهم الجانب النفسي، ومن ثمَّ تختلُّ طريقة التعامل معه علاجا ووقاية وتعزيزا.

ولا أصدق في الرجوع إلى فهم الإنسان من كلام ربِّ الإنسان -عزَّ وجلَّ- وكلام سيِّد ولد الإنسان -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك سأعمد في هذا المبحث إلى بيان مفهوم الإنسان في مطلبين، أوَّلا: منزلة الإنسان ومكانته. ثانيًا: طبيعة الإنسان التي فطره الله عليها.

### المطلب الأول: منزلة الإنسان ومكانته.

وتبين هذه المكانة للإنسان من عدَّة أوجه<sup>(1)</sup>، تعود إلى أنَّ الإنسان هو الكائن المكرَّم من لدن الله تعالى والمفضَّل على جميع المخلوقات من جهة وظائفه البدنية والنفسية.

ولذلك ورد إقران وصف الله تعالى نفسه بالكرم عندما يذكر خلق الإنسان المكرَّم في عدَّة نصوص، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ أَلكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [٢] ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْكَرِيمُ﴾ [٣]

(1) يُنظر: يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، (ص: 63-82).



[العلق: ٢-٣]، والواجب أن يُقابل العبد إكرام الله له بالشكر، وذلك يشمل الاعتراف بها بالقلب، والعمل بها فيما يعود على العبد نفعه، ومنه استعمال نعمة السمع والبصر في القراءة التي ذكرت عقب وصفه سبحانه بالأكرم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ [العلق: ٤-٥]. كما أن نعت إنعام الله على عباده بأنه كرم منه سبحانه، فيه تسليمة لمن سلب شيئاً من النعم، وأن هذه النعم هي محض تفضل من الله عز وجل، إذ إن خلق الإنسان أساساً وإخراجه إلى الوجود هو نعمة في حد ذاتها، وبهذا يُعلم أن هذا السلب ليس ببخل من الله عليه ولا بظلم منه -تعالى وتقدس-، بل هو لحكمة أرادها، إذ الكل ملكه، وهو سبحانه ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]<sup>(١)</sup>.

وقد دلّت على ذلك كثير من نصوص الكتاب والسنة، من أجمعها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠]، وهذه الآية فيها امتنان من الله على جنس بني آدم بأربعة أمور: التكريم وورد مطلقاً بغير مقارنة بغيره، والحمل في البر والبحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات.

والتكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] الآية، هي مزية خص الله بها بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية<sup>(٢)</sup>، والتكريم: جعله كريماً، أي نفيساً غير مبذول ولا ذليل، لا في صورته الجسمانية ولا في إدراكاته الحسية والمعرفية ولا في حركاته السلوكية، فإن جميع الحيوان لا يستطيع التحكم بدوافعه وانفعالاته، ولا يعرف النظافة ولا اللباس ولا ترفيه المضجع والمأكل، ولا حسن كيفية تناول الطعام والشراب، ولا الاستعداد لما ينفعه ودفع ما يضره، ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيستزيد منها، وما فيه من القبائح فيسترها ويدفعها، بله الخلو عن المعارف والصنائع وعن قبول التطور في أساليب حياته وبناء حضارته<sup>(٣)</sup>.

(1) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (374/21).

(2) وقد وُصف الملائكة بالكرم في قوله تعالى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ١١﴾ [عبس: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَانِينَ ١١﴾ [الانفطار: ١١]، كما وُصفوا بالتكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ١٦﴾ [الأنبياء: ٢٦].

(3) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (165/15).

وقد ذكر المفسرون أقوالاً شتى للشيء الذي من أجله كُرم النوع الإنساني، وهو المراد بني آدم في الآية، فالأوصاف المثبتة له هنا إنما هي أحكام للنوع من حيث هو<sup>(1)</sup>، والأقوال المذكورة في ذلك كما يلي<sup>(2)</sup>: أولاً: أن سائر الحيوان يباشر الأكل بفمه، إلا ابن آدم فإنه يرفع أكله إلى فمه بيده، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس. ويُلحق بهذا أن الإنسان يتفحص أكله ويحرص على نظافته وإنضاجه وتهيته وتريينه، كما يحرص على تحسينه دائماً، بخلاف سائر الحيوان فإنه يأكل كما اتفق له. ثانياً: أنهم فضّلوا بالعقل، روي عن ابن عباس. ثالثاً: بالنطق والتمييز، قاله الضحاك. رابعاً: بتعديل القامة وامتدادها، قاله عطاء. خامساً: بأن جعل محمداً -صلى الله عليه وسلم- منهم، قاله محمد بن كعب. سادساً: فضّلوا بالمطاعم واللذات في الدنيا، قاله زيد بن أسلم. سابعاً: بحسن الصورة، في قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤] الآية، قاله يمان. ثامناً: بتسليطهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم، قاله محمد بن جرير<sup>(3)</sup>، تاسعاً: بالأمر والنهي، ذكره الماوردي<sup>(4)</sup>، عاشراً: بأن جعلت اللحي للرجال، والذوائب للنساء، ذكره الثعلبي<sup>(5)</sup>. وهذه الأقوال هي من الأفراد المندرجة تحت هذا التكريم، ولا يختص الشأن هنا بأحد منها<sup>(6)</sup>.

والإنسان أكرم من سائر المخلوقات من جهة قواه النفسية مفردة، وكذلك من جهة قواه البدنية مفردة، أمّا من جهة قواه النفسية التي منها الاغذاء والنمو والتوليد، وهذه يُشاركه فيها النبات والحيوان، والأحاسيس الدّاخلية والخارجية، والحركة بالاختيار، وهذه يُشاركه فيها الحيوان، ثم إن النفس الإنسانية مختصة بقوة أخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء، وهي التي يتجلى فيها نور معرفة الله تعالى فهذه القوة لا نسبة لها في الشرف والفضل إلى تلك القوى النباتية والحيوانية<sup>(7)</sup>.

(1) يُنظر: المصدر السابق، (164/15).

(2) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (39/3).

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (501/17).

(4) يُنظر: أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، النكت والعيون أو تفسير الماوردي، (257/3).

(5) يُنظر: أحمد أبو إسحاق الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ومراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط1، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، 1422هـ-2002م. (115/6).

(6) يُنظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (290/3).

(7) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (372/21).

وأما من جهة بدنه فيدخل في تكريمه من جهته أكثر الوجوه التي ذكرها المفسرون في كرامة البدن الإنساني، ومنها: أن أغلب الحيوان يباشر الأكل والشرب بغمه إلا ابن آدم فإنه يأكل بيديه، وكذا تمتعه باستعمال ملكة النطق واللغة التي يستعملها في التمييز بين الأشياء والقدرة على التعبير عما يجول في الضمير سواء كان بالكلام أو بالخط والكتابة، ومنه حسن الصورة واستواء القامة واعتدالها فإن أكثر الحيوانات تميل خلقتها نحو الأرض على تفاوت بينها (1).

ولئن كان «أعظم خصال التكريم العقل، فإن به تسلطوا على سائر الحيوانات، ويميزوا بين الحسن والقبيح، وتوسعوا في المطاعم والمشارب، وكسبوا الأموال التي تسببوا بها إلى تحصيل أمور لا يقدر عليها الحيوان، وبه قدروا على تحصيل الأبنية التي تمنعهم مما يخافون، وعلى تحصيل الأكسية التي تقيهم الحر والبرد» (2)، فإن اجتماع هذه الوظائف والصفات الحميدة في نفس الإنسان وبدنه، بهذا التناسق والتكامل هو تكريم آخر زائد على ما يتبدى به هذا التكريم في أفراد هذه النواحي مفردة، ولذلك لما ذكر الله تعالى المراحل التي يمرُّ بها الجنين في بطن أمه، قال حينما اكتملت خلخته ونُفخ فيه الروح: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤) الآية (3).

ومن الأوجه التي تتعلق بالتكريم في خلق الإنسان: أن الله تعالى خلق آدم بيده (4)، والله تعالى هو خالق ومدبر كل شيء، لا يتعاضم قوته وقدرته شيء، وهو كما وصف نفسه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، ولكن لكرامة هذا الإنسان عند الله فإن خلقه لم يكن كخلق غيره، فإن الله عز وجل ابتداء خلقه بيده، لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ (ص: ٧٥)، ولقوله -صلى الله عليه وسلم-: «خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه... الحديث» (5). وكفى بذلك شرفا وتكريما.

(1) يُنظر: المصدر السابق، (372/21-373).

(2) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (290/3).

(3) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (24/18).

(4) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (501/17)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (374/21).

(5) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (36/14) برقم: (6164) (كتاب التاريخ، ذكر حمد آدم ربه لما خلقه بإلهامه جل وعلا إياه ذلك)؛ والحاكم في "مستدرکه" (64/1) برقم: (214) (كتاب الإيمان، قصة خلق آدم وجعله من عمره ستين سنة لداود

وقد فُرع على التكريم قضية تسخير المراكب للإنسان وإلهامه استعمالها، قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠] الآية، في البرّ على الدوابّ كالخيل والبغال والحمير والإبل حتى تحمل أثقاله ويُسافر ويحترث ويغزو عليها، وفي البحر على الفلك والسفن<sup>(1)</sup>. فهو الذي جعل الأرض قرارا وذلك للإنسان الدوابّ حتى يركب عليها، وهو الذي سخر له البحر وهيأه له ليركبه بالفلك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: ١٢ - ١٣]، ولو شاء سبحانه لخسف بنا الأرض فلا نستطيع المشي عليها فضلا على أن نتخذ المراكب عليها، كما أنه لو شاء لأسكن حركة الرّيح والهواء بحيث لا تستطيع هذه السفن حراكا، أو جعل الماء غير قابل لحملها فأغرقها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنَّ يَسَاءَ يَسْكِنَ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظُهُورِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقَهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا﴾ [الشورى: ٣٢ - ٣٤] الآية<sup>(2)</sup>.

=

عليهما السلام؛ والنسائي في "الكبرى" (92/9) برقم: (9975) (كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا عطس)؛ والترمذي في "جامعه" (159/5) برقم: (3076) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.، باب ومن سورة الأعراف). قال الدارقطني: «هذا يرويه الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب... واختلف عن ابن أبي ذباب في إسناده؛ فرواه صفوان بن عيسى، عن الحارث، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة. وخالفه أبو ضمرة أنس بن عياض فرواه عن الحارث عن يزيد بن هرمز عن أبي هريرة، ولعل كلاهما قد أصاب». [أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، (147/8)]. وقال الترمذي: «وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسّر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده! وقالوا: إن معنى اليد هاهنا القوة. وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه. وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيها، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]». [جامع الترمذي، (42/2)].

(1) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (374/21 - 375)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (165/15).

(2) والمراد بقوله: (يُوبِقُهُنَّ) في الآية أي: يُهْلِكُهُنَّ وَيُغْرِقُهُنَّ. [يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (66/4)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وفي المراد بالطيبات قولان ذكرهما ابن جرير وابن الجوزي<sup>(1)</sup>؛ الأول: الغذاء الحلال. والثاني: الغذاء اللذيذ الذي تستسيغه النفس، والنافع الذي ينتفع به البدن، وإنما حملوا الطيبات على المطاعم والمشارب لأن ذلك هو المعهود من الاستعمال القرآني، في آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] الآية.

والأغذية اللذيذة النافعة هي التي يحمل عليها لفظ الآية لا الحلال، لأن سياق الآية كما مر في الكلام على ما كُرم به النوع الإنساني من حيث هو هذا من جهة، والحلال والحرام يختلف حسب شرائع الأنبياء -عليهم السلام- في كل أمة لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] الآية، وذلك لا يتناسب مع هذا التكريم الإلهي لجنس بني آدم، وإن كانت الشرائع السماوية تُبيح الطيبات وتحلها، لقوله تعالى عن خاتم النبيين -عليه الصلاة والسلام- خصوصاً: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية، وقوله تعالى عن الرُّسل -عليهم السلام- عموماً: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٢].

وهذه الأغذية إما حيوانية وإما نباتية، وكلا القسمين إنما يتغذى الإنسان منه بأشرف أقسامها بعد التنقية التامة والطبخ الكامل والنضج البالغ، وذلك مما لا يحصل إلا للإنسان، فمن تكريم الله تعالى للإنسان أن يطعم ما يشاء مما يروق له، وجعل في الطعوم أمارات على النفع، وجعل ما يتناوله الإنسان من الأغذية أكثر جداً مما يتناوله غيره من الحيوان الذي لا يأكل إلا أشياء اعتادها<sup>(2)</sup>.

وأما قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، فقد فَرَّقَ ابن عاشور بين التفضيل والتكريم بأن «التكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (501/17)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (40/3)، ولم يُسند أحد منهما هذين القولين.

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (375/21)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (165/15).

تشریفه فوق غيره»<sup>(1)</sup>، وأما الرازي فقال: «ولا بد من الفرق بين هذا التكریم والتفضیل وإلا لزم التكرار، والأقرب أن يقال: إنه تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمر خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المديدة، ثم إنه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، فالأول هو التكریم والثاني هو التفضیل»<sup>(2)</sup>. فجعل الوظائف التي وهبها الله للإنسان والتي يشابه الحيوان في أصلها مكرّما فيها، وجعل اكتساب الإنسان للعلم النَّافع والعمل الصَّالح مفضَّلا فيها لأنَّه لا نظير لذلك عند الحيوان.

وعلى كلِّ فالتَّفضيل يشمل معنيين: الأوَّل: أنَّ الله عزَّ وجلَّ متَّعهم بهيات وقدرات بدنيَّة ونفسيَّة يُفضَّلون ويفوقون بها غيرهم من المخلوقات سواء تشابهوا معهم في أصل هذه الهيات والقدرات أم انفردوا وانمازوا بها عن غيرهم، والثَّاني: أنَّ الله تعالى سخَّر لهم هذه المخلوقات وطوَّعها لهم، ثمَّ مكَّنهم من التسلُّط عليها برأيهم وفعلهم، فصاروا ملوكا لها والمالك أفضل من المملوك.

والأدلة على أنَّ جميع المخلوقات في السماوات والأرض مسخَّرة للإنسان وفي خدمته كثيرة منوَّعة، منها العامُّ كقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، ومنها الخاصُّ، كقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مَسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [النحل: ١٢] الآية، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤].

والإنسان ينتفع بكل من الأرض والماء والهواء والنار، أما الأرض فهي له كالأم الحاضنة، فهي له فراش ومهاد وهي مكان حرثه وزرعه وسعيه في دنياه، وإليها معاده بعد مماته، وأما الماء فانتفاعه به في الشرب والزراعة والحراثة ظاهر، وأيضا سخر البحر يركب على ظهره سفرا وصيدا ليأكل منه لحما طريا، ويستخرج منه حلية يلبسها، وأما الهواء فهو مادة حياته وبه يكون التنفس، ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على هذه المعمورة، وأما النار فيها طبخ الأغذية والأشربة ونضجها، وبها انصهار المعادن وتشكيلها للانتفاع منها. والإنسان كالمستولي على هذه الأقسام والمنتفع بها والمستسخر لكل

(1) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (166/15).

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (375/21).

أقسامها، فهذا العالم بأسره جار مجرى قرية معمورة، وجميع منافعها ومصالحها مصروفة إلى الإنسان، والإنسان فيه كالرئيس المخدوم، والملك المطاع وسائر الحيوانات بالنسبة إليه كالعبيد، وكل ذلك يُبين كونه الكائن المكرّم المفضّل عند الله<sup>(1)</sup>.

وذلك يعني أنّ الإنسان لا يصلح أن يكون عبداً لأحد من هذه المخلوقات، لأنّه لا يصحّ أن يذلّ ويخضع الفاضل للمفضول، بل إنّ قدرة الإنسان وسيطرته على كثير من الطاقات الموجودة في الكون الفسيح، وتصريفها لما يخدم أغراضه وحاجياته بما يُوفّر له الرّاحة والتقليل من العناء، كلّه مبني على أنّ هذا الكون له نظام منطقي ونسق معيّن يسير فيه، وإلاّ لما تمكّن العقل الإنساني من فهمه فضلاً على تطويعه والتحكّم في كثير من أجزائه. وهذا من ضمن الأدلّة على وجود الخالق الذي جعل هذا الكون مهيمًا مسخرًا يُمكن أن يتعاطى معه الإنسان وأن يستفيد منه، وهو الذي يجب أن يُفرد بالعبادة والتذلّ، وما أكثر الآيات التي تتردّد في القرآن على أنّ تسخير الله المخلوقات للإنسان هي من العلامات الدالّة له على ربّه -عزّ وجلّ-، قال تعالى: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَسِينِ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ [الروم: ٢٠ - ٢٤].

وبهذا يظهر أنّ الإنسان مفضّل على المخلوقات جُملة، وأمّا من جهة التفصيل فيمكن أن يُبرز ذلك في ثلاث نقاط:

### أولاً: تفضيل الإنسان على البهائم.

ومن هذا كلّه ندرك أنّ الله عزّ وجلّ فضّل الإنسان على البهائم، ولكن من جهة أخرى لو نُظر في البهائم فإنّ جُلّها أفضل من الإنسان في جانب من جوانب قدراته البدنية، فالعصفور أعذب

(1) يُنظر: المصدر السابق، (374-373/21).

منه صوتا، والطاووس أبهى منه لونا، والسبع أشجع منه مواجهة، والكلب أشرس منه، والفيل أضخم منه حجما، والفهد أسرع منه عدوا والثور أشد منه قوة وهكذا<sup>(1)</sup>، وفي الوقت نفسه نجد أن الله تعالى يذم من صار كالبهائم والأنعام، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٥] الآية، وقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٦-١٧٧] الآية، والبهائم غير مكلفة ولا مخاطبة أصلا لأنها لا عقل لها تعقل به التكليف، كما أنه قد ورد النهي كثيرا عن التشبه بها في العبادات والمعاملات<sup>(2)</sup>، وهذا يدل على أن القوام الحسن الذي خلق عليه الإنسان ليس مقتصر على هذه القدرات البدنية المحدودة بالنسبة للحيوانات، وإنما هي شيء آخر. وقد دلت النصوص على أنها وظيفة العقل التي تتمتع بها الروح التي تسكن هذا البدن، وهي التي تؤهله إلى تفهم ما يصل إليه عن طريق السمع والبصر، ثم العمل بمقتضاه، وعليه فإذا عطّل الإنسان وظائفه المعرفية والأخلاقية، صار أحسن من البهائم التي لم يهبها الله هذا العقل أصلا، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

### ثانياً: تفضيل الإنسان على الجن والشياطين.

والإنسان مفضل على الجن لأمر الله لإبليس بالسجود له، وإن كان هذا السجود ليس عبادة وإنما هو من باب التحية والإكرام<sup>(3)</sup>، فقد جاء التنصيص على أن الله تعالى كرمه عليه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنَّكَ

(1) يُنظر: أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، (7/1)؛ أبو محمد ابن حزم الأندلسي، الأخلاق والسير أو مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، (82-83).

(2) فمن المعاملات قوله -صلى الله عليه وسلم-: «العائد في هبته كالكلب، بقيء ثم يعود في قيئه». [أخرجه البخاري في "صحيحه" (164/3) برقم: (2621) كتاب الهبة وفضلها، باب لا يجلب لأحد أن يرجع في هبته وصدقته؛ ومسلم في "صحيحه" (64/5) برقم: (1622) كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة]. ومن العبادات نهي -صلى الله عليه وسلم- عن التشبه بكثير من الحيوانات في الصلاة، كالنهي عن بروك البعير وافتراش السبع ونقر الغراب والتفتت الثعلب وغيرها، ولا يسع المقام تخرجها والكلام عليها. [يُنظر: أصل صفة صلاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، (747/2-748)].

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (512/1).



هَذَا الَّذِي كَرَّمَتْ عَلَيَّ ﴿[الإسراء: ٦١-٦٢] الآية، وإبليس من الجنّ بنصّ القرآن: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] الآية<sup>(١)</sup>، وقد مرَّ أنّ من الأوجه التي فضّل بها الإنسان على الحيوان أنّه يُباشِر الأكل بيده ويحرص على نظافة طعامه وطبخه وتهيئته على خلاف الحيوان، والأمر كذلك مقارنة مع الجنّ، فقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عنهم أنّهم يقتاتون على مُخَلَّفَات دوابّ الإنس وعظامها، ولذلك نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الاستنجاء بالروث وهو بحر الدوابّ والعظام، فقال: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: المفاضلة بين الإنسان والملائكة.

وقد اختلف المفسّرون في الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿[الإسراء: ٧٠]﴾، هل يُستدلُّ بها على كون البشر أفضل من الملائكة، ومن هؤلاء من حمل لفظ كثير في الآية على جميع، أو يُستدلُّ بها على أنّ الملائكة أفضل من البشر لأنّ التفضيل ليس على كلّ المخلوقات وإنّما هو على كثير منها فدلّ بمفهوم المخالفة أنّ هناك ما هو أفضل في المخلوقات من البشر، ولكن ليس في الآية ما يدلُّ على أنّهم هم الملائكة. والنزاع بين أهل العلم في مسألة: هل بنو آدم أفضل من الملائكة أو العكس قديم، وكلٌّ من الفريقين يعترض على أدلّة الآخر

(1) وأما ما حكاه الطبري من الخلاف في إبليس هل هو من الملائكة أو الجن؟ ومن قال بأنّه من الملائكة ذكر له بعض الآثار عن ابن عبّاس -رضي الله عنهما- التي فيها أنّه كان من حيّ من الملائكة، يُقال لهم الجنّ خلقوا من نار، أو أنّه كان خازناً من خزنة الجنّة فجعل من الجنّ نسبة إلى الجنّة وغير ذلك من التخریجات لقول من قال بأنّه من الملائكة، وعلى ما في هذه التخریجات من الاختلاف، فإنّ في بعضها ما يُناقض ما ثبت في الصحيح كالقول بأنّ هذا الحيّ من الملائكة خلقوا من نار لحديث: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجنّ من نار» [وهو مُحَرَّجٌ عند مسلم في "صحيحه" (226/8) برقم: (2996) (كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة)]، ولو سلّمنا بذلك تنزلاً فإنّ القول بذلك يقتضي أنّ الجنّ فرقة من فرق الملائكة، ونصوص الوحي تُخالف بينهما، وتجعل الجنّ مكلفين منهم الصالحون والطالحون، وتجعل الفاجرين منهم حطبا ووقوداً لجهنّم، على خلاف الملائكة الذين تُضاف لهم كثير من المهامّ الشريفة، وهم منزّهون مطهّرون عن المعصية لقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿[الواقعة: ٧٩]﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿[التحریم: ٦]﴾. وإنّما قد تكون علّة دخول إبليس في خطاياهم بالسجود لآدم، توهمه بأفعالهم من الذّكر والعبادة. [يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (39/18-42)، (152/23)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (346/3) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ، تفسير القرآن العظيم، (167/5)].

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (36/2) برقم: (450) (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن).

ويردُّ على اعتراضاته، وبعضهم يجعل المفاضلة منحصرة بين الملائكة والمؤمنين من البشر أولياء وأنبياء، وفي الجملة يمكن تمييز أربعة مذاهب:

المذهب الأوَّل: تفضيل الإنسان على الملك، وعليه مشى جمهور الأشاعرة<sup>(1)</sup>، وهو مذهب الحسن البصري<sup>(2)</sup>. وروى الطبري عن زيد بن أسلم، في قوله (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) قال: قالت الملائكة: يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها، ويتنعمون، ولم تعطنا ذلك، فأعطناه في الآخرة، فقال: وعزَّيتي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي، كمن قلت له كن فكان<sup>(3)</sup>.

المذهب الثَّاني: تفضيل الملائكة، وهم جمهور المعتزلة وقد حكى أبو الحسن الأشعريُّ إجماع المعتزلة على أنَّ الملائكة أفضل من الأنبياء فضلا عن غيرهم. فقال: «وأجمعت المعتزلة...وأجمعت أن الملائكة أفضل من الأنبياء»<sup>(4)</sup>، وإلى ذلك ذهب الزمخشري<sup>(5)</sup>. وتابعهم على ذلك أبو محمَّد ابن حزم، حيث قال بعدما حكى بعض الأقوال: «قَالَ أَهْلُ الْحَقِّ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ بَعَدَهُمُ الرُّسُلُ مِنَ النَّبِيِّينَ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-...»<sup>(6)</sup>، وكذلك ذهب إلى تفضيل الملائكة الفخر الرَّازي، حيث قال: «المختار عندي أن الملك أفضل من البشر» ثم ذكر أوجه اختياره<sup>(7)</sup>. وقال عند تفسيره للتفضيل المذكور في آية الإسراء السابقة: «فهذا يدل على أنه حصل في مخلوقات الله تعالى شيء لا يكون الإنسان مفضلا عليه، وكل من أثبت هذا القسم قال: إنه هو الملائكة فلزم القول بأن الإنسان ليس أفضل من الملائكة بل الملك أفضل من الإنسان»<sup>(8)</sup>.

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (166/15).

(2) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (53/1).

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (501/17).

(4) يُنظر: أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، (ص: 226).

(5) يُنظر: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (681/2).

(6) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (15-14/5).

(7) يُنظر: أبو عبد الله محمد فخر الدين الرازي، معالم أصول الدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي: بيروت - لبنان. (ص: 108-107).

(8) أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (375/21).

المذهب الثالث: من ذهب إلى أن البحث في هذه المسألة لا يعود منه كبير فائدة، ولا دلالة في آية تكريم بني آدم وتفضيلهم على المفاضلة بين الملائكة وبني آدم، وأن أدلة الفريقين السابقين تكاد تكون متكافئة.

ومن هؤلاء البيهقي وابن أبي العزّ الحنفي والشوكاني. قال البيهقي: «والأمر فيه سهل، وليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو به»<sup>(1)</sup>. وقال ابن أبي العزّ الحنفي: «فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل... فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفيًا وإثباتًا - والحالة هذه - أولى. ولا يقال: إن هذه المسألة نظير غيرها من المسائل المستنبطة من الكتاب والسنة، لأن الأدلة هنا متكافئة...»<sup>(2)</sup>، وقال الشوكاني: «وقد شغل كثير من أهل العلم بما لم تكن إليه حاجة ولا تتعلق به فائدة، وهو مسألة تفضيل الملائكة على الأنبياء أو الأنبياء على الملائكة، ومن جملة ما تمسك به مفضلو الأنبياء على الملائكة هذه الآية... وتمسك بعض المعتزلة بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الأنبياء ولا دلالة بها على ذلك، فإنه لم يقدّم دليل على أن الملائكة من القليل الخارج عن هذا الكثير، ولو سلمنا ذلك فليس فيما خرج عن هذا الكثير ما يفيد أنه أفضل من بني آدم، بل غاية ما فيه أنه لم يكن الإنسان مفضلًا عليه، فيحتمل أن يكون مساويًا للإنسان، ويحتمل أن يكون أفضل منه، ومع الاحتمال لا يتم الاستدلال»<sup>(3)</sup>.

وابن تيمية وإن كان له رأيه في المسألة إلا أنه قرّر عدم صلاحية الاستدلال على المفاضلة بين البشر والملائكة بآية التكريم: «تخصيص الكثير بالذكر لا يدل على مخالفة غيره بنفي ولا إثبات، وأيضًا فإن مفهومه: أنهم لم يفضلوا على ما سوى الكثير، فإذا لم يفضلوا فقد يساؤون بهم وقد يفضل أولئك عليهم، فإن الأحوال ثلاثة: إما أن يفضلوا على من بقي أو يفضل أولئك عليهم أو يساؤون بهم»<sup>(4)</sup>. وكذلك الطاهر ابن عاشور وإن ذهب في هذه المسألة مذهب الأشاعرة، إلا أنه رأى أنه لا دليل في آية التكريم على ذلك، وإنما يُعرف بأدلة توفيقية أخرى من قبل الشريعة<sup>(5)</sup>.

(1) أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، (322/1).

(2) محمد بن أبي العزّ الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (411/2-412).

(3) يُنظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (290/3-291).

(4) أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحرّاني، مجموع الفتاوى، (356/4).

(5) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (166/15).

المذهب الرابع: التفصيل بين حالين، وهو مذهب ابن تيمية حيث أجاب في هذه المسألة بجواب مستفيض<sup>(1)</sup>، خلاصته أنه فرّق بين اعتبارين في التفضيل؛ أولاً: باعتبار الحقيقة، وبهذا الاعتبار جعل الملك أفضل من البشر لأنّ الملائكة منزّهون عن الشهوات مبرّغون عمّا يعتري الآدمي من اللّوازم البشريّة التي يُشابه الحيوان في بعضها كالقوّة الغضبيّة في السبع، ويُشابه الشيطان في بعضها الآخر كالمكر والإفساد، وثانياً: باعتبار الصّلاح فصالحى البشر أفضل من الملائكة لأنّ الملائكة أطاعوا عن تسخير، والبشر عن مجاهدة وكلفة. وقد تحوّف ابن تيمية من الكلام فيها بادئ أمره، حتّى رأى الآثار التي فيها كلام السلف من الصّحابة والتّابعين حيث أعرب عن ذلك قائلاً: «وكنّت أحسب أن القول فيها محدثٌ حتى رأيتها أثرية سلفية صحابية فانبعثت الهمة إلى تحقيق القول فيها»<sup>(2)</sup>.

فقال في المفاضلة باعتبار الحقيقة: «الحقيقة الملكية بلوازمها أفضل من الحقيقة الإنسانيّة بلوازمها هذا لا شك فيه»<sup>(3)</sup>. وقال في المفاضلة باعتبار الصّلاح: «ولم يأت أن آدم سجد للملائكة بل لم يؤمر آدم وبنوه بالسجود إلاّ الله رب العالمين ولعل ذلك -والله أعلم بحقائق الأمور- لأنهم أشرف الأنواع وهم صالحو بني آدم ليس فوقهم أحد يحسن السجود له إلاّ الله رب العالمين»<sup>(4)</sup>.

وعلى كلّ فنفس ما كُرم به الإنسان على إبليس من الأمر بالسجود كُرم به على الملائكة فأمرهم الله بالسجود له، حيث أظهر فضله عليهم بتعليم الله إيّاه أسماء الأشياء، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا -إلى قوله- وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٤] الآيات. فأمرهم بالسجود له عقب بيان تعليم الله لآدم ما خفي عن الملائكة من أسماء الأشياء التي يتعارف بها المخاطبون: كالشمس والإنسان وغيرها، ومنها أسماء ذرّيته أو بعض الملائكة الآخرين، ولفظ الآية محتمل لكلّ ذلك<sup>(5)</sup>، فدلّ ذلك على أنّ هذا التّعليم ممّا كُرم به آدم على الملائكة.

(1) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (350/4-392).

(2) المصدر السّابق، (357/4).

(3) المصدر السّابق، (355/4).

(4) المصدر السّابق، (361/4).

(5) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (482/1-484).

## المطلب الثاني: طبيعة الإنسان التي فطره الله عليها.

مرّ في المطلب السابق بيان أنّ الله خلق الإنسان وكرّمه وفضّله على كثير من مخلوقاته تفضُّلاً منه بما أودعه في طبيعته التي خلقه عليها أوّل مرّة، والسبيل الوحيد الذي يُمكن الوصول من خلاله إلى تكشُّف الطبيعة الإنسانية التي ابتدأ خلقه عليها هو ما أخبرنا عنه الذي يعلم ظاهر الإنسان وباطنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَحَنُوقُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ أَلْوَيْدٍ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣-١٤]، وستكون العناية في هذا المطلب ببيان الطبيعة الإنسانية في ثلاث نقاط؛ أولاً: بيان مفهوم الفطرة وعلاقتها بتصور الصحة النفسية لدى المسلم، وثانياً: بيان الازدواج في طبيعة الخلق الإنسانية وما ينبي عليه، وثالثاً: بيان أنّ الصفات الحسنة التي يُحمد عليها، هي من جنس صفات الله -عزّ وجلّ- وإن كانت حقيقة هذه الصفات في الإنسان لا تماثل حقيقتها في الله -سُبْحانه وتعالى-.

### الفرع الأول: مفهوم الفطرة.

كلام أئمة اللغة في معنى الفطرة الإنسانية راجع إلى أنّها الهيئة الأولى التي تُخلق عليها الإنسان، قبل أن يطرأ عليه التغيير. قال ابن فارس: «الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه... والفطرة: الخلق»<sup>(1)</sup>. وقال العسكري: «الفطر إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود كأنّه شقّ عنه فطره، وأصل الباب الشق ومع الشق الطهور»<sup>(2)</sup>. وقال الفيروزآبادي: «الفطر: الشق... وفطر الأمر: ابتدأه، وأنشأه... والفطرة: الخلق التي تُخلق عليها المولود في رحم أمّه، والدين»<sup>(3)</sup>. وتعقّب الزبيدي، فقال: «الفطر، بالفتح: الشق، وقيد بعضهم بأنّه الشقّ الأول»<sup>(4)</sup>.

ولبيان مفهوم الفطرة سيكون الوقوف في هذا الفرع على ثلاث مستويات للوجود الإنساني، وجوده في عالم الذرّ، ووجوده في قصّة خلق أبي البشر آدم -عليه السّلام-، ووجوده في الحياة الدُّنيا.

(1) أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (4/510).

(2) الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، (ص: 133).

(3) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ص: 456-457).

(4) المصدر السابق، (ص: 457).

## أولاً: الإنسان في عالم الدر.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، وذكر الله لهذا الميثاق الأول -الذي أخذه على بني آدم في عالم الدر- والذي أركزه في فطرهم - عقب ذكره للميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧١) [الأعراف: ١٧١] الآية، يدل على أن جميع المواثيق والعهود التي يبعث بها رسله إلى عباده تتواءم مع هذا الميثاق الأول: (ألسنت بربكم) (1)، والذي يتضمن إسهاد بني آدم كل فرد على نفسه أو على بعضهم بعضاً أن الله عز وجل هو خالقهم ومدبر أمرهم ومعبودهم الحق (2)، ولذلك قطع احتجاجهم بالغفلة عن هذا الميثاق لأنه مركز في فطرهم، كما قطع احتجاجهم باتباع الآباء في الشرك بالله ومخالفة ما جاءت به الرسل لأنهم إنما جاؤوا بتقرير هذا الميثاق الأول، قال تعالى: ﴿شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧٢) أو نقولوا: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهِيَ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (١٧٣) [الأعراف: ١٧٢-١٧٣] وكل ما جاءت به الرسل موافق للميثاق الأول، والأنبياء -عليهم السلام- كما وصفهم خاتمهم -صلى الله عليه وسلم-: «والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» (3)، قال النووي: «قال جمهور العلماء: معنى الحديث أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف» (4).

(1) قال الفخر الرازي: «اعلم أنه تعالى لما شرح قصة موسى عليه السلام مع توابعها على أقصى الوجوه ذكر في هذه الآية ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين». [أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (397/15)] ؛ وقال الطاهر بن عاشور: «جاء هذا الانتقال بمناسبة ذكر العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل في وصية موسى، وهو ميثاق الكتاب، وفي يوم رفع الطور. وهو عهد حصل بالخطاب التكويني أي يجعل معناه في جبلة كل نسمة وفطرتها». [محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (166/9)].

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (222/13)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (167/2).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (167/4) برقم: (3442) (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم)؛ ومسلم في "صحيحه" (96/7) برقم: (2365) (كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام).

(4) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (120/15).

والحاصل: أن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوجدانية، وجعل ذلك مستقرا في تفكيره، وقد حُتمت هاتين الآيتين بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نَفِصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٧٤) [الأعراف: ١٧٤]، وذلك دليل على أنه مهما فسد تصوُّر الإنسان وإدراكه، فإنه من الممكن الرجوع إلى أصل الفطرة، ولا يمكن للإنسان أن تستقرَّ حالته النفسية وهو مخالف لهذا الميثاق الأول، ذلك لأنَّ الشرك ليس من مقتضى الفطرة فالتلبُّس به خروج عن أصل الخلقة السوية التي ابتدأه الله عليها، وقد تكرر في القرآن إطلاق الرجوع على إقلاع المشركين عن الشرك كقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، أي يرجعون عن الشرك إلى التوحيد (1).

### ثانياً: الإنسان في قصة الخلق.

وفي قصة الخلق وما ذكره الله تعالى من الخطاب الذي جرى بينه وبين الملائكة وآدم وإبليس، نجد كثيراً من الحقائق التي تصف فطرة وطبيعة الإنسان.

وأول تلك الحقائق: أنَّ الإنسان كائن معرّف، وقد وهبه الله آلة اللغة التي بها يُترجم أفكاره ومعارفه، كما يقندر بها على تفهّم خطاب الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] الآية.

وثانياً: أنَّه كائن أخلاقي، مُلزم باتِّباع أوامر الله ونواهيه ومسؤول عن سلوكياته وتصرفاته الاختيارية خيراً وشرّاً مجازي عليها، لقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ - إلى قوله - فإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥-٣٩] الآيات.

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (9/168-171).

وثالثاً: أنه كائن عاطفي انفعالي لقوله تعالى: ﴿وَقَلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] الآية<sup>(١)</sup>، كما أنه قد جاء في القصة أن الله تعالى خلق له زوجة، وقد جاء في آيات أخرى أن ذلك لأجل أن يسكن إليها وجعل بينهما مودة - وهي المحبة - ورحمة<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

### ثالثاً: حقيقة الفطرة.

والأصل في ذلك قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]، وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً... الحديث»<sup>(٣)</sup>، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه»<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف العلماء في المراد بالفطرة على أقوال عديدة، ولكن أقرب أقوال أهل السنة إلى الدليل هي خمسة، وهي كالآتي:

(1) وفي الأطراف الذين ستحصل بينهم العداوة المذكورة هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن هذه العداوة حاصلة بين البشر بعضهم لبعض، كما حصل بين ابني آدم في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ يَالْحَقُّ - إِلَى قَوْلِهِ - فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣٠] الآيات، قاله مجاهد. والثاني: أنها حاصلة بين إبليس وآدم وزوجه وذريتهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] الآية، قاله مقاتل. والثالث: أن إبليس عدو للمؤمنين، وهم أعداؤه، قاله الزجاج. [أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (57/1)]. وكلها صحيحة ولكن عدواة إبليس لا تخص المؤمنين، لقوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَنَا عَلَىٰ لَيْنٍ أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ٦٢]، وإن كانت عدواته لأهل الإيمان أشد.

(2) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (72/21).

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (158/8) برقم: (2865) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(4) تقدّم تخرجه، (ص: 78).



## القول الأول: الفطرة هي الإسلام،

وهذا قول ابن زيد ومجاهد وعكرمة، وفي معناه ما ذهب إليه معاذ بن جبل بأن: الفطرة هي الإخلاص، وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: 30]: «الإسلام مُدَّ خَلْقَهُمُ اللَّهُ مِنْ آدَمَ جَمِيعًا، يَقْرُونَ بِذَلِكَ، وَقَرَأَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172] الآية»<sup>(1)</sup>، فجمع بين القول بأن الفطرة هي الإسلام، واستدلَّ بآية الميثاق على ذلك. قال الشوكاني: «والقول بأن المراد بالفطرة هنا: الإسلام هو مذهب جمهور السلف»<sup>(2)</sup>.

ومن ذهب إلى أنَّ الفطرة هي الإسلام، إنما قصد الإسلام بالمعنى الأعم وهو التوحيد، قال الرّازي: «فطرة الله وهي التوحيد فإن الله فطر الناس عليه حيث أخذهم من ظهر آدم وسألهم ألسنت بربكم؟ فقالوا: بلى»<sup>(3)</sup>. وعليه فليس المراد بقول إنَّه ولد على الفطرة بمعنى الإسلام أنَّه يُولد عالماً بأحكام وشرائع هذا الإسلام الخاتم، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: 78]، بل المراد أنَّ كلَّ مولودٍ فإنه يُولَدُ على محبته لفاطره وإقراره له بالرُّبوبيَّة والإلهيَّة<sup>(4)</sup>. وإذا كان أصحاب هذا القول فسروا الفطرة بالإسلام على هذا المعنى فلا يصحُّ أن يُعترض «بأنَّه يستحيل أن تكون الفطرة المذكورة في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- كل مولود يولد على الفطرة الإسلام، لأن الإسلام والإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهذا معدوم من الطفل لا يجهل بذلك ذو عقل»<sup>(5)</sup>.

فالفطرة على هذا ليست مجرد استعداد ولا هي مجرد معرفة، بل هي دافع يدفع العبد نحو عبادة الله تعالى ومحبته، كما توجد دوافع جسميَّة كالجوع الذي يدفع نحو اشتهاء الطَّعام والشَّهوة التي تدفع

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (97/20-98).

(2) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (258/4).

(3) أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (98/25).

(4) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: السيد محمد بدر الدين أبو فراس، ط1، مكتبة الرياض الحديثة: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1323هـ. (ص: 539-540).

(5) أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (77/18).

نحو النَّكاح، ففي النَّفس دافع أقوى من هذه الدوافع يدفع بالإنسان نحو عبادة الله تعالى، ولذلك أدرج عثمان نجاتي الفطرة في ضمن الدوافع، ذلك لأنَّ: «دافع التدبُّن دافع نفسي له أساس فطري في طبيعة تكوين الإنسان، فالإنسان يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون، وإلى عبادته والتوسُّل إليه والالتجاء إليه طالبا منه العون كلما اشتدَّت به مصائب الحياة وكروبها، وهو يجد في حمايته ورعايته الأمن والطَّمأنينة»<sup>(1)</sup>، وإنما تتخلَّف هذه الفطرة إذا عُوِّضت بما يُخالفها، يقول ابن تيمية: «فما في النفوس من قوة المحبة له - إذا شعرت به - يقتضي حبه إذا لم يحصل معارض، وهذا موجود في محبة الأئمة والأشربة والنكاح، ومحبة العلم، وغير ذلك [يعني: أنَّ هذه دوافع فطرية، ولكن قد تتخلَّف لحصول ما يُعارضها من مرض البدن]. وإذا كان كذلك، وقد ثبت أن في النفس قوة المحبة لله والذل له، وإخلاص الدين له، وأن فيها قوة الشعور به لزم قطعاً وجود المحبة فيها، والذل بالفعل لوجود المقتضي الموجب إذا سلم عن المعارض، وعُلم أن المعرفة والمحبة لا يشترط فيهما وجود شخص منفصل يكلمها بكلام، وإن كان وجود هذا قد يُدكَّر ويُحرَّك، كما لو خوطب الجائع بوصف طعام، أو خوطب المعتلم بوصف النساء، فإن هذا مما يُدكَّر ويُحرَّك، لكن لا يجب ذلك في وجود الشهوة للطعام ووجود الأكل. فلكذلك الأسباب الخارجة لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة من الشعور بالخالق والذل له ومحبته، وإن كان ذلك مُدكَّراً ومُحرَّكاً، أومزبلاً للمعارض المانع، لكن المقصود أنه لا يحتاج حصول ذلك في الفطرة إليه مطلقاً»<sup>(2)</sup>.

### القول الثاني: الفطرة هي الإقرار بالله عز وجل والمعرفة به.

ومَن ذهب إلى هذا القول ابن الجوزي وحكاه عن ابن قتيبة، ومضمونه: أنَّ كلَّ مولود يُولد وفيه يكمن بالقوَّة إقراراً بأنَّ الله هو خالقه ومدبِّره، منذ أن أخذ الله عليه العهد في ظهر أبيه آدم، ولو سمَّاه بغير اسمه أو عبد شيئاً دونه<sup>(3)</sup>. قال ابن عبد البر: «وقال آخرون: معنى الفطرة المذكورة في المولودين ما أخذ الله من ذرية آدم من الميثاق قبل أن يخرجوا إلى الدنيا يوم استخرج ذرية آدم من ظهره فحاطبهم ألسنت بربكم قالوا بلى، فأقروا جميعاً له بالربوبية عن معرفة منهم به، ثم أخرجهم من

(1) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النَّفس، (ص:49).

(2) أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ط2، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: المملكة العربية السعودية، 1411هـ-1991م. (8/449-450).

(3) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (3/422).

أصلا بآبائهم مخلوقين مطبوعين على تلك المعرفة وذلك الإقرار. قالوا: وليست تلك المعرفة بإيمان ولا ذلك الإقرار بإيمان، ولكنه إقرار من الطبيعة للرب فطرة ألزمها قلوبهم، ثم أرسل إليهم الرسل فدعوهم إلى الاعتراف له بالربوبية والخضوع تصديقا بما جاءت به الرسل، فمنهم من أنكر ووجد بعد المعرفة وهو به عارف لأنه لم يكن الله ليدعو خلقه إلى الإيمان به وهو لم يعرفهم نفسه، إذ كان يكون حينئذ قد كلفهم الإيمان بما لا يعرفون، قالوا وتصديق ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧] (1).

**القول الثالث: الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها من تقدير الحياة والموت، والسعادة والشقاوة.**

وهذا القول عزاه ابن عبد البر إلى الإمام مالك والإمام أحمد (2)، وعلى هذا يُحمل قوله -عليه الصلاة والسلام-: «كل مولود يولد على الفطرة» (3) على البداءة التي ابتدأهم عليها، لما قدر عليهم وهم في بطون أمهاتهم مقادير حياتهم وموتهم، وهل هم من الأشقياء أو السعداء، كما جاء في حديث الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه... ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ووزقه وأجله وشقي أو سعيد... الحديث» (4)، وكما ثبت عن عمر -رضي الله عنه- لما سُئل عن آية الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم في ظهور آبائهم، حيث قال: «سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسأل عنها، فقال: إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجل: يا رسول الله، فقيم العمل؟ قال: فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله الله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال

(1) أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (90/18-91).

(2) يُنظر: أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (78/18-79).

(3) تقدّم تخریجه، (ص: 78).

(4) تقدّم تخریجه، (ص: 77).

أهل النار، فيدخله الله النار»<sup>(1)</sup>. وذلك لا بُدَّ صائرون إليه لا محالة عند البلوغ، وخرَّجوا ذكر تأثير الوالدين على أولادهم في حديث الفطرة على أنَّ الأولاد إمَّا أن يقتدوا بأبائهم في اعتقاداتهم أو يخالفوهم، وأرجعوا كلمة الفطرة إلى الأصل اللُّغوي، وهي البداية.

كما احتجوا بقول الله عز وجل: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩-٣٠] الآيتين، وفسَّروا حديث الفطرة بقوله -عليه الصلاة والسلام- حين سئل عمَّن يموت صغيراً وكذا لما سُئل عن صغار المشركين، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»<sup>(2)</sup>.

وما ذكروه في الاقتصار على معنى الفطرة على البداية التي ابتدأهم الله عليها من المقادير التي علمها قبل يخلقهم ثمَّ أمر الملك بكتابتها وهم أجنَّة، وإن كان يتوافق ذلك مع المعنى اللُّغوي، إلا أنَّ النصوص جعلت له معنى زائداً على ذلك، والحقيقة الشرعية مقدَّمة على الحقيقة اللُّغوية<sup>(3)</sup>.

والإمام مالك كما حكى ابن وهب إمَّا سُئل فقيل له: إن أهل الأهواء يحتجون علينا بهذا الحديث -أي حديث: (كل مولود)-، فقال مالك: احتجَّ عليهم بآخره. قالوا: رأيت من يموت وهو صغير، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين. قال ابن حجر: «ووجه ذلك أن أهل القدر استدلوا على أن الله فطر العباد على الإسلام، وأنه لا يُضِلُّ أحداً، وإنما يُضِلُّ الكافر أبواه، فأشار مالك إلى الرد عليهم بقوله: الله أعلم. فهو دال على أنه يعلم بما يصيرون إليه بعد إيجادهم على الفطرة، فهو دليل على تقدم العلم الذي ينكره غلاتهم، ومن ثمَّ قال الشافعي: أهل القدر إن أثبتوا العلم خُصِّموا»<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه مالك في "الموطأ" (1322/1) برقم: (678/3338) (كِتَابُ الْقَدْرِ، النهي عن القول بالقدر)؛ وابن حبان في "صحيحه" (37/14) برقم: (6166) (كتاب التاريخ، ذكر إخراج الله جل وعلا من ظهر آدم ذريته وإعلامه إياه أنه خالقها للجنة والنار)؛ والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (406/1) برقم: (289) (من حديث أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، نعيم بن ربيعة عن عمر رضي الله عنه)؛ والترمذي في "جامعه" (158/5) برقم: (3075) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ومن سورة الأعراف). حكم الحديث: قال الترمذي: «حديث حسن».

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (94/2) برقم: (1358) (كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه)؛ ومسلم في "صحيحه" (52/8) برقم: (2658) (كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين).

(3) يُنظر: محمد بن علي الشُّوكاني، فتح القدير، (258/4).

(4) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (247/3).

**القول الرابع: الفطرة هي الحلقة الأولى التي يستعد بها الإنسان وينتهي بها لتوحيد الله واتباع شرائعه.**

وإليه ذهب ابن عطية والطاهر بن عاشور، وخلاصته: أنّ الفطرة هي الحلقة التي ابتدأ عليها الإنسان موافقة لدين الله الإسلام، حيث تُؤهله لتلقي أخباره بالتصديق وأحكامه بالتطبيق.

قال الطاهر ابن عاشور: «ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مناسبة لخلقهم غير مجافية لها، غير نائين عنه ولا منكرين له مثل إثبات الوحداية لله لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح حتى لو ترك الإنسان وتفكيره ولم يُلقن اعتقاداً ضالاً لاهتدى إلى التوحيد بفطرته... الفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، والفطرة التي تخص نوع الإنسان هي ما خلقه الله عليه جسداً وعقلاً»<sup>(1)</sup>. وقال ابن عطية: «والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنّها الحلقة والهيئة في نفس الطفل التي هي معدة مهياً لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به»<sup>(2)</sup>.

وقريب من هذا ما ذهب إليه ابن عبد البر ورجّحه في تفسيره للفطرة بالاستقامة والسلامة حلقة وطبعاً وبنية ليس معها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة، وإنما يحدث الكفر والإيمان بعد البلوغ والتّمييز، واستند إلى المثال الذي ضربه النبي -صلى الله عليه وسلم- في أنّ الشّاة تولد سالمة من العيوب، ثم الجذع والآفات تدخلها بعد ذلك فكذلك المولود يولد سالماً ثم يحدث فيه بعد ذلك الكفر والإيمان<sup>(3)</sup>.

ولكن المشكل على هذا التفسير أنّه «لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار، والتهويد والتنصير والإسلام، وإنما ذلك بحسب الأسباب، فكان ينبغي أن يقال: فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه ويمجسانه، فلما ذكر أن أبوه يكفرانه، وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام، علم أن حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل غير حكم الكفر وأيضاً فإنه على هذا التقدير لا يكون في القلب

(1) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (90/21).

(2) أبو محمد عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1422هـ. (336/4).

(3) يُنظر: أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (72-68/18).

سلامة ولا عطب، ولا استقامة ولا زيغ، إذ نسبته إلى كل منهما نسبة واحدة، وليس هو بأحدهما»<sup>(1)</sup>.

وتفسير الفطرة بمجرد السلامة والخلو من الإيمان والكفر، لا يُوجب مدحا ولا ذمًا، وهذا بخلاف ما جاء في آية الفطرة التي أمر الله بإقامة الوجه لها، وأشار إليها بأتمها الدين القيم، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، «وأيضاً فالنبي -صلى الله عليه وسلم- شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق، وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجذع الأنف والأذن. ومعلوم أن كمالها محمود ونقصها مذموم»<sup>(2)</sup>.

كما أنّ المقابلة في المثال النبوي بين خروج البهيمة سالمة جمعاء كاملة الخلق وحصول الجذع بعد ذلك وبين الكفر والإسلام لا يتم إلا على جعل الإسلام مقابلاً للسلامة، فالبهيمة تولد على سلامة الأعضاء، والإنسان يولد على الإسلام. وإلا لما صحّت المقابلة لأنّ البهيمة لا تكتسب السلامة وإنما تولد بها، نعم تتطور وتنمو هذه السلامة وتتعرّز بما يُقدّم لها من الرّعاية، وكذلك الأمر في الفطرة.

**القول الخامس: الفطرة هي ما كتبه الله عليهم حين خلقهم من الإيمان لأهل السعادة والإنكار لأهل الشقاء.**

وهذا ذهب إليه إسحاق بن راهويه، فالفطرة عنده أنّ الله كتب على أهل الشقاء الكفر، وكتب على أهل السعادة الإيمان.

وقد ذكر ابن عبد البر أنّ قول إسحاق ومن سلك مسلكه في ذلك لا يخرج عن حالين:

الأولى: أن يكون مقصودهم أن الله خلق الأطفال وأخرجهم من بطون أمهاتهم ليؤمن من سبق في علم الله وقضائه أنّه سيؤمن، ويكفر من سبق في علم الله وقضائه أنّه سيكفر، فهذا في نفسه

(1) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، درء تعارض العقل والنقل، (444/8).

(2) المصدر السابق، (445/8).

صحيح، ولكن لا يصح تفسير الفطرة به، لما مرَّ من الأدلة الدالة على أنَّ هذه الفطرة يتطرق إليها التغيير والتبديل كما يعرض لخلقة البهيمة من الجدع.

الثانية: أن يكون مقصودهم أن بعض الأطفال يولدون كفاراً وبعضهم مؤمنين، وهذا مخالف للأدلة وللواقع<sup>(1)</sup>.

وخرَّج إسحاق آية الميثاق لما قال الله: (ألست بربكم) على أن كلَّ بني آدم قالوا بلى، ولكن أهل السعادة قالوا بلى طوعاً لأمر الله من قلوبهم، وأما أهل الشقاء فقالوا بلى كرها لا طوعاً، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣] الآية، ولا يستقيم هذا الكلام مع تمام آية الميثاق لأنَّ الله قطع عُذرهم في الإشراك به بإقرارهم على ذلك، وإذا كان بعضهم أقرَّ على الإيمان وبعضهم على الكفر -والله لا تخفى عليه السرائر- فلا يصحُّ أن يُؤاخذوا يوم القيامة بالعذاب لأنَّهم التزموا بما أقرُّوا به، وشهد الله عليه<sup>(2)</sup>. كما استدلَّ إسحاق بقصة قتل الخضر للغلام: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]، وقوله - عليه الصلاة والسلام -: «الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً»<sup>(3)</sup>. على أنه فُطر على الكفر، وهذا غير صحيح<sup>(4)</sup>، وإنما المقصود بالطَّبع هنا كما قال ابن تيمية: «كتب وختم، وهذا من طبع الكتاب، وإلا فاستنطاقهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ليس هو طبعاً لهم، فإنه ليس بتقدير ولا خلق. ثم بين منشأ الخلل في هذا القول ولفظ (الطبع) لما كان يستعمله كثير من الناس في الطبيعة، التي هي بمعنى الجبلة والخلقة، ظن الظان أن هذا مراد الحديث»<sup>(5)</sup>. كما نفى ابن القيم أن يكون المقصود بالطَّبع هنا، ما تكرَّر ذكره

(1) يُنظر: أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (88/18).

(2) يُنظر: المصدر السابق، (83/18-84).

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (108/14) برقم: (6221) (كتاب التاريخ، ذكر البيان بأن الغلام الذي قتله الخضر لم يكن بمسلم)؛ وأبو داود في "سننه" (363/4) برقم: (4706) (كتاب السنة، باب في القدر)؛ والترمذي في "جامعه" (217/5) برقم: (3150) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ومن سورة الكهف). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب».

(4) يُنظر: أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (86/18).

(5) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، درء تعارض العقل والنقل، (427/8).

في آيات القرآن الكريم من الطبع على قلوب المنافقين والمعاندين، لأنَّ ذلك الطَّبَع يكون بعد حصول النفاق والعناد لا قبله<sup>(1)</sup>.

وبهذا يتبيَّن أنَّ هذا القول ضعيف جداً، قال ابن عبد البر: «وقول إسحاق في هذا الباب لا يرضاه الحذاق الفقهاء من أهل السنة وإنما هو قول المجبرة»<sup>(2)</sup>.

والخلق المراد في آخر آية الفطرة: ﴿لَا بُدَّيْلَ لِيَخْلُقَ اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠] فيه قولان للعلماء:

الأول: لا تبديل لدين الله. وقد حكى الطبري هذا الوجه عن: مجاهد وعكرمة وقتادة وسعيد بن جبَّير والضحاك وابن زيد وإبراهيم النخعي<sup>(3)</sup>. وهذا يشهد له سباق الآية نفسها حيث أمر بإقامة الوجه للدين حنيفاً، ولحاقها حيث أشار إلى أنَّ ذلك هو الدِّين القِيَم المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

القول الثاني: لا تغيير لخلق الله من البهائم، كأن يُمَثَّل بها فيقطع شيئاً من أطرافها أو يُخصي الفحول منها<sup>(4)</sup>. قاله عمر بن الخطَّاب وعكرمة ومجاهد، واستدلَّ ابن عباس بها على كراهة خصاء البهائم<sup>(5)</sup>. ويشهد له ما ذكره الله تعالى من أمر الشيطان لبني آدم بتغيير خِلقة البهائم: ﴿وَلَا أُضِلَّنَّهُم

(1) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (ص: 284).

(2) أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (90/18).

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (98/20-99).

(4) وجمهور العلماء على جواز خصاء البهائم التي تُؤكل لأنَّ ذلك مما يُصلح لحمها، وقد ضحَّى النبي -عليه الصلاة والسلام- بكبشين موجوءين، والموجوء هو الخصي الذي انتزعت خصيتاه. [يُنظر: مجموعة من الباحثين، الموسوعة الفقهية الكويتية، (125، 122/19)؛ المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (5/152)]. والحديث أخرجه ابن ماجه في "سننه" (301/4) برقم: (3122) (أبواب الأضاحي، باب أضاحي رسول الله صلى الله عليه وسلم)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (259/9) برقم: (19078) (كتاب الضحايا) وأحمد في "مسنده" (6039/11) برقم: (25686) (مسند عائشة رضي الله عنها). والحديث صحَّحه الألباني. [يُنظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (4/360)].

(5) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (423/3).



وَلَا مُؤْمِنِينَ لَهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْئِمَهُمْ فَلْيَغَيِّرُ بَرْتِ خَلْقِ اللَّهِ ﴿ [النساء: ١١٩] الآية<sup>(1)</sup>.

وفي المقصود بقوله تعالى: ﴿لَا بُدَّ لِي لِيَخْلُقَ اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠] أوجه<sup>(2)</sup>:

أولاً: أن لفظه النفي ومعناه النهي، والتقدير: لا تبدلوا خلق الله عز وجل.

ثانياً: أن معناه التفي ولكن من قبل الله، لا من قبل المخلوقين فإن تبدلهم لخلق الله قلبا وقالبا ثبت به الشرع وشهد به الواقع، وكان فيه تسلية للنبي -صلى الله عليه وسلم- عن الحزن ولجميع الدعاة إلى الله بعده حيث لم يؤمن قومه فقال هم خلقوا للشقاوة ومن كتب شقيا لا يسعد.

ثالثاً: أن الفطرة على الوجدانية مترسخة في كل آدمي لا تغير لها، حتى وإن كفر وأشرك، ولذلك كان المشركون في زمن النبي يُقرّون بربوبية الله ولكن يجعلون له الأنداد في العبادة، قال تعالى: ﴿وَلِينَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] الآية، وقال تعالى عن قوم موسى لما رأوا الآيات التي أيده الله بها: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] الآية، وإن كان هذا الإيمان الفطري غير كاف، ولكنه أساس متين على صرحه يُقام الإيمان المكتسب.

رابعاً: أن الخلق لا يمكن أن يُبدلوا ويخرجوا إلى ملك غير ملك الله تعالى، كما ينتقل الرقيق من سيده إلى ملك شخص آخر، وهذا لبيان فساد قول من يقول: إن المراد بالعبادة تحصيل الكمال فإذا كمل العابد ارتفع عنه التكليف، وقول المشركين حتى يتوسلوا بالملائكة: نحن ناقصون والناقص لا يصلح لعبادة الله، فنحن عبيد الملائكة، والملائكة عبيد الله، وفيه ردٌ كذلك لكل من ادعى تأليه غير الله.

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (93/21).

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (98/25-99)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (259/4).

## دور الفطرة في تحقيق الصحة النفسية.

ويظهر أنّ دور الفطرة في تحقيق الصحة النفسية يتمثل في ثلاث نقاط:

**أولاً: الفطرة هي الأساس في حصول التوافق النفسي للإنسان مع أصل خلقته.**

حيث دلت الآية السابقة -عند وصف دين الإسلام بأنه هو الفطرة- على أنّ «هذا الدين مختصّ بوصفين هما: التبرؤ من الإشراك، وموافقته الفطرة، فيفيد أنه دين سمح سهل لا عنت فيه... لأن التوحيد هو الفطرة، والإشراك تبديل للفطرة»<sup>(1)</sup>.

ومن هنا يظهر الأثر العظيم الذي تُحدثه شرائع الإسلام في تحقيق الصحة النفسية، لأنه دين يردُّ الشخص إلى فطرته ويُخلصه عن جميع الواردات التي تُبدّل فطرته، والتوافق مع الفطرة هو الأساس الذي لا يُمكن أن تُبنى صحة نفسية إلا على صرحه، ذلك أنّ التوافق مع الدوافع ومع النظم الاجتماعية ومع كلّ ما يُمكن أن يُتوافق معه لا يبقى له أيُّ وزن مع انحراف التوافق مع الفطرة التي هي الحالة الأصلية التي خلق الله عليها الإنسان.

وكلّ تشريعات الإسلام من عبادات ومعاملات تتوافق مع الفطرة لأنها منزلة من عند من خلق الإنسان على الفطرة، كما أنّ كلّ أحكام الإسلام مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، وكون ما جاء به الإسلام من عبادات ومعاملات متوافقاً ومتناسباً مع الفطرة الإنسانية يجعله مقبولاً لدى النفوس مُصلحاً لها مهما اختلفت أحوالهم وتباينت ظروفهم<sup>(2)</sup>.

**ثانياً: الفطرة تُؤلّف بين الجوانب النفسية والحيوية.**

ما يُخلق عليه الإنسان في أصل فطرته يشتمل على أمرين: الأوّل: وهو التوحيد والمبادئ العقلية والأخلاقية والجمالية العامة، وهذه مُكوّنات وليست مُجرّد استعداد، قد يتمُّ المحافظة عليها وتزكو بالتأبّع ما تأتي به الرُّسل من الشرائع من عند الله -عزَّ وجلّ-، وقد تنحرف عن اعتدالها في صور الخضوع والتعبُد لغير الله عزَّ وجلّ، في صور عديدة كتأليه شخص معيّن رئيساً كان أو زوجة أو شيخاً يأتمر بأمره وينتهي بنهيه إلى غاية أن يُقدّم طاعته على طاعة الله عزَّ وجلّ ورسوله عليه الصلاة والسلام،

(1) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (21/89-90).

(2) يُنظر: المصدر السابق، (21/91-92).

كما حصل مع أهل الكتاب حيث قَدَّموا طاعة علمائهم وعُبَّادهم في التَّحليل والتَّحريم على طاعة الله<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿ اُنْخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ [التوبة: 31]، أو أن يتَّخذ هواه إله، أو يصير عبداً للدينار والدرهم، إلى غير ذلك من صور انحراف الفطرة، والثاني: كل ما رَكَّبَه الله تعالى في الإنسان من دوافع وانفعالات يتم بها الحفاظ على ذاته ونوعه.

والشريعة الإسلامية فيها مراعاة لما خُلِقَ عليه من الضَّعف المتمثِّل في الاحتياج إلى ما يُشبع رغباته، ويُسكن نزواته، ولذلك قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 28]، والآية وإن كانت في سياق مشروعية نكاح الأمة عند عدم القدرة على نكاح الحرَّة، لما في خِلقة الرِّجل من عدم الصَّبْر عن النساء، فهي شاملة لمشروعية إشباع كلِّ الدوافع الإنسانيَّة الفطريَّة في ضمن ما قدره الشَّارع<sup>(2)</sup>.

وهذه الدَّوافع الغريزيَّة سواء كانت دوافع لحفظ الذات كشهوة الأكل والشُّرب أو دوافع لحفظ النَّوع كشهوة الجنس، فهي استعدادات وقدرات فطريَّة حياديَّة يُمكن استعمالها في الشر بما يجلب المفاسد ويُمكن استعمالها في الخير بما يُحقِّق المصالح، فالخير هو استعمالها في الوظيفة التي خُلقت من أجلها وفق ما حدَّدته الشريعة، والشرُّ هو استعمالها في غير الوظيفة التي خُلقت لها أو من غير الضوابط التي حدَّدتها الشريعة، فهذه القوى من الحواسِّ والدَّوافع والانفعالات خلقها الله لتخدم الإنسان لا ليخدمها هو<sup>(3)</sup>، وأمَّا الإنسان فقد خُلِق ليشتغل بعبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]<sup>(4)</sup>.

ثالثاً: الفطرة السليمة هي مقياس نفسي يُوجد لدى المؤمن يَنخبِر به الإثم والبرِّ في الأعمال والأقوال.

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (209/14).

(2) المصدر السَّابق، (215/8).

(3) يُنظر: أبو حامد محمد الغزاليُّ الطُّوسي، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، (ص: 448-449).

(4) يُنظر: م مقداد يالجن، علم الأخلاق الإسلاميَّة، ط1، دار عالم الكتب: الرياض-المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، 1413هـ-1992م. (ص: 194).

ولكن إنما يصدق ذلك بحالة ما إذا تجرّد الإنسان عن أتباع الأهواء، وعندما جاء وابصة يسأل النبي- صلى الله عليه وسلم- أمره بأن يستفتي قلبه، ثمّ علّل له ذلك فقال: «البرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»<sup>(1)</sup> فجعل النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- علامة كون السلوك برًّا حصول اطمئنان النفس وسكونها وعلامة كونه إثماً حصول الحرج والاضطراب في النفس الذي هو ضدُّ السكون، كما تُفسّره الرواية الأخرى: «البر ما سكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس، ولم يطمئن إليه القلب»<sup>(2)</sup>. وما هذا الضيق الذي يجده الإنسان عند مخالفة أمر الله تعالى إلا رحمة من الله لئلا يركن إلى طريق الضلال، ولينطلق منه إلى تقويم سلوكه وإصلاح حاله وردّها إلى أصل الفطرة نقيّة كما خلقها الله.

ولما كان ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- من الشرع موافقا للفطرة والعقل، فقد أرشد الله تعالى من أبغضه -عليه الصلاة والسلام- وأبغض ما جاء به أن يتجرّد من الأهواء والاتهامات التي رمي بها -عليه الصلاة والسلام- التي على رأسها الجنون وزوال العقل، ولو كانت تلك الأهواء قد صارت كاتجاهات يسير عليها المجتمع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خِزْفٍ﴾<sup>(3)</sup>، وذلك لأنّ ما يُشوّه نظرة الإنسان -وقد خلق على الفطرة السليمة- إلى الأمور إمّا داخلي وهو الهوى وكبحه يكون بتفعيل خاصية التفكير والتعقل، وإمّا خارجي وهي المذاهب الباطلة وفي الآية الأمر بالتفرّد والاعتزال «في طلب الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا، لأن الاجتماع يشوش الفكر»<sup>(3)</sup>، بل ويُلوثه في أحيان كثيرة بالآراء المخالفة للشريعة، و«المعنى أن تقوموا لحق الله مستعينا أحدكم بصاحب له أو منفردا بنفسه، فإن من أهل النظر من ينشط إليه بالمدارسة ما لا ينشطه بالخلوة. ومنهم من حاله بعكس هذا، فلهذا اقتصر على مثني وفرادى لأن ما زاد على ذلك لا اضطراب إليه. وقدّم مثني لأن الاستعانة أعون على الفهم، فيكون المراد دفع عوائق

(1) تقدّم تخرجه، (ص: 24).

(2) أخرجه أحمد في "مسنده" (3982/7) برقم: (18019) (مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه)، حكم الحديث: قال ابن رجب: «إسناده جيد». [زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (2/95)].

(3) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (382/4).

الوصول إلى الحق بالنظر الصحيح الذي لا يغالط فيه صاحب هوى ولا شبهة ولا يخشى فيه الناظر تشنيعاً ولا سمعة، فإن الجماهير إذا اجتمعت لم يخل مجتمعهم من ذي هوى وذي شبهة وذي مكر وذي انتفاع، وهؤلاء - بما يلزم نواياهم من الحبث - تصحبهم جرأة لا تترك فيهم وازعاً عن الباطل ولا صدأً عن الاختلاق والتحريف للأقوال بعمد أو خطأ، ولا حياء يهذب من حدثهم في الخصام والأذى، ثم يطرون بالقالة وأعمال أهل السفالة. فللسلامة من هذه العوائق والتخلص من تلك البوائق الصادرة عن طريق الحق قيل هنا مثني وفرادى، فإن المرء إذا خلا بنفسه عند التأمل لم يرض لها بغير النصح، وإذا خلا ثاني اثنين فهو إنما يختار ثانيه أعلق أصحابه به وأقربهم منه رأياً فسلم كلاهما من غش صاحبه»<sup>(1)</sup>، أو تكون التثنية في المناظرة والتفرد في التفكير<sup>(2)</sup>.

فإذا تمّ التجرد من هذين المانعين فإنّ التّطابق بين ما هو حاصل في الفطرة وبين ما جاء به النبيّ -عليه الصلاة والسلام- حاصل لا محالة.

### الفرع الثاني: طبيعة الإنسان المزدوجة.

كثيرة هي النصوص من الكتاب والسنة التي ذكرت أنّ خلق الإنسان امتزجت فيه نفخة الرّوح بطينة الأرض، كقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۚ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ [السجدة: ٧-٩]، وإضافة الروح إلى الله من باب إضافة بعض مخلوقاته إليه تشريفاً وتكريماً، وقد نقل ابن القيم الإجماع على ذلك<sup>(3)</sup>.

والإنسان فيه خصائص ترجع إلى جزئه الرّوحي، وأخرى ترجع إلى جزئه الطّيني. فالخصائص التي تعود لجزئه الطيني هي كلُّ القوى من الدوافع والوظائف الحيويّة التي يشترك في أصلها مع الحيوان، كالأكل والشرب والجماع والنوم وغيرها، ويلحق به ما يُنسب إلى التراب من جميع الصّفات الجسميّة، والجانب الترابي كما يظهر أثره في البدن يظهر أثره كذلك في سمات الشّخصيّة وطباعها، لقوله -

(1) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (22/233).

(2) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (25/215)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (3/503).

(3) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الرّوح، (ص: 144-146).

صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»<sup>(1)</sup>، هذا الحديث يبين أن خصائص شخصية الإنسان تتأثر بنوع التربة التي يكون مأخوذا منها، والذي خُلق من التراب مباشرة هو آدم -عليه السلام-، وهذه الصفات الموجودة في التربة سواء كانت جسمية كلون الجسم وصلابته وقوته، أو نفسية كالسهولة والرفقة أو القساوة والجفاء، وغيرها كانت كامنة بالقوة في الطينة التي خُلق منها آدم أبي البشر، ثم انتقلت إلى نسله عن طريق المورثات، وظهرت بالفعل في بنيه.

والمراد بالسَّهْل من الخصال الرفق واللين والسماحة، والمراد بالحَزْن من الخصال الحدة والغلظة والشدة<sup>(2)</sup>. والمقصود بالطَّيْب والخبث الإنبات والجذب بالنسبة للأرض، وأمَّا الطيب والخبث بالنسبة للإنسان، فالذي يظهر أنه يحتمل معنيين: الأول: من جهة البدن الخصوبة والعقم، ذلك أن معنى طاب في اللغة: لَدَّ وَزَكَا، وطابت الأرض: أنبتت<sup>(3)</sup>، فكون الأرض طيبة مؤهلة تربتها للإنبات إن بُدِر فيها وسُقيت، فكذلك كون الإنسان طيباً خصبا مؤهلاً للولادة والتكاثر إذا كانت الظروف مواتية لذلك، ولذلك قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]. والثاني: من جهة النفس، وهو ما يكتسبه الإنسان من الإيمان والكفر والصَّلاح والفساد، فالمؤمن ينتفع بآيات الله الشرعية والكونية، فتورثه عملاً صالحاً وخُلُقاً حسناً، والفاجر لا ينتفع منها فيكون حاله كالأرض الجدباء التي تتشرب ما ينزل عليها من الغيث ولا تُنبت،

(1) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (29/14) برقم: (6160) (كتاب التاريخ، ذكر البيان بأن قوله -صلى الله عليه وسلم- خلق الله آدم من أديم الأرض كلها أراد به من قبضة واحدة منها)؛ والحاكم في "مستدرکه" (261/2) برقم: (3055) (كتاب التفسير، خلق الله آدم من أديم الأرض كلها فخرجت ذريته على حسب ذلك)؛ وأبو داود في "سننه" (358/4) برقم: (4693) (كتاب السنة، باب في القدر)؛ والترمذي في "جامعه" (71/5) برقم: (2955) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-)، باب ومن سورة البقرة؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (3/9) برقم: (17780) (كتاب السير، باب مبتدأ الخلق)؛ وأحمد في "مسنده" (4508/8) برقم: (19891) (أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(2) يُنظر: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح مشكاة المصابيح، (564/2)؛ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، (303/3).

(3) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ص: 110).

ويُوضِّح ما ورد في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»<sup>(1)</sup>. وقال تعالى:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، وهناك اتفاق بين المفسرين أن الآية مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي طاب عقيدة وسلوكه وخلقا، والكافر الذي خبثت مقاصده وأخلاقه<sup>(2)</sup>.

وأما الخصائص التي تعود لجُزئه الرُّوحي فكلُّ الأخلاق الحميدة الشريفة من العلم النَّافع والصدق والإحسان والكرم والعفو وبفقدتها يصير إلى ما يُقابلها من الأخلاق الدنيئة كالجهل والكذب والإساءة والبخل وغيرها.

فالإنسان من جهة روحه وعقله مشابه للملائكة، ومن جهة شهواته ودوافعه وانفعالاته الجسمية مُشابه للحيوانات، ولذلك ذكر غير واحد من أهل العلم أن الله سبحانه خلق الملائكة عقولا بلا شهوات، وخلق البهائم شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان وجعل له عقلا وشهوة، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة أو كان خيرا منهم، ومن غلبت شهوته عقله فهو كالبهائم أو أدنى منهم<sup>(3)</sup>.

وهذان النوعان اللذان يرجعان إلى البدن والرُّوح متلاحمان في الكيان الإنساني لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولذلك فهو يُمارس نشاطاته الجسمية والرُّوحية بكتلتا شقييه، والإنسان ليس واحدا منهما

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (27/1) برقم: (79) (كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم)؛ ومسلم في "صحيحه" (63/7) برقم: (2282) (كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي -صلى الله عليه وسلم- من الهدى والعلم).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (498-495/12)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (292/14)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (132/2)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (184/8).

(3) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (373/21)؛ أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (429-428/15)؛ محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (631/2)؛ محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط3، دار ابن كثير: دمشق-بيروت ومكتبة دار التراث: المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، 1409هـ-1989م. (ص: 23).

بل هو الكل الذي يجمعهما، ومعلوم أنه إذا تمَّ تحليل أيِّ مركَّب إلى أجزائه فإنه يفقد خصائصه ولا بُدَّ، فالماء مثلاً، هو: مُركَّب كيميائي من ذرَّتي هيدروجين وذرة أكسجين، وخصائصه أنه: سائل ومائع ويحصل به الارتواء والتنظيف، لكن لو تمَّ تحليله إلى عناصره فسيُفقد كلَّ خصائصه أو جُلِّها على الأقلِّ، وهكذا خاصية القساوة التي تجعل اللَّبن مؤهَّلاً لأن تُبنى به البيوت، وهو مكوَّن من الماء والإسمنت والرَّمَل، ومعلوم أنَّ أفراد هذه الأجزاء لا تحتوي على ما يُؤهلها للبناء، والشواهد على ذلك في الطبيعة كثيرة<sup>(1)</sup>.

والمقصود ما دام أنَّ الإنسان كائن مركَّب من جسد وروح، وكلا شقَّيه مؤثِّر في الشقِّ الآخر ومتأثِّر به، فإنَّ النَّظر إليه أو التَّعامل معه على أساس جانب من جانبيه منعزلاً عن الجانب الآخر، يُنتج معطيات غير صادقة عن طبيعته، فالإنسان وإن كان مخلوقاً لغاية حدِّها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهو ليس كالملائكة الذين ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ولما شكَا حنظلة -رضي الله عنه- حاله إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وما يجده من التَّباين عند سماع وعظه -عليه الصلاة والسلام- وعند الانصراف إلى العمل والأهل، حتَّى اتَّهم نفسه وقال: «نافق حنظلة»<sup>(2)</sup>، فصحَّح له النبي -صلى الله عليه وسلم- نظرتَه لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في قضية الإيمان، وبيَّن له أنَّ الطبيعة الآدمية تأتي عن ذلك الثَّبات، وأنَّه لا بُدَّ من ساعة للتَّفكير في الآخرة وإعداد العُدَّة للحساب والجزاء في اليوم الآخر، ولا بُدَّ من ساعة يعتني فيها المرء بأهله، وساعة ينام فيها، وساعة يأكل فيها، وساعة يسعى في قوت عياله، وهكذا.

والإنسان عندما يُؤدِّي وظائفه الحيويَّة يختلف جدًّا عن الحيوان، ذلك أنَّ الحيوان يُشبع حاجيَّاته ويُنفذ غرائزه دون أن يتصوَّر لسلوكه هدفاً، إذ ليس بينه وبين إنفاذ غرائزه إلَّا مواتاة الطُّروف. وهذا على عكس الإنسان الذي يستجيب لنفس تلك الدوافع الحيويَّة، ولكن بين الدافع والاستجابة يُوجد عنده شيء لا وجود له عند الحيوان، وهو استعمال الفكر في محاسن أو قبائح السُّلوك الذي سيُقبل عليه، وما يترتَّب عليه من مصالح أو مفساد، وبناء على هذا التَّقييم المعرفي للأشياء يختار الإقدام عليه بالفعل، أو الإدبار عنه بالتَّرك، ولهذا فإنَّ استجابات الإنسان السلوكيَّة السويَّة تُجَاه موضوع مُعيَّن

(1) يُنظر: مقداد يالجن، علم الأخلاق الإسلاميَّة، ص: (185-193).

(2) تقدَّم تخرجه.



ليست استجابات آليّة محضّة، بل يترافق معها وينضوي تحتها جملة من التقييمات المعرفية والنوايا والعواطف. ولذلك فالإسلام دين يردُّ الإنسان إلى سواء فطرته الإنسانيّة كما خلقه الله عليها، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله تعالى، فالمؤمن حينما يأكل، إمّا يأكل باسم الله من الطيب الحلال ويستحضر منّة الله عليه في هذا الطّعام، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢)، ولا يُسرف ولا يستبدّ به لأنه يُوقن أنه رزق من الله، بل يعمل بقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنهَا وَأَطِعُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٨)، وهكذا في كلّ الوظائف التي هي من ضروريّات الكائن الحيّ في الإسلام لها آداب ومقاصد وعواطف تحفظ إنسانيّة الإنسان<sup>(1)</sup>.

إنّ الذي أهل الإنسان وجعل خلقه مميّزا عن باقي المخلوقات هو هذه الطبيعة المزدوجة حيث تبدو متناقضة في ظاهرها، ولكنّها في جوهرها هي التي تجعل فيه استعدادا لسلوك سبيل الهدى أو سبيل الضلال، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣) [الإنسان: ٢ - ٣]، وذلك أنّها تُؤهّله إلى الاقتدار على أن يتسامى على غرائزه التي يُشاركه فيها الحيوان إلى يفاع الفضائل، ولا يكون ذلك إلا بمخالفة ما تُمليه عليه غرائزه وأهوائه من غير خطام ولا زمام، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤١) [النازعات: ٤٠ - ٤١]، كما أنّها هي نفسها التي تُؤهّله في المقابل إلى أن يحرّ من كرامته الإنسانيّة إلى مرتبة أدنى من مرتبة البهائم، فيصير عبدا لغرائزه التي تفضله البهائم فيها، وذلك عندما يُقدّم أتباع أهوائه ورغباته على أتباع ما علمه من الحقّ، ولهذا شبّه الله -تعالى وتقدّس- هذه الحالة بحالة الكلب إن رُجر لم ينزجر، وإن تُرك لم يهتد<sup>(2)</sup>، في قوله سبحانه: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ

(1) يُنظر: محمّد قطب، دراسات في النفس الإنسانيّة، ط10، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1414هـ-1993م. (ص: 41-70).

(2) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (171/2).

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، كما شَبَّهَ حالة اليهود الذين تركوا العمل بالتوراة واكتفوا بالتباهي بحفظها ومعرفتها بالحمير التي تُحْمَلُ فوقها الكتب ولا تفقه منها شيئاً<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ [الجمعة: ٥].

### الفرع الثالث: الإنسان خَوْلَ الله له الاتصاف نسبياً ببعض صفاته.

وتلك الصفات الإنسانية التي ترجع إلى جُزئهِ الرُّوحي كالعلم والحلم والعفو والرحمة والعزة، فقد سَمَّى اللهُ عزَّ وجلَّ نفسه عزيزاً عليماً حليماً حفيظاً رؤوفاً رحيماً، وسَمَّى بعض عباده بذلك، كما سَمَّى ملك مصر بالعزيز، وسَمَّى إسحاق -عليه السَّلام- بأنه غلام عليم، وإسماعيل -عليه السَّلام- بأنه غلام حليم، ويوسف -عليه السَّلام- بأنه حفيظ عليم، ومحمَّد -عليه الصلاة والسلام- بالرؤوف الرحيم وهكذا، ولذلك فسَّرَ أبو بكر ابن العربي القوام البالغ الغاية في الحسن المخلوق عليه الإنسان في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، بإمكانية اتصاف الإنسان بهذه الصفات، فقال: «ليس لله تعالى خلق هو أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حياً عالماً، قادراً، مريداً، متكلماً، سميعاً، بصيراً، مدبراً، حكيماً، وهذه صفات الرب»<sup>(2)</sup>.

ولكن معلوم أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، ولذلك فحقيقة اتصاف الله بهذه الصفات على ما يليق بكماله المطلق، واتصاف العبد بها على ما يليق بمخلوقيته لله والافتقار إلى تديره وعنايته -سبحانه وتعالى-<sup>(3)</sup>.

ولذلك كان الاجتهاد في التحلِّي بهذه الصفات، التي هي من جنس صفات الله مرتبة من مراتب إحصاء أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، التي «من أحصاها دخل الجنة»<sup>(4)</sup>، فإنَّ إحصائها يشمل حفظ ألفاظها ثم فهم معانيها ثم دعاء الله بها لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ

(1) يُنظر: المصدر السابق، (281/4).

(2) القاضي محمد أبو بكر بن العربي المالكي، أحكام القرآن، (415/4).

(3) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، (ص: 21-30).

(4) تقدّم تخرجه، (ص: 201).

فَادْعُوهُ بِهَا ﴿ [الأعراف: ١٨٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠] الآية، والدُّعاء على مرتبتين: دُعاء مسألة، كقول: اللهم يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني. ودعاء عِبادة بأن يسلك في أعماله وَفَق ما تقتضيه هذه الأسماء الحُسنى من الصِّفات العُلَى، وهذا أحسن ممَّا يُنسب إلى بعض الفلاسفة: التشبُّه بالإله قدر الطَّاقة، فإنَّه سُبْحانه لا مثيل له ولا سمِّي له ولا كُفُو له، وكذلك هي أحسن من عبارة التخلُّق بأخلاق الله الواردة في الحديث الموضوع: «تخلَّقوا بأخلاق الله»<sup>(1)</sup>، ولذلك لما سُئِلت عائشة -رضي الله عنها- عن خُلُق النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قالت: «كان خلقه القرآن»<sup>(2)</sup>. تأدُّباً وتوقيراً لله -تعالى وتقدُّس-، ومعلوم أنَّ القرآن هو كلام الله، والكلام صفة من صفاته -سبحانه وتعالى-، ولذلك كان الالتزام بالعبارة القرآنيَّة التي هي الدُّعاء أولى من عبارتي التشبُّه والتخلُّق<sup>(3)</sup>.

وهناك بعض الصفات التي لا تصلح إلاَّ لله كالكبرياء والعظمة<sup>(4)</sup>، لما جاء في الحديث القدسي عن الله جلَّ وعلا، أنَّه قال: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحدة منهما، قذفته في النار»<sup>(5)</sup>.

وهذا النِّظام المتكامل للعقيدة الإسلامية في المسائل الإنسانية الوجودية تقي المسلم من منزلتين خطيرين<sup>(6)</sup>:

الأول: منزلق العبثية والعدمية، حيث يشعر من فقد هذه العقيدة، بالتفاهة والضياع لوجوده وربِّما يلوم أبويه على أنَّهما كان سببا في وجوده في هذا العالم، أو ربما يلوم الطبيعة الذي يعتقد أنَّها السَّبب في وجوده في هذه الدُّنيا.

(1) يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيِّئ في الأمة، (346/6).

(2) أخرجه أحمد في "مسنده" (5947/11) برقم: (25240) (مسند عائشة رضي الله عنها). والحديث صحيح. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، برقم: 24602، (149/41)].

(3) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمَّد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زَيْد، ط1، دار عالم الفوائد: مكَّة المكرمة-المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، 1425هـ. (1/289-290).

(4) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، الرد على الشاذلي في حزيه، (ص: 96-97).

(5) تقدَّم تخريجُه، (ص: 297).

(6) يُنظر: محمد إبراهيم الفيومي، الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة-مصر، 1404هـ-1984م. (ص: 72-73).

المنزلق الثاني: منزلق الغرور والكبر استنادا لما توصل إليه الإنسان في الواقع المعاصر من التحكم في العلم التجريبي وتطويره والاستفادة منه، وذلك أنّ كونه مخلوقا من مخلوقات الله الذي كلُّ شيء تحت تصرفه وتديره يقتضي أن يكون عبدا له، لأنّ كل ما به من نعمة وخير فهو من ربّه ومولاه، فهو الذي جعل له السمع والبصر والفؤاد، وهو الذي يُطعمه ويسقيه، وهو الذي سيصير إليه بعد الممات، فهذا يقيه من منزلق الكبر والفخر والسعي وراء الأوهام التي لا حقيقة لها.

وكون أنّ الله جعل خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكرّمه على جميع خلقه، وأسجد له ملائكته، وسخر له جميع ما في السماوات والأرض، وحوّل له الاتّصاف بصفات من جنس صفاته، يحميه من منزلق النظرة السلبية للوجود والشعور بالعبثية والتفاهة والضياع الوجودي، ويُعزز فيه روح العطاء والإنجاز وعمارة الأرض بالعمل الصالح.

وكلا الأمرين مستلزم للآخر، فكونه عبدا لله الذي صفاته كلها جمال وكمال وأفعاله كلها دائرة بين العدل والفضل يقتضي أن وجوده له حكمة وليس عبثيًّا، وكونه مكرّمًا يقتضي مكرّمًا يجب أن يذلّ ويخضع له، لا أن يستكبر ويتعالى.

## الفصل الثاني: الدَّعائم السلوكية والانفعالية والعاطفية في ضوء الكتاب والسنة.

المبحث الأول: الدَّعائم السلوكية في ضوء الكتاب والسنة.

المطلب الأول: دور الدعاء والذكر في الرعاية النفسية.

المطلب الثاني: دور الصلاة والصوم في الرعاية النفسية.

المبحث الثاني: الدَّعائم الانفعالية والعاطفية في ضوء الكتاب والسنة.

المطلب الأول: بين العواطف والانفعالات.

المطلب الثاني: الطرق التي تعامل بها الوحي مع العواطف والمشاعر الوجدانية.

المطلب الثالث: الطرق التي تعامل بها الوحي مع الانفعالات.

### تمهيد:

قد مضى في الفصل السابق بيان دور إعمار الجانب المعرفي وفهم الطبيعة الإنسانية في الصحة النفسية، وفي هذا الفصل سيكون التركيز على شرح الكيفية التي تعمل بها الأسس التي تدعم الصحة النفسية من جهة السلوك في المبحث الأول، وشرح الأخرى التي تدعمها من جهة العاطفة والانفعال في المبحث الثاني.

## المبحث الأول: الدَّعائم السلوكيَّة في ضوء الكتاب والسنة.

السلوك يُعنى به حسب هذا السياق - في مقابل الجوانب المعرفيَّة والإنسانيَّة والانفعاليَّة والعاطفيَّة - ما يقوم به الإنسان من أقوال وأعمال في الظاهر، ومشهور بين أهل العلم تقسيمه إلى عبادات ومعاملات، وإن كان هذان الجانبان متداخلان جدا، حيث إنَّ كثيرا من العبادات التي يتوجَّه به العبد إلى ربِّه مباشرة كالدُّعاء والصَّلَاة والصِّيَام وغيرها مراعى فيه الاجتماع، ومن الأمثلة على ذلك: قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفترون، والأضحى يوم تُضحون**»<sup>(1)</sup>، كما أنَّ المعاملات بين النَّاس قائمة على الإيمان بالله وقصد إرضائه وتطبيق شريعته، وما أكثر النَّصوص التي تُعلِّق الإحسان إلى الآخر وعدم إساءة معاملته على الإيمان بالله، كقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»<sup>(2)</sup>، بل إنَّ التَّعامل مع عباد الله عيادة للمريض وإطعاما للجائع وغيرها من أنواع المعاملة جعلها الله تعالى تعاملا معه، ولذلك قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي**»<sup>(3)</sup>. وقال -عليه الصلاة

(1) أخرجه الترمذي في "جامعه" (74/2) برقم: (697) (أبواب الصوم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في أن الفطر يوم تفترون والأضحى يوم تضحون)؛ وأبو داود في "سننه" (269/2) برقم: (2324) (كتاب الصوم، باب إذا أخطأ القوم الهلال)؛ وابن ماجه في "سننه" (570/2) برقم: (1660) (أبواب الصيام، باب ما جاء في شهري العيد)؛ والدارقطني في "سننه" (114/3) برقم: (2181) (كتاب الصيام). حكم الحديث: قال الترمذي: «حديث حسن غريب». [ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (440/1)].

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (11/8) برقم: (6018) (كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)؛ ومسلم في "صحيحه" (49/1) برقم: (47) (كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان).

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (13/8) برقم: (2569) (كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض).

والسلام-: «إن بكل تسيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ<sup>(1)</sup>»، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرًا<sup>(2)</sup>، وهذه النصوص وغيرها الكثير كلها تدلُّ على أنَّ المعاملات هي عبادات.

وحقيقة العبادة يدور على كمال المحبة وكمال الدل والتعظيم لله عز وجل الذي كملت صفات جماله وجلاله، ولا يكفي النفس مجرد أن تعرف الله دون أن تُحِبَّه وتخضع لامثال أمره واجتناب نهيه<sup>(3)</sup>.

والعبادة تشمل جميع حركات الجوارح الظاهرة من اللسان واليد وغيرها، وكذا حركات القلب من النية والحب والخوف وغيرها، ولذلك عرّفها ابن تيمية بقوله: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين... وأمثال ذلك هي من العبادة لله»<sup>(4)</sup>.

وما من عبادة أو معاملة شرعها لنا الله الحكيم -سبحانه- إلا وفيها من الآثار النفسية الإيجابية ما يظهر لنا بعضه ويخفي علينا بعضه الآخر، وقد وقع الاختيار هنا على أربع عبادات، وهي: الدعاء والذكر والصلاة والصوم، اعتنى فيها الباحث ببيان الأثر النفسي والدور التي تُؤدِّيه في رعاية الصحة النفسية وقاية وعلاجاً وتعزيزاً.

(1) قال النووي: «هو بضم الباء ويطلق على الجماع ويطلق على الفرج نفسه وكلاهما تصح إرادته هنا». [أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (92/7)].

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (158/2) برقم: (720) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى).

(3) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الرد على الشاذلي في حزيبه وما صنّفه في آداب الطريق، (ص: 205).

(4) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط7، المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1426هـ-2005م. (ص: 44).



## المطلب الأول: دور الدُّعاء والذِّكر في الصحة النفسيَّة.

### الفرع الأول: دور الدعاء في الصحة النفسية.

لن أخوض بالتفصيل في أحكام وآداب الدُّعاء أو استقصاء الأدعية من الكتاب والسنة، وإنما الوقوف هنا سيكون على بعض النقاط التي يظهر فيها الدور الذي يُؤدِّيه الدُّعاء في إثراء الحالة النفسيَّة للمسلم.

وعموماً فإنَّ الدُّعاء من أعظم الأسباب التي تحصل بها السَّكينة في نفس المسلم وينزل به اضطرابه وقلقه، ولذلك أمر الله نبيّه -عليه الصلاة والسلام- بالدُّعاء لأهل الصَّدقة، وأخبره أنَّ دُعائه لهم سبب في تنزيل الله السَّكينة على قلوبهم في قوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣] (1). وهذه السَّكينة والاستقرار النفسي الذي يكون بالدُّعاء يظهر من أوجه ثلاثة، هي كالاتي:

**أولاً: الدُّعاء يدفع الاضطراب النفسي قبل وقوعه ويرفعه كليَّة أو يُخفِّف وطأته بعد وقوعه،** وقد روي في ذلك حديث: «الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل» (2). والدُّعاء يقوم على أنَّ الأمور بيد الله عزَّ وجلَّ يُصَرِّفها كيف شاء، وهو سُبْحانه قريب مجيب لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] الآية، وإِنَّمَا تمتنع الإجابة - كما دلَّت على ذلك الأدلَّة من الكتاب والسنة - لأمر كثيرة منها: وجود مانع كأكل

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (454/14)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (23/11). وقد بَوَّب البخاري باباً في صحيحه مستدلاً بالآية الكريمة فقال: «باب صلاة الإمام ودُعائه لصاحب الصَّدقة». [(129/2)]، فعَمَّ هذا الدُّعاء في غير النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا كان حاكماً لأهل الخير من الصَّدقات، وذلك فيه ردُّ على من منع الرِّكاة من المنافقين، وقال إنَّ أخذها خاصٌّ بالنبي -صلى الله عليه وسلم-. [يُنظر: أبو محمد محمود بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان. (94/9)].

(2) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (493/1) برقم: (1821) (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسيح والذِّكر، الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل)؛ والترمذي في "جامعه" (515/5) برقم: (3548) (أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب). وقال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو المكي المكي، وهو ضعيف في الحديث قد تكلم فيه بعض أهل الحديث من قبل حفظه».

ولبس الحرام، أو لأنَّ الدَّاعِي تَعَجَّلَ الاستجابة، أو لأنَّ تلك الدعوة الصَّالِحَة قد دفع الله بها عن العبد ما هو أعظم منها من أمر الدنيا أو أدَّخَرها له يوم القيامة<sup>(1)</sup>.

كما أنَّ الاجتهاد في الالتزام السُّلُوكِي بِآداب الدُّعَاءِ يُهَيِّبُ الحَالَةَ النَّفْسِيَّةَ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الاضطرابات النفسية وتعزيز الصِّحَّةِ النَّفْسِيَّةِ، إذ إنَّ من آداب الدُّعَاءِ الاجتهادَ في حضور القلب وتواضعه مع اللسان، لحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ»<sup>(2)</sup>. وقد «أجمعت الأمم على أن الدعاء اللساني الخالي عن الطلب النفساني قليل العمل عديم الأثر، فدل ذلك على أن اللهم والنفوس آثارا»<sup>(3)</sup>.

وهذا الحضور من الشَّخْص - بين يدي دُعائه - والوعي بحاله وبحاجته التي يطلبها وبمن يدعوه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مناهضٌ للسُّمَّةِ الموجودة في كثير من الاضطرابات النفسية ألا وهي الانفكاك عن الواقع. وكذلك من آداب الدُّعَاءِ التوسل بأسماء الله وصفاته، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآية، وكلُّها صفات جمال وكمال وعظمة، ولا بدَّ أن يُتَخَيَّرَ من معناها ما يُنَاسِبُ المَقَامَ، فلا يُقَالُ مثلاً: يا عزيز أو يا قويُّ اغفر لي، بل يُقَالُ: يا غفور أو يا غافر الذنب أو يا حلیم اغفر لي<sup>(4)</sup>، وذلك يتطلَّب الوعي وإحضار الذهن في هذا التخيُّر، كما يُوجِبُ للعبد عند مُطَالَعَةِ القلب لمعاني هذه الأسماء الحسنى والصفات العلى محبَّة الله وخشيته والثقة به والاعتماد عليه والرضا بقضائه وامتنال أوامره التي كلُّها عدل وحكمة.

**ثانيًا: الدُّعَاءُ يُنَفِّسُ بِهِ الْمُسْلِمَ عَمَّا فِي صَدْرِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَبِيْثَ مَا فِي صَدْرِهِ لِلذِّي خَلَقَهُ وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَجْهْرَهُ وَيَعْلَمُ مَا يُصْلِحُهُ وَمَا يُفْسِدُهُ، وَلَا يَخَافُ مِنْهُ إِذَاعَةَ أَسْرَارِهِ وَلَا تَعْيِيرًا وَلَا شِمَاتَةَ**

(1) يُنظَر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، (ص: 10).

(2) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (493/1) برقم: (1823) (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه)؛ والترمذي في "جامعه" (465/5) برقم: (3479) (أبواب الدعوات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، باب). قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. سمعتُ عَبَّاسًا الْعَنْبَرِيَّ يَقُولُ: اكتبوا عن عبد الله بن معاوية الجُمَحِيِّ؛ فَإِنَّهُ ثَقَّةٌ».

(3) أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (622/3).

(4) يُنظَر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (259/2).

بخلاف المخلوقين، ولذلك لما أصيب يعقوب -عليه السلام- بفقد ولده والذي كان أشبه بيوسف - عليه السلام- كما أنه أخوه لأُمّه وقد كان يتسلى برؤيته عن ألم فقدته ليوسف، لما أصيب بذلك هيّجت هذه المصيبة الجديدة (فقد ولده بنيامين) وقدحت ما كان كامناً في قلبه من الحزن القديم (فقد يوسف -عليه السلام-)، وظهرت عليه آثاره حيث عميت عيناه بسبب هذا الحزن، وهزل جسمه وضعف، حتى خشى عليه أولاده الهلاك والموت، حتى نهُوه عن ذكر أسفه على نفسه، لما سمعوه عنه من شكواه لخالقه يضرع إليه ويصف له الحال، متفجعاً ومتوجّعاً من هذا المصاب ومتأسفاً على هذا الفقد أدبا مع الله وحياء منه وعلماً بأنّ البلاء منه لعباده نعمة يُطهّر بها عباده ويرفع بها درجاتهم ويمتحن بها صبرهم وشكرهم له، فأعلمهم يعقوب -عليه السلام- أنه لا يشكو إليهم ولا يُريد بذكره لأسفه على يوسف تهييج أحزانه، وإنما يبتّ ما في قلبه ويشكو إلى الله وحده، قال تعالى:

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يوسف: ٨٤-٨٦]. وذلك أن في قلبه من حُسن الظنّ بالله والأمل فيه رغم طول الفقد وتوالي البلايا ما قوي على أن ينصح به أولاده ويفتح لهم باب أمل في أن يجدوا يوسف -عليه السلام- وأخيه ﴿ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧] <sup>(1)</sup>.

وهذا التنفيس للهموم بالمناجاة لله وبثّ الشكوى إليه إذا فقهها المسلم، هي أعظم وأقوى أثرا من أسلوب التّداعي الحُرّ، الذي يُستعمل في عيادات المحلّلين النَّفسانيّين لغرض إخراج المكبوتات في اللاشعور التي تُكدر على المريض حالته النَّفسية، ويكفي في ذلك أنّ المشكو إليه هنا هو الله ربّ العالمين، وما دام أنّ هذه الشكوى إلى الله هي دعاء ومناجاة لله فإنّ أثرها الإيجابي يتوقّف على التحقّق بموجبات الإجابة التي منها اليقين بالله وحسن الظنّ به والعزم عند السّؤال، وكذا الابتعاد عن الموانع التي تحول دون الإجابة من أكل ولبس الحرام أو تعجّل الإجابة.

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (226/16)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (2/464)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (18/496)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (13/43-44).

وكون بثّ الأحزان وإخراجها سببا في ذهاب الحُزن وانجلاء الهمِّ معروف عند العرب منذ القديم، ولذلك جاء في المثل: «لا بُدَّ للمصدر أن ينفث»<sup>(1)</sup>. حيث «شُبَّه المهوم الذي قد حُرِّج بما كتبه وضاق ذرعاً بما طواه بمن أصاب صدره ما أنفته، يقال: نفث ينفث إذا ألقى ما اجتمع في صدره، فكأن المهوم يطلب الراحة بإذاعة ما بُجُّه -أي تُخفيه- أضالعه، كما يجد المصدر الراحة بإلقاء ما قد اكْتَثَرَ في صدره»<sup>(2)</sup>. ولكن شتَّان بين التَّنْفيس ببثّ الأحزان إلى المخلوقين وبثّها إلى الخالق -سُبْحانه-.

**ثالثا: في نصوص الكتاب والسنة أدعية تُقال عند بعض الاضطرابات النفسية خصوصا،** فعند الكرب والحُزن سواء كان شديدا (اضطراب الكآبة الكُبرى، وهو أخطر الاضطرابات على الإطلاق) أو كان أخفَّ من ذلك (الاكتئاب العُصابي)، قوله -عليه الصلاة والسلام-: «ما قال عبد قط، إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي. إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحا، قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟ قال: أجل، ينبغي لمن سمعهنَّ أن يتعلمهن»<sup>(3)</sup>.

(1) أبو الفضل أحمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة: بيروت-لبنان، 1374هـ-1955م. برقم: 3666، (241/2).

(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، ط1، دار صادر: بيروت-لبنان، 1408هـ-1988م. (115/2).

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (253/3) برقم: (972) (كتاب الرقائق، ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحا)؛ والحاكم في "مستدرکه" (509/1) برقم: (1883) (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، دعاء يذهب الهم والحزن)؛ وأحمد في "مسنده" (864/2) برقم: (3788) (مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه). ذكر الأرثووط أنَّ إسناده هذا الحديث ضعيف لجهالة أبي سلمة الجهني، وهو غير أبي عبد الله موسى الجهني الثَّقَّة كما فرَّق بينهما الأئمة كالدارقطني والمنذري وابن حجر وغيرهم، وذهب الألباني إلى تصحيح الحديث بناء على أنَّ أبا سلمة الجهني هو نفسه موسى الجهني، والذي يظهر أنَّ ما ذهب إليه الأرثووط أقرب إلى الصَّواب لموافقته للأئمة والله أعلم. [أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرثووط، (247/6-250)؛ محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (383/1-384)].

وقد أطلق النبي -عليه الصلاة والسلام- الهمَّ والحُزن الذي يُقال عنده هذا الدُّعاء فيشمل الحُزن على اختلاف مراتبه وتنوع درجاته سواء كان خفيفاً أو شديداً، وسواء تعدَّى ضرره إلى البدن كما حصل ليعقوب -عليه السَّلام- أم كان نفسياً محضاً.

وقد احتوى هذا الدُّعاء أوَّلاً: على إظهار الفقر إلى الله والعبودية له، وأنَّ العبد مريبوب لله في جميع أحواله، وثانياً: التوسُّل إليه بجميع أسمائه الحسنى التي أعلمنا إيَّها والتي غاب عنَّا علمها، وثالثاً: سؤاله أن يجعل القرآن ربيعاً لقلبه ونوراً لبصره وإذهاباً لحُزنه وهمِّه، شبَّه القرآن بالربيع لأنَّ ما في الربيع من الحُضرة وخروج الأزهار تُسرُّ بها النَّفس، أو أنَّ الربيع هو سبب لإنبات الأرض وخروج خيراتها<sup>(1)</sup>، وهذا الثاني له وجه ذلك لأنَّ العرب تُسمِّي الشتاء ربيعاً وفيه نزول الغيث<sup>(2)</sup>، ولأنَّه ورد تشبيه الوحي بالغيث في كثير من النُّصوص كما مرَّ في حديث: «إنَّ مثل ما بعثني الله به عزَّ وجلَّ من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً» الحديث<sup>(3)</sup>.

وقد حكى الله تعالى عن غير واحد من أنبيائه أنَّه أصابه الكرب ففرَّج الله عنه كربهُ بدُعائه وندائه ربَّه سبحانه، قال تعالى عن نوح -عليه السَّلام-: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَئَيْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنْ مَرْكَبٍ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقال سبحانه عن موسى وهارون -عليهما السَّلام-: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنْ الْقَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ [الصفوات: ١١٤-١١٥]، وقال تعالى عن يونس -عليه السَّلام- بعد أن خرج مغتاضاً من تكذيب قومه له: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨]، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب، أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه؟ فقيل له: بلى، فقال:

(1) يُنظر: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح مشكاة المصابيح، (6/1910)؛ علي بن محمد الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (4/1701).

(2) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفائها ويليها التُّحفة العراقيَّة في الأعمال القلبية، (ص: 5).

(3) تقدَّم تخرجه، (ص: 352).

دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»<sup>(1)</sup>. وهذا الدُّعاء فيه التوسُّل بتوحيد الله وتفردَه بالإلهيَّة، وتنزيهه عن جميع النَّقائص وذلك مستلزم لكمالِه، وفيه الاعتراف بالوقوع في الظُّلم<sup>(2)</sup>. والاعتراف عموماً مهمٌّ في العلاج النَّفسي فغالبا ما يصعب على المضطرب نفسياً أن يعترف باضطرابه، وذلك أوَّل العلاج وقاعدته كما هو معروف في الطبِّ والإرشاد النَّفسي.

### الفرع الثاني: دور الذِّكْر في الصحة النفسية.

والذِّكْر دُعاء من جهة أنَّ الذَّاكِر لله تعالى يطلب بذكر الله الأجرَ والتوفيق منه - سبحانه-، وهو على مرتبتين: ذكر اللِّسان، وذكر القلب. وأفضل الذِّكْر ما اجتمع فيه وتواطأ عليه القلب واللسان، والذِّكْر حقيقة محلُّه القلب ولكن لا يكفي وحده، ولذلك كان الدُّخول في الإسلام بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله وعقد القلب على ذلك، إذ إنَّ قول اللِّسان دون إيمان القلب نفاق، ولو آمن القلب لنطق اللِّسان إن كانت فيه قُوَّة على النُّطق<sup>(3)</sup>.

وأعظم الذِّكْر هو القرآن، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، وسمَّاه الله ذكراً من جهة أنَّه يحصل به التذكُّر، قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق: ٤٥] وهو دواء يُستشفى به من الأمراض النَّفسيَّة أو الجسيميَّة أو المركَّبة منهما، للمؤمن به ولغير المؤمن، كما في قصة رقية أبي سعيد الخُدري -رضي الله عنه- لسيِّد الحي الذي لدغته عقرب بفاتحة الكتاب فأقرَّه

(1) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (233/3) برقم: (1040) (مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، محمد بن سعد عن أبيه رضي الله عنه)؛ والحاكم في "مستدرکه" (505/1) برقم: (1870) (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذِّكْر، من دعا بدعوة ذي النون استجاب الله له)؛ والنسائي في "الكبرى" (243/9) برقم: (10416) (كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر دعوة ذي النون)؛ والترمذي في "جامعه" (484/5) برقم: (3505) (أبواب الدعوات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب)؛ وأحمد في "مسنده" (366/1) برقم: (1480) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه). والحديث: إسناده حسن. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (66/3)].

(2) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (132/17).

(3) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، (ص: 88-89)؛ بدائع الفوائد، (19/1).

النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال: «وما يُدريك أنَّها رقية»<sup>(1)</sup>، ولكنَّ الانتفاع به من جهة الاهتمام به -في تمييز الحقِّ من الباطل علماً ومعرفة، واتباعِ الحقِّ وتركِ الباطل عملاً وسلوكاً- مشروطٌ بخُلُو القلب من الكِبَر لأنَّ ذلك موجبٌ للجدالِ بالباطل، وذلك مانعٌ من الانتفاع بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَلِيغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ [غافر: ٥٦].

ولذلك نجد النصوص من الوحي الكريم تصرِّحُ أنَّ القرآن شفاءٌ للناس، ولكنه شفاءٌ وهدى ورحمةٌ للذين آمنوا، وأمَّا الكُفَّار أهلُ العناد الذين طبع على قلوبهم فلم ينتفعوا بأسماعهم فلا يهديهم بل يزدادون حيرةً وضلالاً عند سماعه، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]، والعمى ضدُّ البصر، ويلزم من البصر الاهتمام ومن العمى الضلال، فكأنَّ في الآية احتباكاً والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]<sup>(2)</sup>.

وذكر الله بتلاوة القرآن إنَّما يكون نافعا للصحة النفسية وقايةً وعلاجاً وتعزيزاً إذا تمَّت قراءته على الوجه الصحيح، وذلك بأن يتأمَّل قارئه ما تضمَّنه من المعاني ويعمل بما دلَّ عليه من العبادات

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (92/3) برقم: (2276) (كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفتحة الكتاب)؛ ومسلم في "صحيحه" (19/7) برقم: (2201) (كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار).

ويُستدلُّ كذلك لجواز رقية المسلم للكافر بالقرآن بالآيات التي عمَّت كون القرآن شفاءً للناس جميعاً، وقد استدللَّ بقصة لذيغ الحيِّ جماعة من الفقهاء على جواز رقية المسلم للكافر. [يُنظر: مجموعة من الباحثين، الموسوعة الفقهية الكويتية، 2، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية: الكويت، 1427هـ. (34/13)]. وفي ذلك نظر إذ القول بأنَّ أهل الحيِّ الذي دخلوه كانوا كُفَّاراً يحتاج إلى دليل، ومن باب أولى افتقار القول بأنَّ هذا الرَّجُل الذي رقه مُشركٌ إلى الدليل، وقد أشار إلى هذا ابن القيم في سياق كلامه على تأثير القرآن حتَّى مع عدم قبول المحلِّ الذي يُرقى قائلاً: «...إما لكون هؤلاء الحيِّ غير مسلمين، أو أهل بخل ولؤم...». [مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (79/1)].

(2) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (79/1)؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (595/4)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (203/11).

والأخلاق التي لا صلاح للنفس إلا بها، وذلك ما قرره جمهور السلف في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] الآية، قال ابن عباس: «يتبعونه حقَّ اتِّباعه». وقال: «يُجْلُونَ حلاله ويُجرِّمون حرامه، ولا يُحرِّفونه»، وكذا روي ذلك عن ابن مسعود. وعن مجاهد قال: «يعملون به حقَّ عمله». وعن عكرمة قال: «يتبعونه حق اتِّباعه، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ [الشمس: ٢]، قال: إذا تبعها»<sup>(1)</sup>.

وذكر الله به يحصل اطمئنان القلب وسكون النفس وزوال اضطراباتها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، والقلب إنما سُمِّي قلباً لكثرة تقلبه كما مرَّ، فاطمئنانه بالذكر هو ثباته وسكونه بعد اضطرابه أو عند حصول ما يُوجب اضطرابه<sup>(2)</sup>، والطمأنينة أعمُّ من السكينة، فالطمأنينة تكون مع وجود موجب الخوف والقلق والاضطراب من الأحداث الخارجية، وتكون كذلك مع انعدام موجب الخوف، والطمأنينة بالقرآن الكريم تكون بتصديق أخباره واليقين به وتقديمه على الآراء والأهواء، وأمَّا السكينة فتطلق في حالة وجود موجب الخوف لا حالة غيابه<sup>(3)</sup>. ولذلك جاء وصف الصدق بالطمأنينة في قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»<sup>(4)</sup>، فعلم من هذا التقابل أنَّ اليقين اطمئنان والرَّيب والشكُّ اضطراب، وذلك من جهة ما يحصل للمُخبر من اليقين بخبر الصادق وعدم الاضطراب بخلاف سماع خبر الكاذب فلا بُدَّ عنده من حصول الاضطراب والشكُّ<sup>(5)</sup>.

(1) كلُّ هذه الآثار أخرجها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (566/2-569).

(2) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (441/3)؛ الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 524).

(3) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (482/2).

(4) أخرج الحاكم في "مستدرکه" (99/4) برقم: (7138) (كتاب الأحكام، الصدق طمأنينة والكذب ريبة)؛ والترمذي في "جامعه" (286/4) برقم: (2518) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (335/5) برقم: (10928) (كتاب البيوع، باب كراهية مبايعة من أكثر ماله من الربا أو ثمن المحرم)؛ وأحمد في "مسنده" (434/1) برقم: (1745) (مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما). قال الترمذي: «حديث صحيح».

(5) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، شرح حديث النزول، ط5، المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1397هـ-1977م. (ص: 182-183)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (137/13).



وذكر الله في الآية، يحتمل ثلاثة معان: أولاً: يجوز أن يراد به القرآن، وهو الأقرب إلى السياق، لأنَّ قبله ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد: ٢٧] الآية، وثانياً: ويجوز أن يراد به عموم ذكر الله باللسان فإن إجراءه على اللسان ينبه القلوب إلى مراقبة الله. ثالثاً: ويجوز أن يراد به تقوى الله بالوقوف عند أمره ونهيه عند تذكُّر اطلاعه على العبد<sup>(1)</sup>.

وواضح من الآية أنَّ المراد بالقلوب التي يحصل لها اطمئنان إنما هي قلوب أهل الإيمان، وأنَّ القلوب قلوب المؤمنين -فتكون الألف واللام للعهد الذكري- لا تطمئنُّ إلا بذكر الله، لأنَّ في الآية تقدم ما حُفَّه التَّأخِير، وهو الجار والمجرور (بذكر الله) على متعلِّقه (تطمئنُّ)<sup>(2)</sup>.

وقد يحصل للكافر أو الفاجر اطمئنان بالملذَّات الحسيَّة، كما يشهد به الواقع وكما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ [يونس: ٧]، ولكنَّه اطمئنان زائف، لأنَّه ركون إلى حياة متقلِّبة أحوالها متيقِّن زوالها<sup>(3)</sup>.

وأما الاطمئنان الذي يحصل لأهل الإيمان خاصَّة بذكر الله هو الاطمئنان الحقيقي لأنَّه راجع إلى الفطرة التي تكمن في قلب كل إنسان، والقلب إنما يسكن حقيقة إلى ما يناسبه وينفر عمَّا يعاكسه، ولا يقف عند ابتغاء المناسبة إلى غاية، فإنَّه مهما وصل إلى شيء يطلب الانتقال منه إلى حالة أخرى أشرف منها، وكلِّما بلغ إلى غاية يسكن إليها لم يمكث على ذلك طويلاً حتَّى يطلب غاية أبعد، إلى أن ينتهي إلى من عنده المنتهى -سبحانه وتعالى-<sup>(4)</sup>.

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (137/13-138).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (432/16-433)؛ أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (494/2).

(3) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (318/2).

(4) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفاؤها ويليها التَّحفة العراقيَّة في الأعمال القلبية، (ص: 71)؛ محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (438/3)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (40/19)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (141/27).

وللمحافظة على هذا الاطمئنان فقد سنَّ لنا النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- أذكاراً على مدار اليوم والليل في المطعم والمشرب والملبس وعند النَّوم والقيام منه وعند الدخول إلى البيت والخلاء والخروج منهما وهكذا، وكتب السُّنة عموماً والأذكار خصوصاً حافلة بذلك.

ولما كان هذا الاطمئنان ناشئاً عن تناسب ذكر الله للفترة الإنسانية المتضمنة لتوحيد الله وتعظيمه، كان أعظم ما يُداوى به الكرب هو الذِّكر الذي فيه تعظيم الله وتوحيده، ولذلك ثبت عن ابن عباس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: دور الصلاة والصوم في الصحة النفسية.

وإن كانت جميع شرائع الإسلام عبادات، فإنِّي سأكتفي بالكلام على نوعين من العبادات، وهما: الصلاة والصوم، ووقع الاختيار عليهما لإتقانهما من أركان الإسلام، وهما أكثر العبادات ثبوتاً من غيرهما، فالحج يجب على المسلم مرة واحدة في العمر إذا توفَّر على الاستطاعة، كما أنَّ كثيراً من الناس -لا سيما في الزمن المعاصر- لا يقدر على تكاليف الحج، والزَّكاة حقٌّ متعلِّقٌ بالمال بشروطها وضوابطها الشرعية، وقد لا يملك من أصناف الأموال التي يجب عليه فيها الزكاة، ولكن كل مسلم بالغ صحيح الجسم والعقل، يقتدر على الصلاة والصوم، والصَّلَاة أكثر ثباتاً لأنها لا تسقط عن المكلف بحال، وأمَّا الصَّوم، فإنَّه في حالة وجود المانع أو العذر الذي يُشعر معه الفطر، إن كان ذلك العذر الشرعي دائماً فإنَّه يجب بدله الإطعام عن كل يوم مسكيناً، أو طارئاً فإنَّه يُقضى حالة زوال ذلك العذر أو المانع. وليس المقصود في هذا المقام التفصيل في أحكام الصلاة والصوم، فقد قامت بذلك كتب الفقه أحسن قيام، ولكن المقصود بيان دور هاتين العبادتين العظيمتين المتكررتين في استقرار النَّفس الإنسانية، وتركيتها.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (75/8) برقم: (6345) (كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب)؛ ومسلم في "صحيحه" (85/8) برقم: (2730) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب).

## الفرع الأول: دور الصلاة في تحقيق الصحة النفسية.

الصلاة هي عمود الإسلام وأعظم العبادات، وهي مجموعة من الأقوال المتمثلة في قراءة القرآن والأذكار والدعاء، ومجموعة من الأفعال المتمثلة في القيام والركوع والسجود والجلوس، تُفتتح بالتكبير وتُختتم بالتسليم بنية التعبد لله تعالى بشرائط مخصوصة<sup>(1)</sup>.

وقد جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تُبين أثرها في تحقيق الطمأنينة والراحة النفسية، وإن شهد كثير من الأطباء الغربيين بذلك، فإن المعنى بالصلاة عندهم هو حالة الاسترخاء والتأمل الذي يدخل فيها المصلي بغض النظر عن هيئتها الظاهرة وعن الخلفية العقدية التي قامت عليها، وثنية كانت أو إحادية لا دينية، والمقصود هنا هو الكلام عن أثر الصلاة الإسلامية في تحقيق الصحة النفسية دون ما سواها، ذلك أن صلاة المسلمين تفضل على صلاة غيرهم سلوكياً بجميع شروطها وأوقاتها وهيئاتها، وكذلك من جهة الجانب العقدي الذي تقوم عليه، بتنزيه الله عز وجل وتعظيمه ومناجاته والتدلل له، مع ما يترافق مع ذلك من الشعور الإيجابي الناتج عن يقين العبد بسماع الله تعالى وبصره وعلمه بمناجاة العبد وإجابته له، لما ثبت عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل. فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾، قال: مجدي عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾، قال: هذا لعبي ولعبي ما سأل»<sup>(2)</sup>، وما تشتمل عليه الصلاة من هذا التعظيم لله والتمجيد ووصفه بصفات الحمد والتنزيه له هو ما يتوافق مع الفطرة ومع ما بُعث به جميع رسل الله، ولذلك نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون، وسلّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص، ثم حمد نفسه بأنه رب العالمين في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢]، على عكس

(1) يُنظر: محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (2/377).

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (9/2) برقم: (395) (كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة).

الصلاة في المذاهب الوثنية التي فيها إثبات الشركاء والوسطاء لله - تعالى وتقدس - وعدم تنزيهه عن النقائق وعدم تعظيمه - سبحانه - حقَّ التعظيم<sup>(1)</sup>.

فالصلاة إذن ليست مجرد مجموعة من الأقوال والأعمال السلوكية الظاهرة التي تُفعل بلا وعي، بل هي عبادة تجمع نية القلب واعتقاده وعمل الجوارح وقول اللسان، وبالخشوع فيها<sup>(2)</sup> تتكامل الجوانب المعرفية والشعورية والسلوكية معاً، والخشوع يتضمّن معنيين: الأول: التواضع والذل. والثاني: السكون والطمأنينة وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة؛ فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته<sup>(3)</sup>.

وعموماً فالصلاة راحة للنفس كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - -: «يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها»<sup>(4)</sup>. إذ إنّها صلة بين المخلوق وخالقه، وهي جامعة للدعامتين السابقتين الذكر والدعاء وزيادة، كما تحتوي على الخشوع الذي يُعين على الانشغال عن جميع المهموم التي لا يخلو منها إنسان، وهي تجمع بين سكون الجوارح واسترخاء البدن واطمئنان القلب من جهة، والتركيز العالي والتأمل العميق من جهة أخرى، ومناجاة الله فيها يتمُّ التعبير عمّا في ضمير الإنسان وهو أقرب ما يكون من ربه ساجدا متضرعاً، كما أنّ فيها كسراً للملل وتفريغاً من مشاغل الدنيا، وصلاة الجماعة منها تحتوي على فوائد عظيمة، تدور على الالتحام الاجتماعي ونحو أوامر المحبة والأخوة بين المصلين ما يحمل بعضهم على تفقد أحوال بعض ونصحه إن كان محتاجاً للنصيحة، وإعانتته بقدر الاستطاعة إن أصابته فاقة<sup>(5)</sup>.

ويظهر أنّ دور الصلاة في رعاية الصحة النفسية تفصيلاً يتمثّل في نقاط:

(1) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، ط2، دار العاصمة: السعودية، 1419هـ - 1999م. (406/4) (44/6)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (200/23).

(2) أجمع العلماء على مشروعية الخشوع في الصلاة وأهميته، واختلفوا بعد ذلك هل هو واجب أو مستحب أو شرط صحة لا تصح الصلاة إلا به. [يُنظر: مجموعة من الباحثين، الموسوعة الفقهية الكويتية، (117/19)].

(3) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (31-28/7).

(4) تقدّم تخرجه، (ص: 79).

(5) يُنظر: محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، (ص: 285-293)؛ الحديث النبوي وعلم النفس، (ص: 315-320).

**أولاً: الصلاة تقوّم سلوك المسلم وتُهدّبه،** حيث إنّها تقيه من الفحشاء والمنكر، وتُعلّمه السكينة وتُذهب قسوة قلبه، وهذا الأثر يشمل سلوك المسلم في مختلف نشاطات حياته، ولا يقتصر على الصلاة فقط.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] الآية، والآية فيها أنّ الصلاة تقي المسلم من الوقوع في المعاصي والسلوكات غير السوية. وهذا الأثر مخصوص بما إذا أقامها كما أمر الله، وأهمُّ شيء فيها يجعلها عاصمة للعبد وافية له من الانحراف السلوكي هو الخشوع.

وقد عاتب الله تعالى المؤمنين بتركهم للخشوع عند الذكر في الصلاة وغيرها، وحذّره من مصير ذلك وهو الفسق المتمثّل في مختلف السلوكيات المنحرفة، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنسَوْنَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]، قال ابن مسعود: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: -فذكرها- إلا أربع سنين»<sup>(1)</sup>، وهذا يدلُّ على أنّ المراد بوصف الإيمان في الآية: المؤمنون حقاً لا من يظهرون الإيمان من المنافقين، وما روي عن ابن عباس في أنّ المخاطبين هنا هم المنافقين<sup>(2)</sup> فبعيد، إذ لم يكن في المسلمين بمكة منافقون ولا كان وقتها داع إلى النفاق<sup>(3)</sup>.

والوصول إلى الخشوع يكون باستشعار عظمة الله تعالى ومناجاته وصرف الهمّ إلى الدار الآخرة<sup>(4)</sup>، ولذلك وُصف الخاشعون بأنهم يُوقنون بملاقاة الله وبرجوعهم إليه بعد الممات للوقوف بين يديه للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (243/8) برقم: (3027) (كتاب التفسير، باب في قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله).

(2) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (235/4).

(3) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (460/29)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (390/27).

(4) يُنظر: أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، (159/1).

يُظَنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦]، والظنُّ في الآية يُراد به الاعتقاد الجازم لا مجرد الإدراك الرَّاجح<sup>(1)</sup>.

وكذلك يكون بتدبُّر القرآن حال الصلاة وتفهُم معانيه، والعناية بإقامة أركانها وشعائرها الظاهرة والتخشُّع، لأنَّ خشوع الظاهر سبب لخشوع الباطن، ويشهد لذلك ما روي عنه -صلى الله عليه وسلم-: «ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»<sup>(2)</sup>.

وسبب غياب الخشوع هو: «تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبية القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يُلهي عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر... وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا؛ أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الإبصار سببا للافتكار. وأما الأسباب الباطنة فهي أشد فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد... فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يحدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهو المطلع، ويُفرِّغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهّمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره»<sup>(3)</sup>. ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام-: «لا صلاة بحضرة طعام، ولا هو يُدافعه الأخبثان»<sup>(4)</sup><sup>(5)</sup>.

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (17/1-18)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (491/3)، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (480/1).

(2) أخرجه ابن ماجه مرفوعا في "سننه" (287/5) برقم: (4196) (أبواب الزهد، باب الحزن والبكاء)، وأخرجه الحاكم موقوفا على عبد الله ابن عمرو في "مستدرکه" (578/4) برقم: (8821) (كتاب الأهوال، ذكر عرض الأنبياء بأتباعهم على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم)؛ وكذا ابن أبي شيبة في "مصنفه" (455/19) برقم: (36683) (كتاب الزهد، ما قالوا في البكاء من خشية الله). حكم الحديث: ضعيف. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (28/14)].

(3) يُنظر: أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، (163/1-164).

(4) قال ابن الأثير: الغائط والبؤل. [المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (5/2)].

(5) أخرجه مسلم في "صحيحه" (78/2) برقم: (560) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] الآية، بمعنى ثقيلة شديدة على غير الخاشعين، وذلك يدل على أن هذا الخشوع يُجَبِّبُ الصَّلَاةَ إلى المؤمن ويُسهِّلها عليه، وهذه ثمرة أخرى يجنيها المؤمن بالإضافة إلى ثمرتي الثَّوَابِ الأخرى الآجل والرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ العاجلة التي يجدها في الصلاة.

ثانياً: الصلاة ملجأ يعود إليه المؤمن في كل ما يعترضه من مشاكل الحياة اليومية وأزماتها، فعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمر صَلَّى»<sup>(1)</sup>، ومما ثبت من أفراد ذلك صلاة الاستخارة وصلاة الخوف والاستسقاء وغيرها<sup>(2)</sup>. وروى الشوكاني في تفسيره عن عبد الله بن سلام أنه قال: «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة، وقرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] الآية»<sup>(3)</sup>.

واللجوء إلى الصلاة المشتملة على السكينة وبث الشكوى إلى السميع القريب المحيِّب الذي بيده تدبير الأمور كلها حال الأزمات بمختلف أنواعها من أعظم الأمور التي تقي العبد من التأثير النفسي السلبي بها، والتي تُهيئُه إلى التعامل الواعي الواقعي معها.

كما أنّها مُذهبة لضيق الصدر الناتج عن أذى الغير، والإنسان ما دام أنّه كائن اجتماعي بطبعه لا بُدَّ أن يتعرَّض للأذى ولو من أقرب الناس إليه، والصلاة علاج لكل ذلك، وفيها شغل للمسلم بالأمور المهمة العظيمة من تسبيح الله والسُّجود له وعبادته وبذلك ينصرف عن كلام الناس وسفههم واستهزائهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾<sup>(٤٧)</sup> فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ<sup>(٤٨)</sup> وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ<sup>(٤٩)</sup> [الحجر: ٩٧-٩٩]<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه أبو داود في "سننه" (507/1) برقم: (1319) (كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي -صلى الله عليه وسلم- من الليل)؛ وأحمد في "مسنده" (5536/10) برقم: (23773) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي -صلى الله عليه وسلم-). قال ابن حجر: «إسناد حسن». [فتح الباري شرح صحيح البخاري، (172/3)].

(2) يُنظر: محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (384-377/2).

(3) يُنظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (467/3).

(4) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (159/17)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (166/19)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (91/14).

ثالثاً: الصلاة تقي العبد من طبيعة الهلع في الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٣].

والمراد بالإنسان في الآية: جنس الإنسان لا فرد أو نوع معيّن، ولذلك كما يظهر هذا الهلع في أهل الكفر يظهر في كثير من المسلمين<sup>(١)</sup>. وما ذكره الطبري - عن ابن عباس حيث قال: «الهلوع: هو الجزوع الحريص، وهذا في أهل الشرك». وعن الضحّاك قال: «يعني الكافر»<sup>(٢)</sup> - محمول على أنّ هذه السّمات المذكورة في الآية من الهلع والجزع الشديد عند البأساء والمنع للنّعمة عن غيره هي خصال مذمومة من خصال أهل الكفر، ولا يعني أنّها تُوجب الكفر، كما أنّه ليس مُجرّد الاتصاف بصفة من صفات النفاق يُوجب النفاق لحديث: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتّى يدعها... الحديث»<sup>(٣)</sup>.

وخصلة الهلع فسّرها الطبريُّ بأنّها: «شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر»<sup>(٤)</sup>. وقد ذكر ابن الجوزي في الهلوع أقوالاً: الأوّل: أنه الموصوف بالآية التي بعدها (إذا مسّه الشرّ جزوعاً)، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة، والزجاج، ومنه قول ابن قتيبة: الشديد الجزع. والثاني: أنه الحريص على ما لا يجلُّ له، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: البخيل، قاله الحسن، والضحّاك، ومثله ما قال ابن جبیر: الشحيح. والرّابع: الشّره، أي غير القنوع قاله مجاهد. والخامس: الضّجور، أي الكثير الضّجر والملل قاله عكرمه، وقتادة، ومقاتل، والفراء<sup>(٥)</sup>.

وقد حقّق ابن عاشور في تعريف الهلع حسب ما تتبّعه من كلام أهل اللّغة والتّفسير بأنّه: «قلّة إمساك النفس عند اعتراء ما يُجزئها أو ما يسرّها أو عند توقّع ذلك والإشفاق منه». ثمّ وصف ما

(١) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (166/29).

(٢) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (611/23).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (16/1) برقم: (34) (كتاب الإيمان، باب علامة المنافق)؛ ومسلم في "صحيحه" (56/1) برقم: (58) (كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق).

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (610/23).

(٥) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (338/4).



ذكره المفسرون في بيان معنى الهلع من الشره، والضجر، والشح، والجن عند اللقاء، وغيرها، أمَّا آثار ومؤثرات على الهلع<sup>(1)</sup>.

إلا أنَّ الرَّازي تنبَّه إلى أنَّ الهلع انفعال له أساس نفسي وأعراض سلوكية، فقال: «الهلع لفظ واقع على أمرين: أحدهما: الحالة النفسانية التي لأجلها يُقدَّم الإنسان على إظهار الجزع والتضرع، والثاني: تلك الأفعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية»<sup>(2)</sup>.

فالهلع طبيعة كامنة في الإنسان خلقها الله فيه وآلية نفسية تظهر عند شعوره بالنافع والضار، وتعمل على دفعه نحو النافع وإبعاده عن الضار بدءاً بإدراكه للضار والنافع ثمَّ حدوث تغييرات شعورية وجدائية ثمَّ حدوث تغييرات جسمية حيوية (بيولوجية وكيميائية) انتهاء بظهور السلوك.

وهذه الطبيعة البشرية من الهلع التي يجتلب بها المنافع ويستدفع بها المضار، إذا لم تُضبط أصبحت مُضرةً بالإنسان، ولا يُمكن أن ينتفع بها إلاَّ المصلون، لأنَّ الصلاة سكونية وطمأنينة تعمل على تسكين الهلع وضبطه وتوجيهه الوجهة النافعة، وبذلك ينتفع الإنسان من آلية الهلع ويكتسب توازناً في الانفعالات<sup>(3)</sup>.

وقد قيَّد وصف المصلين بقيد الدبومة على الصلاة، وهي تحتمل ثلاثة معانٍ: أوَّلها: المحافظة على الصلوات المفروضة في أوقاتها، وثانيها: السكون والخشوع المنافي للحركة كما وُصف الماء الساكن الذي لا يجري بالدائم في الحديث المشهور<sup>(4)</sup>، وثالثها: الحرص على صلاة التطوع لا سيما الرواتب منها<sup>(5)</sup>.

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (167/29).

(2) أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (644/30).

(3) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (169-168/29).

(4) قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه». [أخرجه البخاري في "صحيحه" (57/1) برقم: (239) (كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم)؛ ومسلم في "صحيحه" (162/1) برقم: (282) (كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد)].

(5) أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (339-338/4).

رابعاً: الصلاة مُطَهَّرَةٌ للعبد من الذنوب التي من آثارها الغمُّ والحُزن، لقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤] الآية، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرّات، هل يبقى من درنه شيء. قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهنّ الخطايا»<sup>(1)</sup>، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد ثبت أنّ الذنوب تُثقل نفس المرء وتبعث في نفسه الهمَّ والحُزن، ولذلك امتنَّ الله تعالى على نبيّه - عليه الصلاة والسلام - بعدما شرح له صدره بأن حطَّ عنه وغفر له ذنبه، ووصف الذنب بأنّه أثقل ظهره: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشرح: ٢-٣]<sup>(2)</sup>.

وقد مرَّ سؤال أبي بكر - رضي الله عنه - للنبيّ - عليه السّلام -: «كيف الصّلاح بعد هذه الآية: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِءِ ﴾ [النساء: ١٢٣]، وكلُّ شيء عملنا جُزينا به؟ فقال: غفر الله لك يا أبا بكر، أأنت تمرض؟ أأنت تحزن؟ أأنت تصيبك الأواء؟ قال: قلت: بلى، قال: هو ما تجزون به»<sup>(3)</sup>. وهذا الحديث صريح في أنّ المرض عموماً والنفسي منه خصوصاً والذي منه الحُزن، أثر ناتج عن عمل السيئات، فمحو الصلاة لهذه السيئات هو علاج للأصل الذي تنتج عنه هذه الأمراض نفسيّة وبدنيّة.

خامساً: الصلاة مع مقدماتها ولواحقها من الطهارة والسعي إلى المسجد وما تشتمل عليه من الأذكار تزيل ما في النفس من الكسل والتواني، وتبعث في النفس النشاط والطيب، لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة،

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (112/1) برقم: (528) (كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة)؛ ومسلم في "صحيحه" (131/2) برقم: (667) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (493/24) أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (207/32).

(3) تقدّم تخرجه، (ص: 247).

فإن صَلَّى انحلَّت عُقدة، فأصبح نشيطاً طيِّب النفس، وإلَّا أصبح خبيث النفس كَسِلان»<sup>(1)</sup>، وبذلك يصير المسلم مقداماً غير متواكل، ويكون إقدامه متوجَّهاً إلى طيِّب الخصال والأعمال، بما يعود عليه وعلى أُمَّته بالنَّفْع في الدُّنيا والآخرة.

وتوصَّلت الكثير من الدِّراسات الإحصائية الحديثة<sup>(2)</sup>، إلى أنَّ حركة ورياضة البدن عموماً لها تأثير إيجابي على الصحة النفسية عموماً وعلى اضطراب الاكتئاب خصوصاً، وذلك أنَّ الاكتئاب يترافق معه انخفاض شديد في النَّشاط والطَّاقة الحيوية، وهو من الاضطرابات المزاجية التي يتدنَّى فيه المزاج بشدَّة، والرياضة تُحسِّن وتُعلي من المزاج وتُنشِّط البدن.

ولئن كانت هناك عبادات أخرى كالْحَجِّ والجهاد فيها حركة أشدُّ من الحركة التي تحتفي بالصلاة، فإنَّ الحركة فيهما ليست متكرِّرة كتكرُّرها في الصلاة، ثُمَّ إِنَّ الصلاة بما فيها من تحريك جميع المفاصل وما يدعمها من العضلات، وما فيها من المشي والسَّعي إلى المسجد خمس مرَّات في اليوم والليل، وقد جاء ترتيب الأجر على تكثير الخطى إلى المساجد الذي يلزم منه كثرة المشي وعلى الوضوء بالماء في البرد الشديد<sup>(3)</sup>، كلُّ ذلك -ولو بغير نيَّة التعبُد- ثبت نفعه تجريبياً في علاج الاكتئاب والوقاية منه، فكيف إذا بُني على نيَّة التقرُّب إلى الله واقترن بها ما مرَّ ذكره من الخشوع والسكينة والطمأنينة وما يسبقها من الطهارة وسائر شروطها، يقول ابن القيم: «الصلاة رياضة النفس والبدن جميعاً، إذ كانت تشتمل على حركات وأوضاع مختلفة من الانتصاب، والركوع، والسجود، والتورُّك، والانتقالات وغيرها من الأوضاع التي يتحرك معها أكثر المفاصل، وينغمر معها أكثر الأعضاء الباطنة، كالمعدة، والأمعاء، وسائر آلات النَّفْس، والغذاء، فما ينكر أن يكون في هذه

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (52/2) برقم: (1142) (أبواب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل)؛ ومسلم في "صحيحه" (187/2) برقم: (776) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح).

(2) يُنظر: كاشف بن زايد، العلاقة بين ممارسة الرياضة وأعراض الاكتئاب ومستوى تقدير الذات، (2021/11/13)، (<https://www.researchgate.net/publication/257338906>).

(3) لقوله -صلى الله عليه وسلم- قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط». [أخرجه مسلم في صحيحه" (151/1) برقم: (251) (كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره)].

الحركات تقوية وتحليل للمواد، ولا سيَّما بواسطة قُوَّة النفس وانسراحها في الصلاة، فتقوى الطبيعة، فيندفع الألم»<sup>(1)</sup>.

وهذا كله يدلُّ على أنَّ الصلاة لها أثر علاجي على البدن يعمل على وَفْق المبدأ الذي صار واضحا جدًّا في الطب النفسجسمي (السيكوسوماتي) من تأثر الوظائف الحيوية الكيميائية في الجسم بالحالة النفسية سلبا وإيجابا، ويشهد لذلك ما رُوِيَ عن أبي هريرة قال: «هَجَّرَ النبي -صلى الله عليه وسلم- فهَجَّرت، فصَلَّيت ثم جلست، فالتفت إليَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (إشْكَنْب دَرْدُ) وتعني بالفارسية: أتشتكي بطنك-؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: قم فصلِّ، فإنَّ في الصلاة شفاء»<sup>(2)</sup>. وقد مرَّ عند ذكر الاضطرابات النفسجسمية (السيكوسوماتية) أنَّ من أعراض نوبات الملح والقلق قرحة المعدة و القولون العصبي.

ولكن إنَّما تُصبح الصلاة ذات أثر أقوى في تسكين الألم إذا اجتهد في إقامتها كما أمر الله تعالى وكما أرشد النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى إقامتها، ولئن شكَّا كثير من المسلمين من عدم وجدان هذا الأثر، فلحلل في هيئة صلاته الباطنة أو الظاهرة أو هما معا، لا في الصلاة ذاتها، ولذلك قال -صلى الله عليه وسلم- للرجل الذي لم يكن يطمئن في صلاته: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»<sup>(3)</sup>. وقد أجمل كثير من أهل العلم المتقدمين الذين كان لهم اشتغال بصناعة الطبِّ أو قراءات فيه مع اشتغالهم بعلوم الشريعة هذه الفوائد التي تمَّ التفصيل فيها هنا، وأكتفي بثلاثة نماذج.

(1) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي (ص: 156).

(2) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (512/4) برقم: (3458) (أبواب الطب، باب الصلاة شفاء)؛ وأحمد في "مسنده" (1902/2) برقم: (9188) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه). والحديث لا يصحُّ رفعه إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، وإنَّما هو موقوف على أبي هريرة -رضي الله عنه-، والذي كان فارسياً ليس أبا هريرة وإنَّما مجاهد كان كذلك، فخاطبه أبو هريرة بلغته، قال ابن الجوزي: «وقد روي هذا الحديث عن أبي هريرة موقوفاً وهو أصح». [يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، ط2، إدارة العلوم الأثرية: فيصل آباد-باكستان، 1401هـ-1981م. (173-172/1)؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (29/15)].

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (152/1) برقم: (757) (كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر)؛ ومسلم في "صحيحه" (10/2) برقم: (397) (كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة).

الأول: قال الموفق عبد اللطيف الموصلي: «الصلاة قد تبرئ من ألم الفؤاد والمعدة والأمعاء وكذلك من الآلام؛ ولذلك ثلاث علل؛ الأولى: أنها أمر إلهي حيث كانت عبادة - يُريد أنها تدفع الأمراض بالبركة - والثانية: أن النفس تلهو فيها عن الألم ويقل إحساسها فتستظهر القوة عليه فإن قوة الأعضاء والمعدة بمصالحه وحواسه التي سمّتها الأطباء طبيعة هي الشافية للأمراض بإذن خالقها، والماهر من الأطباء يعمل كل حيلة في تقويتها إن كانت ضعيفة، وفي انتباهها إن كانت غافلة، وفي إلفاتها إن كانت معرضة، وفي استزادتها إن كانت مقصرة تارة بتحريك السرور والفرح وتارة بالحياء والخوف والخجل وتارة بتذكيرها وشغلها بعظام الأمور وعواقب المصير وأمر المعاد، والصلاة تجمع ذلك، أو أكثره إذ يحضُّ العبد فيها خوف ورجاء وأمل وتذكر الآخرة وأحوالها... والثالثة: أمر ظني وذلك أن الصلاة رياضة فاضلة للنفس؛ لأنها تشتمل على انتصاب وركوع وسجود وتورك وغير ذلك من الأوضاع التي تتحرك معها أكثر المفاصل وينغمر فيها أكثر الأعضاء سيما المعدة والأمعاء وسائر آلات التنفس والغذاء عند السجود... وتمحق الهم والحزن وتذيب الآمال الخائبة وتكشف عن الأوهام الكاذبة ويصفو فيها الذهن وتُظفي نار الغضب»<sup>(1)</sup>.

الثاني: قال المناوي: «الصلاة شفاء من الأمراض القلبية والبديّة والهموم والغموم... حافظة للصحة دافعة للأذى مطردة للداء مقوية للقلب مفرحة للنفس مذهبة للكسل منشطة للجوارح ممددة للقوى شارحة للصدر مغذية للروح منورة للقلب مبيضة للوجه حافظة للنعمة دافعة للنقمة جالبة للبركة مبعدة للشيطان مقربة من الرحمن، وبالجملة فلها تأثير عجيب في حفظ صحة القلب والبدن وقواهما ودفع المواد الرديئة عنهما سيما إذا وُقيت حقها من التكميل»<sup>(2)</sup>.

الثالث: قال ابن القيم: «وأما الصلاة، فشأنها في تفریح القلب وتقويته، وشرحه وابتهاجه ولذته أكبر شأن، وفيها من اتصال القلب والروح بالله، وقربه والتنعم بذكره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن وقواه وآلاته في عبوديته، وإعطاء كل عضو حظه منها، واشتغاله عن التعلق بالخلق وملابستهم ومحاوراتهم، وانجذاب قوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفطره، وراحته من عدوه حالة الصلاة ما صارت به من أكبر الأدوية والمفرحات»<sup>(3)</sup>.

(1) محمد نور الدين السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، (345/2).

(2) محمد بن تاج العرفين زين الدين المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (527/4).

(3) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، (ص: 155).

## الفرع الثاني: دور الصيام في تحقيق الصحة النفسية.

الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وما يلحق بهما من طلوع الفجر إلى الغروب بنية التعبد لله تعالى<sup>(1)</sup>، والصيام المشروع منه ما هو واجب وما هو مستحب، والواجب منه إما واجب ابتداء من الله وهو صيام رمضان، وإما واجب كان العبد سببا في إيجابه على نفسه كصيام النذر والكفارات، والمستحب منه له صور كثيرة كصيام الاثنين والخميس<sup>(2)</sup>.

وكون الصيام عبادة لله -عزَّ وجلَّ- يتقرب بها المسلم إلى ربه -جلَّ وعلا- طلبا لرضاه، لا سيما صيام رمضان المفروض الذي يتواطأ كلُّ المسلمين على صيامه ما عدا أصحاب الأعذار، فإنه بذلك يحمل كثيرا من الأدوار والآثار الإيجابية على الصحة النفسية التي يشترك فيها مع عبادة الصلاة<sup>(3)</sup>، فمن جهة كون الصيام عبادة بشرطها الأساس الذي هو الإخلاص يكون مغفرة للذنوب التي تقدّم أحمًا تثقل نفسيّة المرء وتورثه الهم والغم لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدّم من ذنبه وتأخر»<sup>(4)</sup>، ومن جهة كونه عبادة جماعية أعظم حافر للتكافل الاجتماعي حيث يبعث الغني الشّبعان على الشّعور بجوع الفقير، فيحمله ذلك على مواساة المحتاجين بما يقتدر عليه ولو بما أرشد إليه النبي -عليه الصلاة والسلام- قائلا: «فليتقين أحدكم النار ولو بشقّ تمرّة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة»<sup>(5)</sup>، وتلك من العِلل والحِكَم المنصوص عليها في

(1) يُنظر: محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، (396/2-397).

(2) يُنظر: محمد بن عمر بن سالم بازمول، الترجيح في مسائل الصوم والزكاة، ط1، دار الهجرة للنشر والتوزيع: مكّة-المملكة العربيّة السّعوديّة، 1415هـ-1995م. (15-22).

(3) يُنظر: محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النَّفس، (ص: 293-294)؛ الحديث النبوي وعلم النفس، (ص: 320-322).

(4) أخرجه البخاري في "صحيحه" (17/1) برقم: (38) (كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان)؛ ومسلم في "صحيحه" (176/2) برقم: (759) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح).

(5) أخرجه البخاري في "صحيحه" (108/2) برقم: (1413) (كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد)؛ ومسلم في "صحيحه" (86/3) برقم: (1016) (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشقّ تمرّة).

جعل زكاة الفطر عقب إتمام شهر الصيام «طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللُّغْوِ وَالرَّفَثِ<sup>(1)</sup>، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ»<sup>(2)</sup>.

وأعظم مقصد شرع من أجله الصيام يتمثل فيما خُتِمت به آية الصيام نصًّا صريحًا في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]، فتلك هي التقوى التي مرَّ وصفها بأنَّها هي الحالة النفسية المميَّزة التي تتناسق وتتكامل فيها الجوانب النفسية في الإنسان معرفية وسلوكية وشعورية وانفعالية.

وبعد هذا الذي يشترك فيه الصيام مع ما سبقه من الدَّعائم النفسية في الكتاب والسنة، يُمكن الوقوف على عدد ممَّا يمتاز به الصيام عنها في ذلك، وهو كما يلي:

**أولاً: الصيام يُعلِّم المسلم الصَّبْرَ وتأجيل إشباع الدَّوافِع إذا حالت الظروف دون ذلك، إذ إنَّه رياضة وتدريب للنفس على توجيه السُّلوك وضبط الدَّوافِع بترك الشهوات لفترة من الزمن، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ... الحديث»<sup>(3)</sup>، وأصل مادَّة جنن في اللُّغة السِّتْر، فالمعنى أنَّ الصيام سُترة للمسلم يحميه عن إجابة دواعي الشهوات<sup>(4)</sup>، وكذلك هو وجاء لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه**

(1) الرَّفَثُ هو كَلِمَةٌ جامِعَةٌ لِكُلِّ مَا يُرِيدُهُ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ أَي من أمور الجِماع. [يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (241/2)].

(2) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (99/12) برقم: (116) (من اسمه عبد الله، سيار بن عبد الرحمن الصديقي المصري عن عكرمة)؛ والحاكم في "مستدرکه" (409/1) برقم: (1493) (كتاب الزكاة، زكاة الفطر طهرة للصيام)؛ وأبو داود في "سننه" (25/2) برقم: (1609) (كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر)؛ وابن ماجه في "سننه" (39/3) برقم: (1827) (أبواب الزكاة، باب صدقة الفطر)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (162/4) برقم: (7786) (كتاب الزكاة، باب الكافر يكون فيمن يمون فلا يؤدي عنه زكاة الفطر)؛ والدارقطني في "سننه" (60/3) برقم: (2067) (كتاب زكاة الفطر). حكم الحديث: قال الدَّارقطني عقب تخريجِه للحديث عن رجال سنده: «ليس فيهم مجروح». والحديث حسنُه جماعة من أهل العلم. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (332/3)].

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (24/3) برقم: (1894) (كتاب الصوم، باب فضل الصوم)؛ ومسلم في "صحيحه" (157/3) برقم: (1151) (كتاب الصيام، باب فضل الصيام).

(4) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (421/1)؛ المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (308/1).

بالصوم؛ فإنه له وجاء»<sup>(1)</sup>، بمعنى أن الصيام وقاية للشباب الأعزب، لأنه يعمل على إضعاف الرغبة الجنسية، ولذلك شبهه النبي -عليه الصلاة والسلام- بالوجاء في البهائم، وهو «أن تُرَضَّ أنثيا الفحل رَضاً شديدا يُذهب شهوة الجماع، ويتنزل في قطعه منزلة الحصي»<sup>(2)</sup>، أي إِمَّا أن تُقطع عروق الخصيتين مع إبقائهما أو استئصالهما كلياً، فوقع تشبيه الصيام بالوجاء الذي هو قطع الرغبة الجنسية عند البهائم كلياً إِمَّا بقطع عروق خصيتي الذكر منها وإِمَّا بقطع الخصيتين كلياً، وهذا محرّم للآدمي في شريعة الإسلام لأنه يترتب عليه كثير من المفسد كقطع النسل وذهاب الصفات الذكورية في الرجل والمسؤول عنها بالأساس هو الهرمون الذكوري (التوستسترون) الذي تُفرزه الخصيتان، وإذا انخفض غلبت على الذكر الصفات الأنثوية لعلو الهرمون الأنثوي (الإستروجين)، ومعلوم نهي -عليه الصلاة والسلام- عن التبتل وهو ترك النكاح<sup>(3)</sup>، وكذلك نهي عن تشبه الرجال بالنساء<sup>(4)</sup>، والاختصاء يلزم منه ذلك كُله، ولذلك ورد النهي عنه صريحاً في حديث سعد بن أبي وقاص حيث قال: «رد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»<sup>(5)</sup>. ولذلك فالصيام يُضعف الرغبة الجنسية مؤقتاً عند عدم المقدرة على الزواج، ولا يرفعها كلياً كوجاء البهائم وخصيها.

والعجيب أن الدّاراسات العلميّة أثبتت أنّ الصوم في المقابل يُحسّن من إفراز هرمون الذكورة (التوستسترون)، وهو المسؤول عن تحسين القدرة الجنسية لدى الذكور<sup>(6)</sup>.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (26/3) برقم: (1905) (كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة)؛ ومسلم في "صحيحه" (128/4) برقم: (1400) (كتاب النكاح).

(2) المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (152/5).

(3) يُنظر: المصدر السابق، (94/1).

(4) لما ثبت عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال». [أخرجه البخاري في "صحيحه" (159/7) برقم: (5885) (كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال)].

(5) أخرجه البخاري في "صحيحه" (4/7) برقم: (5073) (كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء)؛ ومسلم في "صحيحه" (129/4) برقم: (1402) (كتاب النكاح).

(6) يُنظر: N Marfu'ah, N M Kusumaningtyas1, A Y Damayanti, A Fadholah, Study of fasting effect in holy Al-Qur'an on testosterone hormones in mice using Elisa method, Journal of Physics: Conference Series, page: 5-6.



ومن جهة أخرى فإنَّ الانقطاع عن الطعام والشراب يقلُّ معه سريان الدَّم في أعضاء الجِسم، وقد ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»<sup>(1)</sup>، فكَلَّمَا قَلَّ الطَّعام والشراب قَلَّ سريان الدَّم، وبالتالي يقلُّ تسلُّط الشيطان على ابن آدم<sup>(2)</sup>، والشيطان من أهمِّ مقاصده التي بيَّنها الله تعالى في كتابه إحداهُ الحُزن في نفس المؤمن، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: ١٠]، وكذلك إثارة العداوة والبغضاء بين أهل الإيمان والصدِّ عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة التي فيها يرتاح المؤمن وتسكن نفسه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٩١] الآية. وهذا يظهر أنَّ تأثير الصيام على السلوك لا يقتصر على مُدَّة الصيام ولا على الأشياء التي صام عنها، بل لا بُدَّ أن ينعكس على سلوكه في الحياة العامَّة، في القيام بمسؤولياته والالتزام بواجباته المختلفة مهما تباينت الظروف.

**ثانياً: الصيام يُربِّي المسلم على ضبط انفعالاته ولو مع وجود ما يثيره انفعاليًّا، قال النبي -** عليه الصلاة والسلام: - «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا، فَلَا يَرِفْثُ، وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ أَمْرًا شَاتَمَهُ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقِلْ: إِبْنِي صَائِمٌ، إِبْنِي صَائِمٌ»<sup>(3)</sup>. والجهل هنا يُراد به سلوك خلاف الصواب والحكمة من الأقوال والأعمال<sup>(4)</sup>.

**ثالثاً: الصيام علاج من الأمراض القلبية النفسية، والأخلاق القبيحة، وكذلك هو علاج من الاضطرابات النفسية، حتى تلك التي تعدَّى أثرها إلى البدن.**

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (50/3) برقم: (2038) (أبواب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه)؛ ومسلم في "صحيحه" (8/7) برقم: (2175) (كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول هذه فلانة).

(2) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (1/456).

(3) تقدَّم تحريجه.

(4) يُنظر: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (8/28).

وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «صوم شهر الصبر، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر»<sup>(1)</sup>. ووحَر الصدر هو ما يعتري القلب من الأمراض النفسية التي تُلازمه<sup>(2)</sup>، كالوساوس والحقد والغيط<sup>(3)</sup>. والوَخَر في الأصل ما يلحق اللحم من الفساد بسبب الوحرة، وهي «دوية شبه العظاية إذا دبت على اللحم وحر، ثم شبه الغل في الصدر بها، فيقال وحر صدره»<sup>(4)</sup>.

وقد جاءت في ذلك بعض النصوص التي عمّمت ربط تحقيق الصحة بالصيام، ولا يصحُّ شيء ممَّا اطَّلَع عليه الباحث منها، كحديث: «صوموا تصحوا»<sup>(5)</sup>، وحديث: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء»<sup>(6)</sup>، وغيرها<sup>(7)</sup>، وإمَّا يدخل هذا في المقاصد التي جاءت الشريعة بحفظها ومنها النفس درءاً للمفاسد عنها وتحقيقاً لمصالحها، وكذا إرشاد النبي -عليه الصلاة والسلام- للتداوي عامّة.

وقد بيّنت كثير من الدّراسات العلميّة أنّ الانقطاع عن الطّعام وتقليل السُّعرات الحراريّة التي يكتسبها الجِسم من الطّعام له تأثير يُضاهي تأثير أدوية مضادّات الاكتئاب، ذلك أنّ أثر الصيام يتطابق مع أثر هذه الأدوية في آليّة التأثير على الدِّماغ، وهو يخلو من الآثار الجانبية المضرة التي تحملها

(1) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (497/14) برقم: (6557) (كتاب التاريخ، ذكر كتبة النبي صلى الله عليه وسلم كتابه إلى بني زهير)؛ والنسائي في "المجتبى" (817/1) برقم: (14/4157) (كتاب قسم الفيء، باب قسم الفيء)؛ وأبو داود في "سننه" (112/3) برقم: (2999) (كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في سهم الصفي)؛ وأحمد في "مسنده" (4808/9) برقم: (21068) (مسند البصريين رضي الله عنهم، حديث الأعرابي رضي الله عنه). والحديث: إسناده صحيح. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (342/34)].

(2) يُنظر: عمر بن علي سراج الدين ابن الملّقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (474/25).

(3) قال ابن الأثير: «غشّه ووساوسه. وقيل: الحقد والغيط. وقيل: العداوة. وقيل: أشد الغضب». [المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (160/5)].

(4) أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (91/6).

(5) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (174/8) برقم: (8312) (باب الميم، موسى بن زكريا التستري)، وقد ضَعَفَه العراقي. [يُنظر: أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين -بتخريج العراقي-، (87/3)]، وإن كان جميع رجال سنده ثقات إلا أنّ الإمام الطبري قال عقب تخريجه له: «لم يرو هذا الحديث عن سهيل، بهذا اللفظ، إلا زهير بن محمد»، وزهير هذا قال فيه ابن حجر: «رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها» [تقريب التهذيب (ص: 217)]، وهذه الرواية من رواية الشّاميين عنه.

(6) نسبه ابن القيم إلى طبيب العرب الحارث بن كلدة. [يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، (ص: 88)].

(7) يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (420-419/1).

الأدوية المصنَّعة على الجسد عموماً والدماغ خصوصاً، وقد تُؤدِّي في كثير من حالاتها إلى الإدمان، حيث يلجأ المريض إلى الإفراط في تناولها رغم تقييد الطبيب لطريقة استعمالها، وذلك لما يشعر به من المعاناة النفسية الشديدة.

وتتمثل آليَّة عمل الصيام في العلاج والوقاية من الاكتئاب في عدَّة نقاط:

أولاً: إعادة استشفاء الخلايا المتضرِّرة في الجهاز العصبي، وخاصَّة منطقة الحصين في الدماغ، وذلك عن طريق عمليتين: الأولى: عمليَّة الالتهام الذاتي (Autophagy)، وذلك عن طريق تدمير الخلايا المعطوبة وإعادة تدويرها وبنائها بشكل صحيح، وعند مرور مدَّة زمنيَّة دون تناول الطَّعام ينخفض سكر الدَّم فتعمد هذه العمليَّة إلى تحطيم الدهون المخزَّنة في الجِسم وإنتاج موادَّ تُسمَّى بالكيٲونوات، ومن ثمَّ استعمالها في ترميم الخلايا العصبيَّة التالفة، والثَّانيَّة: تنشيط وزيادة عامل التَغذية العصبي المعروف اختصاراً بـ(BDNF)، ممَّا يُؤدِّي إلى تكوين ونموُّ خلايا عصبيَّة جديدة في الحصين، الذي يُترجم في تحسين السُّلوك بعد ذلك، كما أنَّ هذا يحمي الدماغ من الخرف الميكر والزَّهايمر وغيرها من الأمراض النَّاتجة عن التهاب خلايا الدماغ.

ثانياً: تعزيز الصيام لعمل النواقل العصبيَّة عموماً، وبالأخص الناقل العصبي المسؤول عن السَّعادة (السيروتونين) وكذا الناقل العصبي (جابا: GABA) الذي يُحسِّن من عمليَّة تدوير (السيروتونين) وتثبيط تكسيره، وقد ثبت أنَّ اضطراب الاكتئاب يترافق ويتناسب مع انخفاض ملحوظ في (السيروتونين).

ثالثاً: ضبط الهرمونات، وتعديل نسب كل الهرمونات بما في ذلك هُرمون التوتر والقلق (الكورتيزول)، وهناك جدل علمي بين الأبحاث في العلاقة بين الاكتئاب والقلق، وكذا بين نسب الكورتيزول لدى الأشخاص الذين يُعانون من اضطراب الكآبة الكُبرى (MDD)، إلاَّ أنَّ الميٲبث أنَّ (الكورتيزول) يرتفع في البداية عند الصيام لا سيَّما لدى الأشخاص الذين اعتادوا على النَّمط الغدائي عالي السُّعرات الحراريَّة ولم يتعوَّدوا على الصَّوم، ولكنَّه سرعان ما يعود إلى مُعدَّلاته الطبيعيَّة بعد مرور بضعة أيَّام من الصيام، وهذا له أثره في استقرار الحالة النفسيَّة.

ولا يقتصر أثر الصيام على المستوى العلاجي والوقائي، بل يتعدى ذلك إلى المستوى التعزيزي، حيث وُجد أنَّ الصيام يُحسِّن من جميع الوظائف النفسية: كالذاكرة والفهم والتركيز والنوم الجيد والشعور بالمتعة وغير ذلك<sup>(1)</sup>.

وقد ظهرت كثير من أنواع الصيام الطبي العلاجي غير التعبدي، وأشهرهما: صيام الماء والصيام المتقطع، وكلُّها تشترك في التأثير الإيجابي على الجهاز العصبي وتحسين قدراته، والصيام في الإسلام الذي يُعتبر صيام جاف بلا ماء كفاءته أعلى من صيام الماء في تحفيز عملية الالتهام الذاتي ورفع عامل التغذية العصبي، لأنَّ الجسد يقوم فيه بتكوين الماء عن طريق تكسير الدهون الثلاثية التي تحتوي على الهيدروجين مع الأكسجين الداخِل إلى الجسد عن طريق النَّفس<sup>(2)</sup>.

فتبيِّن بذلك أنَّ الصيام التعبدي الذي جاء به الدِّين الخاتم يحمل أحسن ميزات جميع هذه الأنواع من الصيام، ثُمَّ إِنَّه يربو عليها جَدًّا في التأثير على الحالة النفسية وذلك لما يحمله المسلم عند صومه من الإيمان بالله ونية التقرب إلى الله -عزَّ وجلَّ- والنشاط والاجتهاد في الطاعة، ولا يقتصر نفعه على هذه الحياة المنقضية، بل يبقى للمسلم ذخرا عند الله ينعم به في الحياة الحقيقية الأبدية.

---

Guillaume Fond, Alexandra Macgregor, Marion Leboyer, Andreas Michalsen, (1) Fasting in mood disorders: neurobiology and effectiveness –A review of the literature–, Science Direct, Issue: 3, 30 Octobre 2013, page: 253–258; Stephen Malunga Manchishi, Ran Ji Cui, corresponding author Xiao Han Zou, Zi Qian Cheng, and Bing jin Li, Effect of caloric restriction on depression, Journal of Cellular and Molecular Medicine, Issue: 5, Published online 2018 Feb 21, Volume: 22, page: 2528–2535; L Sanjay Nandam, Matthew Brazel, Mei Zhou, Dhanisha J Jhaveri, Cortisol and Major Depressive Disorder–Translating Findings From Humans to Animal Models and Back, (<https://translate.google.com/website?slen&tlar&nui1&prevsearch&uhttps://doi.org/10.3389/fpsyt.2019.00974>), 21/11/2021.

Medically reviewed by Dr. Anthony Gustin, DC, MS on February 15th, 2021 (2) Written by Brenda Godinez, Dry Fasting: The Truth About This New Health Industry Trend, (<https://perfectketo.com/dry-fasting/>).

## المبحث الثاني: الدَّعائم الانفعالية والعاطفية في ضوء الكتاب والسنة.

لما كانت العواطف والانفعالات جزءاً لا يتجزأ من الكيان البشري، والله هو من أبدع هذا الكيان وضَمَّن هذه الانفعالات فيه، وهو الذي أنزل عليه هذا الوحي وبعث إليه هذا النبي الخاتم - صلوات ربي وسلامه عليه- بهذا الكتاب هدى للمتقين وشفاء للناس أجمعين، وحكمته سبحانه تقتضي أن يكون كتابه المسطور متناسقا مع كتابه المنظور، ولذلك لا يوجد في الوحي إبطال عاطفة أو لانفعال من أساسه، وإنما الإسلام جاء بتوجيه هذه العواطف والانفعالات الوجهة النافعة في الدنيا والآخرة، وذلك لمصلحة العبد أما الله تعالى فهو الغني العزيز الذي لن يبلغ أحد ضُرَّه أو نفعه، ولذلك كان سيد بني الإنسان وأتقاهم لله وأحشاهم له -صلى الله عليه وسلم- يغار ويغضب إذا انتهكت حرمة من حرمت الله، وكذلك أتباعه من أهل الإيمان تسوئهم سيئاتهم فيحزنون ويندمون على ما اقترفوا حتى يعودوا إلى طريق الحق، ويُسرُّون بحسناتهم من غير فخر ولا كبر بما يعمل على تعزيز ثباتهم على منهج الله تعالى في العقيدة والعبادة والسلوك.

وفي عديد من النصوص الكريمة من كتاب ربنا -عز وجل- وسنة نبينا -عليه الصلاة والسلام- نجد الكلام عن العواطف والانفعالات في من بعثهم الله لهداية البشر وهم أحسن البشر الأنبياء والرسل -عليهم السلام- الذين عصمهم الله -عز وجل-<sup>(1)</sup>، فنجد حُلة إبراهيم ومحمد -

(1) ويوجد موضوعان متداخلان في قضية عصمة الرُّسل والأنبياء، الأوَّل: تعظيمهم وتوقيرهم من غير مغالاة فيهم، فهذا مما لا يخالف فيه مسلم، وإنما خالف في ذلك بعض من اليهود والنصارى حيث رموا أنبيائهم بما رموه بهم من المعاصي الخسيسة، ودخل جحرهم النَّن من دخله من هذه الأمة. والثاني: حدود العصمة، وهي على أربع مستويات: أوَّلًا: العصمة في تحمُّل الرسالة وتبليغها، فهذا محلُّ اتفاق، ومن الأدلَّة على ذلك: أنَّ الله جعل الحجَّة على الناس قائمة بهم، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]، ثانياً: العصمة من الكبائر والردائل التي فيها شين ونقص، وهنا نقل القرطبي اتِّفاق العلماء على تنزُّه الأنبياء من ذلك [يُنظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (1/308-309)]، ثالثاً: العصمة من الصغائر، قال ابن تيمية: «القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر " أبو الحسن الآمدي " أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول». [مجموع الفتاوى (4/319)]، والقرآن شاهد على وقوعها منهم كقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: 121]، ولكنهم لا يُقرُّون عليها ويُوقِّفون للتوبة والاستغفار بما يكون حالهم معه أحسن منه قبل التوبة، وبالتالي: فلا يلزم من وقوعها منهم ازدرائهم والحطُّ بما من شأنهم، ولذلك قال تعالى عقب الآية السابقة: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ

عليهما الصلاة والسلام-: «إن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»<sup>(1)</sup>، وعدائهم للآلهة التي عبّدت من دون الله، كما نجد غضب موسى وخوفه، واعتراء الحزن ليعقوب لفقد يوسف وفرع إبراهيم من الضيوف الذين نزلوا به -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، وغيرها كثير، وهذا إن دلّ فإنما يدلُّ على أنّ الانفعال في نفسه طبيعة بشرية وقوة نفسانية أودعها الله الإنسان الذي كرمه، ولكن لا يترتب عليها ذمٌ ولا مدح من حيث كونها طبيعة بشرية، وإنما يتوجّه إليها الذمُّ والمدح من جهة الموضوع الذي يتمُّ توجيهها إليه وكذلك من جهة ما يترتب عليها من نتائج وآثار سيئة أو طيبة<sup>(2)</sup>.

ولذلك فالوحي عرض للعواطف والانفعالات كجانب إنساني في النفس الإنسانية، ولم تقف نصوص الوحي عند وصف الانفعال، بل توجّه الاهتمام فيها إلى وضع الدَّعائم التي تقي العواطف والانفعالات من الاضطراب، وتُعالج ما خرج منها عن حدِّ الاعتدال والسَّواء، والأهمُّ أنّها تعمل على تعزيز العواطف والانفعالات واستعمالها في صالح الإنسان بما يخدم حاجاته ويُعينه على الوصول إلى أهدافه.

=

عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ [طه: ١٢٢]، وهناك نظائر كثيرة لهذا. رابعا: عوارض تعود إلى الطبيعة البشرية، ومن ذلك الانفعالات كالغضب والخوف والحزن، وكذلك النسيان، والخطأ في الاجتهاد ولكنّ الوحي يُقوِّمهم فيه. [يُنظر: أ. د. أبو عبد المعزّ محمّد علي فركوس، مفهوم عصمة الرُّسل -صلوات الله عليهم- وإثبات حالاتها بين القول بالتعميم والتخصيص. ( <https://ferkous.com/home/?qart-mois-108> )، 05/12/2021].

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (67/2) برقم: (532) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها).

(2) يُنظر: إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، إشراف: د. عودة عبد الله ود. رسمية عبد القادر، قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس-فلسطين، 2009 م. (ص: 188)؛ إلهام صلوبة، الانفعالات النفسية ومسلك القرآن في معالجتها، إشراف: د. ميلود عمارة، رسالة ماستر في العلوم الإسلامية تخصص: التفسير و علوم القرآن، 1439هـ-2018م. (ص: 63).

## المطلب الأول: بين العواطف والانفعالات.

قبل الشروع في وضع الدَّعائم الانفعالية والعاطفية، لا بُدَّ أن نقف على مفهوم العواطف والانفعالات، كما وجدت أن هناك عدَّة نظريَّات حيكت حول الانفعالات، وكذلك فإنَّ هناك فرقا بينهما في حين أن الخلط بينهما شائع.

### أولاً: المقاربات النظرية النفسية في تفسير الانفعال.

ولقد ظهرت عدَّة نظريات غربيَّة في تفسير الانفعال<sup>(1)</sup>؛ ويبدو أنَّها تدور حول حلِّ إشكالٍ ألا وهو هل الانفعال ينتقل من الجسم إلى العقل والإدراك أو العكس؟، هل نحن نهرب بعدما نخاف، أو أنَّنا نخاف بعدما تفسر مراكزنا العصبية سلوك الهرب؟، وبعبارة أوسع هل ينتقل الانفعال من التغيرات الجسميَّة التي تحدث حتى تتكيَّف مع ظرف بيئي معيَّن، ثمَّ عند إدراك هذه التغيرات وتفسيرها في الدماغ يحدث الانفعال؟ أم أنَّ الانفعال يبدأ من الإدراك والتفسير للمثيرات الخارجيّة على ضوء المعارف والقيم المكتسبة أولاً ثم يحدث الانفعال؟ ولقد دارت بين الرأيين سجالات ونقاشات كثيرة.

ويبدو أنَّ هذه النَّقاشات العلميَّة التي طُرحت لغرض إيجاد مقارنة مثلى تُعطي تفسيراً كاملاً للانفعال قد هدأ الصِّراع بينها، وصار من الواضح أنَّ الانفعال لا يسير في اتجاهٍ أحادي، بمعنى: أنَّ الانفعال ينطلق من الإدراك والعاطفة إلى الجسد، وينطلق من التغيُّرات الجسديَّة -الناجئة عن عوامل البيئة- إلى الإدراك والشعور والوجدان العاطفي، ولذلك أصبح الدمج بين الرأيين في التعامل مع الانفعالات أولى من الارتكاز على جانب واحد، ما دام أنَّ الجانبين متفاعلاً متبادلاً للأثر والتأثير.

### ثانياً: الانفعال هل هو فطري أم مكتسب؟

وتتداخل كل من العوامل الوراثية والبيئية في تشكيل الانفعالات<sup>(2)</sup>، فهي مجموعة من الآليات التي يُفطر عليها الإنسان، ولذلك توجد عند الأطفال الصغار العمي الصم، مما ينفي كونها مجرد

(1) يُنظر: أن تايلور وآخرون، مدخل إلى علم النفس، ترجمة: عيسى سمعان، ط2، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربيَّة السوريَّة: دمشق، 1996م. (1/259-270).

(2) يُنظر: د. أحمد عزت راجح، أصول علم النَّفس، (ص: 135-137).

محاكاة للآخرين، ولكن المكتسب منها هو الموضوع الذي يتم توجيه الانفعال نحوه، وأيُّ انفعال حسب هذا الموضوع ينبغي أن يكون، والسلوك الذي به يتم التعبير عنه، فهنا تدخل الجوانب البيئية الخارجية من القيم والأعراف في تشكيل الانفعال. وممَّا يتعلَّمه الإنسان ويكتسبه من المجتمع ضبط انفعالاته حسب ما يُدِّيه الآخرون، فيضطر أحيانا كثيرة إلى إخفاء خوفه حتى لا يتعرَّض للاستهجان، ويضطر أحيانا أخرى إلى إبداء تقديره لموضوع معين كرئيسه في العمل مثلا مع أنَّه في حقيقة الأمر لا يحمل في حقيقة قلبه أيَّ تقدير له.

### ثالثا: مفهوم الانفعال ومكوّناته.

وقد ذكر أحمد عزّت راجح أنَّ الانفعال يتركّب من ثلاث جوانب<sup>(1)</sup>: جانب شعوري داخلي يخبره الشخص في نفسه، وجانب وظيفي (فيزيولوجي) يظهر على الجسم كازدياد ضربات القلب وتسارع النَّفَس واحمرار الجلد، وجانب سلوكي حركي يتمثّل في ردِّ الفعل المتَّخذ بُجَاه المثير الخارجي.

وبناء على أنه لا يوجد نماذج ظاهرة (فيزيولوجية وسلوكية) خاصة بكل انفعال، وكثير من المظاهر الجسدية الانفعالية (التغيّرات الفيزيولوجية) قد يشترك فيها أكثر من انفعال، بمعنى أنَّ العرض الواحد لانفعال معيّن ما قد يتشارك مع عرض لانفعال آخر، فاحمرار الجلد نتيجة ضخ الدَّم إليه يظهر عند الغضب وعند الخجل بل وفي غير الحالة الانفعالية كممارسة الرياضة، وكذلك البكاء هو مظهر من مظاهر الحزن، ولكن قد يبكي شخص من الفرح أو رُبَّمَا الألم، وعليه فلا يُمكن أن يُكتفى في تفسير الانفعالات بالأثر الخارجي. ولذلك يبقى للقيم والميول والعواطف والمشاعر الداخلية أهمية كبيرة في تمييز أحد الانفعالات من الآخر، ثمَّ إنَّ هذا الشعور الداخلي لا تكون له دلالة على انفعال معين إلا ضمن تغيرات معينة في الجانب السلوكي والوظيفي (الفيزيولوجي).

وثمَّت طريقتان في دراسة الانفعال، وغالبا ما يدجمان معا: الأولى: الطريقة التأثيرية القائمة على عملية الاستبطان، والتي تعنى بوضع المنفعل تحت ظروف معينة مثيرة والقيام باستجوابه وتسجيل ما يشعر به. والثانية: الطريقة التعبيرية التي تقوم على تسجيل ما يظهر من التغيرات الظاهرة الفيزيولوجية والسلوكية التي تصاحب الانفعال.

(1) يُنظر: المصدر السَّابِق، (ص: 129-133).



وهذا يدلُّ على أنَّ الانفعال ليس مجرد السلوك الظاهري، ولا هو مجرد إدراك ما يتلائم أو يتنافر مع منظور الشخص للأشياء في الواقع الخارجي.

وهذا التصوُّر ذو الأبعاد للانفعال قد انتبه إليه علماء الإسلام قديماً، ومن ذلك ما قاله ابن تيمية - بعدما ذكر حديث «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان»<sup>(1)</sup> -: «وَجَدُ الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له فمن أحبَّ شيئاً أو اشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى. ومن قال: إن اللذة إدراك الملائم - كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء - فقد غلط في ذلك غلطا بيِّناً فإنَّ الإدراك يتوسَّط بين المحبة واللذة فإنَّ الإنسان مثلاً يشتهي الطعام فإذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة، فاللذة تتبع النظر إلى الشيء، فإذا نظر إليه التَّدَّ به واللذة التي تتبع النظر ليست نفس النظر وليست هي رؤية الشيء بل تحصل عقيب رؤيته... وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والآلام من فرح وحزن ونحو ذلك يحصل بالشعور بالمحسوب أو الشعور بالمكروه وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن»<sup>(2)</sup>. هذا الكلام من ابن تيمية يُبيِّن أنَّ انفعال اللذة النَّفسية - وهي المعبر عنها في الحديث بالحلاوة - ليس هو مجرد الإدراك الحسِّي والشُّعور بحصول الملائم، بل هو شيء زائد على ذلك ينتج عن تقاطع الدوافع والوجدانات العاطفية الداخلية مع الإدراك الحسِّي للمثيرات الخارجية، وبهذا يظهر أنَّ الجانبين المعرفي الذي يحتوي العقائد والقيم وكذا الجانب العاطفي الذي يحتوي العواطف والميول الداخليَّة مهمَّان جدًّا في حدوث الانفعال.

ويمكن أن نستشفَّ من كلام ابن تيمية على هذا الحديث أنَّ الانفعال هو استجابة تتركَب من أربع جوانب متفاعلة فيما بينها: جانب شعوري داخلي يتمثَّل في المعارف من القيم والعقائد وكذا العواطف والميول، وجانب جسيمي يتمثَّل في العمليَّات الحيويَّة الكيميائية والتي تظهر عندها التغيُّرات الفيزيولوجيَّة (الوظيفيَّة) مثل: تزايد ضحَّ الدَّم وارتعاش الأطراف، وجانب حسِّي إدراكي يتم به تلقِّي المثيرات الخارجيَّة وإيداعها إلى الجانبين المعرفي والجسيمي، ليتَّم بعد ذلك ترجمتها في الجانب السلوكي الإجرائي. ومن أمثلة الانفعال: الغضب والحجل، والخوف والفرح والحزن، وكذا اللذة والألم النَّفسيَّان.

(1) تقدَّم تخرجه، (ص: 36).

(2) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، العبوديَّة، (ص: 110-111). يُنظر: محمد عثمان نجاتي، الدراسات النفسانيَّة عند العلماء المسلمين، (ص: 273-274).

#### رابعاً: علاقة الانفعالات بالعوامل البيئية والدوافع والمزاج.

وأما عن علاقة الانفعالات بالبيئة<sup>(1)</sup> فغالبا ما تحدث الانفعالات عند ظرف بيئي ما، ومن صور ذلك: حين نتعرض لحدث معيّن إيجابيا كان كالفرح عند النجاح في امتحان أو تجارة أو غير ذلك، أو كالنجاة من موقف يغلب على الظن الهلاك فيه أو كان هذا الحدث سلبيا كموت عزيز.

وتتمثّل علاقة الانفعالات بالدوافع: أنّ ما من دافع إلا ويصحبه انفعال، بل الانفعال هو القوة المحركة لإشباع الدافع، فالدافع الجنسي يحركه انفعال الشهوة لتلبيته ودافع العدوان يحركه انفعال الغضب لإنفاذه وهكذا، وعند إعاقة الدافع عن الإشباع تستثار الانفعالات بشكل أقوى، وإذا لم يتمّ تصريف الدافع أو إيجاد منظور معرفي يتم على وقته تقبّل عدم إشباع الدافع قد يعود على صاحبه بالضرر، فالذي تعرّض للاعتداء إن لم يقتصّ من الجاني عليه أو يعفو عنه ابتغاء رحمة الله وعفوه قد يتطوّر ذلك الغيظ في صدره إلى اكتئاب يضرّ بصحّته النفسية والجسميّة.

وأما عن علاقتها بالمزاج: والمزاج هو مجموعة الصفات التي تميز انفعالات الفرد عن غيره، ومنها: درجة الثبات عند المثيرات الخارجيّة، درجة التأثر بالانفعال من جهة العمق والقوة والسرعة، نمط الشخصية انطوائي أو انفتاحي أو غير ذلك، ويتوقّف تشكّل الصفات المزاجيّة على عدة عوامل حيوية كحالة الجهازين العصبي والغددية، وعملية الأيض والتمثيل الغذائي، وهذه العوامل الحيوية يتم تشكيلها عن طريق اشتراك وتداخل كل من العوامل الوراثية (الجينات) والبيئية.

#### خامساً: الانفعال يؤثر على العقل والسلوك والجسم.

وما دام أنّ الانفعال وظيفة تتراكم فيها كل من الجوانب المعرفيّة والعاطفيّة والجسميّة (البيولوجيّة والكيميائيّة والفيزيولوجيّة)، فإنّ تأثير الانفعال يظهر ولا بُدّ على هذه الجوانب سلبا وإيجابا، ومن هنا أهميّة العناية بالجانب الانفعالي وقاية وعلاجا وتعزيزا في الصحة النفسية والجسميّة، وأما عن تأثير الانفعال في الوظائف النفسيّة<sup>(2)</sup> فإنّ التعبير عن الانفعال السوي المعتدل النَّاضِح يُنشِط العمليات المعرفية كتفعيل الذاكرة وتناسب الأفكار وكذا السلوكية كمواصلة العمل والمثابرة عليه.

(1) يُنظر: د. أحمد عزّت راجح، أصول علم النَّفس، (ص: 129، 134-135).

(2) يُنظر: المصدر السَّابق، (ص: 138-143).

أما الانفعال الشاذ فيشوه الإدراك فيفسر الأمور على غير ما هي عليه في الواقع، ويسبب خللاً في التذكر فينسى ما كان يريد أن يقوله أو يفعله، ويجعل التعبير السلوكي منحرفاً ولا بد.

ويتمثل النضج الانفعالي في عدّة سمات، من أهمّها: أولاً: عدم التصرف الصبائي كالأنانية أو الخوف من الأشياء التي لا تثير الخوف. ثانياً: أن يكون الانفعال في مستوى المثير، على عكس مضطرب الشخصية الذي يعتريه الغيظ عندما يبدي أحدهم عليه ملاحظة عابرة موجودة حقيقة فيه. ثالثاً: القدرة على التعبير عن موقفه تجاه الأمور في ثبات وهدوء وإصرار، أما مضطرب الشخصية فتعبيراته فيها إسراف. رابعاً: القدرة على التحكم في دوافعه وتأجيل ملذّاته في الظروف التي تسمح بذلك.

وأما عن تأثير الانفعال في الجسم، فالانفعال الناضج السوي يُؤثر على الصحة الجسمية بالإيجاب، ولذلك يكون الناضج انفعالياً صحيح الجسم سليم العقل وافر الصحة والنشاط، وأما الانفعال السيء فتنتج عنه عدد من الاضطرابات السيكوسوماتية (النفس-جسمية) كمرض القلب وقرحة المعدة وضغط الدم وغيرها، وكثير من هذه الأمراض قاتل. ولذلك فهذه الاضطرابات السيكوسوماتية لا يُجدي فيها العلاج الجسدي وحده، وتستجيب للعلاج النفسي بشكل أحسن، والجمع بين الطب الجسدي والنفسي والمساندة الاجتماعية أكثر تأثيراً.

يقول أبو زيد البلخي: «... والأعراض النفسائية هي مثل الغضب والغم والخوف والجزع وما أشبهها، وهذه الأعراض النفسائية هي ألزم للإنسان وأكثر اعتراء له من الأعراض البدنية... فإن الإنسان مدفوع في أكثر أوقاته إلى ما يتأذى به منها إذ ليس يخلو في كآفة أحواله من استشعار غم أو غضب أو حزن وما شابهها... إلا أنه ليس قدر ما يصل منها إلى كلّ واحد من الناس قدراً واحداً، فإنهم مختلفون فيما يحصل إليهم من هذه الأعراض، وذلك أن كلّاً منهم إنّما يأخذ منها حسب مزاجه وأصل تركيبه في القوة والضعف... ومن أجل ذلك لا يستغني أحد من الناس عن تقديم العناية بمصالح الأنفس، والاجتهاد فيما ينفي عنه ما يعتريه منها؛ فيؤدّيه إلى القلق وتنقص العيش. وتكون تلك الأعراض نظيرة الأمراض الجسمية التي تعرض له، فتؤلمه وتُسقمه وتؤدّيه إلى الحالة المكروهة»<sup>(1)</sup>.

(1) أبو زيد البلخي، مصالح الأبدان والأنفس، (ص: 114-115).

### سادسا: العواطف وعلاقة الانفعالات بها.

وقد تمّ التوسّع في إطلاق لفظ العاطفة حتّى تشمل إطلاقها الانفعالات، والرّأي أنّ هذا التوسّع لا تُسنده نصوص الوحي ولا اللّغة ولا علم النّفس.

فمن جهة اللّغة فمعنى العطف هو الميل والانشاء، قال ابن فارس: «العين والطاء والفاء أصل واحد صحيح يدل على انشاء وعياج. يقال: عطفت الشيء، إذا أملتته»<sup>(1)</sup>. والانشاء والميل إمّا أن يكون ميلا عن الشيء فيكون عداوة أو على الشيء فيكون محبة، وهذان هما طرفا قوّة القلب الإرادية المتمثّلة في الحُبِّ والبُغض، وهاتان العاطفتان هما الأساس لجميع العواطف الإنسانيّة الأخرى، فالرحمة والإشفاق والمودّة من جنس عاطفة المحبّة، والفظاظة والجفاء والإعراض من جنس عاطفة البُغض، والشاهد على هذا كلام أئمّة اللّغة، قال ابن فارس: «وتعطف بالرحمة تعطفًا... ويقال للجانبين العطفان، سميا بذلك لأن الإنسان يميل عليهما. ألا ترى أنهم يقولون: ثنى عطفه، إذا أعرض عنك وجفأك. ويقال: رجل عطوف في الحرب والخير»<sup>(2)</sup>. وقال الزّبيدي: «عطف يعطف عطفًا: مال... العطف بمعنى الشفقة مجاز من العطف بمعنى الانشاء ثم استعير للميل والشفقة إذا عدي بعلى، وإذا عدى بعن كان على الضد»<sup>(3)</sup>.

فالعاطفة إذن هي: استعداد نفسي وتنظيم وجداني يتميّز بالتّبات نسبيًا، ويكون مُوجّهًا نحو موضوع معيّن كعطف الأم على ابنها<sup>(4)</sup>.

والعلاقة بين العواطف والانفعالات تظهر في أنّ العواطف<sup>(5)</sup> - مع الجوانب المعرفية والسلوكية والجسميّة - تمثل أساسا وركنا من الأركان التي ينبثق منها الانفعال ويقوم عليها، فيكون كامنا بالقوّة في الإنسان بتراكب جميع جوانبه المعرفيّة والعاطفيّة والحيويّة في كيانه الموحّد ويُخرجه المثير من حالة الكمون إلى حالة الظهور. وإذا كانت العاطفة لها تأثير كبير في تحديد درجة الانفعال ونوعه، فالغضب الناتج عن أذية والد الشخص لا كالغضب عند أذية عمّه مثلا، والعاطفة في كثير من

(1) أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (351/4).

(2) المصدر السابق، (351/4).

(3) محمد أبو الفيض مرتضى الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (165/24).

(4) يُنظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني: بيروت-لبنان، 1982 م. (44-43/2).

(5) يُنظر: د. أحمد عزّت راجح، أصول علم النّفس، (ص: 127-143).

الأحيان تتشكل عن طريق خبرة الشخص لعدد من الاستشارات والمواقف التي جعلته يجب أو يكره شيئاً معيناً، ولكن بين البشر في كثير من الأحيان قد يميل الشخص بعاطفته نحو شخص معين بينهما تشابه روحي، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»<sup>(1)</sup>.

والفرق بينهما من جهتين:

الأولى: مُدَّة الظهور. فالعواطف تكون ثابتة وقد يعترِبها التَّغْيِير مع مرور الزَّمن، أمَّا الانفعال فيحدث على شكل تغيّرات فيزيولوجية مفاجئة لحظية غير ثابتة، وبالتالي فالكرب الذي يتصف بالديمومة<sup>(2)</sup> لا يُسمى انفعالا، ولو كانت بدايته بالحزن اللحظي الذي يُعدُّ انفعالا وكذلك الفرح انفعال، وتكون الشهوة بُجَاه الأكل أو النوم أو الجنس عند إثارتها انفعالا ولا يكون الحب انفعالا بل عاطفة.

الثانية: المتعلِّق. عادة ما تتَّجه العاطفة إلى موضوع محدَّد كمحبَّة الأم لابنها، أمَّا الانفعال ليس له موضوع مُحدَّد خاص يتعلَّق به دون الانفعالات الأخرى، والعاطفة هي التي تُسندُه فالأم التي تعطف على ابنها تغضب إن اعتدي عليه، وتفرح إن نجح، وتفزع إن أصابه مكروه، وانفعالات الأم هنا متباينة ومع ذلك لم يتَّجه كلُّ واحد منها إلى موضوع خاص به، بل تشاركت الموضوع نفسه وهو الابن، ولكن عاطفة الأمومة في الأمِّ لا يُمكن أن تتوجَّه إلى غير ابنها بحال.

ومن أمثلة الانفعالات: الغضب والفرح والإعجاب والتفجُّر واللذة والألم النَّفسيان والفرح والدُّعْر. ومن أمثلة العواطف: الحب والبُغْض، والخوف (القلق الدَّائم) والأمن، والكرب الذي هو العَمُّ الشَّدِيدُ الدَّائم.

(1) تقدَّم تخرِيجُه، (ص: 74).

(2) والدَّيمومة مأخوذة من تسمية العرب لما يبقى من أصول النخلة بعد القطع بالكرب، لديمومتها بعد القطع. [يُنظر: محمد أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (133/4)؛ أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (174/5)].

## المطلب الثاني: الطرق التي تعامل بها الوحي مع العواطف والمشاعر الوجدانية.

أولاً: الإسلام جعل انشراح الصدر بنعمة الإيمان والعبادة متوقفاً على استقامة العواطف.

واستقامتها بأن يكون الله عزَّ وجلَّ وأتباع شريعته التي أرسل بها الرُّسل وأنزل بها الكتب أحبَّ إلى العبد من كُلِّ شيء، وأن تكون مخالفة أمره أبغض إلى العبد من كُلِّ شيء، فالأمن النفسي المتمثل في السكينة والطمأنينة الناتجة عن ذكر الله بالقلب واللسان والإيمان به وكذا لذَّة الطاعة وحلاوتها في قلبه إنما يجدها المؤمن بعد أن تستقيم عواطفه، ودليل ذلك ما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»<sup>(1)</sup>. وفي المقابل فإنَّ الله توعدَّ من قدَّم محبة أيِّ شيءٍ آخر على محبته بأنَّه سُبْحانه يترك هدايته قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]<sup>(2)</sup>، وإذا فقد العبد هداية الله فإنه لا بُدَّ أن يتيه في مسالك الضلال، وضيق الصدر وغمُّه مقرون بالضلال، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] الآية<sup>(3)</sup>.

## ثانياً: الطريق إلى تحقُّق العبد بمحبة الله تعالى.

ورغم ما ذُكر من الأسباب الكثيرة لتحقيق محبة الله<sup>(4)</sup>، فليس ثمة من شيء يغرس محبة الله في قلب المؤمن ويُنميها إلا سبيلان.

(1) تقدَّم تحريجه، (ص: 36).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (177/14)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (17/16).

(3) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (58/8).

(4) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (19-18/3).

السبيل الأول: سبيل سلوكي، ويتمثل في أمرين، وهما: الأول: المحافظة على الفرائض والواجبات ولا يتم ذلك إلا باجتناب المحرمات، ثم الثاني: الاجتهاد في نوافل الطاعات من الأذكار والصلاة والصدقة وغيرها، ولذلك جاء في الحديث القدسي أن الله قال: «...وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...»<sup>(1)</sup>. وهذه المحبة تعود لتعين العبد - بإذن الله تعالى - على حفظ جوارحه عن المعاصي، واستثمار حواسه في طاعة الله تعالى، وذلك يُوجب محبة الله له واستجابة دعائه، ولذلك قال الله في تمام الحديث القدسي السابق: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه...».

والسبيل الثاني: سبيل معرفي، ويتمثل في أمرين، وهما:

الأول: العلم بأسماء الله تعالى التي بلغت في الحُسن الغاية بما تضمنت من صفات الباري التي كلُّها جلال وجمال وكمال، وأفعاله كلُّها حكمة وهي دائرة بين العدل والفضل<sup>(2)</sup>، فهو يُثيب الطائع بفضله فالحسنة عنده بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة<sup>(3)</sup>، ويُعاقب العاصي بعدله، فالسيئة بمثلها، ورُبما عفا عنها، ومن فضله على العاصي أن العبد إذا حسنت توبته أبدله مكانها حسنة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠]، والتفكر في آثار هذه الأسماء والصفات في السموات والأرض، إلا أنه يجب هنا التوقف في الإثبات والنفي على ما جاءت به النصوص لأنه مجال غيبي، وأن يكون الإثبات بلا تكييف ولا تمثيل والتنزيه بلا نفي ولا تعطيل، لأن الله أثبت لنفسه الأسماء التي تتضمن الصفات قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وكما أثبت لنفسه

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (105/8) برقم: (6502) (كتاب الرقاق، باب التواضع).

(2) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، (ص: 208).

(3) لما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بما فعلها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بما فعلها كتبها الله له سيئة واحدة». [تقدّم تخريجها، (ص: 89)].

هذه الأسماء والصفات فقد نزه نفسه عما يصفه به المشركون: ﴿وَحَرِّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، والفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق كالفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق، فكما أن ذاته غير مماثلة لذوات خلقه فصفاته غير مماثلة لصفات خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولذلك قال سالم ولد عدود:

«وما نقول في صفات قدسه-فرغ الذي نقوله في نفسه

فإن يقل جهميهم كيف استوى- كيف يجي فقل كيف هو»<sup>(1)</sup>.

وما نفاه الله عن نفسه ليس هو نفيا مجردا وإنما هو نفى يُراد منه إثبات كمال ضده، والشواهد على هذا من نصوص الكتاب والسنة كثيرة، فقد نفى الله عن نفسه السنة -وهي مقدمات النوم- والنوم لكمال حياته وقِيُومِيَّتِهِ، ونفى عن نفسه اللُّغُوب والعياء لكمال قُوَّتِهِ وقُدْرَتِهِ، ونفى عن نفسه الغلول الذي نسبه إليه اليهود لكمال عطائه وكرمه وتفضُّله<sup>(2)</sup>.

الأمر الثاني: التفكر في النعم التي أسداها الرب إلى عبده، وقد حضَّ -عليه الصلاة والسلام- على ذلك: «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ»<sup>(3)</sup>. والنهي عن التفكر في الله محمول على التفكر في حقيقة ذاته وأسمائه وصفاته<sup>(4)</sup>، لا على تفهم معانيها وتعبد الله بها، ثم أرشد إلى التفكر في آلائه وهي نعمه على عباده<sup>(5)</sup>، وقد نصَّ -صلى الله عليه وسلم- على أن ملاحظة نعم الرب على

(1) يُنظر: محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود (ولد عدود) الشنقيطي، التسهيل والتكميل نظم مختصر خليل والجامع بتعليقات المؤلف التذليل والتذليل للتسهيل والتكميل، تحقيق ونشر: دار الرضوان: نواكشوط-موريتانيا، ط1، 1434هـ-2012م. (6/1-10).

(2) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، (ص: 57-59).

(3) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (6/250) برقم: (6319) (باب الميم، من اسمه محمد، محمد بن علي الصائغ المكي)، والحديث حسنه الألباني بمجموع طرقه. [يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها (4/397)].

(4) يُنظر: علي بن محمد الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (1/279).

(5) يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (1/63).



العبد سبب موجب لمحَبَّتِه سُبحانه فقال: «أَحِبُّوا الله لما يَغذوكم به من نعمه»<sup>(1)</sup>، وهذه النعم لكثرتها قطع الله إمكانَيَّة إحصائها، في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] الآية، وتتفرَّع هذه النعم إلى أنواع كثيرة فمنها: نعم حسيَّة وأخرى معنويَّة، نعم ظاهرة وأخرى باطنة، ومن النعم المشهودة: نعمة الحواس الخمس ونعمة الإمهال والسَّتر فلو شاء الله لأخذ من يعصيه في الحين ولفضحه ولكن لرحمته الواسعة وعفوه يُمهله ويرزقه، وكل ذلك من إحسان الله إلى عباده، ومعلوم أنَّ القلوب مجبولة على محبَّة من أحسن إليها، ولا مُحسن في حقيقة الأمر إلاَّ الله، وأمَّا الخلق فوسائل وأسباب، ولذلك كان من أسمائه سُبحانه المحسن الذي يتضمَّن صفة الإحسان لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الله محسن يحبُّ الإحسان إلى كلِّ شيء... الحديث»<sup>(2)</sup>.

### ثالثا: الحب في الله هو الطريق الأمثل للتكافل الاجتماعي بين المسلمين.

وعاطفة الحب من صورها عاطفة الألفة بين قلوب أهل الإيمان، وهي بدورها تتبدَّى في سلوك الأخوة، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] الآية، قبل الإسلام كان ولائهم وعدائهم على أساس النزعات العرقية والقبلية الجاهلية فكانت قلوبهم متنافرة مختلفة فدارت بينهم (الأوس والخزرج) من الحروب ما هو معروف مسطر في كتب السير، ولكن لما صار حُبهم وبغضهم على أساس الإيمان بالله ودينه ونبيه -عليه الصلاة والسلام- حصل بينهم من التآلف ما كان من أقوى الدعائم لبناء صرح شامخ من الأخوة الصادقة النزيفة عن الأغراض الحسيسة<sup>(3)</sup>، وقد سَطَّر عنهم ما لو لم يصل إلينا عن طريق الأسانيد

(1) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (347/12) برقم: (382) (من اسمه عبد الله، علي بن عبد الله بن عباس عن ابن عباس)؛ والحاكم في "مستدركه" (149/3) برقم: (4741) (كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف)؛ والترمذي في "جامعه" (126/6) برقم: (3789) (أبواب المناقب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب مناقب أهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم-)؛ والطبراني في "الكبير" (46/3) برقم: (2639) (باب الحياء، بقية أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما). قال الترمذي: «حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه».

(2) أخرجه الطبراني في "الكبير" (275/7) برقم: (7121) (باب الشين، أبو الأشعث الصنعاني عن شداد)، وجوَّد إسناده الألباني. [يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (840/1)].

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (77/7-78)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (312/8).

الصَّحاح ما يتعسَّر علينا استيعابه لا سيَّما في هذا العصر الذي اشتملنا فيه داء الأمم<sup>(1)</sup>، ومن ذلك: تقاسم الأنصار مع المهاجرين البيوت والأموال، بل زُجَّما عرض الواحد منهم على أخيه نسائه ليختار منهنَّ من شاء فيُطَلِّقها له، كما عرض سعد بن الرَّبيع ذلك على عبد الرَّحمن بن عوف -رضي الله عنهما- فأبى ابن عوف عِقَّةً ثُمَّ دعا له بالبركة<sup>(2)</sup>، وقصة سعد وابن عوف هذه ما هي إلا نموذج من النماذج الكثيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالت الأنصار للنبي -صلى الله عليه وسلم- اقسام بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تُكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا»<sup>(3)</sup>. أي تتكفلون أنتم بالسَّقي والعناية بالنخيل ونتقاسم في المحصول<sup>(4)</sup>.

وتحقيق المحبَّة بين المسلمين مقصد شرعي، وقد جاءت نصوص عديدة فيها التصريح بأنَّ تحقيق المحبَّة بين المسلمين هي عِلَّة لتلك السُّنن والآداب الإسلاميَّة، ومنها قوله -عليه الصلاة والسلام-:

(1) الذي بيَّنه نبينا -عليه الصلاة والسلام- بقوله: «سيصيب أمتي داء الأمم فقالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: الأشر والبطر والتكاثر والتناحش في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي». [أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (168/4) برقم: (7404) (كتاب البر والصلة، داء الأمم الأشر والبطر)؛ والطبراني في "الأوسط" (23/9) برقم: (9016) (باب الميم، مقدم بن داود بن عيسى المصري). حكم الحديث: رجاله ثقات رجال مسلم غير أبي سعيد، وهو ثقة. يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (291/2)]. غريب الحديث: الأشر: هو كفر النعمة. والبَطْر: هو الطغيان عند النعمة وشدة الفرح. [يُنظر: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعائي، التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، (442/6)]. وأما التَّنَاحِشُ: فهو أن يزيد في السَّلْعَةِ ولا رغبة له في شرائها بل لِيُعَرَّ غَيْرُهُ في شرائها. [يُنظر: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (120/16)].

(2) عن أنس رضي الله عنه قال: «قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة، فأخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وكان سعد ذا غنى، فقال لعبد الرحمن: أقاسمك مالي نصفين وأزوجك، قال: بارك الله لك في أهلِكَ ومالك، دلوني على السوق، فما رجع حتى استفضل أقطا وسمنا، فأتى به أهل منزله فمكثنا يسيرا، أو ما شاء الله، فجاء وعليه وَصْرٌ من صفرة، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: مهيم، قال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار، قال: ما سقت إليها، قال نواة من ذهب، أو وزن نواة من ذهب، قال: أولم ولو بشاة». [أخرجه البخاري في "صحيحه" (53/3) برقم: (2049) (كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض)؛ ومسلم في "صحيحه" (144/4) برقم: (1427) (كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك)]. غريب الحديث: الأَقْطُ: هو اللبن المجفَّف، والوَصْرُ: هو أثر الطَّيِّب، وكان من عادتهم تطيُّب الرجل إذا دخل على زوجته. [يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (57/1)، (196/5)].

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (104/3) برقم: (2325) (كتاب الحرث والمزارعة، باب إذا قال اكفني مؤونة النخل وغيره وتشركني في الثمر).

(4) يُنظر: أبو محمد محمود بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (298/13).

«...أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»<sup>(1)</sup>. وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «تهادوا تحابوا»<sup>(2)</sup>. ومنها الإفصاح عن عاطفة المحبة من المحب لمن أحبه في الله، عن أنس، قال: «مر رجل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وعنده رجل جالس فقال الرجل: والله يا رسول الله، إني لأحب هذا في الله، فقال رسول الله: أحبرته بذلك؟ قال: لا، قال: قم فأخبره ثبت المودة بينكما، فقام إليه فأخبره فقال: إني أحبك في الله، أو قال: لله، فقال الرجل: أحبك الذي أحببتني فيه»<sup>(3)</sup>. وكل الأخلاق التي جاء بها الإسلام -وهي كثيرة بفضل الله مثل عيادة المرضى وصلة الرحم وحسن الجوار وطلاقة الوجه عند اللقاء وغيرها- تعمل على توليد عواطف الخير وتنبثق عنها انفعالات طيبة وسلوكيات بناءة، فتكون زكاة ونماء وتعزيزا لنفسية المتعاطف حيث اقتدر أن يقتطع جزءا من ماله ووقته وجهده ليعين به إخوانه من أهل الإسلام وتكون كذلك علاجا له من شح نفسه، وأما من جهة المعطوف عليه فتكون جبرا لخاطره ومساندة له في مواجهة الأزمات التي تمرُّ به، وليس هذا التراحم والتعاطف مخصوصا بفئة معينة من الناس، بل ما من إنسان إلا وهو يحتاج أن يعطف على غيره ويعطف عليه، وسيد البشر -صلى الله عليه وسلم- احتاج إلى المساندة والتعاطف في بداية دعوته من زوجه خديجة -رضي الله عنها- ماديا بما لها ومعنويا بمودتها وتصديقها له وتثبيتها إيَّاه.

(1) تقدّم تخرجه، (ص: 298).

(2) أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" (169/6) برقم: (12065) (كتاب الهبات، باب التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس)؛ وأحمد في "مسنده" (1939/2) برقم: (9373) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه). والحديث حسن. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخرّيج أحاديث منار السبيل، (44/6)].

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (330/2) برقم: (571) (كتاب البر والإحسان، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر لا أصل له أصلا)؛ والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (381/4) برقم: (1547) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، أشعث بن عبد الله الحدادي عن أنس)؛ والحاكم في "مستدرکه" (171/4) برقم: (7414) (كتاب البر والصلة، إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إياه)؛ والنسائي في "الكبرى" (79/9) برقم: (9939) (كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول لأخيه إذا قال إني لأحبك)؛ وأبو داود في "سننه" (495/4) برقم: (5125) (كتاب الأدب، باب الرجل يحب الرجل على خير يراه)؛ وأحمد في "مسنده" (2621/5) برقم: (12625) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه). والحديث صحيح. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (46/20)].

### رابعاً: حدود العواطف الفطرية.

شريعة الإسلام لم تحجر على الإنسان أن يحب ولده وأباه وزوجه وبلده وغير ذلك من المحابِّ الفِطريَّة، بل إنَّه قد جعل المودَّة بين الرّوجين من آياته الدالَّة على كمال حكمته قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، ورَتَّب على تضييع الحقوق المبنية على هذه العواطف الفِطريَّة الإثم والذمَّ، وعلى حفظها ومراعاتها الأجر والمدح، والنصوص في طاعة الوالدين والبرِّ بهما كثيرة يعرفها العامُّ والخاصُّ، ومن جوانب ذلك أن يبرَّ الولد أحبَّاء وأصدقاء والديه لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صَلَّةُ الْوَلَدِ أَهْلٍ وَوَدَّ أَبِيهِ»<sup>(1)</sup>، وقد جعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- الإحسان إلى الأهل من الرّوجة والأولاد والعيال وذوي الرّحم وبذل الخير لهم مقياساً لخيريَّة الرّجل<sup>(2)</sup>، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»<sup>(3)</sup>، وكان يُصرِّح -عليه الصلاة والسلام- بمحبَّته لزوجاته كقوله في خديجة -رضي الله عنها-: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»<sup>(4)</sup>، وفي محبَّة الأولاد فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: تُقبَّلون الصبيان، فما تُقبِّلهم، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»<sup>(5)</sup>، والنماذج التي ذُكرت في القرآن عن محبَّة الأنبياء -عليهم السَّلام- لأبنائهم

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (6/8) برقم: (2552) (كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما).

(2) يُنظر: أبو العلاء محمد المباركفوري، تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي، (269/10).

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (288/7) برقم: (3018) (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدماً أو مؤخراً، ذكر الزجر عن قرح المرء الموتى بما يعلم من مساوئهم)؛ وأبو داود في "سننه" (426/4) برقم: (4899) (كتاب الأدب، باب في النهي عن سب الموتى)؛ والترمذي في "جامعه" (188/6) برقم: (3895) (أبواب المناقب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب في فضل أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-). قال الترمذي عقبه: «حديث حسن صحيح».

(4) أخرجه البخاري في "صحيحه" (38/5) برقم: (3816) (كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي -صلى الله عليه وسلم- خديجة)؛ ومسلم في "صحيحه" (134/7) برقم: (2435) (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها).

(5) أخرجه البخاري في "صحيحه" (7/8) برقم: (5998) (كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته)؛ ومسلم في "صحيحه" (77/7) برقم: (2317) (كتاب الفضائل، باب رحمته -صلى الله عليه وسلم- الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك).

كثيرة كمحبة يعقوب ليوسف، وإبراهيم لإسماعيل، وغيرها، ويُستخلص من تلك الآيات في مجملها حجم المحبة التي كان يُكنُّها الأنبياء لأبنائهم، ولم تقف تلك المحبة عند توفير الملبس والمطعم والمشرب، بل تعدت ذلك إلى بذل الجهد في تربيتهم على الصلاح، وأثمر ذلك قول إسماعيل عندما ابتلى الله إبراهيم -عليهما السلام- بذبحه فيما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصفوات: ١٠٢]، وقول يوسف عليه السلام لما صيره الله إلى الملك بعد أن لاقى ما لاقاه من المحن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رَحْمَةً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠]، والأمثلة على ذلك كثيرة، والمقصود أن المحبة الفطرية يجب أن تُجعل في خدمة المحبة الشرعية، والرُّسل إنما جاؤوا ليُقرِّروا الفطرة وليُفصلوها ويُنظِّموها لا لأن يُنكروها.

وفي المقابل فقد حذر الربُّ عباده من أن يجعلوا هذه المحابَّ أعظم من محبتهم لخالقهم ورازقهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، وإنما ذلك لصالحهم فالتعلق الشديد الخارج عن الاعتدال بأي شيء وتقديمه على محبة الله من زوجة أو مال أو غير ذلك قد يجلب على صاحبه انحرافات في سلوكه وانفعاله ومضرة في عقله وجسده، وذلك أنه ما من شيء إلا ويعتريه التغيير والتبديل والاضمحلال، ولذلك كان من وصايا جبريل -عليه السلام- لنبينا -عليه الصلاة والسلام-: «وَأَحِبَّ مِنْ أَحَبِّتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ»<sup>(1)</sup>، ونجد كثيرا من المحبِّين محبة لغير الله يقع في ظلم من لهم الحقُّ عليه للمحبة التي يُكنُّها محبوبه -أيًّا كان هذا المحبوب مالا أو امرأة أو جاها ورئاسة أو غير ذلك- من غير تمييز بين ما هو عدل يُرضي الله وبين ما هو ظلم لا يُرضي الله عز وجل، وقد حكى الله عن قوم إبراهيم -عليه السلام- أن محبتهم لآلهتهم المزعومة غطت على عقولهم، فلم ينفعهم انتباههم إلى أن هذه الآلهة لا تنطق ولا تدفع عن نفسها فضلا على أن تدفع

(1) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (324/4) برقم: (8016) (كتاب الرقاق، شرف المؤمن قيام الليل)؛ والطبراني في "الأوسط" (306/4) برقم: (4278) (باب العين، عبد الله بن أحمد بن حنبل). والحديث حسنه جماعة من أئمة الحديث. [نظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (48/2)].

عن غيرها الضرر أو تُوجب له النفع، قال تعالى: ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا بُرْهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٢-٦٥]، وكذا الأقوام التي بعث إليهم الأنبياء كان سبب المعارضة هو تقديم محبتهم لطريقة آبائهم على طريقة الرسل، ولذلك بعد أن ذكر الله تعالى شرك المشركين به في المحبة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ذكر بعدها ميلهم لطريقة آبائهم وتقديمها على طريقة الرسل: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَأُولُو كَأَن ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وهذا الميل إلى طريقة الآباء والسنة الذي جروا عليه كان مانعا لأمم كثيرة من اتباع الهدى الذي بُعث به الأنبياء قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ ءَأُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأَثَرِهِم مَّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وقد حكى ابن عباس أن الوليد بن المغيرة أتى النبي -عليه الصلاة والسلام- فقرأ عليه القرآن، فكانه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فعرض عليه المال وكان مما قال له: «فُئِّلَ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ، أَوْ أَنَّكَ كَارِهِ لَهُ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ، فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشَّعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الجَنِّ، وَاللَّهِ مَا يَشْبَهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللَّهِ إِن لِّقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حِلَاوَةً، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطِلَاوَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُثْمَرٌ أَعْلَاهُ مَغْدُقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يَعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطَمُ فَاتِحَتَهُ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَا يَرْضَىٰ عَنكَ قَوْمَكَ حَتَّىٰ تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعَنِي حَتَّىٰ أَفْكَرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُّؤَثِّرُ بِأَثَرِهِ عَن غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر: ١١] إلى قوله: ﴿ ثُمَّ أَذْبَرُوا سَتْكَبَرًا ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُّؤَثِّرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المدثر: ٢٣-٢٤] «<sup>(١)</sup>.

#### خامسا: ضبط العواطف وعدم الاعتماد عليها دائما.

وقيام المحبة بقلب المسلم تُجاه من يُحيط به من الأقربين والأبعدين يُسهِّل عليه القيام بواجباته تُجاههم، ولكن قد تضعف المحبة أو يتعرَّض لها ما يُضعفها من الأذى فيجب والحال هذه أن يجتهد أكثر في الحرص على تأدية حقوقهم، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رجلا قال:

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (26-23/24).

«يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل<sup>(1)</sup>، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»<sup>(2)</sup>.

ولما صرحت زوجة ابن الأرقم ببغضها لزوجها وذهبت بها إلى أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه-، فقال لها عمر: «ما حملك على ما قلت؟ قالت: إنه استخلفني فكرهت أن أكذب، فقال عمر: بلى فلتكذب إحدائكم وتحمّل، فليس كل البيوت تُبنى على الحب، ولكن معاشره على الأحساب والإسلام»<sup>(3)</sup>. والالتزام بأداء هذه الحقوق الشرعية كفيل بأن يخلق المحبة في القلوب، وكما أنّ «الحلم بالتحلم والعلم بالتعلم»<sup>(4)</sup>، فكذلك المحبة تحصل بالتحبّب.

وفي المقابل أمر الله تعالى الرجال بأداء حقوق النساء وحسن معاشرتهم بالمعروف، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩]، وذلك أنّ العرب كانت في الجاهلية إذا مات أحدهم عن زوجته، رأى قريبه أنه أحقُّ بها من كل أحد، فحبسها عنده، فإن أحبّها تزوّجها على مهر يُعيّنه هو ولو كان أقلّ مما يُدفع لمثيلاها، وإن لم يرضها عضلها<sup>(5)</sup> ليستغلّ ما عندها من المال الذي ورثته عن زوجها المتوفّى، ورثاً زوجها غيره على أن تُعطيه طرفاً من صداقتها، وكذلك كان يفعل الرجل مع امرأته

(1) قال النووي: «ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحارّ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق أكل الرماد الحارّ من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في طبيعته، وإدخالهم الأذى عليه. وقيل: معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يُسفّ الملّ. وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالملّ يحرق أحشاءهم والله أعلم». [أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (115/16)].

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (8/8) برقم: (2558) (كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها).

(3) روى هذه القصة علاء الدين علي المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكرى حياني وصفوة السقا، ط5، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1401هـ-1981م. برقم: 45859، (16/554-555).

(4) أخرجه الطبراني "الأوسط" (118/3) برقم: (2663) (باب الألف، إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي)، والحديث حسنه الألباني. [ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (670/1)].

(5) والعَضْل كما قال فيه ابن فارس: «وَعَضَلْتُ الْمَرْأَةَ عَضْلًا، وَعَضَلْتُهَا تَعْضِيلًا، إِذَا مَنَعْتَهَا مِنَ التَّزْوَاجِ ظُلْمًا». [أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (346/4)].

إذا كرهها يُطْلَقُهَا ويُمَسِّكُهَا عنده ليستنفد جزءاً من الصَّدَاق الذي أعطاهما قبل أن يُسَرِّحَهَا، وفي ذلك النَّهْيُ عن ظلم المرأة ثم الأمر بمعاشرتهن بالمعروف بالقول والفعل، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، و النفقة عليهن<sup>(1)</sup>.

وفي الآية تقديم لما يجب التزامه وامتناله - من النَّهْيِ عن إكراه النساء على النَّكاح، وعن منعهن منه بغير حق وكذا الأمر بمعاشرتهن بالمعروف - على عاطفة الكره والميل عنهن، والكره مظنة سوء العشرة، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ العاطفة غير صادقة دائماً في قضية الخير والشر، فقد يكره الرَّجُل امرأته ولكن لو صبر عليها واحتسب أداء حقها، فقد يجعل الله فيها خيراً كثيراً بالولد الصَّالح، وقد يخلق المودة بينهما فيسعد بها ما لا يسعد بغيرها، وقد يرزقه الله بسببها رزقا وافرا، أو غير ذلك من الحكم التي قد يظهر لنا بعضها ويخفي علينا أكثرها<sup>(2)</sup>.

وكذلك قد أمر الله بالتزام العدل بين النساء - إذا كانت للرجل أكثر من زوجة - في النفقة والكسوة والجماع وغير ذلك من حقوق الزوجية، وقدم بين يدي ذلك أنه لا يمكن بحال أن تتكافأ محبة الرجل في جميع زوجاته، وذلك لا يسوغ له أن يظلم إحداهن أو أن يقصر في حقوقها على حساب غيرها منهن، لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ [النساء: ١٢٩]، فميل القلب بالمحبة إلى إحدى الزوجات يجب أن يضبط حتى لا يؤثر على السلوك فيميل ميلا كلياً فيترك التي مال عنها معلقة لا هي متزوجة ولا أيم مسرحة، ولذلك فإذا أبي الزوج إلا أن يمنعها حقها الواجب لها، فالفراق والحال هذه أحسن لها، ولذلك أعقب الله تعالى هذا بقوله: ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كِلَا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ [النساء: ١٣٠] <sup>(3)</sup>.

وقد علم الله ثقل مهمة الجهاد على النفوس لما فيه من التعرض لانتهاة حياة المرء في دار الدنيا أو الإصابة بالجراح والسفر من الأوطان ومفارقة الأولاد والأزواج والأموال، ومحبة الحياة وما يتبعها من الصحة وكره الموت وما يشاكله من المرض، والضعف طبع في الإنسان وقد أعلمنا الله بأنه يعلم

(1) يُنظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 172).

(2) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (287/4).

(3) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (284/9-293).



ذلك منّا، ولما كان ذلك قد يكون عائقاً لنا عن اتباع شريعته سبحانه، علّمنا قاعدة جامعة للتعامل مع العواطف في ذلك، فقال سبحانه: ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فبيّنت الآية الكريمة أنّ الشرّ والخير مُعلّق بالشرائع التي أنزلها الله لنا، وقد يُحِبُّ الإنسان خلاف ما شرعه الله من جهة طبعه الآدمي لا من جهة اعتقاد النقص والقصور في أحكام الله تعالى، وغالب الشرائع والتكاليف لا تخلو من المشقّة، فيجب والحال هذه ألاّ يُعوّل على العواطف في الأخذ بهذه الشرائع بل يُؤدّيها ولو لم تُسغفه عاطفته على ذلك<sup>(1)</sup>.

وهذا الأخذ بالشرائع نفسه يؤوّل إلى تحريك العواطف نحو هذه الشرائع، ولذلك كان النبي - عليه الصلاة والسلام- يتألّف الأعراب بالمال في بداية الدّعوة وقلة المسلمين، فعن أنس -رضي الله عنه-: «أن رجلاً سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- غنماً بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر. فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحبّ إليه من الدنيا وما عليها»<sup>(2)</sup>، ومن هذا ما يُنسب إلى طائفة من العلماء من قولهم: «طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله»<sup>(3)</sup>.

وإذا اعتمد الإنسان في حركاته وسكناته على عواطفه ولم يعمل على ضبطها بالتزام العدل الذي هو سمة مشتركة بين جميع الشرائع التي أمرنا الله بها، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] الآية، فسيقع في الظلم ولا بد، ولذلك حدّر الرّبُّ عباده من العُدوان والظلم عند الشّنان وهو البُغض مع التقزُّز والاستقذار<sup>(4)</sup> في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾ [المائدة: ٢] الآية، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٨] الآية.

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التّحرير والتنوير، (321/2).

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (74/7) برقم: (2312) (كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه).

(3) يُنظر: علي بن محمد الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (295/1).

(4) يُنظر: الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 465)؛ أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (217/3).

كما نهانا سبحانه عن السلوكيات التي تولد عاطفة العداة لما يترتب عليها من المفاسد وضياع المصالح، ومن الأمثلة على ذلك: السخرية وهي الاستهزاء بالآخرين وكذلك اللمز و التنازب بالألقاب في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ﴾ [الحجرات: ١١] الآية، والآية كما فيها النهي عن سلوك السخرية فيها تصحيح المفاهيم وتقويم المعتقدات التي ينبع منها سلوك السخرية، وهو توهم الأفضلية على من سخر منه في نسبه، ولذلك بيّن في الآية الموالية المحكّ الذي على أساسه تكون الأفضلية ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وكان فاشيا في الجاهلية إعجاب كل قوم بنسبهم واعتقادهم أنّهم هم الأفضل، فكان ذلك يجرّ إلى التقاتل وما يتفرّع عن ذلك من السخرية واللمز والنز والظن والتجسس والغيبة، ولذلك أدّب الله المؤمنين على اجتناب ما كان في الجاهلية من هذه السلوكيات.

ثمّ عالج أصل الداء فبيّن أنّ هذا التشعب الذي وضعه الله تعالى بحكمته في القبائل والشعوب الغرض منه تعارف الناس، فاستعملوه في غير ما جعله الله له، وقد افتتحت الآية ببيان أنّ أصل النوع الإنساني واحد، وإذا كان الأمر كذلك فلا شرف ولا أفضلية بمجرد النسب، وعليه فلا موجب إلى مدح الشخص نفسه بقبيلته ولا موجب إلى قدحه في الآخرين على أساس قبائلهم، وبذلك تسكن العداوات ويخمد التقاتل والسخرية والغيبة وغير ذلك ممّا انبنى على هذا التصوّر الفاسد، وإمّا الأفضلية تكون باكتساب الفضائل وتلك هي التقوى<sup>(1)</sup>، ولذلك قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «قد أذهب الله عنكم غيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقى وفاجر شقى، والناس بنو آدم، وآدم من تراب»<sup>(2)</sup>.

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (26/258-261).

(2) أخرجه أبو داود في "سننه" (4/492) برقم: (5116) (كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب)؛ والترمذي في "جامعه" (6/225) برقم: (3956) (أبواب المناقب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (10/232) برقم: (21124) (كتاب الشهادات، باب شهادة أهل العصبية)؛ وأحمد في "مسنده" (2/1833) برقم: (8857) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وغيبة الجاهلية بمعنى الكبر الذي كان فيها. [ينظر: أبو العلا محمد المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (9/110)].

وكما نهي الله عزَّ وجلَّ عن السلوك الذي يُوجب البغضاء وقوم الأسباب المعرفية التي تقف خلف ذلك، فقد أمرنا سبحانه بالسلوك الذي فيه علاج لعاطفة العداة والبغضاء واستبداله بالولاء وهو المحبة، وذلك بأن يُجاب به جهل الجاهل بالحلم وإساءة المسيء بالإحسان والعفو لقوله تعالى:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] (1).

### سادسا: الاقتصاد في المشاعر والميول.

قال عليٌّ -رضي الله عنه-: «أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما» (2). وهذا إرشاد إلى عدم المبالغة والإسراف في محبة الصديق وبُغض العدو، لعلَّ الأمور تنقلب بانقلاب الأحوال والأزمان فيصير الصديق عدواً والعدو صديقا، فيقع الندم حينها على المبالغة فيما سلف من محبة الصديق الذي صار عدواً من إفشاء الأسرار إليه وإطلاعه على كلِّ كبيرة وصغيرة في نفس المرء، وكذلك يقع الخجل ممَّا سلف من المبالغة في بُغض العدو وما ارتكب في جانبه بعد أن صار صديقا (3).

ولما بعث النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- نفرا من قبيل نجد فجاءوا بثمامة قبل إسلامه -رضي الله عنه- أسيرا ثمَّ ربطوه إلى سارية من سواري المسجد ما كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يزيد عن قوله لثمامة: «ما عندك يا ثمامة» وثمامة يُجيب: «خيرٌ يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسَل منه ما شئت»، ولم يأمر -عليه الصلاة والسلام-

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (471/21)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (292/24).

(2) هذا الأثر زوي مرفوعا وموقوفا من طريق عليٍّ -رضي الله عنه-: فَمَنْ أخرجَه مرفوعا الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (55/2) برقم: (434) (من حديث أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، حميد بن عبد الرحمن الحميري عن علي عليه السلام)؛ ومَنْ أخرجَه موقوفا ابن أبي شيبة في "مصنفه" (553/19) برقم: (37026) (كتاب الأوائل، أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة)، وقد أخرجَه الترمذي من طريق أبي هريرة مرفوعا في "جامعه" (532/3) برقم: (1997) (أبواب البر والصلة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض)، ثمَّ قال: «هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه. وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا رواه الحسن بن أبي جعفر، وهو حديث ضعيف أيضا بإسناد له عن علي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. والصحيح عن علي موقوفاً قوله». وهذا نصٌّ من الترمذي في أن قائل هذا الأثر إنما هو عليٌّ -رضي الله عنه-.

(3) يُنظر: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، (400/1).

بتعذيبه ولا بضربه ولا بإهانته فلما كان من اليوم الثالث أمر النبي بإطلاقه، فاعتسل ثم جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأعلن إسلامه ثم قال: «يا مُحَمَّد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي... الحديث»<sup>(1)</sup>.

وأما المبالغة في العداوة والخروج بها عن حدِّ العدل فإنه من علامات المنافق: «إن خاصم فجر»<sup>(2)</sup>، أي مال عن الحقِّ والقصد والاعتدال ولم يلتزم العدل تجاه خصمه، أمّا آية المؤمن فضدُّ ذلك، فهو قائم مع الحقِّ ولو اضطره ذلك أن يكون خصماً لنفسه، ولذلك أمر الله تعالى المؤمنين بالقيام مع الحقِّ ولو على حساب أنفسهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُؤُوتًا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥]<sup>(3)</sup>.

وأما المبالغة في المحبة فيجب الاقتصاد في حقِّ المخلوق وإذا زاد عن حده صار عشقاً وأضرَّ بصاحبه وأدخله في دائرة من الهموم التي تضرُّ بصحته العقلية والجسمية، ولذلك لم يرد العشق ممدوحاً في نصوص الوحي، وإن لم يأت ذكر العشق في آيات القرآن وأحاديث النبي -عليه الصلاة والسلام- بلفظه ومبناه فقد ذُكر بشخصه ومعناه في قضيتين، الأولى: هم عشق قوم لوط، حيث أوجب لهم ذلك حالة من السكر قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعُلَمِيكِ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: ٦٨-٧٢]، والثانية: ما ذمَّ به النسوة امرأت العزيز على عشقها ليوسف -عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف: ٢٠]<sup>(4)</sup>.

(1) تقدّم تحريجه، (ص: 286).

(2) تقدّم تحريجه، (ص: 501).

(3) يُنظر: أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (1/484).

(4) يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص:

أمّا محبة الله تعالى فلا يُمكن أن يُقال بعدم المبالغة فيها لأنّ الله تعالى يُحِبُّ لأمرين: الأوّل: لما أسدله على العبد من النعم وهي لا تُعدُّ ولا تُحصى. والثاني: لما له من صفات الكمال والجمال والعظمة التي لا يُمكن أن يُدرك ويُحاط بشيء منها كما قال تعالى عن صفة العلم: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية<sup>(1)</sup>، فضلا عن صفات الله التي عُيِبَ عنها حتّى ما يدلُّ عليها من الأسماء كما في حديث: «أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»<sup>(2)</sup>، فضلا عن الإدراك والإحاطة بذاته أو بصفاته كلّها قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] <sup>(3)</sup>.

ولهذين الأمرين كانت محبة الله في قلب المؤمن ليس لها حدٌّ تنتهي وتقف عنده، وأعلى مرتبة من المحبة نالها نبيّان كريمان: سيّد ولد آدم محمّد وإمام الحنفاء إبراهيم -عليها الصلاة والسلام-، ولذلك لم يأت في نصوص الكتاب والسنة التعبير عن محبة العبد لله تعالى بالعشق الذي هو الإفراط في المحبة ومجاورة الحدّ فيها<sup>(4)</sup>.

وعليه فلا يجوز وصف محبة العبد لربه بالعشق لأربعة أمور<sup>(5)</sup>، وهي كالاتي: أوّلا: عدم تناسب المعنى اللغوي للعشق الذي هو الإفراط ومجاورة الحدّ في الحب مع ما يستوجبه الله من كمال الحبّ والتعظيم لعظيم نعمه التي لا تُحصى ولكمال صفاته التي لا يُحيط بها إلا هو، ثانيا: أنّ العلاقة بين العبد والرّب سبحانه إمّا هي توقيفية على النصّ فلا يجوز أن يُخاض فيها بالتخرّصات أو الأذواق، ثالثا: أنّ العشق كثيرا ما يكون فسادا في التصور بحيث يتخيّل العاشق المعشوق أعظم مما هو عليه في الواقع، وأمّا الله تبارك وتعالى فهو فوق ما يُوصف به، ولا يُمكن للعبد أن يُحصى الثناء عليه حتّى أفضل الخلق -عليه الصلاة والسلام- كان يقول في دُعائه: «... لا أحصي ثناء عليك أنت كما

(1) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (397/5)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (22/3).

(2) تقدّم تحريجه.

(3) يُنظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (457/3).

(4) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (321/4). محمد أبو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (158/26).

(5) يُنظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفائها ويليها الثحفة العراقية في الأعمال القلبية، (ص: 24).

أثنت على نفسك»<sup>(1)</sup>. رابعا: أن الذي جرى في عرف الناس منذ القديم استعماله في محبة النسوان والمردان، وذلك يُوجب تنزيه الله تعالى عن وصفه به.

### المطلب الثالث: الطرق التي تعامل بها الوحي مع الانفعالات.

على أساس ما مرّ تقريره في المطلب الأول من هذا المبحث في توصيف الانفعال بأنه مُركّب من عدّة جوانب معرفية وسلوكية وجسدية فإنه يُمكن القول بأنّ التعامل مع الانفعال يتوقّف على حالة هذه الجوانب سلبا وإيجابا، فكلّما حُسنت هذه الجوانب وكانت متوازنة معتدلة كان الانفعال معتدلا، وكلّما اختلّت أثر ذلك على الانفعال بالسلب، ومنه فإنّ كل ما مرّ تسطيره في الدعائم المعرفية والسلوكية له الأثر العظيم في ضبط الانفعال، فاستجابة الإنسان الانفعالية لا تنبثق من فراغ بل إنّه يتصرّف نحو الأمور حسب نظرتة وتقييمه المعرفي لها وميوله العاطفية، وحسب السلوك الذي اعتاد عليه<sup>(2)</sup>، ومقدار أثر هذا الانفعال عليه جسميا يتفاوت بتفاوت حالة أجهزته الجسمية، وما يُؤثر على هذا من نشاطاته الحياتية الثلاثة نوعا وكما: الغذاء والحركة والنوم. ومع هذا يُمكن في هذا الصدد التركيز على بضعة نقاط يظهر فيها تقويم الوحي للانفعالات، وهذه النقاط قد ركّزت في أكثرها على انفعال الغضب، وهي كالتالي:

### الفرع الأول: الضبط المعرفي للانفعالات.

#### أولا: مراقبة الله.

وذلك بأن يكون العبد دائم الاستحضار لبصر الله تعالى وسمعه وقربه منه وقدرته عليه، فيضبط انفعاله حياء منه سبحانه وطمعا في الخلف منه، وقد عرّف ابن القيم المراقبة وبين الطريق لها حيث قال: «التعبد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة»<sup>(3)</sup>.

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (51/2) برقم: (486) (كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود).

(2) قال أبو محمد ابن حزم: «لَيْسَ بَيْنَ الْفَضَائِلِ وَالرَّذَائِلِ وَلَا بَيْنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي إِلَّا نَفَارُ النَّفْسِ وَأَنْسَاهَا فَقَطْ، فَالسَّعِيدُ مَنْ أَنْسَتْ نَفْسَهُ بِالْفَضَائِلِ وَالطَّاعَاتِ وَنَفَرَتْ مِنَ الرَّذَائِلِ وَالْمَعَاصِي، وَالشَّقِيّ مَنْ أَنْسَتْ نَفْسَهُ بِالرَّذَائِلِ وَالْمَعَاصِي وَنَفَرَتْ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالطَّاعَاتِ». [الأخلاق والسير أو مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والرّهد في الرذائل، (ص: 82)].

(3) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (2/66).

ومن الوقائع التي فيها نُصح النبيّ -عليه الصلاة والسلام- باستعمال المراقبة في ضبط الانفعال ما حكاه أبو مسعود البدري -رضي الله عنه- عن نفسه قال: «كنت أضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي: اعلم أبا مسعود. فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود، فألقيت السوط من يدي، فقال: اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام. فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا»<sup>(1)</sup>. وفيه أن يُعامل المسلم غيره ممن أثار انفعاله بمثل ما يُحِبُّ أن يُعامله الله به إذ إنَّ له هفوات توجب غضب الله عليه وانتقامه منه، ولذلك لما غضب أبو بكر -رضي الله عنه- وحلف على منع الصدقة عن مسطح بن أثاثة لما وقع فيه من إشاعة ما قيل من الإفك عن ابنته الطاهرة المطهرة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] <sup>(2)</sup>.

ولا يقتصر الأمر على مغفرة الذنوب بل يتعدى ذلك إلى أن يُباهي الله تعالى به الخلائق يوم القيامة ليُذيقه ألوانا من النعم، قال -صلى الله عليه وسلم-: «من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيّره في أيّ الحُور شاء»<sup>(3)</sup>.

### ثانيا: استشعار فضل الله تعالى وحكمته.

استشعار فضل الله تعالى عند حصول النعمة يقوي العبد من المبالغة في الفرح والخروج به عن حد الاعتدال إلى الكبر والظلم والغدوان.

واستشعار حكمته عند حصول النعمة يقوي العبد من المبالغة في الحزن والوصول به إلى درجات متقدمة من الهم والكرب.

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (91/5) برقم: (1659) (كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده).

(2) يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (136/19).

(3) أخرجه أبو داود في "سننه" (394/4) برقم: (4777) (كتاب الأدب، باب من كظم غيظا)؛ والترمذي في "جامعه"

(547/3) برقم: (2021) (أبواب البر والصلة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب في كظم الغيظ)؛ وابن ماجه في

"سننه" (280/5) برقم: (4186) (أبواب الزهد، باب الحلم)؛ وغيرهم. قال الترمذي: «حديث حسن غريب».

وقد أمر الله -عزَّ وجل- عباده بالفرح بفضله قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، وقد رُوي حديث عنه -عليه الصلاة والسلام-: «فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله»<sup>(1)</sup>، وتشهد له الآية التي قبله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، كما قد وقعت المقارنة والتفضيل بين الفرح بفضل الله ورحمته وبين ما يجمعونه من الأموال، وإن كان ما يجمعونه هو كذلك من فضل الله، وإنما الآية فيها تعريض بالكفار وتسليية للمؤمنين الذين ليس في أيديهم ما في أيدي الكفار من النعم الدنيوية، وحتى النعم الدنيوية و«اللذات الروحانية فإنه يجب على العاقل أن لا يفرح بها من حيث هي، بل يجب أن يفرح بها من حيث إنها من الله تعالى وبفضل الله ورحمته... وذلك هو غاية الكمال ونهاية السعادة»<sup>(2)</sup>.

كما أن الآية فيها تقديم ما حقه التأخير، لأنَّ متعلق الجار والمجرور (بفضل) هو (فليفرحوا) وذلك دالٌّ على الاختصاص، أي لا تفرحوا إلا بفضل الله لأنَّ كلَّ الفضل والنعم منه<sup>(3)</sup>.

وهذا الشعور بفضل الله سبحانه ورحمته في أيِّ نعمة يجعل المؤمن قانعا ممتناً يلتفت إلى أقلِّ النعم ويتنعم بها ويفرح بها، وجسد النبي -عليه الصلاة والسلام- ذلك حين قال: «من أصبح معافى في بدنه، آمنا في سره عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»<sup>(4)</sup>، وذلك لأنَّ الانفعال تبع للحالة الشعورية.

فالمؤمن يفرح بما منَّ الله به عليه من النعم الحسيَّة كنعمة الصحة والنعم المعنوية كنعمة الأمان والطاعة وغيرها، ولكن استشعاره لفضل الله تعالى ومنته عليه بهذه النعم، وأنها ليست من محض

(1) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (347/5) برقم: (5512) (باب الميم، محمد بن عثمان بن أبي شيبة). وفي سنده عطية العوفي وقد ضعفه الأئمة. [يُنظر: ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية: حيدر آباد-الهند. ودار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، 1271هـ-1952م. (383/6)].

(2) أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (270/17).

(3) يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (269/17)؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (204/11).

(4) أخرجه الترمذي في "جامعه" (167/4) برقم: (2346) (أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب)؛ وابن ماجه في "سننه" (253/5) برقم: (4141) (أبواب الزهد، باب القناعة). وقال الترمذي: «حسن غريب».



تدبيره وحذقه يُوجب له حالة من التواضع وعدم التعالي تقيه من الفرح المفرط الذي ينجم عنه كثير من الآفات كالعجب بالنفس والغرور والكبر والرّهو بالنفس، ولذلك قال الله تعالى حكاية عن قوم قارون وجداهم معه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦) [القصص: ٧٦]، وفرح صيغة مبالغة<sup>(1)</sup>.

وفي المقابل فالمؤمن يحزن من مُنطلق طبيعته البشريّة، ولذلك حزن سيّد البشر -عليه الصلاة والسلام- لما مات ابنه إبراهيم فبكى ثمّ قال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يَرْضَى ربُّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»<sup>(2)</sup>. ولذلك فاليقين بأنّ قبض النعم من الله -سُبْحانه- الحكيم العدل المنتزّه عن الظلم يوجب ثباتا انفعاليّاً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى: ٢٧)، خبير بأحوال العباد وبصير بما يصلحهم من توسيع الرزق أو تضييقه، فيقدّر لكل أحد منهم ما يصلحه، ويكفّه عن الفساد<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً: حسن الظن بالله.

حسن الظن بالله من شأنه إعادة تفسير المثير للانفعال غير المرغوب بشكل يجعله إيجابياً وبنّاءاً فالإصابة بالمرض مثلاً مظنة الحزن، ولكن إذا أحسن المؤمن الظنّ بالله أنّه بهذا المرض يُطهّره من ذنوبه ويرفع درجته ويُشعره بعظيم نعمة الصحة التي كانت عليه ويُنبّهه إلى إصلاح نفسه والتّوبة من ذنوبه، وكم من تائه كان المرض سبباً في توبته واستقامته، ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام-: «من يُرد الله به خيراً يُصب منه»<sup>(4)</sup>.

وإذا كان سوء الظن بالله مبنياً على الجهل به، لقوله تعالى: ﴿يَظُنُّوكَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فإنّ حُسن الظنّ مبنٍ على العلم بالله وأسمائه وصفاته، قال ابن القيم: «وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحقّ لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنی

(1) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (178/20).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (83/2) برقم: (1303) (كتاب الجنائز، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- إنا بك محزونون)؛ ومسلم في "صحيحه" (76/7) برقم: (2315) (كتاب الفضائل، باب رحمته -صلى الله عليه وسلم- الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك).

(3) يُنظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (614-613/4).

(4) تقدّم تخرجه، (ص: 296).

وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفردته بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق<sup>(1)</sup>، ولذلك أعقب إساءة المنافقين الظن بالله ببيان حالهم: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فلم يرضوا بقضاء الله الكوني ولا بحكم الله ورسوله الشرعي وودوا لو كان الأمر لهم، فردّ عليهم بأن الأمر كلّهُ لله الحكيم العليم.

#### رابعاً: تحويل الانتباه إلى ما يشير عكس الانفعال.

التركيز على الموضوع الذي أثار الانفعال غير المرغوب يزيد من شدّة الانفعال، ولذلك فمن الوسائل المعرفية أن يُعلّم الشخص نفسه، كيف ينظر إلى الأمور من وجهها الآخر الذي يخفض من شدّة الانفعال.

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الرسول الله -عليه الصلاة والسلام-: «لا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»<sup>(2)</sup>.

وأصل الفرك في اللّغة: الاسترخاء<sup>(3)</sup>، والمراد هنا الحثُّ على حُسن المعاشرة وترك ما يُحرِّك دواعي البُغض<sup>(4)</sup>، وطِباع النَّاسِ تختلف فقد يجد الزوج بعض طِباع المرأة ملائماً له وبعضها غير ملائم والزوجة كذلك، ولذلك فقد أرشد النبي -عليه الصلاة والسلام- بعدم التمعُّن في الطِّباع غير الملائمة، وأن يستدفع ما يرد على ذهنه من الالتفات إلى بعض الطِباع غير المرغوبة له في امرأته بتحويل الانتباه إلى ما يستحسنه في امرأته من الجوانب الكثيرة قد يكون في دينها أو جمالها أو صبرها معه أو خدمتها له أو نثرها لبطنها لحرثه وولده وغير ذلك، ووجه تسمية ما يُحدث البُغض فركاً أنّ البُغض يُحدث استرخاء وانفساخاً بين الزَّوجين، وقد يتمثّل في الطَّلاق أو في نشوء كثير من الخلافات والأزمات بين الزوجين التي تُنشئ الأسرة، وفضلاً عن الأثر السلبي الذي يُحدثه هذا الفرك على نفسيّة الزوجين فإنّه يضع الأطفال في جوٍّ غير مهياً لحصولهم على الرعاية النفسيّة من الوالدين. ولقد كان ممكناً لو أنّه

- (1) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، (205/3).
- (2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (178/4) برقم: (1469) (كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء).
- (3) يُنظر: أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (495/4).
- (4) يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (441/3).

انْتَبِهَ إلى تلك الشرارة الأولى وتمَّ إطفائها بما وصفه النبي -عليه الصلاة والسلام- تحويل الانتباه إلى ما يرتضيه وما يستحسنه في امرأته، وكذلك المرأة بالنسبة لزوجها، والولد مع والديه، والصديق مع صديقه، والمواطن مع وطنه وهكذا<sup>(1)</sup>.

#### خامساً: التهوين من شأن الموقف المثير للانفعال.

هذه الطريقة تتشابه مع الطريقة التي قبلها في صرف الاهتمام عن الموضوع الذي أثار الانفعال، ولكنها تختلف عنها من جهة أن الطريقة السابقة (تحويل الانتباه) تعتمد إلى الانتقال من التركيز على جهة مثير معين إلى الانتباه إلى جهة أخرى، وأمّا هذه الطريقة فتعتمد إلى جهة المثير نفسها، وتعيد إعطائها تأويلاً معرفياً آخر للمثير.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه أنس -رضي الله عنه- قال: «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت النبي -صلى الله عليه وسلم- في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي -صلى الله عليه وسلم- فلقّ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت»<sup>(2)</sup>.

النبي وهو من هو -عليه الصلاة والسلام- يجلس عند إحدى نسائه، فترسل أخرى من نسائه طبقاً من طعام إلى بيت التي هو عندها، فلمّا رأت ذلك التي هو في بيتها حملتها غيرتها على النبي -عليه الصلاة والسلام- أن ضربت إناء الطعام التي أرسلته الأخرى فكسرت، والنبي هو المرسل من عند ربّ العالمين وهو قائد المسلمين يومها والإمام الذي يُرجع إليه في كلّ كبيرة وصغيرة من شؤون المسلمين، لو كان غيره -عليه الصلاة والسلام- في هذا الموقف وبُعُشر من أعمار المكانة التي هو عليها -عليه الصلاة والسلام- كان من المحتمل جداً أن يُثور ويغضب ويُفسّر ذلك على أنّه تطاول عليه وعدم تقدير واحترام لمكانته وسوء أدب معه، ولكنّه -عليه الصلاة والسلام- ما غضب ولا ثار

(1) يُنظر: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (58/10-59)؛ شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح مشكاة المصابيح، (7/2326).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (7/36) برقم: (5225) (كتاب النكاح، باب الغيرة).

بل قال: «غارت أممكم» فأرجع ذلك إلى ما جعله الله في الزوجة من غريزة الغيرة على زوجها، وقام - عليه الصلاة والسلام- ولم يصرخ ولم يضرب ولم يشتم، بل عالج الموقف بحكمة وهدوء فجمع ذلك الطعام المتناثر على الأرض بفلق الإناء المكسور ودعا من معه للأكل، ودفع إناء صحيحا من بيت التي كسرت إلى التي أرسلت الطعام بدلا عن الإناء المكسور مع أن الإناءين كانا له إذ المرأتان زوجتاه وبيتاهما وما فيهما ملك له - عليه الصلاة والسلام-، وجهر بقوله: «غارت أممكم» لئلا يحملوا صنيع التي كسرت على ما يُدْمُ بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة؛ فإنها مركبة في نفس البشر بحيث لا تقدر أن تدفعها عن نفسها (1).

### الفرع الثاني: الضبط السلوكي للانفعالات.

#### أولا: تجنب الحالة المثيرة للانفعال.

قد يتبادر إلى الذهن أن المعنى الذي يدلُّ عنوان هذه الخطوة هو تجنُّب المثيرات البيئية الخارجية وهذا مطلوب، إلا أن المثيرات البيئية أيًّا كان نوعها وإن كان من الممكن الاجتهاد في التحرز من مظاهرها، إلا أنه لا يمكن أن يسلم منها المرء كليّة، فالإنسان مُعرَّض للاستفزاز من غيره ومُعرَّض للنكبات والمصائب التي هي خارج طوق تصرُّفه، وهي الجزء الخارجي الذي يُحرِّك الانفعال، ولكن الذي يمكن أن نتحكّم فيه بشكل أكثر الحالة الشعورية الداخليّة التي تمثّل الأساس والأرضيّة التي يقع عليها هذا المثير الخارجي.

ولذلك كان من المعاني التي يتحمّلها الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «أن رجلا قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: أوصني، قال: لا تغضب، فردد مرارا قال: لا تغضب» (2). أن أعظم ما ينشأ عنه الغضب الكبر، وذلك أن المتكبر مُتَحَسِّسٌ جِدًّا قد يُؤوّل أيّ تصرُّفٍ عابر على

(1) يُنظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (325/9)؛ أبو محمد محمود بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (209/20)؛ علي بن محمد الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (2189/7).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (28/8) برقم: (6116) (كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب).

أنه إهانة له، بله السلوك الصريح بعدم التأدب معه أو محاولة التنقص منه بالكلام، ولذلك فالذي يتواضع تذهب عنه تلك الحساسية الانفعالية ويسلم من شر الغضب<sup>(1)</sup>.

وقد سَمَّى أبو حامد الغزالي هذه الأحوال التي تُثير الانفعال بالأسباب المهيجة للغضب، وأرشد إلى الطرق الشرعية التي تُعالج بها.

وهي كالتالي: «الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه. وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب، فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها، فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع وتمت العجب بمعرفتك بنفسك... وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد... وإنما الفخر بالفضائل؛ والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك... وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك، وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة، وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك، وأما التعير فالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مرّ الجواب، وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة... وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبورها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة... ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة... وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل... فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة، ولبخله إذا فاتته الحبة، حتى أنه يغضب على أهله وولده وأصحابه، بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد

(1) يُنظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (520/10)؛ أبو محمد محمود بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (164/22).

الذي يملك نفسه عند الغضب»<sup>(1)</sup>«<sup>(2)</sup>. والصُّرعة صفة مبالغة على وزن فُعَلَة وهي من أوزان اسم الفاعل، أي الذي يُكثر من صرع النَّاسِ وغلبتهم<sup>(3)</sup>. فالحديث جمع بين علاج معرني ويتمثل في تغيير مفهوم الصُّرعة في عقليَّة المسلم، وعلاج سلوكي ويتمثل في رياضة النَّفس على التحكُّم بالانفعال حال ثورانه.

### ثانياً: عدم إصدار الأحكام أثناء الانفعال.

وهذه الوسيلة كالتى قبلها وقائية أكثر منها علاجية، وذلك أنَّ الغضبان قد يفصل بالحكم في أشياء تخصُّه أو تتعلَّق بغيره وهو ليس في تمام وعيه، فيقع في الندم على ذلك بعد زوال غضبه بما لا ينفعه الندم حينها. ولذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «وإذا غضب أحدكم، فليسكت»<sup>(4)</sup>، فهذا دواء نافع يحفظ المسلم ويقيه من آثار الغضب ومُخْلَفَاتِهِ، وكم من شخص غضب فوقع في الكُفر بكلمة، أو باع ممتلكات له أو طَلَّق امرأته وشَتَّتْ أُسْرَتَهُ أو سَبَّ أصدقاء له وغير ذلك بما يُدخله في حالات من الغمِّ كان من الممكن لو أنَّه أغلق فمه فقط ولم يتكلَّم حتَّى يذهب غضبه<sup>(5)</sup>.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (28/8) برقم: (6114) (كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب)؛ ومسلم في "صحيحه" (30/8) برقم: (2609) (كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب).

(2) أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، (172/3).

(3) يُنظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (519/10).

(4) أخرجه أحمد في "مسنده" (531/2) برقم: (2168) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما)؛ وابن أبي شيبة في "مصنفه" (478/13) برقم: (27010) (كتاب الأدب، في الأخذ بالرخص)؛ وأخرجه الطبراني في "الكبير" (33/11) برقم: (10951) (باب العين، طوس عن ابن عباس). والحديث صحَّحه الألباني. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (363/3)].

(5) يُنظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، (366/1).

ويتأكد الحذر أكثر إذا كان الفصل وإصدار الأحكام لا يتعلّق بالشخص نفسه وإنما يتعلّق بحقوق الآخرين، ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام-: «**لَا يَقْضِينَ حَكْمَ بَيْنِ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانٌ**»<sup>(1)</sup>.

وما ذلك إلا لأنّ حالة الغضب قد توقع صاحبها في ظلم من آثار غضبه من الأطراف المنفصول بينها، وعند الغضب يحصل من التغيّر الذي يختلّ به النظر فلا يحصل استيفاء الحكم على الوجه الأكمل على الأقلّ، وقد عدّاه الفقهاء بجامع اختلال النّظر وتشوّش الفكر الناتج عن انفعال الغضب إلى الجوع والعطش المفرطين وغلبة النعاس وغيره مما يشغل القلب عن استيفاء النظر، ولعلّ من الحكيم في الاقتصار على ذكر الغضب دون هذه الأحوال التي يتشوّش فيها الفكر صعوبة مقاومة الغضب ومنعه عن التحكّم بالسلوك<sup>(2)</sup>، ولذلك وُصف الغضب بأنّه ينطق في نفس الغضبان ويدفعه إلى الفعل، قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ**﴾ [الأعراف: ١٥٤] الآية، ولا يسكت إلا النّاطق، ففيه تشبيه لحالة «ثوران الغضب في نفس موسى المنشئ خواطر العقوبة لأخيه ولقومه، وإلقاء الألواح حتى انكسرت، بكلام شخص يُغريه بذلك، وحسن هذا التشبيه أنّ الغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه إلى أفعال يُطفأ بها ثوران غضبه، فإذا سكن غضبه وهدأت نفسه كان ذلك بمنزلة سكوت المغري، فلذلك أطلق عليه السكوت، وهذا يستلزم تشبيه الغضب بالناطق المغري»<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً: إجراءات للتحكم بالانفعالات.

وسأرتّبها من الأخفّ إلى الأثقل<sup>(4)</sup>.

### الإجراء الأوّل: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

من أعظم مقاصد الشيطان والغايات التي يسعى إليها إثارة العداوات بين المسلمين وما يترتّب عليها من انفصام العلاقات وتفكك المجتمعات الإسلامية وإراقة الدماء وغيرها ممّا يبدأ من إثارة

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (65/9) برقم: (7158) (كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان)؛ ومسلم في "صحيحه" (132/5) برقم: (1717) (كتاب الأفضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان).

(2) يُنظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (137/13).

(3) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (122/9).

(4) يُنظر: أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، (174/3).

العداوة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ [المائدة: ٩١] الآية، وذكر الله تعالى عن يوسف -عليه السلام- أن ما حصل بينه وبين إخوتهم من تحريك الغيرة والحسد التي أدت بهم إلى إرادة قتله ثم العدل عن ذلك بإلقائه في البئر كان من نزغ الشيطان لهم، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ [يوسف: ١٠٠] الآية.

ولذلك أرشد النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى الاستعاذة منه بالله تعالى وهي: الالتجاء إلى الله والاحتماء به سبحانه من وسوسته، فعن سليمان بن صرد -رضي الله عنه- قال: «كنت جالسا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ورجلان يستبان فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد، فقالوا له: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: تعوذ بالله من الشيطان فقال: وهل بي جنون»<sup>(1)</sup>. يستبان أي يتشامان يسبُّ أحدهما الآخر، وانتفاخ الأوداج هو امتلاء العروق التي على العنق، وذلك يدلُّ على شدة الغضب<sup>(2)</sup>.

وأما هذا الرجل الذي قال: هل ترى بي من جنون، ذكر النووي أنه إمَّا من المنافقين أو جُفأة الأعراب، لأنَّ كلامه كلام من لم يتفقه في دين الله تعالى ولم يتهدَّب بأخلاق الشريعة، حيث توهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون، ولم يدر أنَّ الشيطان له منفذ إلى الإنسان بالوسوسة وتحريك الانفعالات<sup>(3)</sup>. وهذا يُشبه ما أصبح يُنادي به الملاحدة المعاصرون ومن تأثر بهم من الحدائثيين حيث يصفون هذه الشرائع الإلهية المحفوظة بالتخلُّف والرجعية إلى القرون الوسطى.

### الإجراء الثاني: تغيير وضعيَّة الجسم إلى حالة أكثر سكونا.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (124/4) برقم: (3282) (كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده)؛ ومسلم في "صحيحه" (30/8) برقم: (2610) (كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب).

(2) يُنظر: أبو محمد محمود بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (175/15).

(3) يُنظر: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (163/16).



لقوله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»<sup>(1)</sup>. فليضطجع، أمر بالاضطجاع وهو اللُّصوق بالأرض على جنب<sup>(2)</sup>.

وذلك فيه وقاية من إنفاذ الغضب بالضرب أو القتل أو غير ذلك ممَّا لا تُحمد عواقبه، وذلك لأنَّ القائم متهبِّي للانتقام، والجالس دونه في ذلك، والمضطجع أبعد عنه، فأمره بالتباعد عن حالة الانتقام، كما أنَّ فيه علاجاً للغضب وإعانة على التحكُّم فيه، وذلك لأنَّ الغضب يكون فيه الدم ثائراً كما دلَّ عليه الحديث السابق: «احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه» وكما يشهد به الواقع، فالرُّكون إلى الأرض جلوساً أو اضطجاعاً من شأنه أن يُحدث توازناً في الحالة الوظيفية (الفيزيولوجية) للجسم ويُرجع سرعة الدَّم إلى مستواها الطبيعي<sup>(3)</sup>.

### الإجراء الثالث: الوضوء.

وقد رُوي عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»<sup>(4)</sup>.

والحديث وإن كان في سنده ضَعْفٌ إلا أنَّ المعنى الذي تضمَّنه تشهد له أدلَّةٌ أخرى ثابتة، فالشيطان عنده مدخل في إثارة الغضب واندفاع الدَّم إلى الأعضاء لأنَّه كما وصفه النبي -عليه

(1) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (501/12) برقم: (5688) (كتاب الحظر والإباحة، ذكر الأمر بالجلوس لمن غضب وهو قائم والاضطجاع إذا كان جالساً)؛ وأبو داود في "سننه" (395/4) برقم: (4782) (كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب)؛ وأحمد في "مسنده" (4982/9) برقم: (21744) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه). والحديث يُوي عن أبي ذرٍّ موصولاً ومُرسلًا، والثَّابت أنَّه مُرسل كما ذكر ذلك الدَّارقطني. [يُنظر: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، (276/6)].

(2) يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (74/3)؛ أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، (390/3).

(3) يُنظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، (365/1).

(4) أخرجه أبو داود في "سننه" (396/4) برقم: (4784) (كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب)؛ وأحمد في "مسنده" (4066/7) برقم: (18268) (مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث عطية السعدي رضي الله عنه)؛ والطبراني في "الكبير" (167/17) برقم: (443) (باب العين، عطية بن سعد السعدي). والحديث ضَعْفُه الألباني لأنَّ في سنده مجهولين. [محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (51/2)].

الصلاة والسلام-: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ»<sup>(1)</sup>. ومن هذا المنطلق فالوضوء له أثر روحي يتمثل في إبعاد الشيطان عن المسلم وتخليصه من وساوسه لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «بِعَقْدِ الشَّيْطَانَ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عَقَدٍ... وَفِيهِ: فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ»<sup>(2)</sup>، وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْتِزْ ثَلَاثًا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ»<sup>(3)</sup>. والخيشوم هو المنخر وهو أعلى الأنف ولذلك كانت السنة المبالغة في الاستنشاق حتى يصل الماء إلى المنخرين<sup>(4)</sup>، كما أن الوضوء سبب شرعي لعُفْران الذنوب وتطهير الأعضاء منها، والشيطان حريص على إغواء بني آدم وإيقاعهم في المعاصي، وعليه فالوضوء يُخَلِّصُ الْمُسْلِمَ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ حِطُّ الشَّيْطَانَ مِنْ بَنِي آدَمَ، لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتِزِقُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخِيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ»<sup>(5)</sup>، وكلما تطهر المسلم من حطِّ الشيطان كلما كان أبعد عن الخنوع لما يُلقِيهِ إِلَيْهِ مِنْ تَحْرِيكِ غَرِيزَةِ الْغَضَبِ.

والوضوء له أثر عُضْوِي يتمثل في استرخاء الأعضاء وتخفيض حرارة الدم المنبعث إلى الجلد، ولذلك أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- بعلاج الحُمَّى بالماء: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ»<sup>(6)</sup>، وقد مرَّ أَنَّ الهمونات -لا سيما هرمون الأدرينالين والكورتيزول- تُؤثِّرُ عَلَى الْعَمَلِيَّاتِ الْوَضِئِيَّةِ فِي الْجَسَدِ وَتَسْرِي بِسْرِيَانِ الدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ، فَتَهْدِئَةُ الدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ بِالْوَضُوءِ مِنْ شَأْنِهِ تَهْدِئَةُ أَثَرِ هَذِهِ الهمونات عَلَى الْجَسَمِ.

(1) تقدّم تخریجه، (ص: 378).

(2) تقدّم تخریجه، (ص: 380).

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (126/4) برقم: (3295) (كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده)؛ ومسلم في "صحيحه" (146/1) برقم: (238) (كتاب الطهارة، باب الإيتار في الاستنثار والاستحمام).

(4) يُنظَر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (6/343).

(5) أخرجه مسلم في "صحيحه" (208/2) برقم: (832) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة).

(6) أخرجه البخاري في "صحيحه" (120/4) برقم: (3261) (كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة). وفيح جهنم هو: سطوع حرها. [يُنظَر: أبو محمد محمود بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (15/164)].

## رابعاً: توجيه الانفعال.

الانفعالات وظيفية أودعها الله في النفس الإنسانية، ولم يُودعها فيها عبثاً ولم يتركها هملاً، بل هي قوى تعمل على حماية الإنسان من الأخطار وتنبهه إلى حفظ كرامته وصيانة نفسه، ولذلك قال الشافعي: «من استغضب فلم يغضب فهو حمار»<sup>(1)</sup>. ولهذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يغضب وكان إذا غضب «...احمرَّ وجهه...»<sup>(2)</sup>. وغضبه لا يُثافي ما وصفه الله به من الرأفة والرحمة لأنه ما كان يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله فغضبه على من انتهكها من جملة رحمته به وشفقته عليه من عقاب الله له<sup>(3)</sup>. ولما وصفته عائشة -رضي الله عنها- قالت: «والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قطُّ، حتى تنتهك حرمت الله»<sup>(4)</sup>. كما وُصف صحابته -رضوان الله عليهم- في القرآن بأنهم: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية، وعليه فالغضب له طريقه التي يُصْرَفُ فيها وهي الغضب لله واستعماله في قتال من يُقاتلون المسلمين من الكُفَّار كما قال تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٤)</sup> وَيُدْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ [التوبة: ١٤-١٥].

ولهذا كانت الخيلاء محمودة في قتال الأعداء لما فيها من تخويف العدو وتقوية المسلم، وكذا في الصدقة علائقية لما فيها من ترغيب الآخرين على النفقة، وكانت الغيرة محمودة في الغيرة على المحارم بما يحصل معه حفظ الأعراس، لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، ومن الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في ريبة، وأما التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة، وأما الخيلاء التي يحب الله أن يتخيل العبد بنفسه لله عند

(1) محمد بن تاج العرفين زين الدين المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (377/2).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" (30/1) برقم: (91) (كتاب العلم، باب الغضب في الموعدة والتعليم إذا رأى ما يكره)؛ ومسلم في "صحيحه" (133/5) برقم: (1722) (كتاب اللقطة، باب تعريف اللقطة وأنواعها).

(3) يُنظر: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، (426/8).

(4) أخرجه البخاري في "صحيحه" (160/8) برقم: (6786) (كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمت الله)؛ ومسلم في "صحيحه" (80/7) برقم: (2327) (كتاب الفضائل، باب مباحثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للآثام واختياره من المباح أسهله).

القتال، وأن يتخيّل بالصدقة»<sup>(1)</sup>. والرّيبة هي الدُّخول فيما هو مظنة التُّهمة<sup>(2)</sup>، ومثال الغيرة المحمودة كأن يغار على محارمه من الخلوة بالأجانب أو من السّفَر لوحدهنّ، وأمّا مثال الغيرة المذمومة فأن يغار على محارمه من أزواجهنّ<sup>(3)</sup>.

وكان ندم المسلم على ما اجترح من الذُّنوب مُهمًّا لأجل أن يُصلح نفسه ويعود إلى الله وينفر من المعاصي التي كان عليها ويُقبل على الطّاعة، ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام-: «النَّدَم توبة»<sup>(4)</sup>. ولذلك فشروط التوبة بعد الإخلاص لله تعالى هي: النَّدَم على ما مضى، والإقلاع عن المعصية في الحاضر، والعزم على عدم الرُّجوع إليها في المستقبل، وردُّ المظالم إلى أهلها إن كانت المعصية فيها عُدوان على الآخرين، فالندم الذي يكون في التوبة ليس ندما مُقعدا للإنسان عن العمل، بل إنّه دافع له للعمل، ولذلك نهى الله تعالى من أسرف على نفسه بالمعاصي عن القنوط، قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]، وجاء الأمر بعد هذه الآية بالإنابة والاتباع لما نزله الله عليهم من الكتاب، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ [الزمر: ٥٤-٥٥]»<sup>(5)</sup>.

- (1) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (530/1) برقم: (295) (كتاب البر والإحسان، ذكر الإخبار عن الغيرة التي يجبها الله والتي يبغضها)؛ والنسائي في "المجتبى" (512/1) برقم: (1/2557) (كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة)؛ وأحمد في "مسنده" (5667/10) برقم: (24244) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه). قال الألباني: حسن. [يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخرّيج أحاديث منار السبيل، (59/7)].
- (2) يُنظر: المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (286/2).
- (3) يُنظر: محمد بن علي الشُّوكانيُّ اليميني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، (287/7).
- (4) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (377/2) برقم: (612) (كتاب الرقائق، ذكر الخبر المصريح بصحة ما أسند للناس خبر أبي سعيد الذي ذكرناه)؛ والحاكم في "مستدرکه" (243/4) برقم: (7707) (كتاب التوبة والإنابة، الندم توبة)؛ وابن ماجه في "سننه" (322/5) برقم: (4252) (أبواب الزهد، باب ذكر التوبة)؛ والبيهقي في "سننه الكبير" (154/10) برقم: (20624) (كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف)؛ وأحمد في "مسنده" (830/2) برقم: (3638) (مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه). حكم الحديث: صحيح. [يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (37/6)].
- (5) يُنظر: أبو حامد محمد الغزاليُّ الطُّوسي، إحياء علوم الدين، (34/4).

# خاتمة الرسالة

## الخاتمة:

أحمد الله عزَّ وجلَّ على ما منَّ به من إتمام هذا البحث، وبعد التطواف على جوانب موضوع الصحة النفسية، يصل هذا البحث إلى نهايته مُبرزاً أهمَّ النتائج المتمخضة عنه، وهي كالتالي:

**أولاً:** الصحة النفسية هي حالة من التوازن بين الجوانب والأبعاد النفسية (المعرفية والسلوكية والانفعالية والعاطفية)، ذلك لأنَّ هذه الأبعاد وكذا الأبعاد الروحية والحيوية والاجتماعية البيئية، يُؤثِّر بعضها على بعض، ووفق هذا المنظور المتكامل يجمع المسلم بين أداء الحقوق التي عليه بدءاً بحقِّ ربِّه، ثمَّ حقَّ نفسه، ثمَّ حقَّ أهله وذلك كفيل بأن يقي الفرد من الاضطرابات النفسية ويُخلصه منها، ويُهيئ له التعزيز والرفع من كفاءة أجهزته النفسية، بما يُحقِّق السعادة له ولمجتمعه.

**ثانياً:** ورد التعبير عن النفس الإنسانية بخمس مفردات في نصوص الوحي، وهي: (الروح والنفس والقلب والعقل والفؤاد)، وهي مترادفة باعتبار دلالتها على النفس الإنسانية، متباينة باعتبار ما تدل عليه كلُّ مفردة من جانب من الجوانب النفسية في النفس الإنسانية.

**ثالثاً:** أنَّ علاج الاضطراب النفسي هو من ضروريات الصحة النفسية، وهو خلل وظيفي في الجوانب النفسية. وفي غالب الأحيان يظهر الاضطراب النفسي في شكل مزيج مُركَّب من الاضطرابات السلوكية والانفعالية والشعورية. وأمَّا الأسباب المسؤولة عن الاضطراب النفسي فتتنوع من أسباب وراثية (جينية) ونفسية وبيئية-اجتماعية كالخبرات المؤلمة والصدمات الانفعالية، وأسباب روحية معنوية كفقدان القيم والمعاني، وهذه الأسباب غالباً ما تتداخل في إحداث الاضطراب النفسي.

**رابعاً:** المرض النفسي في نصوص الوحي غالباً ما يُسند إلى القلب، وهو نوعان: الأول: فساد يلحق إحدى قُوَي القلب، فساد قوة التصوُّر (يتمثَّل في اختلال الجوانب المعرفية الإدراكية)، وفساد قوَّة الإرادة (يتمثَّل في انحراف الجوانب السلوكية الأخلاقية). والثاني: هو ألم يحصل في النفس كالكتابة والغمِّ والحُزن والدُّعر، وقد يكون أثراً عن النوع الأوَّل، وقد يكون من جنس أمراض البدن، وغالباً ما يتعدَّى تأثيره إلى البدن فيمرضه.

**خامساً:** انتهى هذا البحث إلى أنَّ نصوص الوحي الكريم كتاباً وسنةً قد احتوت على كثير من الدعائم والمفومات النفسية، ومن أبرزها ما يلي:

أ) الإيمان، وأهمُّ دور يتمثَّل فيه هو توجيه القصد وجمع الهمِّ بما يقِي المسلم من التفكُّك، لا سيَّما مع تشعُّب اهتمامات الإنسان المعاصر، وهو يدفع صاحبه إلى التقوى، وهي الحالة التي تتناسق فيها الجوانب النفسيَّة في شخصية المؤمن، فيستقيم سلوكيًّا على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته، ومعرفيًّا بالعلم بالله تعالى وأمره الشرعي وأمره الكوني، وعاطفيًّا بأن تكون محبَّته في الله وبغضه فيه، وانفعاليًّا بأن لا يكون الخوف إلاَّ منه ولا الرجاء إلاَّ فيه.

ب) السلوك يبدأ من الخواطر والأفكار ثُمَّ يتمُّ ترجمتها إلى انفعالات وسلوكيَّات، وطريق ضبطها يكون بحفظها عن مطالعة ما لا يعني من الأمور، وإشغال الهمِّ والحواسِّ والجوارح بالمهمِّ النافع.

ج) الإسلام هو دين يردُّ الشخص إلى فطرته ويُخلِّصه عن جميع الواردات التي تُبدِّل فطرته، والفطرة التي هي الحالة الأصليَّة التي خلق الله عليها الإنسان، والفطرة ليست هي مجرد استعداد، وإمَّا هي دافع يدفع العبد إلى عبادة ربِّه ومحبَّته واللُّجوء إليه، كما يدفع الجوع إلى الطعام.

د) النظرة الإيجابية للإنسان بأنَّه الكائن المكرَّم، والتأمُّل في كلِّ هذا يعطي المسلم مناعة نفسيَّة تقيه من الوقوع في منزلق الشعور بالعبثية والضياع الوجودي، ويُعزز فيه روح العطاء.

هـ) سلوكيًّا: ذكر الله طمأنينة للقلب، والصلاة سكينه للنفس وإراحة للبال وإذهاب للهلح، والصيام علاج لوحر الصدر وهو غمُّه، وتدريب للنفس على إرجاء ما لم يتيسَّر إشباعه من الدوافع.

و) أمَّا الدعائم العاطفية فأبرزها أن يكون العبد محبًّا لله بتأمُّل حسن صفاته وجمال نعوته، وأمَّا الدعائم الانفعاليَّة، فمن أبرزها: حسن الظنِّ بالله، الذي يُكَيِّف العبد عند أسباب الفرح والحزن.

### توصيات البحث:

العناية بالبحوث التي تدرس الجوانب النفسيَّة بأنواعها وفق ما قرَّرته نصوص الوحي الكريم كتابا وسُنَّة، لما تحويه من الهدى الشامل في رعاية الصِّحة النفسيَّة بأحسن طريق وأوفق سبيل.

كما يُوصي الباحث العاملين في حقل الصحة النفسية من أطباء واختصاصيِّين ومُرشدين الحرِّص على هذا المنظور التكاملي في التعامل مع الصِّحة النفسيَّة وقاية وعلاجاً وتنمية.

وصلى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلِّم، والحمد لله ربِّ العالمين.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، نسخة مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.

## كتب التفسير وعلوم القرآن:

2. إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة-مصر، 1404هـ-1984م.

3. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط2، دار الإصلاح: الدمام-المملكة العربية السعودية، 1412هـ-1992م.

4. أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، التُّكْت والعيون أو تفسير الماوردي، تحقيق: ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان.

5. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1420هـ-1999م.

6. أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1422 هـ.

7. أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط3، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1407هـ-1987م.

8. أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1407 هـ.

9. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاکر ومحمود شاکر، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1420 هـ - 2000 م.

10. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشليبي، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة: مصر.

11. أبو عبد الله محمد المعروف بابن أبي زَمِين المالكِي، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط1، الفاروق الحديثة: القاهرة-مصر، 1423 هـ - 2002 م.

12. أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية: القاهرة-مصر، 1384هـ-1964م.

13. أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، 1420هـ-1999م.



14. أبو محمد عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1422هـ.
15. أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان، ط1، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة-مصر، 1428هـ-2007م.
16. أحمد أبو إسحاق الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ومراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط1، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، 1422هـ-2002م.
17. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة: بيروت-لبنان، 1490هـ-1980م.
18. حسين بن محمد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق: عبد العزيز سيّد الأهل، ط3، دار العلم للملايين: بيروت-لبنان، 1980م.
19. شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1415هـ.
20. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن مُعلّا اللؤلؤجي، ط1، مكتبة العبيكان: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1422هـ-2001م.
21. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون: بيروت-لبنان، 1436هـ-2015م.
22. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر: بيروت-لبنان.
23. عبد الله الجديع العنزي، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ط1، مركز البحوث الإسلامية: ليدز-بريطانيا، 1422هـ-2001م.
24. القاضي محمد أبو بكر بن العربي المالكي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م.
25. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع: بيروت - لبنان، 1415هـ-1995م.
26. محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر: تونس، 1984 هـ.
27. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط2، دار الكلم الطيب: بيروت-لبنان، 1419هـ-1998م.

28. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1418هـ.
29. محمد عمر بازمول، شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام بن تيمية، ط:1، الدار الأثرية: عنابة-الجزائر، 1424هـ-2003م.
30. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، ط4، دار الإرشاد للشئون الجامعية: حمص-سوريا، 1415هـ.
31. مقاتل بن سليمان البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: حاتم صلاح الضامن، ط1، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث: دبي-الإمارات، 1427هـ-2006م.
- كتب الحديث وعلومه:**
32. إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق ابن فرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر، 1433هـ-2012م.
33. أبو إسحاق الحويني الأثري، المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة، تصنيف وانتقاء: أبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل، مكتبة دار ابن عباس للنشر والتوزيع: المنصورة-مصر، 1430هـ.
34. أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1414هـ-1994م.
35. أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، ط؟، دار طيبة: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1405هـ-1985م.
36. أبو العلا محمد المباركفوري، تحفة الأحوذبي بشرح جامع الترمذي، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1410هـ-1990م.
37. أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، ط2، إدارة العلوم الأثرية: فيصل آباد-باكستان، 1401هـ-1981م.
38. أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط1، المكتبة السلفية: المدينة النبوية-المملكة العربية السعودية، ج 1، 2: 1386هـ-1966م، ج 3: 1388هـ-1968م.
39. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط1، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، 1347هـ-1929م.
40. أبو عبد الله محمد ابن ماجة القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد-محمد كامل قره بللي-عبد اللطيف حرز الله، ط1، دار الرسالة العالمية: بيروت-لبنان (ترقيم شركة حرف)، 1430هـ-2009م.
41. أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مراجعة وتصحيح: مصطفى بن أحمد العلوي-محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية: المغرب، 1412هـ-1992م.

42. أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم، كتاب العلل، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ط1، مطابع الحميضي: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1427هـ-2006م.
43. أبو محمد محمود بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان.
44. أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، ط1، مجلس دائرة المعارف العمانية: حيدر آباد الدكن - الهند (ترقيم شركة حرف)، 1352هـ.
45. أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1423هـ-2003م.
46. أحمد بن حسين أبو العباس بن رسلان المقدسي، شرح سنن أبي داود، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، ط1، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث: الفيوم-مصر، 1437هـ-2016م.
47. أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن سنن النسائي، السنن الكبرى، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1421هـ - 2001م.
48. أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن سنن النسائي، المجتبى سنن النسائي الصغرى، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت-لبنان، 1428هـ-2007م.
49. أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ط1، دار المأمون للتراث: دمشق - سوريا، 1404 هـ - 1984م.
50. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب، دار المعرفة: بيروت-لبنان، 1379هـ.
51. أحمد بن عمرو أبو بكر البزار، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، ط1، مكتبة العلوم والحكم: المدينة النبوية- ومؤسسة علوم القرآن: بيروت، 1409هـ - 1988م.
52. أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1421هـ-2001م.
53. أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد، ط1، إصدار: جمعية المكنز الإسلامي نشر دار المنهاج: جدّة- المملكة العربيّة السعوديّة، 1432هـ.(هذه الطبعة هي التي اعتمدها الباحث في التحرير).
54. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باحس، ط7، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1422هـ-2001م.
55. سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط1، دار الحرمين: القاهرة-مصر، 1415هـ-1995م.
56. سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط1، المكتب الإسلامي: بيروت- دار عمار: عمان، 1405هـ-1985م.

57. سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د.سعد بن عبد الله الحميد و د.خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ط1، مكتبة ابن تيمية: القاهرة-مصر، 1427هـ-2006م.
58. سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ط1، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان(ترقيم الأحاديث، وفق طبعة: المكتبة العصرية - صيدا - بيروت).
59. شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: د. عبد الحميد هندواوي، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1417هـ-1997م.
60. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1417هـ-1996م.
61. عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مسند الدارمي، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع: الرياض -المملكة العربية السعودية، 1412هـ - 2000م.
62. عبد الله بن علي أبو محمد ابن الجارود، المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ط1، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، 1428هـ-2007م.
63. عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف لابن أبي شيبة، ط1، دار القبلة: جدة-المملكة العربية السعودية، مؤسسة علوم القرآن - دمشق - سوريا، 1427 هـ - 2006م.
64. علاء الدين علي المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، ط5، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1401هـ-1981م.
65. علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد بهوم، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، 1424 هـ - 2004 م
66. علي بن محمد الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، دار الفكر: بيروت-لبنان، 1422هـ-2002م.
67. عمر بن علي سراج الدين ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط1، دار النوادر: دمشق- سوريا، 1429هـ-2008م.
68. عياض بن موسى السبتي أبو الفضل، إكمال المعلم بقوائد مسلم، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: المنصورة-مصر، 1419هـ-1998م.
69. مالك بن أنس إمام دار الهجرة، الموطأ، ط1، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية: أبو ظبي-الإمارات العربية، 1425هـ-2004م.
70. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط1، مكتبة المطبوعات الإسلامية: حلب-سوريا، 1390هـ-1970م.

71. محمد بن إسحاق أبو بكر ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة - مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم -، تحقيق وتعليق: ماهر الفحل، ط1، دار الميمان: الرياض-السعودية، 1430هـ-2009م.
72. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه -، ط1، دار طوق النجاة: بيروت-لبنان، 1422هـ .
73. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، التَّنْوِيْرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، تحقيق: د.محمد إسحاق محمد إبراهيم، ط1، مكتبة دار السلام: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1432هـ-2011م.
74. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، تحقيق: عصام الصبأطي وعماد السيد، دار الحديث: القاهرة-مصر، 1507هـ-1994م.
75. محمد بن تاج العرفين زين الدين المثاوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط2، دار المعرفة للطبع والنشر: بيروت - لبنان، 1391هـ-1972م.
76. محمد بن حبان أبو حاتم البستي، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان (ترقيم شركة حرف)، 1414هـ-1993م.
77. محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1426هـ.
78. محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: أمير الحسن النعماني ويوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة: بيروت-لبنان (مصورة عن الطبعة الهندية 1335هـ، ترقيم شركة حرف).
79. محمد بن عبد الله أبو عبد الله ولي الدين التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1985م.
80. محمد بن عبد الواحد ضياء الدين المقدسي، الأحاديث المختارة، ط3، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت-لبنان، 1420هـ-2000م.
81. محمد بن علي الشوكاني اليمني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تحقيق: عصام الدين الصبأطي، ط1، دار الحديث: القاهرة-مصر، 1413هـ-1993م.
82. محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، جامع الترمذي -الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل -، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي: بيروت-لبنان (ترقيم شركة حرف)، 1996م.
83. محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت -، ط2(1405 هـ - 1985م)
84. محمد ناصر الدين الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، محمد بن حبان البستي، ترتيب: الأمير علي بن بلبان، دار با وزير للنشر والتوزيع - جدة -المملكة العربية السعودية، ط1(1424هـ-2003م).

85. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 (مكتبة المعارف). سبع مجلدات: ج(1-4): (1415هـ-1995م)، ج(6): (1416هـ-1996م)، ج(7): (1422هـ-2002م).
86. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط1، دار المعارف: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1412هـ-1992م.
87. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ط3، المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1408هـ-1988م.
88. محمد نور الدين السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ط2، دار الجيل: بيروت-لبنان.
89. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم -المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم-، دار الجيل: بيروت-لبنان، (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334 هـ؛ ترقيم الأحاديث، وفق طبعة: دار إحياء الكتب العربية -القاهرة).
90. يحيى بن محمد بن هبيرة الشَّيبانيّ أبو المظفر الوزير، الإفصاح عن معاني الصُّحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن: الرياض-المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، 1417هـ.
- كتب العقيدة والأديان.**
91. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتز، ط3، دار فرانز شتاينز: فيسبادن-ألمانيا، 1400هـ-1980م.
92. أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط5، المكتب الإسلامي: عمان-الأردن، 1416هـ-1996م.
93. أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، ط6، مكتبة العبيكان: الرياض- المملكة العربية السعودية، 1421هـ-2000م.
94. أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن-عبد العزيز بن إبراهيم-حمدان بن محمد، ط2، دار العاصمة: السعودية، 1419هـ-1999م.
95. أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، الرُّدُّ على المنطقيِّين، تحقيق: د. سيّد سليمان النَّدوي، ط1، مؤسَّسة الرِّيَّان للطَّباعة والنَّشر والتَّوزيع: بيروت-لبنان، 1426هـ-2005م.
96. أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، الفتوى الحمويَّة الكبرى، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، ط1، دار الصمعي: الرياض-المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، 1419هـ-1998م.
97. أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ط2، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: المملكة العربية السعودية، 1411هـ-1991م.
98. أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، شرح حديث النزول، ط5، المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1397هـ-1977م.

99. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتَانِي، المِلل والنَّحل، ضبط وتعليق: كِشْرَى صالح العلي، ط1، مؤسَّسة الرِّسالة ناشرون: بيروت-لبنان، 1436هـ-2015م.
100. أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي، مختصر العلو للعلو العظيم، تحقيق واختصار: محمد ناصر الدين الألباني، ط2، المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1412هـ-1991م.
101. أبو عبد الله محمد فخر الدين الرازي، معالم أصول الدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان.
102. أبو محمد علي ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي: القاهرة-مصر.
103. أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط7، المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1426هـ-2005م.
104. د.رشاد عبد الله الشامي، الوصايا العشر في اليهودية -دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام-، دار الزهراء للنشر، 1414هـ-1993م.
105. محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، ط10، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1417هـ-1997م.
106. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: السيد محمد بدر الدين أبو فراس، ط1، مكتبة الرياض الحديثة: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1323هـ.
107. محمد بن صالح بن محمد العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، ط2، دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، 1424هـ.
108. محمد بن عبد الرحمن الخميس، الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، ط1، مكتبة الفرقان: الإمارات العربية، 1419هـ-1999م.
109. محمد بن عليّ ابن أبي العز الحنفي الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، ط10، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1417هـ-1997م.
110. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، ط3، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1418هـ.

## كتب الفقه:

111. أ.د. وهبة بن مصطفى الرَّحْيَلِي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط4، دار الفكر: دمشق-سورية، 1418هـ-1997م.
112. أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، الفتاوى الكبرى، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1408هـ - 1987م.
113. مجموعة من الباحثين، الموسوعة الفقهية الكويتية، ط2، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية: الكويت، 1427هـ.

114. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، تحقيق: محمد كريم راجح، ط2، دار الهلال، بيروت- لبنان، 1992م.
115. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1418هـ-1998م.
116. محمد بن عمر بن سالم بازمول، الترجيح في مسائل الصوم والزكاة، ط1، دار الهجرة للنشر والتوزيع: مكة-المملكة العربية السعودية، 1415هـ-1995م.
117. محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود (ولد عدود) الشنقيطي، التسهيل والتكميل نظم مختصر خليل والجامع بتعليقات المؤلف التّدليل والتّدليل للتسهيل والتكميل، تحقيق ونشر: دار الرضوان: نواكشوط-موريتانيا، ط1، الناشر: المدينة-البلد، 1434هـ-2012م.
118. محمد ناصر الدين الألباني، الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، ط1، غراس للنشر والتوزيع: الشويخ-الكويت، 1422هـ-2001م.
119. محمد ناصر الدين الألباني، أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض - المملكة العربية السعودية، 1427هـ-2006م.
- كتب أصول الفقه وقواعده:
120. أبو القاسم محمد بن أحمد المعروف بابن جزيّ، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: أ.د.أبو عبد المُعزّ محمد علي فركوس، ط3، دار العواصم: المحمدية-الجزائر، 1434هـ-2013م.
121. أبو حامد محمد الغزاليّ الطُّوسي، المستصفي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1413هـ-1993م.
122. أبو عبد الله محمد الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتيب: الأردن، 1414هـ-1994م.
123. بدر الدين محمد الزركشي، تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، تحقيق: د.سيد عبد العزيز، د.عبد الله ربيع، ط1، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث: توزيع المكتبة المكيّة، 1418هـ-1998م.
124. حسن بن محمد العطار، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، تحقيق: محمد علي بن حسين المالكي، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت لبنان، 1419هـ 1998م.
125. سيدي عبد الله بن الحاج، متن مراقي السعود، دار الآثار: القاهرة-مصر، 1443هـ-2013م.
126. عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، نشر البنود على مراقي السعود، تقديم: الداوي ولد سيدي بابا - أحمد رمزي، مطبعة فضالة: المحمدية-المغرب.
127. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1411هـ-1991م.



128. محمد بن علي الشُّوكانيُّ اليمينيُّ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو، ط1، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1419هـ-1999م.
129. محمد صدقي آل بورنو أبو الحارث الغزي، مُوسُوعَةُ الفُواعِدِ الفِقهِيَّةِ، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م.
- كتب الآداب والسلوك:**
130. أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، الرد على الشاذلي في حزيبه وما صنفه في آداب الطريق، تحقيق: علي بن محمد العمران، ط1، دار عالم الفوائد: مكة-المملكة العربية السعودية، 1429هـ.
131. أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني، أمراض القلوب وشفائها ولبها التحفة العراقيَّة في الأعمال القلبيَّة، ط3، المطبعة السلفيَّة ومكتبتها: القاهرة-مصر، 1402هـ.
132. أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطيُّ، اعتلال القلوب، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط2، مكتبة نزار مصطفى الباز: مكة المكرمة-الرياض، 1421هـ-2000م.
133. أبو حامد محمد الغزاليُّ الطُّوسي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة: بيروت-لبنان، 1402هـ-1982م.
134. أبو حامد محمد الغزاليُّ الطُّوسي، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، تحقيق: أحمد شمس الدِّين، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1409هـ-1988م.
135. أبو علي أحمد ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة-مصر.
136. أبو محمد ابن حزم الأندلسي، الأخلاق والسير أو مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والرُّهد في الرِّذائل، تحقيق: إيفار رياض، تقديم ومراجعة: عبد الحق التركماني، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت-لبنان، 1421هـ-2000م.
137. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللُهفان من مصائد الشَّيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، مكتبة المعرفة: بيروت-لبنان، 1395هـ-1975م.
138. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ط1، دار المعرفة: المغرب، 1418هـ-1997م.
139. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الرسالة التبوكية أو زاد المهاجر إلى ربه، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني: القاهرة-مصر.
140. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الرُّوح، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1395هـ-1975م.
141. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، ط2، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1393هـ-1973م.
142. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: سيد إبراهيم، ط3، دار الحديث: القاهرة-مصر، 1999م.

143. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط:3، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م.
144. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، طريق المحترمين وباب السعادتين، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط:2، المطبعة السلفية ومكبتها: القاهرة-مصر، 1394هـ.
145. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط3، دار ابن كثير: دمشق-بيروت ومكتبة دار التراث: المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، 1409هـ-1989م.
146. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1416هـ-1996م.
147. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان.
148. محمد بن حبان أبو حاتم الدارمي البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان.
149. محمد بن علي الشوكاني اليمني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، ط1، دار ابن حزم: بيروت-لبنان، 1419هـ-1998م.
- المعاجم وكتب الغريب:**
150. أبو الحسن سيف الدين الأمدى، المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق: حسن محمود الشافعي، ط2، مكتبة وهبة: القاهرة-مصر، 1413هـ-1993م.
151. أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1412هـ-1992م.
152. أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الفكر: بيروت لبنان، 1399هـ - 1979م.
153. إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين: بيروت-لبنان، 1407هـ - 1987م.
154. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني: بيروت-لبنان، 1982م.
155. الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ط1، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، 1418هـ-1997م.
156. الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم: دمشق-سوريا، الدار الشامية: بيروت-لبنان، 1412هـ-1991م.

157. الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط1، دار ومكتبة الهلال: بيروت-لبنان.
158. المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ط1، المكتبة العلمية: بيروت-لبنان، 1399هـ-1979م.
159. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مركز الرسالة للدراسات وتحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط3، مؤسسة الرسالة ناشرون: دمشق-سوريا، 1433هـ-2012م.
160. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، المعجم الوسيط، ط2، دار الدعوة: القاهرة-مصر، 1392هـ-1972م.
161. محمد أبو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، 1385هـ-1965م.
162. محمد بن أحمد أبو منصور الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان، 1422هـ-2001م.
163. محمّد بن الحسن أبو بكر بن دريد الأزدي، جهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين: بيروت-لبنان، 1408هـ-1987م.
164. محمد جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر: بيروت لبنان، 1414هـ-1993م.
165. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث: القاهرة-مصر.
166. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير: القاهرة-مصر.
167. المعلّم بُطرس البستاني، محيط المحيط، دائرة المعاجم مكتبة لبنان: بيروت-لبنان، 1987م.
- كتب علم النفس الإسلامي:**
168. د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا أحمد الشربيني، د. إسماعيل محمد الفقي، السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة-مصر، 1422هـ-2002م.
169. صالح بن إبراهيم الصنيع، التدبُّن والصحة النفسية، ط1، جامعة الإمام محمّد بن سعود: الرياض-المملكة العربيّة السعوديّة، 1421هـ-2000م.
170. طارق بن علي الحبيب، العلاج النفسي والعلاج بالقرآن (رؤية طبيّة نفسيّة شرعيّة)، ط3، مكتبة الملك فهد: الرياض-المملكة العربيّة السعوديّة، 1424هـ-2003م.
171. عبد العزيز بن مرزوق الطرّيفي، الفصل بين النَّفس والعقل، ط1، مكتبة دار المنهاج: الرياض-المملكة العربيّة السعوديّة، 1439هـ.

172. مالك بابكر بدري، من قضايا التأصيل الإسلامي لمناهج علم النفس في الجامعات الإسلامية ووقفات مع أبي زيد البلخي، التجدد بحوث ودراسات، ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية، عدد:39، 1438هـ-2016م، المجلد: 20.
173. محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، ط5، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1425هـ-2005م.
174. محمد عثمان نجاتي، الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين، ط1، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1414هـ-1993م.
175. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ط7، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1421هـ-2001م.
176. محمد محروس الشناوي، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع: القاهرة-مصر، 2001م.

#### كتب الطب الإسلامي:

177. أبو زيد البلخي، مصالح الأبدان والأنفس، تقديم ودراسة: د.مالك بدري ود.مصطفى عشوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1424هـ.
178. الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1420هـ-1999م.

#### كتب الفكر الإسلامي:

179. محمد إبراهيم الفيومي، الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة-مصر، 1404هـ-1984م.
180. محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ط10، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1414هـ-1993م.
181. مقداد ياجن، علم الأخلاق الإسلامية، ط1، دار عالم الكتب: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1413هـ-1992م.
182. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ط4، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1399هـ-1979م.

#### كتب علم النفس والعلاج النفسي:

183. أ.د صالح حسن أحمد الداهري وأ.د وهيب مجيد الكبيسي، علم النفس العام، ط1، مؤسسة حمادة ودار الكندي: أريد-الأردن، 1999م.
184. إدوارد ج موراي، الدافعية والانفعال، ترجمة: د.أحمد عبد العزيز سلامة، مراجعة: د.محمد عثمان نجاتي، ط1، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1408هـ-1988م.
185. آن تايلور وآخرون، مدخل إلى علم النفس، ترجمة: عيسى سمعان، ط2، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية: دمشق، 1996م.

186. البروفسور هوفمان إس جي، العلاج السلوكي المعرفي المعاصر-الحلول النفسية لمشكلات الصحة العقلية-، ترجمة: د. مراد علي عيسى، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، 2012م.
187. تشارلز داوون، التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان، ترجمة: مجدي محمود المليجي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة-مصر، 2005م.
188. جميل صليبا، علم النفس، ط2، دار الكتاب اللبناني-مكتبة المدرسة-: بيروت-لبنان، 1404هـ-1984م.
189. د. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ط7، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر: القاهرة-مصر، 1968م.
190. د. أحمد عبد الخالق، محاضرات في علم النفس الفيسيولوجي، ط1، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية-مصر، 1986م.
191. د. رافع النصير الزغلول ود. عماد عبد الرحيم الزغلول، علم النفس المعرفي، ط1، دار الشروق: القاهرة-مصر، 2014م.
192. د. سامية ابريغم، نقد نظرية ألبرت أليس -نظرية العلاج العقلاني الانفعالي-، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، الجزائر: جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، عدد: 19، نوفمبر 2016.
193. د. طلعت منصور ود. عادل عز الدين ود. أنور شرقاوي ود. فاروق أبو عوف، أسس علم النفس العام، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة-مصر.
194. د. عبد الرحمن العيسوي، العلاج السلوكي، دار الراتب الجامعية: بيروت-لبنان، 1997م.
195. د. عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس الإكلينيكي، الدار الجامعية: الإسكندرية-مصر، 1992م.
196. د. عبد الستار إبراهيم، العلاج النفسي الحديث، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، 1980م.
197. د. فيصل عباس، التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية -مقاربة عيادية-، ط1، دار الفكر العربي: بيروت-لبنان، 1996م.
198. د. محمد صفوت عبد المجيد جادر، فيسيولوجيا الغدد الصماء الهرمونات والتأقالات العصبية، ط2، مصدر الكتاب: منتدى سور الأزبكية، 1996م.
199. د. محمد قاسم عبد الله، سيكولوجية الذاكرة -قضايا واتجاهات حديثة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، 1423هـ-2003م.
200. رولو ماي وإرفين يالوم، مدخل إلى العلاج النفسي الوجودي، ترجمة: عادل مصطفى، ط4، رؤية للنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، 2015م.
201. سيجموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة: أ.د. محمد عثمان نحاتي، ط4، دار الشروق: القاهرة-مصر، 1402هـ-1982م.
202. سيجموند فرويد، الطوطم والحرام، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت-لبنان.

203. سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة: سامي محمود علي وعبد السلام القفاش، تقديم: محمد عثمان نجاتي، مكتبة الأسرة: مصر، 2000م.
204. سيجموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، ترجمة: مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي، ط4، دار المعارف: القاهرة-مصر، 1994م.
205. سيجموند فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، ترجمة: عزت راجح، ومراجعة: محمد فتحي، دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاؤه: مصر.
206. عبد الرحمن محمد عيسوي، علم النفس الفيسيولوجي، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية-مصر، 1989م.
207. عبد المجيد كركوتلي، بافلوف أبحاثه في الجهاز العصبي والتعلم والتدريب وظواهر أخرى، ط3، مطبعة الهلال: دمشق، 1986م.
208. عزي صالح نعيمة وصادقي فاطمة، العلاج المعرفي السلوكي -مقارنة نظرية حول نظرية آرون بيك وجيفري يونغ-، مجلة آفاق علمية، الجزائر: المركز الجامعي لإيليزي، عدد: 03، نوفمبر 2019.
209. فرانك سيفيرين، علم النفس الإنساني، ترجمة: طلعت منصور وعادل عز الدين وفيولا الببلاوي، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة-مصر، 2019م.
210. فيكتور إيمانيل فرانكل، إرادة المعنى -أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى-، ترجمة: إيمان فوزي، دار زهراء الشرق: القاهرة-مصر، 1997م.
211. كارل غوستاف يونغ، الإنسان يبحث عن نفسه، ترجمة: سامي علام وديمتري أفيريونس، ط1، دار الغريال: دمشق-سوريا، 1993م.
212. كارل غوستاف يونغ، جدلية الأنا واللاوعي، ترجمة: نبيل محسن، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع: اللاذقية-سوريا، 1417هـ-1997م.
213. لويس كامل مليكة، العلاج السلوكي وتعديل السلوك، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع: الكويت، 1410هـ-1990م.
214. ه.ج. آيزنك، علم النفس الحديث ونتائجه الاجتماعية، ترجمة: عبد المجيد نشواتي، منشورات وزارة الثقافة: دمشق-الجمهورية العربية السورية، 1996م.
215. هارولد ريجنالد بيتش، تعديل السلوك البشري، ترجمة: د. فيصل محمد الزراد، دار المريخ للنشر: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1412هـ-1992م.
216. هنري لينك، العودة إلى الإيمان، ترجمة: ثروت عكاشة، ط5، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة-مصر، 2010م.
- كتب الصحة النفسية:
217. حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط4، عالم الكتب: القاهرة-مصر، 1426هـ-2005م.

218. د. حسن منسي، الصحة النفسية، ط2، دار الكندي للنشر والتوزيع: أريد-الأردن، 1998م.
219. د. عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، ط4، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة-مصر، 1371هـ-1952م.
220. د. مصطفى حجازي، الصحة النفسية - منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة-، ط4، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء-المغرب، 2013م.
221. د. مصطفى فهمي، الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف، ط3، مكتبة الخانجي: القاهرة-مصر، 1415هـ-1995م.
222. معايير السواء و مؤشرات الصحة النفسية - دراسة نظرية تحليلية- ناجية دالي. مجلة العلوم الاجتماعية العدد 27-2018.
223. منظمة الصحة العالمية، تعزيز الصحة النفسية، المكتب الإقليمي للشرق المتوسط: القاهرة-مصر، 2005م.

#### كتب الاضطرابات النفسية:

224. د. علي إسماعيل عبد الرحمن، مقدمة في علم الأدوية النفسية، ط1، دار النخبة للنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، 1427هـ-2006م.
225. علي عبد الرحيم صالح، علم نفس الشواذ الاضطرابات النفسية والعقلية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع: عمان، 1435هـ-2014م.
226. قاسم حسين صالح، الاضطرابات النفسية والعقلية (نظرياتها، أسبابها، طرائق علاجها)، ط1، دار دجلة ناشرون وموزعون: المملكة الأردنية الهاشمية-عمان، 2015م.
227. منظمة الصحة العالمية المكتب الإقليمي للشرق المتوسط، المراجعة العاشرة لتصنيف الدولي للأمراض -تصنيف الاضطرابات النفسية والسلوكية- icd-10، ترجمة: وحدة الطب النفسي بجامعة عين شمس بالقاهرة بإشراف أ.د أحمد عُكَّاشة، نشر منظمة الصحة العالمية، 1999م.
228. نديرة أغمين، "إشكالية السواء واللاسواء في علم النفس المرضي"، مجلة حوليات، جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد: 20، جوان 2017.

#### كتب التاريخ:

229. أ.د. محمد مؤنس عوض، في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط1، دار العلم العربي: القاهرة-مصر، 1432هـ-2011م.
230. أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ط2، دار الزائد العربي: بيروت-لبنان، 1401هـ-1981م.
231. ول ديورانت و ويليام جيمس ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: د.زكي نجيب محمود وآخرون، تقديم: د. محيي الدين صابر، دار الجيل: بيروت-لبنان، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: تونس، 1408هـ-1988م.

#### كتب التراجم والجرح والتعديل:

232. ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية: حيدر آباد-الهند. ودار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، 1271هـ-1952م.
233. أحمد بن عبد الرحيم أبو زرعة ولي الدين العراقي، المدلسين، تحقيق: د رفعت فوزي عبد المطلب، د. نافذ حسين حماد، ط1، دار الوفاء: المنصورة-مصر، 1415هـ-1995م
234. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط1، دار الرشيد: سوريا، 1406هـ-1986م.
235. علي بن أبي الكرم أبو الحسن ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1415هـ-1994م.
236. محمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1405هـ-1985م.
237. محمد بن أحمد أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوَّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي: بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م.
238. يوسف بن عبد الرحمن أبو الحجاج المؤي، تمذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1400هـ-1980م.

#### كتب الأخبار:

239. أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، شرح: عبد الأمير مهنّا، ط1، دار الفكر اللبناني: بيروت-لبنان، 1410هـ-1990م.
240. أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي، الأذكياء، تحقيق: عبد الرحمن ديب الحُلُو، ط2، دار إحياء العلوم: بيروت-لبنان، 1411هـ-1990م.
241. أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، ط1، دار صادر: بيروت-لبنان، 1408هـ-1988م.
242. أبو محمد ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: د.إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت-لبنان، 1987م.
243. علي الطنطاوي، من غزل الفقهاء، ط1، دار المنارة للنشر والتوزيع: جدة-السعودية، 1408هـ-1988م.

#### البحوث والرسائل الجامعية:

244. إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، إشراف: د. عودة عبد الله ود. رسمية عبد القادر، قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس-فلسطين، 2009 م.
245. إلهام صلوبة، الانفعالات النفسية ومسلك القرآن في معالجتها، إشراف: د. ميلود عمارة، رسالة ماستر في العلوم الإسلامية تخصص: التفسير و علوم القرآن، 1439هـ-2018م.



246. خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، الحذر من السحر دراسة علمية لحقيقة السحر وواقع أهله من منظور الكتاب والسنة مع بيان المشروع في الوقاية والعلاج، ط3، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1428هـ-2007م.
247. خلود بنت عبد الرحمن المهيزع، أحكام المريض النفسي في الفقه الإسلامي (رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراة في الفقه)، إشراف: د. إبراهيم بن ناصر الحمود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، 1431هـ-1432هـ.
248. شاهيناز بنت حسن علي مليباري، الأمراض النفسية -الوقاية والعلاج- في ضوء السنة النبوية -رسالة ماجستير-، إشراف: أ.د محمد عبد الله عويضة، جامعة أم القرى: مكة-المملكة العربية السعودية، 1430هـ.
249. عبد العزيز بن عبد الله الأحمد، الطريق إلى الصحة النفسية عند ابن القيم وعلم النفس -رسالة ماجستير-، إشراف: أ.د عبد العزيز النغمشي، ط1، دار الفضيلة: الرياض-المملكة العربية السعودية، 1420هـ-1999م.
250. فخر الدين المحسّي، شرح نظم مرتقى الوصول إلى علم الأصول للإمام ابن عاصم المالكي -رحمه الله-، إشراف: د. مشهور حسن (أصل الكتاب دكتوراة)، ط1، الدار الأثرية: الأردن، 1428هـ-2007م.
251. كمال الدين جُمعة بكرو، أحكام التداوي والدواء في الفقه الإسلامي، تقديم وتقريظ: أ.د. أحمد الحُجّي الكُردي، ط1، دار الضيّا للنشر والتوزيع: الكويت، 1434هـ-2013م.

## مواقع على الأنترنت:

252. أ.د. أبو عبد المعزّ محمّد علي فركوس، مفهوم عصمة الرُّسل صلوات الله عليه وإثبات حالاتها بين القول بالتعميم والتخصيص، (https://ferkous.com/home/?q=art-mois-108).
253. عبد الكريم الخضير، شرح التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (دروس صوتية من موقع الشيخ عبد الكريم الخضير (https://shkhudheir.com).
254. كاشف بن زايد، العلاقة بين ممارسة الرياضة وأعراض الاكتئاب ومستوى تقدير الذات، (https://www.researchgate.net/publication/257338906)
255. منظمة الصحة العالمية WHO، الاكتئاب، (https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/depression)
256. منظمة التعاون الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، نسخة إلكترونية على النّت: (https://iifa-aifi.org/ar/1858.html#\_ftn1)

## كتب متنوعة.

257. ابن مالك أبو عبد الله جمال الدّين الأندلسي، متن ألفيّة ابن مالك في النّحو والصّرف، ط1، دار ابن حزم: بيروت-لبنان، 1434هـ-2013م.

258. أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م.
259. أبو الفضل أحمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة: بيروت-لبنان، 1374هـ-1955م.
260. عبد الستار أحمد فرج (جمع وتحقيق وشرح)، ديوان مجنون ليلى، ط1، مكتبة مصر سعيد جوده وشركائه: مصر، 2010م.
261. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط1، دار عالم الفوائد: مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية، 1425هـ.
262. محمد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، (من ج1 إلى ج5) نشرته دار الوطن: الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأخيرة، 1413هـ، (من ج6 إلى ج29) نشرته دار الثريا: عُنيزة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1431هـ-2010م.
263. محمد بن عبد الحق العمري الطرابلسي، درر الفرائد المستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة (في علوم المعاني والبيان والبدیع)، تحقيق: د. سليمان حسين العميرات، ط1، دار بن حزم: بيروت-لبنان، 1439هـ-2018م.
264. محمد بن عبد الله ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين الجياني، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان: القاهرة-مصر، 1410هـ-1990م.
265. أبو جعفر أحمد الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1415هـ-1494م.

## المصادر باللغة الإنجليزية:

266. American Psychiatric Association, diagnostic and statistical manual of mental disorders, fifth edition (dsm-5th), Washington, DC London, England, 2013.
267. Guillaume Fond, Alexandra Macgregor, Marion Leboyer, Andreas Michalsen, **Fasting in mood disorders: neurobiology and effectiveness** -A review of the literature-, Science Direct, Issue: 3, 30 Octobre 2013, page: 253-258.
268. Jhon Watson, behaviorism, london -usa.
269. L Sanjay Nandam, Matthew Brazel, Mei Zhou, Dhanisha J Jhaveri, **Cortisol and Major Depressive Disorder-Translating Findings From Humans to Animal Models and** **Back,** (<https://translate.google.com/website?sl=en&tl=ar&nui=1&prev=search&u=https://doi.org/10.3389/fpsy.2019.00974>).

270. Medically reviewed by Dr. Anthony Gustin, DC, MS on February 15th, 2021 — Written by Brenda Godinez, **Dry Fasting: The Truth About This New Health Industry Trend**, (<https://perfectketo.com/dry-fasting/>).

271. Michael B. First, Wolfgang Gaebel, Mario Maj, Dan J. Stein, Cary S. Kogan, John B. Saunders, Vladimir B. Poznyak, Oye Gureje, Roberto Lewis-Fernández, Andreas Maercker, Chris R. Brewin, Marylene Cloitre, Angelica Claudino, Kathleen M. Pike, Gillian Baird, David Skuse, Richard B. Krueger, Peer Briken, Jeffrey D. Burke, John E. Lochman, Spencer C. Evans, Douglas W. Woods, Geoffrey M. Reed, **An organization- and category-level comparison of diagnostic requirements for mental disorders in ICD-11 and DSM-5**, Official Journal of the World Psychiatric Association, Naples, Italy.

272. N Marfu'ah, N M Kusumaningtyas<sup>1</sup>, A Y Damayanti, A Fadholah, **Study of fasting effect in holy Al-Qur'an on testosterone hormones in mice using Elisa method**, Journal of Physics: Conference Series.

273. Robert M. Sapolsky, **Depression, antidepressants, and the shrinking hippocampus**, PNAS Proceedings of the National Academy of Sciences, United States of America.

274. Robert M. Sapolsky, Stanford's Sapolsky **On Depression in United States of America** (Full Lecture), (<https://www.youtube.com/watch?v=NOAgplgTxfc>).

275. Rollin McCraty, Ph.D. Director of Research, HeartMath Research Center. **SCIENCE OF THE HEART -Exploring the Role of the Heart in Human Performance**, Published by :HeartMath Institute 14700 West Park Ave. P.O. Box 1463 Boulder Creek, CA 95006, 2015.

276. Stephen Malunga Manchishi, Ran Ji Cui, corresponding author Xiao Han Zou, Zi Qian Cheng, and Bing jin Li, **Effect of caloric restriction on depression**, Journal of Cellular and Molecular Medicine, Issue: 5, Published online 2018 Feb 21, Volume: 22.

الفهارس العامة:

فهرس الآيات القرآنيّة.

فهرس الأحاديث القدسيّة.

فهرس الأحاديث النبويّة.

فهرس الآثار.

فهرس المحتويات.

## فهرس الآيات القرآنية:

## سورة الفاتحة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾	2	373
﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾	3	373
﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾	4	373
﴿ إِلَهِكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾	5	373
﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾	6-7	373

## سورة البقرة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾	6-7	219
﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾	10	209
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾	11	36
﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	12	36
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾	13	37
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	31	334؛ 337
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ ﴾	32-34	334

		صَدِّقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ أَنْبِيَاءَهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾
337	39-35	﴿ وَقُلْنَا يَتَّادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾
110	44	﴿ اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
377؛ 375	45	﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾
375	46	﴿ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾
63	54	﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿٥٤﴾
327	57	﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴿٥٧﴾
129	62	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ ﴿٦٢﴾
120	73-72	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَىٰ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾
242؛ 211	74	﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴿٧٤﴾
211؛ 105	75	﴿ أَنْظَمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
107	76	﴿ وَإِذَا قُلُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنُوا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

108	77	﴿أُولَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾
105	79	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكَيْبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾
211	83	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَفُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾
63	85	﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْنَلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾
55؛ 54	87	﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾
؛ 216؛ 217	88	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾
؛ 59؛ 248	98	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾
295	103	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾
251	109	﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَيْبِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾
75	118	﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ﴾
202	120	﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾
370	121	﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾
285؛ 21	143	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾
115	163	﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

114	164	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاتِّخَالِفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾
408؛ 236	165	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾
408	170	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾
109؛ 71	171	﴿ وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾
355	172	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾
245	179	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾
385؛ 204	183	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾
204	184	﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾
204	185	﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾
363	186	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾
206	196	﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾
411	216	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾
88	225	﴿ وَلَكِن يُوَاجِدُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾



122	242-241	﴿وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾
54	253	﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَدِينِ وَآتَيْنَاهُ رُوحَ الْقُدُسِ﴾
415؛ 133	255	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾
67	260	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْوِيلَهُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّا يُطْمِئِنُّ قَلْبِي﴾
265	268	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾
99	269	﴿وَمَا يَدْكُرْ إِلَّا آؤُلُوا الْأَلْبَابِ ﴿٣١١﴾﴾
295	278	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾
91؛ 68	283	﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾﴾
352؛ 78	286	﴿لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

## سورة آل عمران

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾	7	225؛ 252؛ 244
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾	8	226
﴿زِينَةَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٤﴾﴾	14	82

64	28	﴿وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾
111	65	﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾﴾
111	67	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾﴾
345	83	﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾
246	99	﴿قُلْ يَتَأْهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عَوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾
403؛ 75	103	﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾
22	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾
123؛ 75	118	﴿يَتَأْيَمُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيَدِيكُمْ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ حَبَالٌ آدُوًا مَا عَيْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾
76؛ 38	119	﴿هَئَانَتْ أَوْلَادٌ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا حَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا يَعِظُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾
308	143	﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾
80	145	﴿وَمَا كَانَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنْبًا مُوجَلًّا﴾
236	151	﴿سَخَّلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾
317؛ 420؛ 419	154	﴿يَطْمَنُونَ بِاللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾
230؛ 231؛ 244	156	﴿يَتَأْيَمُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

231	157	﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾
214؛ 256؛ 251	159	﴿ فِيمَا رَحِمْتُمْ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾
259	161	﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾
278	175	﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾
303	178	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لَّا أَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا ﴾
80	185	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾
105؛ 99؛ 314	190	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾
105؛ 314	191	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

## سورة النساء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾	1	63؛ 16
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلوهُنَّ لَتَدْهَبْنَ بِبَعْضِ مَآءَاتِكُمْ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾	19	409
﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾	28	349
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾	29	63
﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مِمَّا فُضِّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ ﴾	32	311

		نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْتُمْ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾
306	40	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾
209	43	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْحُومًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾
146	48	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾
62؛	66	﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾
76	71	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُدُوعًا فَادْرِكُكُمْ فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾
231؛ 76	72	﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَغَىٰ فَيَكُونُ مَصِيبًا ۗ قَالِ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾
231؛ 76	73	﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيَّتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾
214	76	﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾
346	119	﴿ وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا مَئِينَتَهُمْ وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ ءَاذَانَ الْعَالَمِينَ وَلَا تُنْفِرْهُمْ فَيُغَيِّرُوا خَلْقَ اللَّهِ ﴾
380؛ 247	123	﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَىٰ بِهِ ﴾
410	129	﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۗ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلُوقَةِ ۗ وَإِنْ تَصَلِحُوا وَاتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾
410	130	﴿ وَإِنْ يَنْفَرُوا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾
89	134	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾
414	135	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَوْمًا مِّنَ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۗ إِنَّ يَكُفَّرُ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهَمَّا ۗ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدُوا ۗ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾

221	138-137	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ (١٣٧) ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٣٨)
241	142	﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٤٢)
246؛ 221	143	﴿ مُدْبِدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾
221؛ 216	155	﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بَيَّانَتْ اللَّهُ وَقَلْبُهُمُ الْآيَاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٥٥)
391	165	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾
61؛ 59	171	﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾

## سورة المائدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾	2	411
﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾	6	209
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾	8	411
﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣)	13	211؛ 214؛ 256
﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرَ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٧) ﴿ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِلَيَّ أَخَافُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٨) ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوَّا بِإِسْمِي وَإِنَّمَا فَتَنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٩) ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ	30-27	338

		﴿الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٣٠﴾
80؛ 62	32	﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾
284	41	﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾
62	45	﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾
327؛ 202	48	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴿
202	49	﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾
112	64	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ بَدَأَ اللَّهُ مَغْلُوبَةً عَلَى أَيْدِيهِمْ وَلِئِنَّمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾
295	65	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾
278	69	﴿مَنْ ءَامَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٩﴾
426؛ 387	91	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخُبْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصِدِّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾
264	94	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّبْرِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾
109	103	﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾
82	105	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾
54	110	﴿إِذْ أَيْدِي تَأْكُ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾
295	112	﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾

63	116	﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ ﴾
306	119	﴿ لَمْ جَنَّتْ تُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ﴾

## سورة الأنعام

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا إِلَهِيًّا لَا يُوَاسِيئُونَ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾	25	93، 217؛ 242
﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ الْوَلَدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	32	108
﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	33	282
﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾	43	213
﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	260
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصْرَفُ الْأَيَّاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾	46	220
﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾	50	62
﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الْأَيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ﴾	76-75	130
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	82	236، 290
﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴿٩٣﴾ ﴾	93	62، 79

132	97	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
402	100	﴿ وَخَرَفُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ بَعِيرٍ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾
203	110	﴿ وَنَقَلِبُ أَقْبَادِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُؤَابَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾
95؛ 228؛ 243	112	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عَزْمُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾
74؛ 95؛ 243؛ 228	113	﴿ وَلِنَصِّغْ لَهُ إِلَيْهِ أَفْعَادَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾
411؛ 239	115	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾
22	116	﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾
259	120	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِلْمَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾
202	122	﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾
400؛ 247	125	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ ﴾
317	148	﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾
80؛ 271	151	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أُمَّلِكُمْ مَنْ إِمْلِكُمْ تَحْنُ نَزْرُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْنَلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَدَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾



271	152	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ وَالْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ شَاقِقٌ ۖ وَلَا تَكْلِفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۗ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾
271	153	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾
259	158	﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾
289	162	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

## سورة الأعراف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾	29-30	342
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾	32	119
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾	43	232
﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ ۖ وَبَادِنُ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۗ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾	58	353
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾	96	295
﴿ أَوْ لَوْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوَنَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ۖ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ۖ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾	100	69؛ 220؛ 242
﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۗ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ ﴾	101	222؛ 243

		﴿ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١١١)
425	154	﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾
327	157	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا نَجِيلٍ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾
108	169	﴿ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّالَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٩)
336	171	﴿ خُذُوا مَاءً آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٧١)
336؛ 339؛ 345	172	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ وَإِذْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهُم مِّمَّا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٧٢)
336	173	﴿ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَنُهِّلِكُمَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١٧٣)
337	174	﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٧٤)
355	175	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرِكُهُ يَلْهَثَ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾
355؛ 330	176	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرِكُهُ يَلْهَثَ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾
330	177	﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴾ (١٧٧)
254؛ 69	179	﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ (١٧٩)
356؛ 201؛ 401؛ 364	180	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

229	201	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾
-----	-----	---

## سورة الأنفال

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾	4-2	285
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْفِينَ ﴿٩﴾﴾	9	55
﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾	11	99
﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾	13-12	237
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾	21	202؛ 254
﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾	22	106؛ 254
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يُحَوِّلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾	24	90
﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ وَدَبُّهُمْ﴾	49	210
﴿هُوَ الَّذِي أَيْدِيكَم بِنُصْرِهِ وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾	63-62	75

## سورة التوبة

الآية	رقم الآية	الصفحة
-------	-----------	--------

235	7	﴿فَمَا اسْتَفْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَغْتَابُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بِحُبِّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾
235؛ 253	8	﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾
؛ 235	9	﴿أَشْرَوْا بِعَابَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴿٩﴾﴾
؛ 198 ؛ 230 429؛ 244	14-15	﴿قَتَلُوهُمْ يَدْعُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾
؛ 36 ؛ 400 407	24	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾
305	25	﴿لَقَدْ ضَرَبْتُمْ اللَّهَ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْكُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾
305؛ 302	26	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾﴾
349	31	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴿٣١﴾﴾
201	33	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴿٣٣﴾﴾
308	38	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ءَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾
303؛ 302	40	﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴿٤٠﴾﴾
240	45	﴿إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَاكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّابَتْ قُلُوبُهُمْ فَمَهُمُ فِي رَبِّهِمْ يَزِدُّوهُمْ ﴿٤٥﴾﴾
241	54	﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٤﴾﴾

241	67	﴿ وَيَقْضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾
285	80	﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾
221	87	﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧)
206	91	﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾
241	92	﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَأْخُذَهُمْ قَوْلٌ لَأَنْبَأَنَّ مَا أَحَدُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٩٢)
221	93	﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٩٣)
261	97	﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾
306	100	﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾
31	102	﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٠٢)
363	103	﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣)
242	110	﴿ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾
227	117	﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١٧)
210	125	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٢٥)
62	128	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

## سورة يونس

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا ﴾	7	371
﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾	16	111
﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴿٣١﴾ ﴾	31	119
﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَعِينُونَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الضَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾	42	106؛ 71
﴿ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾	57	418؛ 369
﴿ قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَرِيحَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾	58	418
﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾	74	243؛ 222
﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾	88	243؛ 224
﴿ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾	100	109

## سورة هود

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ الرِّكَابُ أَكْهَمَتْ أَيْسُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾	1	225

111	51	﴿ يَفْؤَمِرْ لآ أَسْتَأْذِنُكَ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾
380	114	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾
98	120	﴿ وَكَلَّا نَقْضُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِءِ فُؤَادَكَ ﴾

## سورة يوسف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾	2	104
﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	17	282
﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾	30	414؛ 252
﴿ وَمَا أَتَرْتَنِي نَفْسِي إِنْ أَلْفَسَ لَأَمَارَةٌ بِالسَّوءِ ﴾	53	81
﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونَ تَذَكَّرْ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾	84-86	365
﴿ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾	87	365
﴿ وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَوَلَّى زُبَيٍّ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾	100	407؛ 426
﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾	103	23
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾	109	104؛ 108

		فَنظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾
--	--	--

## سورة الرعد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابٍ وَزَرَعَ وَنَحِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾	4	115؛ 155
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	11	82
﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾	27	371
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٣٨﴾ ﴾	28	91؛ 67؛ 236؛ 370

## سورة إبراهيم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۗ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾	27	94؛ 95
﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾	34	403
﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى ﴾	37	96
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعَدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾ ﴾	42-43	94



## سورة الحجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	9	368
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾	29	77؛ 78؛ 278
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾	47	232
﴿ قَالَ إِنَّ هَذِهِ لَأَهْلِيَّ ذِي الْقُرْبَىٰ فَلَا تَفْضَحْنِي ۖ وَأَنْقَرُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزِبُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَذِهِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾	71-68	414
﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾	72	203؛ 414
﴿ لَا تُمَدِّنْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾	88	318
﴿ وَقَدْ نَعَلْنَاكَ يُصِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾	99-97	377

## سورة النحل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾	2	56
﴿ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾	3	201
﴿ وَاللّٰتَمَعَّ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ اٰتِقَالَكُمْ اِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوْا بٰلِغِيْهِ اِلَّا بِشِقْوِ	8-5	118

		﴿الْأَنْفُسُ إِنَّا رَبَّكُمْ لِرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾
328؛ 116	12	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾
328	14	﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾
132	16	﴿وَيَا لَتَجْمِمْ هُمْ يَسْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾
233	22	﴿إِنَّهُمْ لِلَّهِ وَحَدِّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾
117	67-66	﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِيُدَبِّرُهَا لِمَنْ يَشَاءُ فِي بَطُونِهِ. مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَابِغًا لِلشَّرِيبِ ﴿٦٦﴾ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾
68؛ 74؛ 339؛ 97	78	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾
118	80	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْقَالًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾
292	83	﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴿٨٣﴾﴾
249؛ 310؛ 298	97	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾
245	100	﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾
55	102	﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ﴿١٠٢﴾﴾
67؛ 87؛ 221	106	﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

221	108	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾
244	126	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١١٦﴾﴾
296	128	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

## سورة الإسراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾	36	97؛ 68
﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرَ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ أَعْلَى أَدْبَرْتَهُمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾	46	218
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾	61	330؛ 282
﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾	62	338؛ 330
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾	70	322؛ 323؛ 325؛ 326؛ 327؛ 331
﴿وَلَوْلَا أَنْ نَبُنْتَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾	74	98
﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾	82	369؛ 91
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾	85	57؛ 58؛ 60؛ 77

78		
62	93	﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٣﴾ ﴾
202	97	﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًَّا وَنُكَمَا وَصَمًّا ﴾
401؛ 357	110	﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾

## سورة الكهف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَرَبَّنَا عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَرْضِ لَن نَدْعُوكَ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَتُولَاءِ قَوْمَنَا أُخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلهَةً ﴾	14-15	98
﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾	28	251؛ 294
﴿ إِلَّا إِلِيلَيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَن أَمْرِ رَبِّهِ ﴾	50	331
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾	57	218؛ 244
﴿ وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوهُم مُّؤْمِنِينَ فَنَحْشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُعِينَانَا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾	80	345
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدْتُكَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عِبَادًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١﴾ ﴾	110	288

## سورة مريم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾	17	55؛ 59؛ 60

## سورة طه

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (٥٤)	54	99
﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ (٨٨)	88	112
﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (٨٩)	89	112
﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨) ﴿نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (١٠٩)	109-108	240
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (١١٠)	110	415
﴿وَعَصَى آدَمَ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (١١٦)	121	391
﴿ثُمَّ أَحْبَبْنَا رَبُّهُ فَابَّ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (١١٢)	122	391
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤)	124	202؛ 247
﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥)	125	202
﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنَمَا فَتْسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ (١٢٦)	126	202
﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (١٢٧)	127	248
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُوكَ مِنْهُ حَبِيرًا وَأَبْقَى﴾ (١٢٨)	131	311
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾	132	377

## سورة الأنبياء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْمِجُونَ ﴿٢﴾ لَاهِبَةً قُلُوبُهُمْ ﴾	3-1	229
﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	10	104
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَّخَدْنَاهُ مِن لَدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	17-16	306
﴿ يَسْجُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾	20	354
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	115
﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفَعَّلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	323
﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾	26	323
﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾	49	264
﴿ قَالُوا يَا أُنثَىٰ مَاذَا جَاءَكَ بِذِهِ بِرْهِيمٌ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾	65-62	408
﴿ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾	67	109
﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَآلَهُ مِن أَلْحَبِ الْعَرَبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾	76	367
﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغُرِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾	88-87	367

60	91	﴿وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾﴾
288	108	﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

## سورة الحج

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِدُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾	2-1	239
﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ ﴿١٥﴾﴾	15	229
﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾	25	90
﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾	28	355
﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾	31	294
﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبًا اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾	32	68
﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَٰكِنَّ يَنَالُهُ النُّفُوسُ مِنْكُمْ ﴿٤٥﴾﴾	37	88
﴿فَكَآئِن مِّن قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾	45	104
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾	46	65؛ 68؛ 86؛ 104؛ 201؛ 254
﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبَهُمْ ﴿٥٣﴾﴾	53	213؛ 245

		﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾
201؛ 91	62	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ﴾

## سورة المؤمنون

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾	14	325
﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾	52-51	327
﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُشَارِكُ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴿٥٨﴾﴾	58	225
﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾	63	224
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾	78	97
﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾	80	121
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾	115	306

## سورة النور

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾	12	63
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمُوا لِيَصْفَحُوا أَلَمْ يُحِبُّوا أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾	22	417
﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾	30	318



311	39	﴿ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَاقًّا إِذَا جَاءَهُ، لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾
290	55	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾
207	59	﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَنْذِرُوا كَمَا اسْتَنْذَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾
16؛ 63؛ 207؛ 122	61	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

سورة الفرقان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾	32	74؛ 98
﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۗ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾	44	71؛ 105؛ 330؛ 106
﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾	70	401

## سورة الشعراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨)	28	109
﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾	88-89	93
﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذُرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾	165-166	256
﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾	193	55

## سورة النمل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾	13	282
﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِئْتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾	14	347
﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾	34	111
﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾	36	111

## سورة القصص

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَرِحًا بِإِنَّ كَادَتْ لِلسُّبْحِيِّ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾	10	93؛ 98
﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آتِيهِ كَمَا تَقَرَّرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾	13	94

108	60	﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾
419	76	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾
79	77	﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْهِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾
293	88	﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

## سورة العنكبوت

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَيَحْمِلُ حِمْلَهُمْ أَثْقَالَهُمْ وَأَتَقَالَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾	13	407
﴿ فَمَنْ لَهُ لُوطٌ ﴾	26	282
﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	34-35	121
﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا ﴾	41	120
﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾	43	120
﴿ وَأَقْرِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾	45	375
﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَعْشَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ دُوْفُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾	54-55	96
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾	61	233
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾	63	110

الآية	رقم الآية	الصفحة
	64	248
﴿ وَإِنَّ أَدَارَ الْأَخْرَةِ لِيَهِيَ الْحَيَوَانَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾		
سورة الروم		
	7	233
	20	329
	21	329؛ 406، 338
	24-22	442
	28	119
	30	338؛ 339؛ 344؛ 346؛ 347
	41	297؛ 260
	59-58	222

﴿ ٥٨ ﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٥٩ ﴾

## سورة لقمان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿ ١٣ ﴾	13	291؛ 236
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾	25	347

## سورة السجدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ ٦ ﴾	6	264
﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿ ٧ ﴾	7	264؛ 266؛ 351
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا سُلَّالَةً مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿ ٨ ﴾	8	471؛ 266
﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿ ٩ ﴾	9	60؛ 97؛ 471؛ 266

## سورة الأحزاب

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾	5	88
﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴿ ١٠ ﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿ ١١ ﴾	11-10	258؛ 240

210؛ 37	12	﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾
231؛ 37	13	﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا <sup>٤</sup> وَيَسْتَنْزِدُ <sup>٥</sup> فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾
231	15	﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا <sup>٤</sup> لَللَّهِ مِن قَبْلُ لَا يُولُونَ <sup>٥</sup> الْآذِينَ ﴾
210	22	﴿ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾
301؛ 238	26	﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَفْتَلَتُوا <sup>٦</sup> وَتَأْسَرُونَ <sup>٧</sup> فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾
210؛ 93	32	﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ <sup>٨</sup> الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾
210	60	﴿ لَئِن لَّمْ يَنْهَ <sup>٩</sup> الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾
34	72	﴿ وَحَمَلَهَا <sup>١٠</sup> الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

## سورة سبأ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَيَرَى <sup>١</sup> الَّذِينَ أُوتُوا <sup>٢</sup> الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ <sup>٣</sup> إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي <sup>٤</sup> إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾	6	267
﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾	13	23
﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ <sup>٥</sup> عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ <sup>٦</sup> لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ <sup>٧</sup> عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	238
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ <sup>٨</sup> بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا <sup>٩</sup> لِلَّهِ مَتَىٰ وَفَرْدَىٰ ثُمَّ تَنفَكُّوْا <sup>١٠</sup> مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾	46	350
﴿ وَقَدْ كَفَرُوا <sup>١١</sup> بِهِ. مِن قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ <sup>١٢</sup> بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾	53	264

## سورة فاطر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾	6	338
﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ ﴾	31	91

## سورة يس

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾	38-40	116
﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾	62	106
﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾	66-68	113
﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾	82	325

## سورة الصافات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾	96	263
﴿ قَالَ يَا بَنَاتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾	102	407
﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ ﴾	114-115	367

104	136	﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾
104	137	﴿ وَإِن كُفِرْ لِنَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾
104	138	﴿ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾
373	182-180	﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

## سورة ص

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ قَالَ يَا بَلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾	75	325

## سورة الزمر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾	7	306
﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	212؛ 93
﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا مَّتَّانِي نَقَشَعِرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	23	225؛ 212
﴿ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾	42	71
﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾	45	251؛ 213



430	53	﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْطُوعُوا مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾
430	55-54	﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾
16	56	﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

## سورة غافر

الصفحة	رقم الآية	الآية
56	15	﴿ يَلْقَىٰ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾
240	18	﴿ وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ ﴾
222؛ 242	35	﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾
233؛ 253 369	56	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مِمَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾
324	64	﴿ وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾
116	67	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا سُيُوحًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلٍ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلَ مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

## سورة فصلت

الصفحة	رقم الآية	الآية
--------	-----------	-------

218	5	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾
413	34	﴿ ادْفَعْ بِآلَتِيْ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾
369؛ 91	44	﴿ وَلَوْ جَعَلْتُهُ قُرْءَانًا آعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتِ ءَايَاتُهُ ءَانجَمِيًّا وَعَرَبِيٌّ قُلٌ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيْ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴿٤٤﴾ ﴾
67؛ 113؛ 201؛ 266	53	﴿ سَتْرِيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِيْ أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾
133	36	﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾

## سورة الشورى

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾	11	326؛ 356؛ 401
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يخترم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور ﴿٢٤﴾ ﴾	24	219
﴿ وَلَوْ سَظَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّزِّلَ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾	27	419
﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ مِمَّا كَسَبُوا ﴾	32-34	326
﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثَاءً وَإِنثَاءً لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ بُرُوجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾	49-50	352

56	52	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾
----	----	--

## سورة الزخرف

الصفحة	رقم الآية	الآية
104	3	﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾
326	13-12	﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٣﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾﴾
317	20	﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُم بِذٰلِكَ مِن عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾
408	23	﴿وَكَذٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَآثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾
337	28-26	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيْمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾
96	77	﴿وَنَادُوا يَمْكِيكُ لِيَقْضِ عَيْتَارِيكَ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنْكَتُونَ ﴿٧٧﴾﴾
341	87	﴿وَلٰئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

## سورة الجاثية

الصفحة	رقم الآية	الآية
121	5	﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ السَّمٰوٰتِ مِّن رِّزْقٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾
328	13	﴿وَسَخَّرَلَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

سورة الأحقاف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾	26	97

سورة محمد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾	16	222
﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَءَانِسُهُمْ بَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾	17	203
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	223
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرَ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾	24	223؛ 243؛ 251؛ 256؛ 314
﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن نُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾	29	231؛ 244
﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾	30	231

سورة الفتح

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾	4	302؛

406		
206	17	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴾
302	18	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾
234	26	﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ لَأَنَّهُلِيَّةَ فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾
429	29	﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

## سورة الحجرات

الصفحة	رقم الآية	الآية
105	4	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾
306	8-7	﴿ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾
412؛ 63	11	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَّ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَنْبَرُوا بِاللِّقَابِ ﴾
316	12	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾
412	13	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾
284	14	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾
285	15	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

## سورة ق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتِسُونَ بِهِ نَفْسَهُ ۖ وَخَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١١﴾﴾	16	335
﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾	33	93
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾	36	64
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴿٣٧﴾﴾	37	64
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾	38	112
﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مَتَّعْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَبِهِ يَهْتَكِرُ ﴿٤٥﴾﴾	45	368

## سورة الذاريات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾	21	265
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	56	349؛ 354

## سورة الطور

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿١﴾﴾	9	281
﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَقَهُمْ بِهَذَا ﴿٣٢﴾﴾	32	99

## سورة النجم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ ﴾	11	98 ؛ 68
﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	62

## سورة الواقعة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾	79	444
﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾	87-83	117

## سورة الحديد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾	16	؛ 112 ؛ 212 ؛ 243 375
﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْأَيْدِيَّ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾	17	؛ 112 212
﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾	23-22	297

## سورة المجادلة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِصَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	10	387
﴿ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	54؛ 55؛ 76؛ 306

## سورة الحشر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبُ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾	2	238
﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾	10	232
﴿ لَا يُقَدِّرُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	14	64؛ 65؛ 106؛ 75

## سورة الصف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾	5	203؛ 226



## سورة الجمعة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾	5	330؛ 356

## سورة المنافقون

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَحَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾	3	221
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾	5	246
﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾	6	285
﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ﴾	7	246

## سورة الطلاق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾	11	201

## سورة التحريم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنْ نُنَبِّئُ إِلَى اللَّهِ فَقَدَ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾	4	228؛ 59

331؛ 61	6	﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦)
61؛ 60	12	﴿وَمَرِّمُ ابْنَتِ عَمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾

## سورة الملك

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٠)	10	71؛ 106؛ 202
﴿وَأَسْرَأُ قَوْلُكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤)	14-13	335

## سورة الحاقة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ﴾ (٤٤) ﴿لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥) ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٤٦)	46-44	219

## سورة المعارج

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرْجُ رُجُوعًا﴾ (٢٠) ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (٢١) ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (٢٢) ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (٢٣)	23-19	378

## سورة الجن

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْجَوْنَ الْغُرْفَاتِ أَلَّا يَأْسِفَنَّ لَهُنَّ فِي مَا وَعَدْنَهُنَّ بِمَا وَعَدَّ﴾ (١٦)	16	109

## سورة المدثر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾	11	408
﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٣٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَهٌ يُؤْتِرُ ﴿٣٤﴾ ﴾	23-24	408
﴿ وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۗ ﴾	31	209

## سورة القيامة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَا تُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴿٢﴾ ﴾	2	84 ؛ 81
﴿ يُبْنُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾	13	85

## سورة الإنسان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾	2-3	355

## سورة النبأ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلطَّغِينِ مَتَابًا ﴿١٢﴾ ﴾	21-22	59
﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارًا ﴿٣١﴾ ﴾	31	59

78، 59	38	﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾
--------	----	---

## سورة النازعات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾﴾	39-37	83
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾	41-40	355، 83

## سورة عبس

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾	16	323

## سورة التكويد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾	24-22	257
﴿لَعَنَ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾	29-28	263

## سورة الانفطار

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾	6	322
﴿كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١١﴾﴾	11	323

## سورة المطففين

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالِ اسْتَطِيرُ الْأُولَىٰ ﴾ (١٣)	13	243؛
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤)	14	216؛ 93؛ 243
﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجْرُونَ ﴾ (١٥)	15	216

## سورة الفجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ﴾ (٥)	5	99
﴿ يَقُولُ بَلَيْتَنِي فَذَمَّتْ لِحْيَايَ ﴾ (٢٤)	24	248
﴿ يَتَأَيَّنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ (٢٧)	27	67؛ 71؛ 81
﴿ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴾ (٢٨) فَادْخُلْ فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلْ جَنَّتِي ﴿٣٠﴾	28-30	71

## سورة البلد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ (٣)	3	44
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ (٤)	4	33
﴿ أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَفْدَرَعَهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ (٥)	5	33

33	9-8	﴿الَّذِي جَعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾
81؛ 33	10	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

## سورة الشمس

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا ﴿٢﴾﴾	2	370
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ﴿٩﴾﴾	9	81؛ 39
﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾﴾	10	81
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾	8-7	80؛ 68

## سورة الضحى

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾﴾	5	309
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾﴾	8-6	310

## سورة الشرح

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿الَّذِي نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾	1	249
﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾	3-2	380

## سورة التين

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾	4	266؛ 356
﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾﴾	5	266
﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾	6	267

## سورة العلق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾	3-2	322
﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾	5-4	323

## سورة القدر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴿٤﴾﴾	4	55

## سورة البينة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴿٨﴾﴾	8	306

## سورة التكاثر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾	8	97

## سورة الهمزة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾﴾	7-6	95

## سورة الماعون

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾	5-4	241



## فهرس الأحاديث القدسيّة:

الصفحة	طرف الحديث القدسي
284	أخرجوا من النار من كان في قلبه
313	إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها
131	أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر
237	أنا أغنى الشركاء عن الشرك
373	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل
357؛ 222	الكبرياء ردائي والعظمة إزاري
96	هل قبضتم ثمرة فؤاده
383	وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم
332	وعزّي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي
401	وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ
361	يا ابن آدم مرضت فلم تعدني

## فهرس الأحاديث النبوية:

الصفحة:	طرف الحديث:
376	ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا
286	أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟
101	أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئاً
241	أثقل صلاة على المنافقين
403	أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه
308؛ 320	احرص على ما ينفعك
297	احفظ الله يحفظك
428	احمر وجهه
27	آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء
364	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة
427	إذا استيقظ أحدكم من منامه
91؛ 319	إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان
387	إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً، فلا يرفث
313	إذا التقى المسلمان بسيفيهما
71	إذا أوى أحدكم إلى فراشه
260	إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا
426	إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس

37	إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ
239	إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ
380	أرأيتم لو أن نورا بباب أحدكم
234	أربع في أمي من أمر الجاهلية
249	أربع من السعادة
378	أربع من كن فيه كان منافقا خالصا
382	ارجع فصل فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ
74، 399	الأرواح جنود مجندة
415	أسألك بكل اسم هو لك
239	أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة
286	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله
102	اعقلها وتوكل
417	اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك
405، 298	أفشوا السلام بينكم
404	اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل
121	أكثروا ذكر هادم اللذات
319	ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟
367	ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب
381	ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا
103	ألا أرى عليك ثياب من لا يعقل

236	ألا تسمعون إلى قول لقمان
284 ؛ 86	ألا وإن في الجسد مضغة
101	ألهذا حج؟
133	أما إنَّه قد صدقك وهو كذوب
406	إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَالِدِ أَهْلًا وَوَدَّ أَبِيهِ
341؛77	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه
292	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
89	إن أقواما بالمدينة خلفنا
296 ؛ 260	إنَّ الرجل لتكون له عند الله المنزلة
293	إِنَّ الرُّحَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَكَّأَةَ شِرْكٌ
78 ؛ 73 ؛ 72	إن الروح إذا قبض تبعه البصر
72	إن الروح لتلقى الروح
427 ؛ 387	إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدَّم
319	إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها
419	إن العين تدمع، والقلب يحزن
427	إن الغضب من الشيطان
83	إن الله تجاوز عن أمّتي ما حدّثت به أنفسها
351	إنَّ الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض
392	إن الله تعالى قد اتخذني خليلا
341	إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه

73	إن الله قبض أرواحنا حيث شاء
283؛ 82	إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا
266؛ 88	إن الله لا ينظر إلى أجسادكم
310	إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها
403	إنَّ الله محسن يحبُّ الإحسان
298	إن المؤمن للمؤمن كالبنیان
80	إن الميت تحضره الملائكة
200	إنَّ أوثق عُزَى الإيمان أن تُحِبَّ في الله وتُبغِضَ في الله
362	إن بكل تسيحة صدقة
69	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان
101	إن شئت صبرت ولك الجنة
309	إنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَمَ البلاء
301؛ 255	إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله
79؛ 321؛ 35	إنَّ لربك عليك حقاً
20	إنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً
265	إنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً،
356؛ 201	إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً
367؛ 352	إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى
429	إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله
313؛ 89	إنما الدنيا لأربعة نفر

268	إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق
72	إنما تقومون إعظاما للذي يقبض النفوس
92	إنما سمي القلب من تقلبه
291	إنما هو كما قال لقمان لابنه
87	إنما يرحم الله من عباده الرحماء
110	إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته
70	إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون،
406	إني قد زُزقت حُبها
426	إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد
406	أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة
304	أو ليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى؟
404	أو لم ولو بشاة،
291	أيُّ الذنب أعظم عند الله
317	إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث
73	أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان
284	الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة
350	البر ما سكنت إليه النفس
83	بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر،
357	تخلَقوا بأخلاق الله
261	تداووا عباد الله،

85	ترد أرواحنا في أجسادنا فنقاتل
246؛ 201؛ 314؛ 216؛ 92	تُعْرَضُ الفتنُ على القلوب كالحصير عودا عودا
292	تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةَ وَالْحَمِيصَةَ
402	تَتَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ
88	التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات
405	تهادوا تحابوا
400؛ 395؛ 289؛ 200؛ 36	ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان
21	جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي
70	جعل الله الحق على لسان عمر رضي الله عنه وقلبه
350؛ 24	جئت تسأل عن البر والإثم؟
95	حُقِّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ،
409	الحلم بالتحلم والعلم بالتعلم
245	الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة
428	الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء
325	خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه
331	خلقت الملائكة من نور،
406	خيركم خيركم لأهله
20	دخل النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جبل ممدود بين السارين،
363	الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل
96	دعهنَّ يا عمر، فإن العين دامعة،

305	ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا
317	ذكرك أحاك بما يكره
299	الذي لا يأمن جاره بواقه
260؛ 78	رُفِعَ القلم عن ثلاثة
385	زكاة الفطر طُهْرَةٌ للصَّائم من اللغو والرَّفث
404	سيصيب أمي داء الأمم
387	الشیطان یجری من ابن آدم مجرى الدَّم
370	الصدق طمأنينة، والكذب ريبة
361	الصوم يوم تصومون
388	صوموا تصحوا
385	الصيام حنّة
346	ضحى النبي عليه الصلاة والسلام بكبشين موجهين
330	العائد في هبته كالكلب بقيء ثم يعود في قبئه
297؛ 108	عجبا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كلُّه خير
421	غارت أمكم
380؛ 247	غفر الله لك يا أبا بكر، ألسنت تمرض؟
345	الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا
226	فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه،
298	فارتعوا في رياض الجنة
27	فإنَّ لزوجك عليك حقًّا



261	فإنما شفاء العبي السؤل
418	فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله
331	فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم
384	فليتقوا أحدكم النار ولو بشق تمرة
102	فمن قتل فهو بخير النظرين
109	فمن وثى منكم فأجره على الله
412	قد أذهب الله عنكم غيبة الجاهلية
121	قد كنت نحيتمكم عن زيارة القبور
236	قلوب بني آدم كلها بين إصبعين
405	قم فأخبره تثبت المودة بينكما
382	قم فصل، فإن في الصلاة شفاء
19	كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه
357	كان خلقه القرآن
25	كان يحب الله والرسول ويعمل بطاعة الله
372	كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم
222	الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري
135، 19	كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون
341، 338، 78	كل مولود يولد على الفطرة
14	كلكم راع
37	الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت

415	لا أُحصي ثناء عليك
422	لا تغضب
22	لا تكونوا إمعة
31	لا تلعنوه فو الله ما علمت أنه يحب الله ورسوله
376	لا صلاة بحضرة طعام
205	لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ
379	لا يُؤولنَّ أحدكم في الماء الدائم
299، 108	لا يزيي الزاني حين يزيي وهو مؤمن
318	لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه
420	لا يَفْرُكُ مؤمن مؤمنة
424	لا يُفْضِيَنَّ حَكَمَ بين اثنين وهو غضبان
208 - 13	لَا يُورِدُ مُمْرَضٌ عَلَى مُصِحِّ
299	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه
103، 20	لِئَصْلًا مَا عَقَلْتُ
65	لتنم عينك، ولتسمع أذنك، وليعقل قلبك،
307	لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق
386	لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشبهين من الرجال،
260	لكل داء دواء
342	الله أعلم بما كانوا عاملين
302	الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً

308	الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس
248	اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ
310	لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا
292	لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار،
19	لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون
423	ليس الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ
300	ليس المؤمن بالذي يشيع وجاره جائع
104	لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِبَ أَوْ فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ
409	لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملأ
260	ما أنزل الله من داء إلا وقد أنزل معه شفاء
102	ما رأيت من ناقصات عقل
413؛ 214	ما عندك يا ثمامة
366	ما قال عبد قط، إذا أصابه هم أو حزن
29	ما من مولود إلا يولد على الفطرة
428	ما منكم رجل يُقْرَبَ وضوءه
80	ما هذه الروح الطيبة
296؛ 247؛ 259	ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة
96	مات ميت من آل رسول الله
300	مثل المؤمنین فی توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد
70	مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين

25	من أثبتتم عليه خيرا وجبت له الجنة
34	من أشد الناس بلاء؟ فقال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل
418	من أصبح معافى في بدنه
200	من أعطى الله تعالى ومنع الله
131	مَنْ أَقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ التُّجُومِ
293	من التمس رضا الله بسخط الناس
88	من تعلّم علما مما يتغنى به وجه الله
84	من توضأ نحو وضوئي هذا
316	من حسن إسلام المرء تزكّته ما لا يعنيه
246	من رأى منكم منكرا فليغيره
246	من سرّته حسنته وساءتة سيئته فهو مؤمن
305	من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له
384	من صام رمضان إيمانا واحتسابا
319	من صمت نجأ
109	من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق
133	من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له
24	من قضيت له بشيء من حقّ أخيه فلا يأخذه
361	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره
319	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا
289	من كانت الآخرة همّة جعل الله غناه في قلبه

417	من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه
83	من مات ولم يغز ولم يُحدّث به نفسه
401، 89	من همَّ بحسنة فلم يعملها
419، 296	من يُرد الله به خيرا يُصب منه
300	المؤمن مرآة المؤمن
299	المؤمن من أمنه الناس
25	المؤمنون شهداء الله في الأرض
289	ن كانت الآخرة همَّ جعل الله غناه في قلبه
430	التَّدم توبة
94	نزلت في عذاب القبر
236	نُصرت بالرُّعب مسيرة شهر
131	هل تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟
96	هل قبضتم ثمرة فؤاده
199	هَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنْ شَقَاءَ الْعَجِيِّ السُّؤَال
407	وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ
424	وإذا غضب أحدكم، فليسكت
307	وأسألك الرضا بعد القضاء
336	والأنبياء إخوة لعلات
31	والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي
70	ولولا ترميح قلوبكم أو تزئدكم في الحديث لسمعتكم ما أسمع

246	وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل
369	وما يُدريك أهما رقية
303	ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم
82	ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
94	وهو أول منازل الآخرة
131	يا أيها الناس إنما الشمس والقمر آيات من آيات الله
19	يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون
374؛ 79	يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها
290	يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك أستغيث
73	يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك
385	يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج
284	يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه
92	يا مقلب القلوب، ثبتت قلوبنا على دينك
102	يأتي أحدكم الشيطان وهو في الصلاة
284	يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار
19	يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة
427؛ 380	يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم
85	يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء

## فهرس الآثار:

الصفحة	القائل	طرف الأثر
289	ابن عمر	أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَنْعَضَ فِي اللَّهِ
413	علي بن أبي طالب	أحبب حببيك هونا ما
377	حذيفة بن اليمان	إذا حزبه أمر صَلَّى
377	عبد الله بن سلام	إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة
339	ابن زيد	الإسلام مُدَّ خَلْقَهُمُ اللَّهُ مِنْ آدَمَ جَمِيعًا
283	الحسن البصري	إن الإيمان ليس بالتحلِّي ولا بالتمنِّي
302	ابن عباس	إن الله جلّ ثناؤه بعث نبيه محمدا
295	طلق بن حبيب	أن تعمل بطاعة الله على نور من الله
212	بعض السلف	إنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا
378	الضحاك بن مزاحم	الجزوع يعني الكافر
215	مجاهد بن جبر	الرَّانَ أَيْسَرَ مِنَ الطَّبْعِ
339	معاذ بن جبل	الفترة هي الإخلاص
301	سالم مولى ابن عمر	فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا
33	ابن عباس	في شدة معيشته وحمِّله وحياته
75	يحيى بن كثير	قد علمت ذاك من نفسي
213	ثور بن يزيد	القلوب آنية الله في أرضه
102	أنس بن مالك	كان يُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلَاثًا لَتُعْقِلَ عَنْهُ
213	أنس بن مالك	كانت الريح الشديدة إذا هبَّت

228	مجاهد بن جبر	كنا نرى أن قوله: (فَقَدْ صَعَّتْ قُلُوبُكُمَا)
75	ابن مسعود	لا تسأل الرجل عمًا في قلبه لك
228	ابن عباس	لتميل إليه وتزيغ
304	ابن عمر	لقد عشنا بُرْهة من دهرنا وإن أحدنا
297	ابن عباس	ليس أحد إلا يحزن ويفرح
228	ابن زيد	ليهووا ذلك وليرضوه
307	ابن عمر	ما أعظمك وأعظم حرمتك
429	عائشة	ما انتقم لنفسه في شيء يُؤتى إليه
298	علي بن أبي طالب	ما نزل بلاء إلا بذنب
388	الحارث بن كلدة	المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء
293	عائشة	من التمس رضا الله بسخط الناس
378	ابن عباس	المهلوع هو الجزوع الحريص
291	مجاهد بن جبر	وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه هي
265	ابن زيد	وفينا آيات كثيرة، هذا السمع والبصر
370	ابن عباس وعكرمة	يتبعونه حقًا أتباعه
370	ابن مسعود وابن عباس	يُحلون حلاله ويُحرِّمون حرامه ولا يُحرِّفونه
370	مجاهد	يعملون به حقًا عمله
14	عبد الله بن عمرو	يقاسم ابن آدم أهل النار قسمة صحاحا



## فهرس المحتويات

- مقدمة: ..... - 1 -
- فصل تمهيدي: مفهوم الصحة النفسية. .... - 11 -
- المبحث الأول: مفهوم الصحة النفسية في اللغة. .... - 13 -
- المطلب الأول: مفهوم الصحة في اللغة. .... - 13 -
- المطلب الثاني: مفهوم النفس في اللغة. .... - 15 -
- المبحث الثاني: مفهوم الصحة النفسية في الاصطلاح. .... - 18 -
- المطلب الأول: معايير السلوك، ومؤشرات الصحة النفسية. .... - 18 -
- الفرع الأول: معايير السلوك السوي والشاذ (اللاسوي). .... - 18 -
- الفرع الثاني: مؤشرات الصحة النفسية. .... - 29 -
- المطلب الثاني: دوافع السلوك، وتعريفات الصحة النفسية. .... - 33 -
- الفرع الأول: موقع إشباع الدوافع وآلية الحيل الدفاعية من الصحة النفسية. .... - 33 -
- الفرع الثاني: تعريفات الصحة النفسية. .... - 38 -
- الباب الأول: مفهوم النفس الإنسانية واضطراباتها بين نصوص الوحي وعلم نفس الشواذ. .... - 0 -
- الفصل الأول: مفهوم النفس الإنسانية وأوصافها في الكتاب والسنة. .... - 50 -
- المبحث الأول: الأوجه والنظائر لمفردات النفس الإنسانية في الكتاب والسنة. .... - 52 -
- المطلب الأول: مفردات النفس الإنسانية ونظائرها في الكتاب والسنة. .... - 52 -
- الفرع الأول: الأوجه والنظائر لمفردة الروح. .... - 53 -
- الفرع الثاني: الأوجه والنظائر لمفردة النفس. .... - 61 -
- الفرع الثالث: الأوجه والنظائر لمفردة القلب. .... - 64 -
- المطلب الثاني: الأدلة على رجوع هذه المفردات لمسمى واحد. .... - 65 -
- المبحث الثاني: مميزات كل مفردة من مفردات النفس الإنسانية في الكتاب والسنة. .... - 77 -
- المطلب الأول: مميزات مفردة الروح والنفس والقلب من خلال الكتاب والسنة. .... - 77 -
- الفرع الأول: مميزات مفردة الروح من خلال الكتاب والسنة. .... - 77 -
- الفرع الثاني: مميزات مفردة النفس من خلال الكتاب والسنة. .... - 79 -
- الفرع الثالث: مميزات مفردة القلب من خلال الكتاب والسنة. .... - 85 -
- المطلب الثاني: مميزات مفردة الفؤاد والعقل من خلال الكتاب والسنة. .... - 93 -
- الفرع الأول: مميزات مفردة الفؤاد من خلال الكتاب والسنة. .... - 93 -
- الفرع الثاني: مميزات مفردة العقل من خلال الكتاب والسنة. .... - 99 -

- 124 - الفصل الثاني: الاضطرابات النفسية بين نصوص الكتاب والسنة وعلم نفس الشواذ.....
- 126 - المبحث الأول: مفهوم الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذ. ....
- 126 - المطلب الأول: نبذة عن تاريخ الاضطراب النفسي.....
- 128 - ملاحظات على هذا السرد التاريخي للاضطراب النفسي:.....
- 135 - المطلب الثاني: الأسس النظرية المفسرة للاضطراب النفسي، وأسبابه.....
- 135 - الفرع الأول: الأسس النظرية المفسرة للاضطراب النفسي. ....
- 136 - أولاً: المنظور الحيوي (البيولوجي).....
- 138 - ثانياً: المنظور النفسي التحليلي.....
- 141 - ثالثاً: المنظور السلوكي.....
- 145 - رابعاً: المنظور الإنساني والوجودي.....
- 156 - خامساً: المنظور المعرفي السلوكي.....
- 159 - الفرع الثاني: أسباب الاضطراب النفسي.....
- 160 - النوع الأول: أسباب وظيفية نفسية.....
- 161 - النوع الثاني: أسباب حيوية جسمية.....
- 165 - النوع الثالث: أسباب بيئية اجتماعية.....
- 166 - ملاحظات على أسباب الاضطراب النفسي:.....
- 168 - المطلب الثالث: تعريف الاضطراب النفسي في علم نفس الشواذ، وتصنيفاته.....
- 168 - الفرع الأول: تعريف الاضطراب النفسي.....
- 170 - الفرع الثاني: تصنيفات وأنواع الاضطرابات النفسية.....
- 171 - أولاً: التصنيف على مدى شدة وثبات الاضطراب النفسي.....
- 188 - ثانياً: التصنيف على أساس نوع الوظيفة النفسية التي يظهر فيها العرض.....
- 194 - ثالثاً: التصنيف على أساس زملة الأعراض.....
- 195 - مقارنة بين الدليل التشخيصي للاضطرابات النفسية DSM، والتصنيف العالمي للأمراض ICD:.....
- 198 - المبحث الثاني: مرض القلب في نصوص الوحي، والمقارنة بينه وبين الاضطراب النفسي.....
- 198 - المطلب الأول: تعريف مرض القلب، وبيان أنواعه في نصوص الوحي.....
- 198 - الفرع الأول: تعريف مرض القلب في نصوص الوحي.....
- 204 - الفرع الثاني: أنواع مرض القلب في ضوء الكتاب والسنة.....
- 204 - أولاً: المرض المطلق.....
- 211 - ثانياً: قسوة القلب وغلظته.....
- 215 - ثالثاً: غلاف القلب.....
- 225 - رابعاً: ميل القلب.....
- 230 - خامساً: غيظ القلب.....
- 233 - سادساً: كبر القلب.....

- 236 - ..... رعب القلب.
- 242 - ..... المطلب الثاني: أسباب مرض القلب وأعراضه في نصوص الوحي.
- 242 - ..... الفرع الأول: أسباب مرض القلب في ضوء الكتاب والسنة.
- 246 - ..... الفرع الثاني: أعراض ومؤشرات مرض القلب في ضوء الكتاب والسنة.
- 254 - ..... المطلب الثالث: المرض النفسي بين نصوص الوحي وعلم نفس الشواذ.
- 254 - ..... الفرع الأول: المواطن التي يتداخل فيها مفهوم المرض النفسي بين نصوص الوحي وعلم النفس.
- 259 - ..... الفرع الثاني: المواطن التي يختلف فيها مفهوم المرض النفسي بين نصوص الوحي وعلم نفس الشواذ.
- 0 - ..... الباب الثاني: الدعائم النفسية في ضوء الكتاب والسنة، ودورها في رعاية الصحة النفسية.
- 276 - ..... الفصل الأول: الدعائم المعرفية، والوجودية الإنسانية في ضوء الكتاب والسنة.
- 280 - ..... المبحث الأول: الدعائم المعرفية في ضوء الكتاب والسنة.
- 280 - ..... المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالله تعالى، ودوره في تحقيق الصحة النفسية.
- 280 - ..... الفرع الأول: المقصود بالإيمان في ضوء الكتاب والسنة.
- 281 - ..... أولاً: الفرق بين الإيمان والتصديق.
- 283 - ..... ثانياً: تفرع الإيمان على القلب واللسان والجوارح.
- 287 - ..... ثالثاً: حد الإيمان عند أهل السنة والجماعة.
- 289 - ..... الفرع الثاني: دور الإيمان في تحقيق الصحة النفسية.
- 312 - ..... المطلب الثاني: ضبط الخواطر، ودوره في تحقيق الصحة النفسية.
- 312 - ..... الفرع الأول: مفهوم الخواطر، وبيان أهميتها في تحريك السلوك.
- 314 - ..... الفرع الثاني: طرق ضبط الخواطر.
- 322 - ..... المبحث الثاني: الدعائم الإنسانية و الوجودية في ضوء الكتاب والسنة.
- 322 - ..... المطلب الأول: منزلة الإنسان ومكانته.
- 329 - ..... أولاً: تفضيل الإنسان على البهائم.
- 330 - ..... ثانياً: تفضيل الإنسان على الجن والشياطين.
- 331 - ..... ثالثاً: المفاضلة بين الإنسان والملائكة.
- 335 - ..... المطلب الثاني: طبيعة الإنسان التي فطره الله عليها.
- 335 - ..... الفرع الأول: مفهوم الفطرة.
- 336 - ..... أولاً: الإنسان في عالم الذر.
- 337 - ..... ثانياً: الإنسان في قصة الخلق.
- 338 - ..... ثالثاً: حقيقة الفطرة.
- 339 - ..... القول الأول: الفطرة هي الإسلام،
- 340 - ..... القول الثاني: الفطرة هي الإقرار بالله عز وجل والمعرفة به.
- 341 - ..... القول الثالث: الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها من تقدير الحياة والموت، والسعادة والشقاوة.

- القول الرَّابِع: الفطرة هي الخلقة الأولى التي يستعد بها الإنسان ويتهيأ بها لتوحيد الله واتباع شرائعه. .... - 343 -
- القول الخامس: الفطرة هي ما كتبه الله عليهم حين خلقهم من الإيمان لأهل السعادة والإنكار لأهل الشقاء. - 344 -
- دور الفطرة في تحقيق الصحة النفسية. .... - 348 -
- الفرع الثاني: طبيعة الإنسان المزدوجة. .... - 351 -
- الفرع الثالث: الإنسان حوّل الله له الاتصاف نسبياً ببعض صفاته. .... - 356 -
- الفصل الثاني: الدّعاء السلوكي والانفعالي والعاطفي في ضوء الكتاب والسنة. .... - 359 -
- المبحث الأول: الدّعاء السلوكي في ضوء الكتاب والسنة. .... - 361 -
- المطلب الأول: دور الدّعاء والذكر في الصحة النفسية. .... - 363 -
- الفرع الأول: دور الدعاء في الصحة النفسية. .... - 363 -
- الفرع الثاني: دور الذكر في الصحة النفسية. .... - 368 -
- المطلب الثاني: دور الصلاة والصوم في الصحة النفسية. .... - 372 -
- الفرع الأول: دور الصلاة في تحقيق الصحة النفسية. .... - 373 -
- الفرع الثاني: دور الصيام في تحقيق الصحة النفسية. .... - 384 -
- المبحث الثاني: الدّعاء الانفعالي والعاطفي في ضوء الكتاب والسنة. .... - 391 -
- المطلب الأول: بين العواطف والانفعالات. .... - 393 -
- أولاً: المقاربات النظرية النفسية في تفسير الانفعال. .... - 393 -
- ثانياً: الانفعال هل هو فطري أم مكتسب؟. .... - 393 -
- ثالثاً: مفهوم الانفعال ومكوّناته. .... - 394 -
- رابعاً: علاقة الانفعالات بالعوامل البيئية والدوافع والمزاج. .... - 396 -
- خامساً: الانفعال يؤثر على العقل والسلوك والجسم. .... - 396 -
- سادساً: العواطف وعلاقة الانفعالات بها. .... - 398 -
- المطلب الثاني: الطرق التي تعامل بها الوحي مع العواطف والمشاعر الوجدانية. .... - 400 -
- أولاً: الإسلام جعل انشراح الصدر بنعمة الإيمان والعبادة متوقفاً على استقامة العواطف. .... - 400 -
- ثانياً: الطريق إلى تحقّق العبد بمحبّة الله تعالى. .... - 400 -
- ثالثاً: الحب في الله هو الطريق الأمثل للتكافل الاجتماعي بين المسلمين. .... - 403 -
- رابعاً: حدود العواطف الفطرية. .... - 406 -
- خامساً: ضبط العواطف وعدم الاعتماد عليها دائماً. .... - 408 -
- سادساً: الاقتصاد في المشاعر والميول. .... - 413 -
- المطلب الثالث: الطرق التي تعامل بها الوحي مع الانفعالات. .... - 416 -
- الفرع الأول: الضبط المعرفي للانفعالات. .... - 416 -
- أولاً: مراقبة الله. .... - 416 -
- ثانياً: استشعار فضل الله تعالى وحكمته. .... - 417 -

- ثالثا: حسن الظن بالله..... - 419 -
- رابعا: تحويل الانتباه إلى ما يثير عكس الانفعال..... - 420 -
- خامسا: التهوين من شأن الموقف المثير للانفعال..... - 421 -
- الفرع الثاني: الضبط السلوكي للانفعالات..... - 422 -
- أولا: تجنب الحالة المثيرة للانفعال..... - 422 -
- ثالثا: إجراءات للتحكم بالانفعالات..... - 425 -
- رابعا: توجيه الانفعال..... - 429 -
- الخاتمة:..... - 433 -
- قائمة المصادر والمراجع:..... - 435 -
- الفهارس العامة:..... - 455 -
- فهرس الآيات القرآنية:..... - 456 -
- فهرس الأحاديث القدسيّة:..... - 508 -
- فهرس الأحاديث النبوية:..... - 509 -
- فهرس الآثار:..... - 522 -
- فهرس المحتويات..... - 524 -

## ملخص الرسالة:

في خضمّ ما تُلقِي به المدارس والأبجّهات النفسيّة من نظريّات وتجارب بغية دعم الصحة النفسيّة، وما انبى على ذلك من الطرائق التي تُعنى بوقاية الإنسان من الاضطرابات النفسيّة وعلاجها، والعمل على إعلاء كفاءة الجوانب النفسيّة وتعزيزها، يلحُّ على الدّهن تساؤلات عدّة حول التصوّر والمنظور الذي أولته نصوص القرآن والسنة للنفس الإنسانيّة، وما اشتملت عليه من الطرائق والدّعائم التي تقوم عليها رعاية الصحة النفسيّة وقاية وعلاجاً وتعزيزاً.

وإجابة على هذه التساؤلات توصلت هذه الدّراسة إلى ذلك بخطّة بحثيّة، لُبّها فصل تمهيديّ: ركّز على تحديد مفهوم الصحة النفسيّة، وبابين؛ حيث احتوى الباب الأوّل: على بيان مفهوم النفس الإنسانيّة في نصوص الوحي، وما يعتريها من الاضطرابات كما قرّره علم نفس الشواذّ ومقارنته بالمرض النفسي في نصوص الوحي. واعتنى الباب الثاني: ببيان أبرز الدّعائم النفسيّة معرفيّة وإنسانيّة ووجوديّة وسلوكيّة وعاطفيّة وانفعاليّة.

وظهر من كلّ ذلك أنّ نصوص الوحي من القرآن والسنة قد اعتنت بالصحة النفسيّة من جميع جوانبها وعلى اختلاف حالاتها في وحدة كاملة متكاملة؛ ذلكم هو الإنسان.

الكلمات المفتاحيّة: الصحة، الاضطراب، النفس، العقل، المرض.

## **Abstract**

In the midst of the theories and experiences that schools and psychological trends throw in order to support mental health, and the methods that are based on that to prevent and treat people from mental disorders, and work to raise and enhance the efficiency of psychological aspects, several questions arise on the mind about the perception and perspective that it gave The Qur'an and the Sunnah for the human soul, and what it contains of the methods and pillars upon which psychological care is based as prevention, treatment and enhancement.

In answer to these questions, this study sought to do so with a research plan, consisting of an introductory chapter: it focused on defining the concept of psychological care, and two chapters; Where the first chapter contained: a clarification of the concept of the human soul in the texts of revelation, and the disturbances it suffers as determined by the psychology of deviants, and its comparison with mental illness in the texts of revelation. The second chapter deals with a statement of the most prominent psychological foundations, cognitive, human, existential, behavioral, emotional, and declamatory.

It became clear from all of this that the texts of revelation from the Qur'an and Sunnah have taken care of mental health in all its aspects and in its different states in a complete and integrated unity; that is the human.

**Key words** : health , disorder, self, mind, disease.